عصر هشام بن عبد الملك

١٠٥ - ١٢٥هـ
٧٢٤ - ٧٤٣ م

تأليف

عبد المجيد محمد صالح الكبيسي

ساعدت جامعة بغداد على طبعه

بغداد - ١٩٧٥

مطبعة سلمان الأعظمي - بغداد

عصر هشام بن عبد الملك

١٠٥ - ١٢٥ هـ

٧٢٤ - ٧٤٣ م

تأليف

عبد المجيد محمد صالح الكبيسي

ساعدت جامعة بغداد على طبعه

بغداد - ١٩٧٥

مطبعة سلمان الأعظمي - بغداد



المقدمة

ظهر الأسلام في بداية القرن السابع الميلادي ، ثم انتشر قبيل وفاة الرسول (ص) في معظم اقسام شبه الجزيرة العربية ، وفي نهاية الخلافة الراشدية ضم بلاد الشام والعراق ومصر ومعظم بلاد الفرس .

وفي العهد الاموي ضمت الدولة العربية شمال افريقية والأندلس وأواسط آسيا .

ومن الواضح ان تلك الدولة الشاسعة التي ضمت شعوبا متعددة ذات لغات مختلفة ، وأدين متنوعة ، وأنظمة وعادات متباينة ، تحتاج الى نظام اقتصادي واداري قابل للتطور ليساير الأوضاع المستجدة .

وقد حمل العرب الاسلام والعربية الى البلاد المفتوحة . ولما كان الأمويون لم يطبقوا مبادىء الشريعة الاسلامية ، فيما يخص النظام الاداري والاقتصادي ، فقد استفادوا من النظم القديمة السائدة في تلك البلدان وخاصة الانظمة البيزنطية منها .

وفي عهد هشام بدأت التحولات تتجه اكثر فاكثر الى اقتباس الأنظمة الساسانية في الأدارة والأقتصاد ، ولم يكن النظامان البيزنطي والساساني ليفيا بحاجات المجتمع الجديد ، فكان من الضروري استحداث نظم ادارية واقتصادية جديدة او تكييف الأنظمة القديمة لتلائم الأوضاع المستجدة .

كما امتزج العرب المسلمون بالشعوب الأخرى ذات الثقافات المختلفة ، ونتج عن ذلك بواكير حضارة عالمية كان المسلمون روادا لها .

كما ان شعور الشعوب ، غير العربية بوطأة الحكم الأموي دفعها الى القيام بثورات مسلحة في أنحاء متفرقة من العالم الأسلامي .

هذا وقد أنضمت جماعات متعددة ، عربية وغير عربية ، الى دعوات سرية استهدفت اسقاط الحكم الأموي • وقد انتشرت أحدى تلك الحركات السرية وتوسعت كثيرا في عهد هشام الذي نحن بصدد البحث فيه •

ولكل ما سبق فقد حظي العصر الأموي بقسط وافر من أخبار المؤرخين الرواد ودراسات المحدثين لما له من أهمية •

ونرى من المناسب أن نذكر أن عصر هشام ، رغم ما أصيب خلاله المسلمون من انتكاسات ، يمثل عصرا ذهبيا من عصور بني أمية ، فقد توفي هشام والدولة متماسكة ، ظاهريا في الاقل ، من الداخل والخارج •

وقد توقع هشام أن الأمور لن تسير في طريقها الصحيح ، بعد وفاته ، لأن ولي العهد لم يكن بمستوى المسؤولية ، لكنه لم يتمكن لظروف متعددة من تنحيته عن السلطة •

واذا جاز لنا ان نحكم على تصرف هشام في ابقائه على ولي العهد لرأينا أنه قد أرتكب خطأ في ذلك الصدد • فلم يكن للوليد بن يزيد من الصفات ما يؤهله لذلك المنصب الخطير ، ولا تقل نتائج ابقائه ، وليا للعهد ، سوءا عن تنحيته وقد توقع هشام النتيجتين ولكنه ترك الأمور ، كما يظهر ، للقدر يتحكم فيها بما يشاء •

ولأهمية عصر هشام ولكونه يشمل فترة من أهم فترات تاريخ الدولة الأموية فقد رأينا ان نقدم دراسة أولية عن ذلك العصر الذي زخر بالأحداث السياسية والتحولات الادارية • وكانت نهاية عهد هشام نذيرا لتردى الأوضاع العامة واضطراب الأمور في دمشق وسقوط الدولة الأموية بعدئذ •

ونرى من المناسب أن نشير الى أننا اعتمدنا ، بصورة رئيسة ، على طائفة من المصادر أثناء اعداد هذه الدراسة عن عصر هشام •

وكان البلاذري من بين من اعتمدنا عليهم • وقد استفدنا فائدة كبيرة من المعلومات الثمينة التي تضمنتها روايات البلاذري ، على الأخص ، في كتابه

« أنساب الأشراف »[1] ، وهو على شكل مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا ببغداد ، وكانت الفائدة منها كبيرة ، ومع ان كثيرا من الأخبار الواردة في المخطوطة تتكرر عند الطبري ، لكن بعضها الآخر يأتي مكملا لما عنده ، خاصة ما يخص أحوال العراق الأقتصادية في عهد خالد القسري .

وقدم لنا الطبري كتابه الموسوم بـ « تأريخ الرسل والملوك » ، وفيه الشيء الكثير عن عهد هشام ، وقد اهتم المؤلف اهتماما خاصا بأخبار العراق والشام وشبه الجزيرة العربية وخراسان .

وقد اهتم أيضا بأخبار الفتوح وحروب المسلمين في المشرق خاصة . لكنه لا يقدم لنا الا النزر اليسير من المعلومات عن الجانب الآخر الذي يقف ضد المسلمين .

كما ان الطبري قام باختيار المادة التأريخية الصحيحة من مجموعة المواد التي قدمتها كتب المدائني وغيره ، ومع صعوبة ذلك العمل[2] ، لكنه حرمنا من روايات كثيرة ربما كانت مفيدة في جوانب أخرى عن المواضيع التي قدمها لنا .

كما انه قدم لنا روايات متعددة عن الحادثة الواحدة وبذلك ترك لنا مجالا كبيرا لتمييز الصحيح منها أو الخطأ .

وبأعتماده على مؤرخين مختصين قدّم لنا أفضل المعلومات عن الأخبار التي وردت عنده ، فمثلا أعتمد على المدائني فيما يخص أخبار خراسان وعلى أبي مخنف في رواياته عن العراق وعلى الواقدي في أخباره عن الحجاز وهكذا .

ولما كانت حوليات الطبري لا تقدم لنا الا النزر اليسير من المعلومات عن غرب الأمبراطورية فقد إستعنا بأبن الأثير ، وكتب المؤرخين المغاربة لسد النقص الموجود عند الطبري عن الفترة المبحوث فيها .

---

(١) أحمد بن يحيى البلاذري ، انساب الاشراف ، مخطوطة مصورة بمكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب بجامعة بغداد برقم ١٦٤٠ .

(٢) مارغوليوث ، دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة الدكتور حسين نصار ، بيروت لا·ت صص١٢٤ـ١٢٥ .

كما ان الطبري لا يشير الا لماما الى النظام المالي لذا استعنا بكتب الأموال وكتب الجغرافية وغيرها لسد الثغرات في هذه النواحي •

واضافة لما سبق فقد رجعنا الى كتب التواريخ العامة مثل « تأريخ خليفه ابن خياط » و « تأريخ اليعقوبي » ، « ومروج الذهب » للمسعودي وغيرهم •

وقد رجعنا الى ما ورد في كتب الأدب مثل كتاب « الأغاني » ، و « العقد الفريد » ، وأغلب ما كتبه الجاحظ ، « والكامل » للمبرد لاقتباس ماله صلـــة ببحثنا • وقد كانت فائدتنا من كتب الأدب كبيرة ، ذلك أن الأهتمام بالأدب عامة والشعر بخاصة كان أحدى سمات العصر البارزة ، وكان عامة الناس ، فضلا عن الخاصة والحكام ، لأسباب عديدة من بينها الدعـاوة لأرائهم أو لأشـخاصهم أو لقبائلهم ، يعيرون الشعر بخاصة والأدب عموما اهتماما كبيرا •

ونتيجة لما سبق أصبحت كتب الأدب تحتل حيزا كبيرا بين المصــادر التي اعتمدنا عليها في اعدادنا لهذه الرسالة •

وفي بحثنا عن المناطق المهمة التي تتكون منها الدولة في عهد هشام رجعنـا الى كتب الجغرافية مثل كتاب « المســالك والممــالك » لابن خرداذبه ، وكتــاب الأصطخري وكتاب « معجم البلدان » لياقوت الحموي وغيرها •

وقد أمدتنا تلك الكتب ، فضلا عما سبق ، بمعلومات اقتصــادية وســكانيه أضافة لتحديد المواقع والمدن •

واستفدنا من كتب الأنساب لتوضيح صلات القربى التي تربط الحاكمــين بغيرهم ، ولبيان عوامل تعصب أولئك الحكام لجمــاعة أو لأخــرى ، لأسيما أن العصبية القبلية حينذاك كانت أحدى الميزات الرئيسة للعهد الأموي •

وكان من بين تلك الكتب ، كتاب « نسب قريش » لمصعب الزبيري ، وكتاب « أنساب العرب » للقلقشندي وغيرهما •

وكان من بين المصادر التي رجعنا اليها أيضا ، طائفة من الكتب مجهولــة المؤلف مثل كتاب « تأريخ الدولة العباسية » ، وكتاب « تأريخ الخلفاء » وغيرهما• وكانت فائدة تلك الكتب كبيرة نظرا لما أحتوته من أخبار انفردت بها ، عن طائفة من المواضيع وبخاصة أخبار الدعوة العباسية •

كما أولينا كتب التواريخ المحلية اهتماما كبيرا لما ورد فيها من معلومات وأخبار نادرة . وكان من بين تلك الكتب كتاب « تأريخ الموصل » للأزدي ، وكتاب « فتوح مصر والمغرب » لابن عبدالحكم وكتاب « تأريخ أفريقية والمغرب » للرقيق القيرواني وغيرها .

وقد أمدتنا تلك الكتب ، كل في حقل اختصاصه ومنطقته ، بمعلومات ثمينة عن المناطق التي جعلتها موضع اهتمامها .

وقد اهتم المؤرخون المحدثون كثيرا بالفترة التي نحن بصددها لما لها من أهمية وقد أشرنا الى طائفة كبيرة من مؤلفاتهم بقدر ما سمحت به ظروف الرسالة .

وكان كتاب فلهاوزن الموسوم بـ « تأريخ الدولة العربية وسقوطها » نظرا لشموله من جهة ، ولأختصاص مؤلفه في أحوال الأمويين في جهة أخرى ، من أهم المراجع التي اعتمدناها في اعداد هذه الرسالة .

وقد ضمت الرسالة ، فضلا عن الفصل التمهيدي او الأول الذي خصص للبحث في أحوال الدولة عامة ، قبيل عهد هشام ، أربعة فصول عن الفترة التي نحن بصدد البحث فيها .

فقد خصص الفصل الثاني للبحث في حياة هشام بصورة عامة ، وعلاقاته بعائلته ، وأولاعه وذلك لما لحياته الخاصة وتربيته وتصرفاته من تأثير في ادارته للدولة بعد أن أصبح خليفة .

اما الفصل الثالث فقد كرس للبحث في أقاليم الدولة وادارتها ومع ذلك فأنني خصصت أغلب مادة الفصل للبحث عن ولاة العراق وادارتهم له ، وذلك لما لتلك البلاد من أهمية في الدولة أنذاك . وبينت في نهاية الفصل الخطوط العامة التي اتبعها هشام في تعيينه للولاة وعزلهم .

وقد خصص الفصل الرابع للبحث عن حركات المعارضة في عهد هشام ، وكان من سماته تعدد ثورات الشعوب المحكومة ، وحركات الجماعات العربية وغير العربية التي أرهقها الحكم الأموي اقتصاديا وشعرت أنها مضطهدة اجتماعيا ، ظاهريا في الاقل ، في ظل الدولة الأموية .

وقد امتزجت تلك الثورات ، شأنها في ذلك شأن غالبية الثورات والحركات في البلاد الإسلامية ، العوامل الدنيوية والدينية ، وكان أغلب القائمين بها يحاولون التخلص من الحكم العربي عامة ، او اسقاط الحكم الأموي ، او محاولة تصحيح سياسة الأمويين واجبارهم على اتباع النظام الأسلامي في ادارتهم للدولة .

كما تطرقنا بشيء من الأيجاز الى الدعوة العباسية من حيث بدايتها ، ومن ثم اتساع نطاقها في عهد هشام .

هذا وقد تطرقنا في الفصل الأخير الى النظام الأقتصادي للدولة مع الرجوع الى أوليات ذلك النظام في الفترات السابقة لحكم هشام لأنها تمثل الأسس التي سار عليها الخليفة في سياسته المالية والأقتصادية .

كما أوردنا معلومات عن النظام الأقتصادي لكل إقليم على حدة ، وأولينا عناية خاصة لنظام الضرائب والمشكلات التي اكتنفت جبايتها ، وذلك لأن فرض الضرائب ، وطرق جبايتها ، من القضايا التي غالبا ما تكون من أهم العوامل التي تولد الأحتكاك بين السكان والسلطة .

وفي الختام أتقدم بالشكر الجزيل للاساتذة والأخوان الذين قدموا لي مساعدتهم القيمة في سبيل انجاز هذه الرسالة وأخص منهم بالذكر أستاذي المشرف على رسالتي الدكتور عبدالله الفياض ، الذي لم يبخل علي بجهده ، وارشاداته ، وتوجيهاته القيمة وأرائه السديدة ، التي كان لها اكبر الأثر في اعداد هذه الرسالة .

كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة على ما يقدمونه من الملاحظات التي أرجو ان تكون خير عون لي في تدارك ما فاتني عند اعدادي للرسالة والله المرفق .

عبدالمجيد محمد الكبيسي

الفصـــل الاول

احـوال البـلاد الاسـلامية عند تولي هشـام الحـكم

١ ـ الهدوء النسبي للاحوال الداخلية ، واثره في الحياة العامة للسكان ٠

٢ ـ ولاة الاقـاليم والخطوط العامـة لسياسـاتهم ٠

٣ ـ الاوضـاع العامـة في مناطق الحـــدود ٠



١ ـ الهدوء النسبي للاحوال الداخلية وأثره في الحياة العامة للسكان :ـ

تولى يزيد بن عبدالملك الخلافة بعد وفاة عمر بن عبدالعزيز (رض) عام ١٠١هـ ، وتبنى الحاكم الجديد سياسة مخالفة لسياسة سلفه ، قال ابن الاثير « ... وعمد يزيد الى كل ما عمله عمر بن عبدالعزيز مالم يوافق هواه فرده ولم يخف شناعة عاجلة ولا اثما آجلا[١] » ويقول المسعودي ان مسلمة عذل اخاه يزيداً « ... لما عم الناس من الظلم والجور باحتجابه واقباله على الشرب واللهو »[٢] .

لكن يزيداً لم يرتدع ولم يصغ للنصح ، وواظب على لهوه وعبثه ، واستمر على ظلمه ، كما تغاضى ، غالبا ، عن ظلم عماله للناس ، وكان الظلم المذكور من بين الاسباب التي ادت الى وقوع احداث ظهرت آثارها بعدئذ في أجزاء متفرقة من العالم الاسلامي .

ويقول أمير علي ان عجز الخليفة يزيد بن عبدالملك ومستشاريه واعتماده على عمال غير أكفاء شجع الفتن والاضطرابات في البلاد فهزم المسلمون في اذربيجان واشتعلت الثورات فيما وراء النهر[٣] بسبب تعسف العمال ، ولم تخمد تلك الثورات الا بصعوبة بالغة[٤] .

ويرى فلها وزن ان يزيد بن عبدالملك لم يكن رجلا سياسياً يدرك مصالح الدولة وكان ضعيفا قليل الاهتمام بشؤون الحكم وكان نبيلا فارسا وفتى سيداً

---

(١) ابن الاثير ، علي بن ابي الكرم ، الكامل في التأريخ ، ج٥ ، بيروت ١٣٨٥هـ ، ص٦٧ .

(٢) المسعودي ، علي بن الحسين ، مروج الذهب ، ج٣ ، القاهرة ١٣٧٧هـ ، ص٣٠٧ .

(٣) ما وراء النهر : يُراد بها ما وراء نهر جيحون بخراسان ، وفي الاسلام سموه ما وراء النهر وما كان في غربيه فهو خراسان ، ياقوت ، معجم البلدان ، مادة ما وراء النهر ، ج٥ ، ص٤٥ .

(٤) أمير علي ، مختصر تأريخ العرب ، ترجمة عفيف البعلبكي ، بيروت ، ١٩٦١م ، صص١٣٣ـ١٣٤ .

أكثر منه حاكما ، لم يخصص وقته لامور الدولة بل للهو والغناء والشراب[٥] .

ولاشك ان آثار سياسة يزيد بقيت عبئاً ثقيلاً على البلاد وسكانها ، رغم مالاح في الافق من بوادر هدوء ظاهرية في عهد من ولي الحكم من بعده وهو هشام ابن عبدالملك .

تولي هشام الخلافة عام ١٠٥هـ ، وكانت الاوضاع عند توليه الحكم هادئة نسبيا ، اذ سبق وان نجح الامويون في حدود سنة ١٠٢هـ في القضاء على ثورات آل المهلب[٦] في العراق وفي انحاء اخرى من الامبراطورية[٧] .

ان اكثرية الناس في العراق ايدوا ثورة آل المهلب ، لعوامل متعددة ، وكان سوء الاحوال العامة في مقدمة تلك العوامل ، فورد في نص بيعة الناس ليزيد بن المهلب[٨] ، وفي بعض من خطبه اثناء الثورة[٩] ، ما يؤيد سوء الاحوال العامة ، وكانت الدعوة الى كتاب الله وسنة نبيه وسيرة العمرين وجهاد الظالمين ، وان لم تنفرد ثورة آل المهلب في الدعوة اليها ، من بين العوامل التي جعلت اغلب

---

(٥) فلهاوزن ، يوليوس ، تاريخ الدولة العربية وسقوطها ، ترجمة عبدالهادي ابو ريدة ، القاهرة ، ١٩٥٨م ، صص٣١٢-٣١٣ .

(٦) كان المهلب بن ابي صفرة احد المقاتلة العرب بخراسان واشتهر بقتاله للخوارج جنوب البصرة ، وقد انضم الى مصعب بن الزبير ، ولما قتل مصعب بايع لعبدالملك بن مروان ، وتولى ولاية خراسان للحجاج بن يوسف الثقفي وتوفي المهلب عام ٨٢هـ ، واشتهر من اولاده يزيد الذي نال الحظوة لدى سليمان بن عبدالملك ، فولاه العراق ثم ولاه خراسان فلما تولى الخلافة عمر بن عبدالعزيز (رض) استدعاه الى الشام وسجنه بسبب احتجان اموال كان يزيد كتب بها الى سليمان ، فلما طالبه بها عمر انكرها فسجنه ، ولما مرض عمر هرب يزيد من السجن خوفا من يزيد بن عبدالملك ، لما بينهما من عداء قديم ، واعلن ثورته في العراق .

(٧) الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، القاهرة ١٩٦٤م ، صص٥٩٠-٦٠٢ . والازدي ، يزيد بن محمد بن اياس ، تاريخ الموصل ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، ص١٢ . وابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، النجف ، ١٩٦٧م ، صص٣٣٢-٣٣٣ .

(٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ص٥٩٢ .

(٩) ايضا ، ج٦ ، ص٥٩٢ . والعيون والحدائق في اخبار الحقائق ، مجهول المؤلف نشر دي‌غوية ، ليدن ، ١٨٧١م ، ص٥٩ .

الناس تؤيد تلك الثورة[١٠] . ويرى فلهاوزن ان يزيد بن المهلب اراد ان يتخذ من الاسلام قوة يشد بها أزره[١١] ، لكن يزيدا كان من بين عمال بني امية ، كما نظر اليه معاصروه ، وانه لم يكن مخلصاً في دعوته للاسلام[١٢] ، وبالرغم من ذلك فقد أيدت ثورة آل المهلب جماعات متدينة ، اذ أيدتهم في منطقة البصرة مثلا ، طوائف من القراء[١٣] ومن المرجئة[١٤] .

اما عن موقف البعض الآخر من أهل التقى والورع وفي مقدمتهم الحسن البصري ، فكان يقوم على عدم تأييد ثورة آل المهلب ، وقد بذل الحسن جهده في منع الناس من تأييد الثورة[١٥] ، ولكنه في الوقت نفسه لم يكن مؤيدا لبني مروان[١٦] ، ويرى الحسن ان آل المهلب كانوا اعوانا لبني مروان ، كما اشرنا ، وان اغلب مؤيدي الثورة من الموالي الذين سماهم الطبري »[١٧] «بالغثاء» ، ولذلك لم يرَ

---

(١٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٨٧ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ص ص٧٥-٧٦ .

(١١) فلها وزن ، المصدر نفسه ، ص٣٠٥ .

(١٢) يذكر الطبري (تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٥٨٧) ان الحسن البصري لما رأى الناس وقد اجتمعوا لتأييد آل المهلب قال « ... كان يزيد (بن المهلب) بالامس يضرب اعناق هؤلاء الذين ترون ثم يسرح بها الى بني مروان يريد بهلاك هؤلاء رضاهم ، فلما غضب قال ... اني خالفتهم فخالفوهم قال ... هؤلاء ... نعم قال : اني ادعوكم الى سنة العمرين وان من سنة العمرين ان يوضع قيد في رجله ثم يرد الى محبس عمر الذي فيه حبسه » ، ويذكر ذلك ايضا ابن الاثير (الكامل ج٥ ، ص٧٦) .

(١٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٩٣ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ص٣٠٦ .

(١٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٩٣ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٨٠ .

(١٥) الطبري ، المصدر نفسه ج٦ ، ص ص٥٩٣-٥٩٤ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٨٠ . والعيون والحدائق ، ص٦١ . وامير علي ، المصدر نفسه ، ص١٣٣ .

(١٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٨٨ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٧٦ . والعيون والحدائق ، ص٥٩ .

(١٧) تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٥٨٧ . والعيون والحدائق ، ص٥٩ . ويذكر فلهاوزن (تاريخ الدولة العربية ، ص٣٠٦) ان عددا من الموالي ايدوا الثورة .

الحسن مبررا لأن يقتل الناس بعضهم بعضا[18] .

استطاع مروان بن المهلب اضعاف جماعة الحسن البصري وتفريقهم دون ان يتعرض للحسن بسوء واتهم مروان بن المهلب في الوقت نفسه الحسن البصري بانه يجمع الجماعات غير العربية ويحرضهم عليه[19] . قال الطبري « ... سقاط الابلة وعلوج فرات البصرة ، قوما ليسوا من انفسنا ولا ممن جرت عليه النعمة من احد منا[20] » .

ويرى فلها وزن ان اغلب مؤيدي الحسن البصري لم يكونوا من ذوي النباهة لذا سكت مروان بن المهلب عنه[21] .

ويرى امير علي ان شجاعة يزيد بن المهلب واخيه وكرمهما كان لهما اكبر الاثر على العقل العربي ، وهما اللذان اشعلا حماس اهل البصرة وجعلاهم يبايعون آل المهلب[22] . وربما كان ذلك الكرم ، وتلك الشجاعة من بين العوامل التي جعلت اغلب اهل البصرة مؤيدة لآل المهلب ، ومع ذلك فلم تكن شجاعة المهالبة وكرمهم العامل الرئيس في انضمام الناس اليهم ، ولعل سوء الاوضاع العامة والدعوة الى الرجوع الى الاسلام وسيرة العمرين[23] ، كان من العوامل المهمة التي ادت الى تأييد الثورة ، كما اشرنا سابقا .

ويقول فلها وزن ان قبائل اليمن في البصرة ، اي الأزد وربيعة ، المرتبطة بحلف فيما بينها ، انضمت الى آل المهلب لاسيما وان يزيد بن المهلب قد استمال

---

(١٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٩٤ .وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٨١ .

(١٩) يذكر الطبري (تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٥٨٨) ان يزيد بن المهلب لما ترك البصرة واتجه الى واسط خلف اخاه مروان على البصرة .

(٢٠) تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٥٩٤ .

(٢١) تاريخ الدولة العربية ، ص٣٠٦ .

(٢٢) مختصر تاريخ العرب ، ص١٣٣ .

(٢٣) يذكر فان فلوتن (السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية، القاهرة ١٩٦٥م ، ص٥٩ ، ص٧٣) ان الضرائب ، بعد موت عمر بن عبدالعزيز عام ١٠١هـ اعيدت الى ما كانت عليه زمن الحجاج وكانت السياسة الضريبية « ... اقصى ما تكون جورا وعسفا » .

الناس بما فرق فيهم من ذهب وفضة ، اما قبائل تميم وقيس فقد ايدوا الوالي الاموي لكن بخله جعلهم يتفرقون عنه عند اول صدام بينه وبين الثائرين[٢٤] .

ويبالغ أمير علي باهمية ثورة آل المهلب ، كما يعتقد ان نتائج فشلها كانت بعدئذ بالغة الخطورة على الدولة الاموية ، كما يرى انها اثارت العصبيات القديمة في اغلب أجزاء الدولة الاموية[٢٥] .

سبق وان اشرنا الى الجماعات التي ايدت الثورة ومع ان قبيلتي الازدوربيعة في البصرة كانتا من بين من ايدوها[٢٦] ، لكن ذلك لا يعطينا دليلا على ان غالبية مؤيدي الثورة كانوا من قبائل اليمن ، فقد بيّن يزيد بن المهلب أن ديوانه احصى مائة وعشرين الف مقاتل لكنه كان يتمنى بدلهم من بخراسان من قومه[٢٧] . كما لم يستطع يزيد بن المهلب ان يفرض رأيـه على جيشه بمهاجمة جيش الأمويين ليلاً لمعارضة السميدع احد رؤوساء المرجئـة ، والذي كان من بين العاملين في جيش ابن المهلب[٢٨] ومع ان الثائرين ، خاصة آل المهلب ، عوملوا بقسوة لا مبرر لها بعد فشل ثورتهم[٢٩] ، لكن ذلك لا يعطينا دليلا كافيا على ان الثورة اثارت العصبيات القديمة . ومع ان فلها وزن يؤيد امير علي في رأيـه السابق الى حد ما فيرى ان الدولة الاموية تحولت الى حزب يحكم باسم قيس ، لكنه يستثني الشام ويقول ، ان السياسة المذكورة لم تطبق في الشام لان قبائـل قضاعة هي نواة الجيش الأموي الذي قضى على ثورة آل المهلب والذي تتبـع

---

(٢٤) تاريخ الدولة العربية ، ص٣٠٤ .

(٢٥) مختصر تاريخ العرب ، ص١٣٣ .

(٢٦) يذكر الطبري (تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٥٨٠) الجماعـات التي ايدت ثورة آل المهلب فيقول « ... ومالت الى يزيد (بن المهلب) ربيعـة وبقية تميم وقيس وناس بعد ناس ».وفلهاوزن ، المصدر نفسه ، ص٣٠٤.

(٢٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٩٢ . ويذكر فلهاوزن (تاريخ الدولة العربية ، ص٣٠٧) ان قبائل اليمن وربيعة وكذلك قبائل تميم في الكوفـة انضمت الى يزيد بن المهلب .

(٢٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٩٣ .

(٢٩) يذكر الطبري (تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٦٠٣) ان يزيد بن عبدالملك قتل حتى الصبيان من آل المهلب .

الهاربين منهم[٣٠] .

وربما اثارت حوادث سابقة ولاحقة العصبيات القديمة في الدولة الاموية ، وربما كانت ثورة آل المهلب من بين تلك الحوادث ، لكنها على الأرجح ، لم تكن العامل الرئيس في اثارة تلك العصبيات .

اما في خراسان فلم تثر ثورة آل المهلب قبائلهم من الازد من سكانها ، ونتيجة لذلك نجد تلك القبائل تتقاعس عن نصرة آل المهلب وتكتفي بالمحافظة على حياة مدرك بن المهلب ، الذي جاء يستنصر قبيلته الأزد ، والتي بسطت حمايتها عليه ومنعت تميما من قتله ، ولكنها مع ذلك أفهمت مدركا بانها ليست مستعدة لتحمل نتائج ثورة آل المهلب المعادية للسلطة[٣١] .

ويبدو ان الاحوال في خراسان كانت هادئة على العموم ، يظهر ذلك من عبارة لعبدالرحمن بن نعيم الغامدي ، والي خراسان ، الذي أظهر رضاه عن الاوضاع العامة في ولايته وقال انها « ... بلاد عافية وطاعة وعلى جماعة »[٣٢] .

ولربما كان لشعور العرب بالخطر الخارجي اثر في وجود ذلك الهدوء النسبي بخراسان حينذاك . وكان مبعث ذلك الخطر تهديد السغد والترك المستمر لحدود البلاد الشرقية . فيذكر الطبري ، ان الحرب كانت مستمرة بين المسلمين والسغد والترك ولم تهدأ تلك الحروب خلال حكم يزيد بن عبدالملك (١٠١-١٠٥) وماتلاه من حكم هشام ، وسنفصل ذلك في بحثنا عن ولاة خراسان . وكانت الاحوال فضلا عن هدوئها النسبي في خراسان ، كما اسلفنا ،

---

(٣٠) تاريخ الدولة العربية ، ص٣١٢ .

(٣١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٨٦ . والازدي ، المصدر نفسه ، صص ٨-٩ . وفلهاوزن ، المصدر نفسه ، ص٣١٢ .
قال الشاعر ثابت قطنة يفخر بانقاذ حياة مدرك بن المهلب ، (الطبري ، ج٦ ، ص٥٨٦) .

الم تر دوسرا منعت اخاها	وقد حشدت لتقتله تميم
فما حملوا ولكن نهنهتم	رماح الأزد والعز القديم
رددنا مدركا بمرد صدق	وليس بوجهه منكم كلوم

(٣٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٨٥ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص ٧٥ . والازدي ، المصدر نفسه ، ص ٨ .

هادئة نسبيا في الجـــزيرة الفراتيـــة والحجـــاز واليمن ؛ لذلـــك لا تشــير حوليات الطبري وابن الاثير وغيرهما الى حصول حركات وانتفاضات داخلية قبيل مجيىء هشام للحكم ، وكذلك كانت الحال في مصر والشام[٣٢] .

أما في شمال افريقية فكانت الاحوال لا تخلو من اضطراب اذ قتل البربر ، في سنة ١٠٢هـ ، والي منطقتهم يزيد بن ابي مسلم واعادوا الوالي السابق محمد ابن يزيد الى السلطة .

ويعزو الطبري ذلك الى ان يزيد بن ابي مسلم « ... عزم ان يسير بهـم (بالبربر) بسيرة الحجاج بن يوسف في اهل الاسلام الذين سكنوا الامصار ممن ردهم الى قراهم ورساتيقهم ووضع الجزية على رقابهم ... فقتلوه ... وكتبوا الى يزيد بن عبدالملك ، انا لم نخلع ايدينا من الطاعة ، ولكن يزيد بن ابي مسلم سامنا مالا يرضى الله والمسلمون فقتلناه واعدنا عاملك »[٣٣] .

فكتب يزيد بن عبدالملك الى البربر « ... اني لم أرضَ ما صنع يزيد بنَ

---

(٣٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص‌ص٥٩٠-٦٢٢ ، ج٧ ، ص‌ص٧-٢١ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ص‌ص٦٧-١١٨ . والازدي ، المصدر نفسه، ص‌ص١٠-١٨ . وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص‌ص٣٣٢-٣٣٩ .
ويذكر ابن الاثير (ج٥ ، ص‌ص١١٨-١١٩) ان الخوارج في اليمامة قـاموا بانتفاضة ولكنها اخمدت اثناء حكم يزيد بن عبدالملك ، وقاموا بانتفاضـة اخرى في بعض اعمال الموصل وقضى عليها في بداية حكم هشام بن عبدالملك على ما يذكره ابن الاثير (٥ : ١١٩-١٢٠) .

(٣٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٦١٧ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١١١ . وابن خياط ، المصدر نفسه ج١ ، ص٣٣٣ .
والجهشياري ، محمد بن عبدوس ، الوزراء والكتـاب ، القاهـرة ١٩٣٨ ، ص‌ص٥٦-٥٧ . وابن تغرى بردى ، جمال الدين ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج١ ، القاهرة ، ١٩٦٣ م ، ص٢٤٩ .

ابي مسلم واقر محمد بن يزيد على افريقيا[٣٤] » •

ويوضح لنا ابن عذارى ، السبب المباشر لمقتل الي الامويين في افريقية فيصفه بالظلم والقسوة والبطش « ••• وكان البربر يحرسونه ، فقام على المنبر خطيبا ، فقال : اني رأيت ان ارسم حرسي في ايديهم ، كما تصنع ملوك الروم بحرسها ••• فلما سمعوا ذلك منه ـ اعني حرسه ـ اتفقوا على قتله ، وقالوا جعلنا بمنزلة النصارى ، فلما خرج من داره الى المسجد لصلاة المغرب قتلوه في مصلاه[٣٥] •

ويبين اليعقوبي ان حراس يزيد بن ابي مسلم من البربر كانوا من موالي موسى بن نُصير ، وكان عبدالله بن موسى بن نصير بافريقية لما قدمها يزيد بن ابي مسلم ، ثم يقول « ••• ولي يزيد بن ابي مسلم افريقية فقدمها وعبدالله بن موسى اللخمي محبس بها ، فقال له (يزيد) : اعطِ الجند من مالك ارزاقهم لخمس سنين فقال لا اقدر على ذلك فحبسه ، واخذ موالي موسى بن نصير فوسم ايديهم وردهم الى الرق ، واستخدم عامتهم في حرسه ، فوثب عليه غلام منهم••• فقتله ، فلما بلغ يزيد بن عبدالملك الخبر ولى بشر بن صفوان الكلبي فلم يزل مقيما بها (بافريقية) ولاية يزيد »[٣٦] •

---

(٣٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٦١٧ • وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٣٣ • وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٠١ • ويذكر ابن عذارى (البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج١ ، ليدن ، ١٨٤٨ـ١٨٥١م ، ص٤٩) ان محمد بن يزيد كان محبوسا فاطلقه البربر ، وتولى افريقية محمد بن اوس الانصاري ، على ما سيأتي •

(٣٥) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤٨ • وابن عبدالحكم ، عبدالرحمن ابن عبدالله ، فتوح مصر والمغرب ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ص٢٩٠ •

(٣٦) اليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ ، بيروت ، ١٩٦٠م ، ص٣١٣ • وابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٠ •

ويرى الاستاذ مؤنس (حسين / فجر الاندلس ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص١٤٧) ان يزيد بن ابي مسلم امتهن البربر واذلهم فقتلوه ، ويؤكد مؤنس ايضا (ص١٦٠) ان ذلك كان بتحريض من عبدالله بن موسى بن =

وعلى ما يبدو فان المصالح الشخصية ، وسوء الادارة ، وما طبع عليه يزيد بن ابي مسلم من الظلم والجبروت وسفك للدماء ، كانت من عوامل قتله(٣٧) .

هدأت أحوال أفريقية بعد ان وليها بشر بن صفوان ، ويعلل الأستاذ مؤنس سبب ذلك الهدوء الى الاسراف في استعمال القسوة البالغة مع البربر من قبل الوالي الجديد بشر بن صفوان(٣٨) .

ويظهر ان الخلافة في دمشق لم تكن تهتم لما كان يقع على البربر من ظلم ، وان القسوة والبطش لم يكونا من عوامل الهدوء الدائم فقد ثار البربر في عهد هشام ، وكلفت ثوراتهم الدولة كثيرا من الأموال والانفس على ما سنذكره في حينه ؛ قال الطبري « ... فما زالوا (اهل افريقية) من اسمع اهل البلدان واطوعهم الى زمان هشام بن عبدالملك احسن امة سلاما وطاعة »(٣٩) .

اما الاندلس فقد كانت تابعة لافريقية فلما تولى الخلافة عمر بن عبدالعزيز (رض) فصل ادارتها عن افريقية والحقها بالخلافة مباشرة اهتماما باهلها(٤٠)

= نصير . ويرى الدكتور عبدالحميد (سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص٢٤٢) ان الشخص هو عبدالملك بن موسى بن نصير لا عبدالله الذي قتل عام ٩٧هـ ويذكر ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج١ ، ص٤٩) ان الناس تشاوروا فيما بينهم ، فيمن يولونه بعد مقتل يزيد بن ابي مسلم ، فاتفقوا على تولية المغيرة بن ابي بردة القرشي فنصحه ابنه الا يفعل خشية اتهامه بمقتل الوالي ، فاعتذر عن ذلك ، فاتفقوا على تولية قائد حملة الغزو الى صقلية حين رجوعه ، وهو محمد بن اوس الانصاري ، فلما رجع امروه . وكتب بما حدث الى يزيد بن عبدالملك ، اما الوالي السابق محمد بن يزيد فاطلق سراحه من سجن الوالي المقتول ، يزيد بن ابي مسلم ، ولم يلي افريقية كما تشير الروايات السالفة .

(٣٧) ابن تغرى بردى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٤٨ . وابن عذارى ، المصدر نفسه ج١ ، ص٤٩ .

(٣٨) فجر الاندلس ، ص١٦٠ .

(٣٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٢٥٤ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٩٢ .

(٤٠) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٦ .

وولاها للسمح بن مالك الخولاني عام ١٠٠هـ[٤١] . ويبدو ان تدين السمح وامانته[٤٢] ، فضلا عن عدم تحيزه كانت على رأس العوامل التي أدت الى تعيينه[٤٣] .

وقد قام السمح ببعض الأعمال بعد اخذ موافقة الخليفة عمر الثاني (رض) فجدد بناء قنطرة قرطبة بصخر سور المدينة وبنى سور المدينة من اللبن ، وخمّس ارض قرطبة واتخذ أرض الخمس (الربض) مقبرة للمسلمين[٤٤] ؛ وبعد ذلك قام السمح بغزو ارض الفرنجة عام ١٠٢هـ واستشهد غازيا[٤٥] ، وقد اختار الجيش ، بعد مقتل قائده السمح ، عبدالرحمن الغافقي لقيادته وتراجع عبدالرحمن بالجيش الى الاندلس[٤٦] .

ولما تولى الخلافة يزيد بن عبدالملك اعاد الاندلس الى والي افريقية يزيد ابن ابي مسلم ، فأرسل يزيد عنبسة بن سحيم الكلبي واليا على الاندلس ، فوصلها عام ١٠٣هـ[٤٧] واستمر على ولايتها[٤٨] ، اذ اقره والي افريقية الجديد بشر بن

---

(٤١) المقري ، احمد بن محمد ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج١ ، القاهرة ١٩٠٢هـ ، ص٢١٩ .

(٤٢) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٥٥ . ومؤنس ، المصدر نفسه ، ص ص١٣٥-١٣٦ .

(٤٣) فلها وزن ، المصدر نفسه ، ص٢٦٢ .

(٤٤) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٦ . والمقري ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٠٩ .

(٤٥) ايضا ، ج٢ ، ص٢٦ . و ج١ ، ص٢١٩ .
وعنان ، محمد عبدالله ، دولة الاسلام بالاندلس ، ج١ ، القاهرة ، ١٩٦٠ م ، ص٧٣ .

(٤٦) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٦ . وعنان ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٨٠ .

(٤٧) المقرى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢١٩ . وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٧ . والحميدي ، محمد بن فتوح ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ، القاهرة ، ١٩٥٢م ص٣٠١ .

(٤٨) المقرى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٢٠ . وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٧ .

صفوان الكلبي على ولاية الاندلس •

انصرف عنبسة الى تنظيم الادارة واصلاح الجيش واعداده لغزوات جديدة[٤٩] « ••• وفي سنة ١٠٥ (هـ) خرج عنبسه غازيا للروم الفرنجة بالاندلس ، واهلها يومئذ خيار فضلاء اهل نية في الجهاد وحسبة في الثواب[٥٠] » ثم استشهد عنبسة عام ١٠٧ هـ غازيا بلاد الفرنجة على ما سنذكره •

(٤٩) عنان ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٨١ •

(٥٠) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٧ • لا يتفق الحميدي (جذوة المقتبس ، ص٦) وابن عبدالحكم (فتوح مصر والمغرب ، ص٢٩١) في ترتيب ولاة الاندلس ، وهو مضطرب عندهما ، ولعل التسلسل الذي اوردناه عن المقرى اقرب الى التدقيق •

٢ ـ ولاة الاقاليم والخطوط العامة لسياساتهم :

يبدو ان العراق كان يحتل مركزا خاصا بين ولايات الدولة لغناه واهميه موقعه من جهة ، ووجود قبائل عربية قوية يخشى الامويون انتفاضاتها من جهة اخرى[٥١] .

وبعد أن أخمدت ثورة آل المهلب في حدود عام ١٠٢هـ ، عين يزيد بن عبدالملك اخاه مسلمة والياً على المشرق « ... فقد جمع له الكوفة والبصرة وخراسان ... وولي مسلمة الكوفة ذا الشامة محمد بن عمرو بن الوليد ... ابن ابي معيط ؟ وقام بأمر البصرة ، بعد ان خرج منها آل المهلب ، شبيب بن الحارث التميمي فضبطها ، فلما ضمت الى مسلمة بعث عاملا عليها عبدالرحمن بن سليم الكلبي وعلى شرطها واحداثها عمر بن يزيد التميمي[٥٢] . ويظهر ان هذا التعيين لم يرق للتميمي ، صاحب شرطتها ، فكتب الى مسلمة ان عبدالرحمن الكلبي يريد استعراض اهل البصرة[٥٣] ، ومع ان مسلمة لم يتأكد من صحة ما كتب به اليه صاحب الشرطة عن الوالي لكنه اقدم على عزله ووجه ابن عمه « ... عبدالملك بن بشر بن مروان على البصرة واقر عمر بن يزيد على الشرطة والأحداث[٥٤] » ؟ ويبدو ان الاستجابة لرغبة صاحب الشرطة امراً املته الحكمة السياسية ، فاستعراض اهل البصرة أمر لا معنى له بعد ان انتهت الثورة واستتب الامر للأمويين ، وان الوضع الجديد يتطلب التسامح واسدال الستار لا الانتقام من الناس .

---

(٥١) كب : هاملتون ، دراسات في حضارة الاسلام ، بيروت ، ١٩٦٤م ، ص١١ .

(٥٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص‌ص٦٠٤ـ٦٠٥ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٨٩ .

(٥٣) استعراض : يسأل من شاء منهم ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عرض) والمقصود ان يسألهم ليتعرف على من اشترك منهم في ثورة آل المهلب .

(٥٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٦٠٥ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٨٩ .

اما خراسان فولى مسلمة عيلها صهره « ••• سعيد بن عبدالعزيز ••• ابن ابي العاصي وهو المعروف بسعيد خذينة •••• »[55] •

ومن المحتمل أن يزيـــد بن عبدالملك أراد بتعيين أخيه مسلمة والياً على المشرق ان يكون اشـرافه غير المباشر على العراق والمشـــرق قويا ؟ ولعل هذا الاجراء يوضح طرفا من سياسة الخلافة زمن يزيد بن عبدالملك تلك السياســـة التي تقوم على تفضيل القيسية فيزيد اعتمد على القيسيين في المشرق بعد ان ظهـــر له انحراف أزد العراق وتأييدهم لثورة آل المهلب ، ومع ان أزد خراسان لـــم يؤيدوا الثورة تأييدا عمليا لكن عواطفهم في الاقل كانت معها[56] •

ويقول فلهاوزن ان حكومة بني امية انقلبت الى حزب يحكم باسم قيس وان الخليفة يتحمل وزر ذلك ، ويستشهد بتعيين ابن هبيرة والياً على المشرف واطلاق يده في ولايته ، ويضيف فلهاوزن ايضا ان تعيين ابن هبيرة يعود الى رغبة يزيد بالانتقام[57] • وبالرغم من ان الثائرين عوملوا بقسوة لا مبرر لها ، خاصة بعد فشل حركتهم ، فان سير الأحداث يدعو الى حد بعيد ان يتولى السلطة في المشرق أناس اشتركوا في اخماد ثورة آل المهلب او لم يؤيدوها في الاقل •

---

(٥٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٦٠٥ • ابن الاثير ، المصدر نفســـه ، ج٥ ، ص٩٠ • ويذكـران ايضا (ج٦ ، ص٦٠٥) و (ج٥ ، ص٩٠) ، ان خذينة تعني الدهقانة ربة البيت ويعللا ذلك بان ســـعيدا كان رجـــلا لينا متنعما •

(٥٦) قال ثابت قطنة ، احد المقاتلة اليمانية في خراسان ، قصيدتين يرثي بهما آل المهلب ويهدد المروانيين يذكرهما الطبري (ج٦ ، ص‌ص٦٠٣ـ٦٠٤) ومن احداهما •

فـــلا والله لا انسى يزيـــــدا	ولا القتلى التي قتلت حرامـــا
فعلي ان ابو باخيك يومـــا	يزيدا او ابوء به هشـــاما
وعلي ان اقود الخيل شـــعثا	شوزاب ضمرا تقصى الاكاما

ويذكر فان فلوتن (السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية ، ص٦١ ، ان ثابت قطنة كان من خلصاء ابن المهلب اليمني المشهور وقد اسند اليه ذلك الوالي بعض المناصب الهامة •

(٥٧) تاريخ الدولة العربية وسقوطها ، ص٣١٢ •

وباستثناء قبائل قضاعة في الشام فان قبائل اليمن من الأزد وربيعة كانت مشتركة بالثورة في العراق ، وان لم تؤيدها تأييداً عمليا في خراسان ، كما اسلفنا • وكان يزيد بن عبدالملك قد عين ولاة في غرب الأمبراطورية رغم عصبيتهم المتطرفة على القيسية كبشر بن صفوان الكلبي على ولاية افريقية واقرار اخيه حنظلة على مصر ؟ اذا لم يكن يزيد متطرفا في عصبيته ومن المحتمل انه راعى بجانب ذلك ، في الأقل ، مصالح الدولة في غرب الامبراطورية على قدر ادراكه لتلك المصالح •

ويذكر الطبري ايضا ان سعيد خذينة عامل بعض عمال يزيد بن المهلب في خراسان معاملة قاسية حتى مات قسم منهم تحت العذاب متهما اياهم بحيازة « ••• أموال اختانوها من فيء المسلمين[٥٨] » ؟ ولربما اتخذ خذينة ذلك حجة للنيل منهم ، لكن هذا لا يعطينا سبباً وجيهاً للحكم بان الدافع الرئيس لخذينة كان تعصبا قيسيا صرفا ، فان ما حصل لعمال يزيد بن المهلب حصل لغيرهم ، وسنود في مواضع من هذه الرسالة امثلة متعددة لاحداث مشابهة قام بها الولاة الجدد تجاه الولاة المعزولين وعمالهم •

استدعى يزيد بن عبدالملك اخاه مسلمة الى الشام « ••• وكان سبب ذلك ••• ان مسلمة لما ولي من ارض العراق وخراسان لم يرفع من الخراج شيئاً وان يزيد بن عاتكة اراد عزله فاستحيا منه وكتب اليه ان استخلف على عملك واقبل[٥٩] » •

---

(٥٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٦٠٦ • وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص‌ص٩٠-٩١ •

(٥٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٦١٥ • وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٩٧ •

وارسل يزيد عمر بن هبيرة الفزاري ، والي الجزيرة الفراتية الى العراق بمهمة البحث عن اموال آل المهلب وعينه واليا على العراق بعدئذ[٦٠] . وقد قام ابن هبيرة بعزل عمال مسلمة « ... والغلظة عليهم[٦١] » ، وكان سعيد خذينة من بين من عزلهم ابن هبيرة من عمـال مسـلمة بن عبدالملك وولى مكانه على خراسان سعيد بن عمرو الحرشي بأمـر الخليفـة يزيد بن عبدالملك[٦٢] ، « ... ولم يعرض سعيد الحرشي لاحد من عمال خذينة[٦٣] » ؛ ولعل ما كان يجري على حدود خراسان دفع الحرشي الى اتخاذ ذلك الموقف فقد « ... كان النـاس بازاء العـدو وقـد كانوا نكبـوا[٦٤] » . ويبدو ان يزيـد بن عبدالملك كان موفقا في اختياره للحرشي ، فان السغد والترك كانت تهـابه وتخشاه[٦٥] ؛ وان لم يكن السبب السالف وحده هو الذي دفـع يزيد بن عبدالملك لتعيـين الحرشي[٦٦] ؛ ذلك ان ابن هبيرة كتب الى يزيد باسماء من ابلوا في قتال آل

---

(٦٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص‌ص٦١٥-٦١٦ . والجهشياري ، المصدر نفسه ص٥٨ . والمسعودي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢١٢ ، ويذكر ابن الاثير (الكامل ج٥ ، ص‌ص٩٨-٩٩) بعضا من تصرفات ابن هبيرة وعـدم استقامته .

(٦١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٦١٦ . وابن الاثير ، المصدر نفسـه ، ج٥ ، ص٩٨ .

(٦٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٦٢٠ . وابن الاثير ، المصدر نفسـه ، ج٥ ، ص١٠٣ .

(٦٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٦١٩ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٠٣ .

(٦٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٦٢٠ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٠٣ .

(٦٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٦٢١ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٠٤ ويذكر الطبري (ج٦ ، ص٦٢٢) « ... ان سعيدا كـان فارس العرب » .

(٦٦) يذكر فلها وزن (تاريخ الدولة العربية ، ٤٢٩) ان عزل سعيد خذينة كان لضعفه معتمدا على ما يذكره الطبري (ج٦ ، ص٦١٩) عن ضعف خذينـة والشكوى منه لذلك .

المهلب ولم يذكر الحرشي فاستغرب يزيد ذلك وكتب الى ابن هبيرة « ... ول الحرشي خراسان فولاه »[٦٧] .

لم تستمر ولاية الحرشي على خراسان طويلا فقد عزله ابن هبيرة عام ١٠٤هـ ، وعين بدله مسلم بن سعيد بن أسلم[٦٨] ، ثم استدعى ابن هبيرة الحرشي الى العراق وسجنه وعذبه واغرمه ولم تنقذه من الموت الا قيسيته[٦٩] .

اما عن سبب عزل الحرشي فان الطبري يورد لنا رواية عن استخفافه بابن هبيرة فقد كان يسميه ، ابا المثنى ولا يقول الامير استهزاءا ، مما دفع ابن هبيرة الى عزله وتعذيبه وهذه الرواية غير جديرة بالثقة ، كما يرى فلهاوزن ، وهو على ما يبدو محقا في رفضها[٧٠] ؛ فلا يعقل ان يسكت الخليفة عن عزل وال كالحرشي لسبب تافه كالذي سبق ؟ ومع ان يزيد بن عبدالملك كان مشغولا بلهوه وعبثه ، كما اشرنا ، لكن عزل الحرشي يبدو مهما ، ذلك لان تعيينه جرى من قبل الخليفة يزيد بن عبدالملك ، رغم ممانعة ابن هبيرة ، وكان ذلك مكافأة للحرشي على ما ابداه من بلاء في قتال آل المهلب[٧١] ، ومع ذلك فليس هناك

---

(٦٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٦٢٠ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٠٣ .

(٦٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ص١٥-١٦ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١١٥ .

(٦٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٥ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١١٥ .

(٧٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١١٥ . فلهاوزن ، المصدر نفسه ، ص٣١٠ .
ويذكر الطبري (ج٧ ، ص ص١٥-١٦) ان ابن هبيرة كتب الى سعيد الحرشي يأمره باطلاق سراح أحد الاسرى ، لكن سعيدا قتله ، وعندما يرد الرسول والبريد من العراق يسأل الحرشي عن ابن هبيرة فيقول « ... كيف ابو المثنى ، ويقول لكاتبه اكتب الى ابي المثنى ، ولا يقول الامير ... فبلغ ذلك ابن هبيرة ... فغضب عليه وعزله وعذبه .

(٧١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٦٢٠ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٠٣ .

ما يدعو لان يستخف الحرشي بابن هبيرة(٧٢) وهو رئيسه ، وربما كان سبب الخصومه بين الرجلين ، رغم قيسيتيهما ، ان « ... ابن هبيرة كان حريصاً اخذ قهرماناً ليزيد بن المهلب له علم بخراسان وباشرافها ، فحبسه فلم يدع منهم شريفا الا قرفه ، فبعث ... (رسولا) وكتب الى الحرشي وامره ان يدفع الذين سماهم اليه يستأديهم فلم يفعل ، فرد رسول ابن هبيرة ، فلما استعمل ابن هبيرة مسلم بن سعيد امره بجباية تلك الاموال(٧٣) .

بقي عمر بن هبيرة واليا على العراق وخراسان الى وفاة يزيد بن عبدالملك فلما ولي هشام عزله واستبدله بخالد القسري في شوال سنة ١٠٥هـ(٧٤) .

اما المدينة المنورة ، فعزل عنها يزيد بن عبدالملك ابا بكر بن حزم وولى عليها عبدالرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري عام ١٠١هـ(٧٥) ؛ وضم مكة الى الفهري عام ١٠٣هـ ، بعد ان عزل عنها عبدالعزيز بن خالد بن أُسيد(٧٦) .

---

(٧٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٦١٩ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٠٣ .

(٧٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٩ ، ويكمل الطبري (ج٧ ، ص٢٠) بقية الرواية فيذكر ، ان مسلم بن سعيد لم يستطع اخذ تلك الاموال لان الذين قرفوا بها ، كانوا اعيان خراسان فارسل وفدا منهم الى ابن هبيرة ، واتهم الوفد اهل العهد باحتجان الاموال فكتب ابن هبيرة الى مسلم ، يأمره باخذ تلك الاموال ممن اتهموا بها « ... من اهل العهد ففعل » . ويذكر الطبري (ج٧ ، ص١٦) ايضا ان عمر بن هبيرة سُئل عن سبب عزل الحرشي فقال « ... استخف بامرى وخان فعزلته » .

(٧٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٦ . وابن كثير ، عماد الدين البداية والنهاية ، ج٩ ، القاهرة ، لا : ت : ص٢٣٣ . ويذكر ابن خياط (ج١ ، ص ص٣٤٠-٣٤٢) ولاة الاقاليم المختلفة ، والتي لم نتحدث عنها ، سجستان ، البحران ، السند ، الجزيرة ، اليمن .

(٧٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٧٤ ؛ وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٤٠ .

(٧٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٦٢٠ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٠٢ . وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٤٠ .

ولم يكن عبدالرحمن الفهري محمود السيرة فقد « ... عادى الانصار طراً وضرب ابا بكر بن حزم (الوالي السابق) ظلماً وعدواناً في باطل فما بقي منهم شاعر الا هجاه ولا صالح الاعابه[77] » ومع ذلك فان يزيد بن عبدالملك لم يعزل الفهري عن ولايته الا في عام ١٠٤هـ[78] ، وامر بتعذيبه وتغريمه اربعين الف دينار حتى لبس الصوف وسأل الناس الصدقة[79] .

ثم ولى يزيد بن عبدالملك عبدالواحد بن عبدالله النضري المدينة فكان خيرا فاضلا « ... لم يقدم عليهم وال احب عليهم منه وكان يذهب مذاهب الخير ...[80] » ، ولم يزل على المدينة الى وفاة يزيد بن عبدالملك[81] .

اما مصر فكان عليها قبيل تولي هشام للحكم بشر بن صفوان الكلبي وكان

---

(٧٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤ ؛ وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٤٠ . والازدي ، المصدر نفسه ، ص١٧ .

(٧٨) يروى لنا الطبري (ج٧ ، ص‌ص١٣-١٤) ، وكذلك ابن الاثير (ج٥ ، ص‌ص١١٣-١١٤) ، واليعقوبي (ج٢ ، ص‌ص٣١٢-٣١٣) .
ان الفهري حاول اجبار فاطمة بنت الحسين (ع) على الزواج منه ، وهددها بضرب اكبر اولادها في الخمر ان لم توافق ، فارسلت تخبر الخليفة بذلك، فارسل الى عبدالواحد بولايته على المدينة وان يعذب الفهري ويغرمه ، لكن الفهري عرف مضمون كتاب الخليفة ، قبل وصوله الى النضرى ، بعد ان قدم رشوة لصاحب البريد ، وهرب الى دمشق واستجار بمسلمة بن عبدالملك ، لكن الخليفة رفض اجارة مسلمة وارجع الفهري الى المدينة ، وبالرغم من شكنا في الرواية المذكورة ؛ فربما كان الارجح ان سوء سيرة الفهري ، كانت السبب في عزله وتغريمه .

(٧٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ٧ : ١٤ . والازدي ، المصدر نفسه ، ص١٧ . وابن خلدون عبدالرحمن ، كتاب العبر ، ج٣ ، بيروت ١٩٥٧م ، ص١٦٢ .

(٨٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١١٤ .

(٨١) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٤٠ .

قد وليها عام ١٠١هـ[٨٢] ؛ ولما قتل البربر واليهم يزيد بن ابي مسلم عام ١٠٢هـ ولى يزيد بن عبدالملك بشر بن صفوان على افريقية فاستخلف بشر اخاه حنظلة على مصر « ... فاقره يزيد[٨٣] » واستمر حنظلة في ولايته على مصر الى ان عزله هشام بن عبدالملك عام ١٠٥هـ[٨٤] . لم تحصل حوادث داخلية تذكر زمن ولاية بشر بن صفوان الكلبي واخيه حنظلة عدا قيام بشر بالتدوين (الاحصاء) عام ١٠٢هـ بعد ان أستاذن يزيد بن عبدالملك وكان الغرض من هذا التدوين جمع قبيلة قضاعة والتي ينتمي اليها بشر وجعلها دعوة منفردة[٨٥] ، بعد ان كانت مشتتة بين القبائل[٨٦] .

كان ولاة مصر وافريقية قبيل خلافة هشام من قبيلة كلب اليمانية[٨٧] ؛ وذلك يوضح ان سياسة الدولة زمن يزيد لم تكن قيسية تماما ، وان الخلافة لم تتحول الى حزب يحكم باسم قيس ، كما يرى فلها وزن ، ومع اننا ناقشنا اتجاه سياسة الخلافة القيسي في المشرق ، نرى من المناسب ان نذكر ان هذا الاتجاه لم يطبق في مصر ، كما مر معنا ، وشمال افريقية والاندلس ، كما سيأتي ، ومع

(٨٢ ، ٨٣) الكندي ، محمد بن يوسف ، كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ج١ ، بيروت ، ١٩٠٨م ، ص٧٠ . وابن تغرى بردى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٤٤ .

(٨٤) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧١ . وابن تغرى بردى ، المصدر نفسه، ج١ ، ص٢٥٠ .

(٨٥) دعوة منفرة : اي لم تكن قبيلة قضاعة مسجلة لوحدها في الديوان بل ان بطونها موزعة بين القبائل ، فاراد بشر تنظيم الديوان ، وفصل بطون قضاعة من القبائل الملحقة بها وجعلهم دعوة منفردة ، البري ، عبدالله خورشيد ، القبائل العربية في مصر ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، ص٨٤ .

(٨٦) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٠ . البرى ، المصدر نفسه ، ص٢٣٩ .

(٨٧) يذكر القلقشندي (نهاية الارب في معرفة أنساب العرب ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص٤٠٨ ان بني كلب بطن من قضاعة ، ويذكر ايضا (ص ٤٠٠) ان قضاعة قبيلة من حمير من القحطانية .

ان فلها وزن يذكر ان الاستثناء المذكور طبق على قضاعة وخاصة من كان منهم بالشام فقط ، ذلك ان قضاعة كانت نواة الجيش الاموي[88] ، فان الاجراء الذي اتخذته الدولة ، بتعيينها ولاة قيسيين في المشرق ، لا يكون دليلا كافيا على ان الدولة اتجهت اتجاها قيسيا صرفا ، ويبدو ان الخلافة اتخذت الموقف الذي حتمته الظروف انذاك ، فحينما ثار آل المهلب بالمشرق ، اسندت ولايات الخلافة في المشرق للقيسية ؛ اما في غرب الامبراطورية فأُعطيت ولاياتها لليمانية حين بدا ان بشرا واخاه حنظلة ، كما اعتقد يزيد بن عبدالملك ، كانا قادرين على ادارة ولايتي مصر وافريقية •

اما افريقية ، فوليها يزيد بن ابي مسلم عام ١٠٢هـ وكان يزيد هذا في اول عهده كاتبا للحجاج بن يوسف الثقفي وتولى ولاية العراق فترة قصيرة للوليد بن عبدالملك ، فلما ولي افريقية اراد ان يسير بالبربر سيرة الحجاج باهل العراق فقتله البربر ، على ما اسلفنا ، وتراضوا بقائد حملة الغزو العائد من صقلية ، محمد بن اوس الانصاري فاقره يزيد بن عبدالملك عام ١٠٢هـ • « ••• مدة أيام ثم بدا له ارسال بشر بن صفوان ••• الى افريقية »[89] • كان يزيد بن ابي مسلم سيء السيرة ، وقد قتله البربر ، فلما ولي افريقية بشر بن صفوان سار على نهج سلفه فظلم البربر وعسفهم « ••• وتتبع أموال موسى بن نصير وعذب عماله »[90] ويضيف ابن عذارى الى ما سبق ، ان بشر بن صفوان « ••• استصفى بقايا آل موسى بن نصير ، ووفد بعد ذلك الى يزيد بن عبدالملك فالفاه قد هلك ••• وولي هشام بن عبدالملك فرد بشر بن صفوان الى افريقية »[91] وسنوضح ذلك في موضعه من رسالتنا هذه •

(٨٨) تأريخ الدولة العربية ، ص٣١٢ •
(٨٩) ابن تغرى بردى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٤٥ •
(٩٠) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩١ •
(٩١) البيان المغرب ، ج١ ، ص٤٩ •

اما الأندلس فولاها عمر بن عبدالعزيز (رض) للسمح بن مالك الخولاني ، كما اشرنا سابقا « ... وأمره أن يحمل الناس على طريق الحق ولا يعدل بهم عن منهج الرفق ... وامتثل ما امره به عمر[92] ، وقد استشهد السمح غازيا بلاد الفرنجة وتولى عبدالرحمن الغافقي قيادة الجيش والرجوع به الى الاندلس[93] ، فلما قدم يزيد بن ابي مسلم واليا على افريقية ، ولى على الاندلس عنبسة بن سحيم الكلبي وقد أقره بشر بن صفوان ، خلف يزيد بن ابي مسلم ، على ولايته للاندلس ، وقد قام عنبسة بتنظيم الادارة واصلاح الجيش ، كما ذكرنا ، استعدادا للغزو والجهاد لكنه استشهد عام ١٠٧هـ ، غازيا بلاد الفرنجة[94] .

---

(٩٢) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٦ .
يذكر الاستاذ مؤنس ، (ص‌ص١٣٨ـ١٤٠) اعمال السمح في الاندلس . وحموده : علي محمد ، تاريخ الاندلس ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، ص٧٥ وعنان المصدر نفسه ، ج١ ، ص‌ص٧٣ـ٧٤ .

(٩٣) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٦ ، وعنان ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٨٠

(٩٤) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٧ . وعنان ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٨١ .

٣ ـ الاوضاع العامة في مناطق الحدود :

كانت حدود الدولة الشمالية الشرقية ، اعني حدود بلاد ما وراء النهر ، وحدود خراسان الشمالية معرضة لهجمات الترك ، ومع ذلك فقد كانت الحالة على هذه الحدود هادئة نسبياً • زمن الوالي عبدالرحمن بن نعيم الغامدي (١٠٠-١٠٢هـ)(٩٥) وفي عهد خذينة (١٠٢-١٠٣هـ) خلف الغامدي في ولاية خراسان ، تجددت الحرب بين المسلمين والترك ، ويبدو ان ضعف خذينة اطمع فيه الترك فهاجموا ما يليهم من البلاد الاسلامية(٩٦) •

وعاود الترك الهجوم وقد اعانهم السغد في ذلك فهزمهم المسلمون ولكن الترك عادوا فهزموا المسلمين بعدها(٩٧) ؛ ويبدو ان الحرب كانت سجالا بين الطرفين ، كما لم يكن المسلمون زمن خذينة في مركز القوة(٩٨) ، فقد « ••• عبر سعيد النهر (جيحون) مرتين فلم يجاوز سمرقند(٩٩) » ، وبالرغم مما سبق فان المسلمين كانوا من القوة بحيث لم يصابوا بهزائم حربية ذات اهمية خلال عهد خذينة •

شكا الناس ضعف خذينة الى عمر بن هبيرة فعزله وولى مكانه على ولاية خراسان سعيد بن عمرو الحرشي(١٠٠) ، كما ذكرنا سابقا ، فيذكر الطبري ، « ••• ان السغد اعانوا الترك ايام خذينة فلما وليهم الحرشي خافوا على

(٩٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٦٠٦ ؛ وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٩٠ •
(٩٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص‌ص٦٠٧-٦٠٨ ؛ وابن الاثير ، المصدر نفسه ج٥ ، ص٩٢ ؛ وابن كثير ، المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٢٢٢ •
(٩٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص‌ص٦١١-٦١٢ •
(٩٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص‌ص٦٠٧-٦١٢ ؛ وابن الاثير ، المصدر نفسه ج٥ ، ص‌ص٩٢-٩٥ •
(٩٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٦١٣ ؛ وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص‌ص٩٥-٩٦ •
(١٠٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٦١٩ ؛ وفلها وزن ، المصدر نفسه ، ص٤٢٩ •

انفسهم[١٠١] ، فاجمع عظماؤهم على الخروج من بلادهم[١٠٢] .

ويستطرد الطبري الى القول بان السغد خرجوا الى فرغانة ، وقد عاجلهم المسلمون وهزموهم قبل وصولهم وعقدوا معهم الصلح لكن السغد نقضوا العهد فأمر الحرشي بقتلهم وتخميس اموالهم عام ١٠٤هـ[١٠٣] . وعلى ما يبدو فقد كانت الحالة هادئة نسبيا قبيل مجيىء هشام بن عبدالملك وفي عهده تجددت الحرب واشتدت بين المسلمين والترك على حدود خراسان ، وفي بلاد ما وراء النهر .

اما الحرب مع البيزنطيين ، فان الجيش الاسلامي رجع عن القسطنطينية عام ٩٩هـ[١٠٤] . ومهما قيل عن اسباب رجوع الحملة فيبدو ان أمر رجوع الجيش صدر عن الخليفة عمر بن عبدالعزيز (رضى) وهذا ينسجم مع الخط العام لسياسة عمر ، فانه كان يخشى على المسلمين المخاطر[١٠٥] ، لاسيما وقد تحولت حروب الفتح الى حروب من اجل الغنائم ، ولم تعد حروبا في سبيل الله[١٠٦] .

---

(١٠١) يذكر الطبري (ج٦ ، ص٦٢٢) ان ابن هبيرة كتب الى السغد ... يسالهم ان يقيموا ويستعمل عليهم من احبوا فابوا وخرجوا .

(١٠٢) تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٦٢١ ؛ وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٠٤ ، وابن كثير ، المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٢٢٣ ؛ وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٣٥ .

(١٠٣) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص‌ص٧ــ١٠ ؛ وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص‌ص١٠٧ــ١١٠ ؛ وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٣٦ .

(١٠٤) اورد عدد من المؤرخين آراء مختلفة حول رجوع الجيش ؛ فيذكر الطبري (ج٦ ص٥٥٣) ان امر الرجوع صدر عن الخليفة نفسه ؛ وقد تبنى الاستاذ فروخ (تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية ، بيروت ، ١٩٧٠م ، ص٣٢٦) الرأى السالف . ويذكر اخرون امثال ابن خياط (ج١ ، ص٣٢٦) ان الجيش رجع بعد فشله في احتلال القسطنطينية ، وتبنى الاستاذ حسن ابراهيم (تأريخ الاسلام السياسي ، ج١ ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص٣٢٣) وجهة النظر السابقة وايد ذلك ايضا الاستاذ رستم (الروم ، ج١ ، بيروت ، ١٩٥٥م ، ص٢٧٤) .

(١٠٥) حاول عمر ايضا ارجاع المسلمين عن بلاد ما وراء النهر فرفضوا ذلك كما يذكر الطبري (ج٦ ، ص٥٦٨) ، ويذكر ابن عذارى (ج٢ ، ص٢٦) انه حاول ايضا ان يرجع المسلمين عن الاندلس الى افريقية .

(١٠٦) فلهاوزن ، المصدر ، ص‌ص٢٦٠ــ٢٦١ .

ومع ذلك فقد حافظ عمر على حدود الدولة مع البيزنطيين ، ولم يوقف الحملات التقليدية السنوية لبلادهم ، لاعتقاده باهمية الجهاد لوقف خطر اعداء الاسلام . وقد عاد الامويون المتاخرون الى سياسة عبدالملك الرامية الى بناء الحصون ، بعد انتعاش الدولة البيزنطية زمن الاسرة الايسورية[١٠٧] ؛ ويبدو ان اتجاه عبدالملك السالف والذي بدأه عمر بن عبدالعزيز ثانية ، استمر في عهد يزيد بن عبدالملك (١٠١ـ١٠٥هـ) ولم يتغير زمن هشام ايضا .

وقد ورد في المصادر ذكر غزوات قام بها المسلمون لبلاد الروم قبيل مجيء هشام للحكم[١٠٨] ، وانتصروا في اكثرها[١٠٩] ، وخسروا بعضها الآخر[١١٠] ، ومع ذلك فقد كان المسلمون ، حينذاك ، في مركز القوة .

اما منطقتا أذربيجان وأرمينية[١١١] في الشمال فكانتا متاخمتين لبلاد الخزر[١١٢] ، ولذا كانتا معرضتين لهجماتهم . ويبدو ان الحالة كانت هادئة ،

---

(١٠٧) عثمان ، فتحي ، الحدود الاسلامية البيزنطية ، ج٢ ، القاهرة ، لا.ت صص٩٧ـ٩٨ .

(١٠٨) هناك طريقان سلكهما المسلمون في غزوهم لبلاد الروم ، احدهما عن طريق بلاد الشام ويسمى درب السلامة ، من طرسوس الى خليج القسطنطينية (ابن خرداذبه ، عبيدالله بن عبدالله ، المسالك والممالك ، ليدن ، ١٨٨٩م ، صص ١٠٠ـ١٠٤) والاخر درب ملطية ويسمى درب الحدث ، وربما كان سبب التسمية لوجود حصن صغير يسمى الحدث شرق الاناضول (الاصطخري ، ابراهيم بن محمد ، المسالك والممالك ، القاهرة ، ١٩٦١م ص٤٧) ويصف الاستاذ رستم (الروم ، ج١ ، صص ٢٩٢ـ٢٩٤) طريقي الغزو بتفصيل وافٍ .

(١٠٩) يذكر الطبري (ج٦ ، ص٦١٩) غزوة للمسلمين قادها العباس بن الوليدبن عبدالملك عام ١٠٣هـ . ويذكر ابن خياط (ج١ ، ص٣٣٨) ان المسلمين فتحوا قيصرة احدى قلاع الروم ، وسط الاناضول عام ١٠٤هـ .

(١١٠) يذكر الطبري (ج٧ ، ص٢١) ان سعيد بن عبدالملك غزا الروم ، فأبيدت احدى سراياه عام ١٠٥هـ .

(١١١) يقول الاصطخري (ص٤٧) في وصف حدود أرمينية ، وأذربيجان « ... يحيط بها مما يلي المشرق الجبال والديلم وغربي بحر الخزر والذي يحيط بها مما يلي المغرب حدود الارمن واللان ، وجبال القبق والذي يحيط بها مما يلي الجنوب حدود العراق وشيء من حدود الجزيرة .

(١١٢) الخزر : اسم اقليم سكانه خليط من اقوام كانت تعتنق أديان مختلفة ، وهم من يهود ونصارى ومسلمين ومنهم عبدة اوثان والملك فيهم لليهود . (الاصطخري ، ص١٢٩) .

حتى عام ١٠٣هـ ، وعندها ولى يزيد معلقاً بن صفار البهراني أرمينية . وقد قام البهراني بغزو الخزر ولكنه هُزِم . ... وأستولى الخزر على المعسكر[١١٣] ، وكان إنهزام المسلمين سبباً في طمع الخزر فيهم[١١٤] ، مما دعا الخليفة الى عزل عامله البهراني عن أرمينية ، وولاها للجراح الحكمي عام ١٠٤هـ ولم يلبث الجراح ان غزا بلاد الخزر وفتح بعض المدن[١١٥] ، كما ان الحكمي إستطاع ان يهزم الترك ايضا عام ١٠٥هـ[١١٦] .

واستمرت العلاقات العدائية بين الخزر والمسلمين في عهد هشام أيضا .

اما الأندلس فقد كان عمر بن عبدالعزيز (رض) قد ولاها للسمح بن مالك الخولاني ، كما أسلفنا ، ولما قُتِل السمح بأرض الفرنجة في حدود عام ١٠٢هـ ، إختار الجيش عبدالرحمن الغافقي لقيادته ، وقد إنسحب القائد الجديد بجيشه الى الأندلس فرشحه الأهلون للحكم بعد عودته . وبقي واليا على الأندلس حتى قدوم عنبسة بن سحيم الكلبي والياً عليها من قبل يزيد بن ابي مسلم سنة ١٠٣هـ ، واستطاع عنبسة ان يهدىء الامور في ولايته الجديدة[١١٧] ، فأمضى الفترة ما بين ١٠٣–١٠٥هـ ، في تنظيم الادارة ، وضبط النواحي ، واصلاح الجيش ، واعداده لغزوات جديدة[١١٨] .

هذا وقد انصرف ولاة الاندلس قبيل مجيء هشام وخلال حكمه الى محاربة الفرنجة وقد كانت الرغبة في الجهاد عامة لدى جميع أهل الاندلس فقد كانوا

---

(١١٣) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٣٦ ؛ وابن الاثير ، المصدر نفسه، ج٥ ، ص‌ص١١٠–١١١ .
(١١٤) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١١١ .
(١١٥) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص‌ص ٣٣٧–٣٣٨ ؛ والطبري ، المصدر نفسه ج٧ ، ص‌ص١٤–٣٥ . والازدي ، المصدر نفسه ، ص١٧ .
(١١٦) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٣٩ ؛ والطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢١ ؛ وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٢٥ .
(١١٧) المقري ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص‌ص٢١٩–٢٢٠ ؛ والحميدي ، المصدر نفسه ، ص٣٠١ .
(١١٨) عنان ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٨١ .

« ... خيارا فضلاء اهل نية في الجهاد وحسبة في الثواب[١١٩] » .

اما الحالة في الحوض الشرقي لبحر الروم (البحر المتوسط) ، فكانت هادئة بعد رفع الحصار عن القسطنطينية عام ٩٩هـ ، وقد أمتدت حالة الهدوء أيضا خلال حكم يزيد بن عبدالملك (١٠١–١٠٥هـ) هذا اذا استثنينا هجوم الروم على تنيس[١٢٠] ، في ولاية بشر بن صفوان الكلبي (١٠١–١٠٢هـ) على مصر حيث قتلوا أميرها كما قتلوا جمعا من الموالي[١٢١] . ويرى الاستاذ عثمان ان غارة البيزنطيين على تنيس كانت ردا على غارة اسلامية وجهت لقبرص ؟ ويمكننا ان نستنتج ان ثمة تكافؤ كان بين قوى الأسطولين الاسلامي والبيزنطي في شرق حوض البحر المتوسط[١٢٢] .

اما في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، فقد سيّر المسلمون حملات بحرية سنوية منظمة وكان والي أفريقية هو المنظم لهذا الغزو[١٢٣] ، اما اتجاهه فكان جزر سردانية وصقلية وقرقسة[١٢٤] ، وقد استمرت تلك الغارات البحرية زمن هشام أيضا .

وفي ختام حديثنا عن أحوال البلاد قبيل تولي هشام للحكم نرى ان نذكر ما يلي :ـ

١ ـ أن القضايا الاقتصادية كانت موضع عناية الدولة فكانت تهتم في تنظيم الضرائب وجبايتها ، لذا كان مبعث تذمر السكان ، في الغالب ، اقتصادياً ، ونتيجة لذلك يمكن ان يُعزى كثير من انتفاضاتهم الى اسباب اقتصادية وسنوضح

---

(١١٩) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٧ ؛ مؤنس ، المصدر نفسه ، ص١٤٢ .

(١٢٠) تنيس : مدينة تقع على بحيرة تنيس ، قرب دمياط (الاصطخري ، ص٤١).

(١٢١) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٠ ؛ ابن تغري بردى ، المصدر نفسه ج١ ، ص٢٤٤ .

(١٢٢) الحدود الاسلامية البيزنطية ، ج٢ ، ص٣٤٠ .

(١٢٣) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٣٣ ، ص٣٣٦ ، ص٣٣٨ ، ج٢ ، ص٣٤٩ ، للسنوات ١٠٢هـ ، ١٠٣هـ ، ١٠٤هـ ، ١٠٥هـ ، على التوالي.

(١٢٤) صقلية ، احدى جزر البحر المتوسط في حوضه الغربي ، وكذلك جزيرتا سردانية وقرقسة وهما متقابلتان .

تفصيلا ، فيما بعد ، بعض اجراءات الدولة الاقتصادية التي كانت العامل الرئيس في ثورات البربر في شمال أفريقية ، وحركات القبط في مصر ، في عهد هشام .

٢ ـ كانت مبادىء الألاسلام كما وردت في القرآن والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين لا تنسجم مع كثير من الأجراءات العملية التي اتخذها الامويون تجاه رعاياهم ، وسنشير في حينه الى طائفة من أهل التقوى والورع الذين رفضوا التعاون مع الخلافة في كثير من عهودها بما في ذلك عهد هشام ، لأعتقادهم ان كثيرا من اجراءات الخليفة ربما تكون خلاف الحق ولن يتحملوا وزر تنفيذها .

٣ ـ كانت العصبية القبلية من القوة بحيث أفقدت الدولة بعض رجالها الأكفاء ، وكان يُعطى للمصالح القبلية ، الاعتبار الاول في كثير من تصرفات الولاة والمتنفذين من الافراد ، وقد أدى قسم من هذه التصرفات الى نشوب بعض الحروب بين العرب أنفسهم وقامت في الأندلس وخراسان ، مثلا ، طائفة من تلك الحروب ، كما سنوضح ذلك مفصلا في بحثنا عن ولاة الاقاليم في الفصل الثالث .

٤ ـ كانت سعة رقعة الدولة ، وصعوبة المواصلات ، ورغبة طائفة من الخلفاء في الحكم المركزي من بين العوامل التي جعلت كثيرا من الولاة يجدون صعوبة بالغة في ادارة الاقاليم الموكولة اليهم .



الفصل الثاني

شخصية هشام بن عبدالملك ٠

أ ـ هشام قبل توليه الخلافة ٠

١ ـ مولده ونشأته ٠
٢ ـ سعيه لنيل الخلافة وتوليته العهد ٠
٣ ـ العلاقة بين الخليفة وولي العهد ٠

ب ـ توليـه الخلافـة :

١ ـ البيعة
٢ ـ الخطوط العامةلسياسته ، واهتمامه بالنواحي الاقتصادية والمالية ٠
٣ ـ قيادته للحملات الحربية ٠
٤ ـ موقفه من التعصب القبلي ٠
٥ ـ كُتّاب هشام ٠
٦ ـ اهتمامه بحلبات السباق ٠
٧ ـ مجلس هشام ٠
٨ ـ نُبذ عن حياته الخاصة ٠
أ ـ بخل هشام ٠
ب ـ شربه الخمر ٠
جـ ـ شعره ٠
د ـ تقبله للهدايا ٠
هـ ـ طائفة من صفاته ٠
٩ ـ وفاتـــه ٠

حـ ـ اولاده ٠

١ ـ تربيتهـــم ٠
٢ ـ اشتراكهم في حروب الدولة ٠
٣ ـ أملاك عائلة هشام ٠

د ـ علاقات هشام بأقربائـه ٠

١ ـ علاقته بولي العهد الوليد بن يزيد ٠
٢ ـ علاقته بآل مروان وسائر الامويين ٠
٣ ـ رعايته لاخواله من بني مخزوم ٠

١ ـ هشام قبل توليه الخلافة :

١ ـ مولده ونشأته :ـ

هو هشام بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الاموي[١] ؛ وأمية كما هو معروف أحدى بطون قريش من العدنانية[٢] .

وأمه عائشة بنت هشام بن اسماعيل المخزومي[٣] ؛ وقد قيل ان اسمها فاطمة[٤] ؛ ووصف بالحمق[٥] .

ولد هشام بالمدينة[٦] ، وعلى رواية اخرى انه ولد بدمشق[٧] ؛ ولما كانت امه مطلقة عند ولادته[٨] ؛ فان الرواية الاولى عن مولده بالمدينة هي الراجحة ، لوجود امه حينذاك عند عائلتها بالمدينة . ومع ان بعض المؤرخين يشير ، الى ان محمد بن هشام المخزومي خال هشام بن عبدالملك ، قدم من مكة الى المدينة عام ١١٨هـ ، لما ولاه الخليفة هشام المدينة[٩] ، لكن ذلك لا يؤكد سكنى العائلة

---

(١) الزبيري ، المصعب بن عبدالله ، نسب قريش ، ج٥ ، باريس ١٩٥٣م ، ص ص١٦٠ـ١٦٣ .

(٢) القلقشندي ، المصدر نفسه ، ص٨٢ .

(٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٤٢٠ ، ج٧ ، ص٢٧ ؛ وابن حزم ، علي بن احمد ، جمهرة انساب العرب ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، ص٩٢ .

(٤) الدنيوري ، عبدالله بن مسلم (المنسوب) ، الامامة والسياسة ، ج٢ ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، ص١٢٥ .
والديار بكري ، حسين بن محمد ، تاريخ الخميس ، ج٢ ، القاهرة ، ١٢٨٣هـ ، ص٣١٨ . وابن الكازروني ، علي بن محمد ، بغداد ، ١٩٧٠م ، ص١٠٠ .

(٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٤٢٠ ؛ وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٢٥ .

(٦) الازدي ، المصدر نفسه ، ص٥١ .

(٧) المقريزي ، احمد بن علي ، شذور العقود في ذكر النقود المنثور باسم النقود الاسلامية ، النجف ، ١٩٦٧م ، ص١٧٤ .

(٨) ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، تحقيق سعيد العريان ، ج٥ ، القاهرة ، ١٩٥٣م ، ص١٨٠ .

(٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١١١ ؛ وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٩٨ . ووكيع ، محمد بن خلف ، أخبار القضاة ، ج١ ، القاهرة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م ، ص١٧٥ .

في مكة عند ولادة هشام .

ولد هشام في سنة اثنتين وسبعين[10] ، وقيل ان مولـــده كان سنة احدى وسبعين[11] ، ويبدو ان الرواية الاولى هي الارجح لأن عبدالملك سماه منصوراً لانتصاره على مصعب في تلك السنة[12] ، ولما بلغه ان ام هشام سمته باسم ابيهـا لم ينكر عبدالملك ذلك[13] . كما يذكر ابن الأثير ، ان عمر هشام كان اربـــع عشرة سنة عندما مات ابوه عام ٨٦هـ[14] .

وكان بعين هشام حول مع كَيس ربما لُقب به[15] ، وقد حيكت حول ولادته وتوليه الخلافة طائفة من الاوهام والخرافات ؛ فقيـــل ان عبدالملك رأى حلماً فارسل الى سعيد بن المسيب ليفسره له ، فقال سعيد يلي من اولاده الخلافة اربعة خلفاء ؛ ويذكـــر الأزدي ، ان الناس لما اختلفوا بعد مقتـــل عثمان بن عفان (رض) قيل يليكم رجل في عينه علامة يعني هشام بن عبدالملك يجمع المال جمعا لم يجمعه احد قبله يعيش تسع عشرة سنة ثم يموت[17] .

وقيل ان عبدالملك قد تشاءم من تسمية هشام ، فلما سئل عن سبب ذلك ،

---

(١٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٥ ؛ وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٢٤ ؛ وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٩٥ .

(١١) المقريزي ، شذور العقود ، ص١٧٤ .

(١٢) يضع الطبري ، مقتل مصعب بن الزبير في حوادث عام ٧١هـ ، ويذكر ايضا (ج٦ ، ص١٧٤) ان عبدالملك ارسل الحجاج بن يوسف الثقفي الى الحجاز في جمادى سنة ٧٢هـ ومن المستبعد ان يتأخر عبدالملك كل هـذا الوقت ، عن ارسال الجيش لفتح مكة بعد فتح العراق ، وربما كان مقتل مصعب في جمادى عام ٧٢هـ ، على رواية اخرى للطبري ايضا (ج٦ ، ص١٦٢) وعلى ذلك فمن المرجح ان مولد هشام كان في بداية عام ٧٢هـ–٦٩١م .

(١٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٥ .

(١٤) الكامل ، ج٤ ، ص٥١٨ .

(١٥) الخوارزمي ، محمد بن احمد ، مفاتيح العلوم ، القاهرة ، ١٣٤٢هـ ، ص٦٦ .

(١٦) ابن كثير ، المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٣٥١ ؛ والمقريزي ، شذور العقود ، ص١٧٤ ؛ وابن الكازروني ، المصدر نفسه ، ص٩٠ ، وتاريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف من القرن الحادي عشر ، موسكو ، ١٩٦٧م ، ص٢١٦ .

(١٧) تاريخ الموصل ، ص٢١ .

قال : قيل عن الرسول (ص) انه قال « ... راحة العرب هشام ولا راحة لهم بعد هشام[١٨] » .

ويظهر من الاقوال والأحاديث السالفة انها وضعت في وقت متأخر ، خاصة ما وصف به زمن هشام من انه زمن راحة العرب ، بعد ان جاء العباسيون وقربوا الاقوام الاخرى . كما انه من المستبعد ان يصدر حديثا كالذي سبق عن الرسول (ص) لانه أُرسل للناس كافة ؛ وان مقاييس الدين الاسلامي التقوى لا العنصر .

ولا تحدثنا المصادر عن الفترة التي قضاها هشام من حداثته بالمدينة ، وعلى ما يبدو فانها استغرقت معظم طفولته المبكرة ؛ لأن هشاما كان في دمشق عند وفاة ابيه ، وكان عمره انذاك اربع عشرة سنة ، وقيل ان هشاما رثى اباه ببيتين من الشعر ، عند دفنه ، لكن ذلك لايبدو امرا مؤكدا[١٩] .

ومن المحتمل ان هشاماً قاد حملة حربية او اشترك فيها عام ٨٧هـ ، زمن اخيه الوليد[٢٠] ، ويُرجح ان هشاماً قضى الشطر الاخير من طفولته في منزل الخلافة الاموي اي في بلاطهم بالشام في اواخر حكم ابيه[٢١] ؛ او اخوته من الخلفاء بعدئذ .

ولدينا رواية عن وليمة اقامتها جماعة من قريش ، حضرها هشام فأجلس صاحب الوليمة أحدهم في مكان اكثر صدارة من مكان هشام ، فلما تولى الخلافة ،

---

(١٨) الدينوري ، (المنسوب) الامامة والسياسة ، ج٢ ، ص١٢٥ .

(١٩) يشك ابن الاثير (ج٤ ، ص٥١٨) في نسبة البيتين الى هشام ويقول انهما لسليمان اخيه ، لأن هشاما كان صغيرا ، ويبدو ان رواية الاصفهاني (الاغاني ، ج١٤ ، القاهرة ١٩٥٨م ، ص٨٣) والتي تقول ان البيتين لهشام هي الراجحة ، فمن غير المستبعد ان يقول الشعر من كان عمره اربع عشرة سنة .

(٢٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٢٤٩ ؛ وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٥٢٨ .

(٢١) يبدو من روايتي ابن الاثير (ج٤ ، ص٥١٨) والاصفهاني (ج١٤ ، ص٨٣) السالفتين ان هشاما كان في دمشق عند وفاة ابيه .

عاقبه بقسوة على اهانته له حينذاك[٢٢] ، ويذكر الأزدي ان هشاماً سكن الموصل « ••• اما في ايام محمد بن مروان عمه او في ايام سعيد بن عبدالملك ، وابتنى بها قصرا[٢٣] » •

ولما حج الامير هشام بصحبة طائفة من رؤساء الشام ، زمن الوليد[٢٤] ، لم يتمكن من إستلام الحجر الاسود لأزدحام الناس ، فلما جاء علي بن الحسين (ع) لاستلام الحجر افسح له الناس ، فسأل احد رؤوساء الشام هشاما عن الشخص المحتفى به ، فلم يجبه حسدا منه لعلي ، وخوفا من ان يسمع منه أهل الشام ؛ عندها أجاب الفرزدق ، الذي كان بين الحاضرين بقصيدة مطلعها :

---

(٢٢) القالي ، اسماعيل بن القاسم ، الامالي ، ج١ ، القاهرة ١٩٢٦م ، ص٥٦ • يستنتج من سياق الرواية السالفة ، ان الوليمة حضرها هشام عندما كان اميرا ، ويبدو انه كان صغير السن ، وربما لم تكن الوليمة في دمشق ، والا لما تجرأ صاحب الوليمة على اهانه هشام ولربما كان موضع الوليمة في المدينة •

(٢٣) تاريخ الموصل ، ص٢٤ ، يقصد الازدي من روايته السالفة ، ولاية الموصل ، ويبدو انه غير متأكد من الوقت ، ويغلب على الظن ان سكنى هشام كانت بالجزيرة في الزيتونة ، وقد جاءته الخلافة بها ، وسنذكر ذلك في موضعه •

(٢٤) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٥ ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص٢٦ ، وعلى رواية اخرى ، ان الحج كان زمن عبدالملك او الوليد يذكرها كل من :ـ
المرتضى ، علي بن الحسين ، آمال المرتضى ، ج١ ، القاهرة ، ١٩٥٤م ، ص٦٩ • والكشي ، محمد بن الحسن ، اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي ، ج٢ ، اسفند ، ١٣٤٨هـ ، ص١٢٩ •
كما يذكر ابن بناته (سرح العيون ، القاهرة ، ١٩٦٤م صص٣٩٠ـ٣٩١) ان الحج كان زمن عبدالملك ، ولما كانت بقية الرواية تشير ، الى ان هشاما حبس الفرزدق ، وان العلاقة قد ساءت بينهما ، وقد كانت حسنة ، فيذكر الاصفهاني (الاغاني ، ج٨ ، القاهرة ، ١٩٣٥م ، ص٣٠٤) ان هشاما اجتمع عنده الفرزدق وجرير والاخطل ، وكان عمر هشام آنذاك تسع عشرة سنة • ولما كان مولد هشام عام ٧٢هـ ، فان الحج كان زمن الوليد على الارجح ، ويضيف المرتضى ايضا (ج١ ، ص٦٩) ان هشاما عندما حج كان حدث السن ولا يحدد عمره ، فلربما اذا كان تحديدنا السالف بان الحج كان زمن الوليد يبدو ارجح من غيره •

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم[٢٥]

وثار جدل حول تلك القصيدة ، وحول من قيلت بحقـــه لا نرى ضرورة للبحث فيه[٢٦] ؛ ومع ذلك فلم يشر المؤرخون الى العام الذي حج فيه هشام لكن الثابت انه لم يكن اميرا للحج[٢٧] .

يبدو من روايتي الوليمة والحج السالفتي الذكر ، ان هشاما لم يتمتـــع باهتمام معاصريه واحترامهم حين كان اميرا ؛ وربما قاد الاستنتاج ايضا الى انه كان مغمورا في منزل الخلافة الاموي نفسه ، فلم يقلد امارة الحج وهو امير في عهـد اخيه الوليد[٢٨] ، على ما أسلفنا .

وفي عهد سليمان (٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م) لانكاد نجد ذكرا لهشام عدا ما ترويه المصادر عن محاولته أخذ البيعة لنفسه بالخلافة بعد سليمان ، ولذا عارض البيعة لعمر بن عبدالعزيز في آخر ساعة من عمر سليمان ، على ما سيأتي ذكره ، وربما ذُكر هشام في مناسبات قليلة[٢٩] . فيذكر الطبري ان هشاما أُقطع ارضاً

---

(٢٥) الاغاني ، ج١٥ ، ص‌ص٣٢٦-٣٢٧ ؛ والكشي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص‌ص١٢٩-١٣٣ ؛ والمرتضى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٦٩ ..

(٢٦) يذكر الاصفهاني (ج١٥ ، ص‌ص٣٢٧-٣٢٨) ان هناك من يقول بان القصيدة لم تقال في حق علي بن الحسين (ع) وانما قيلت في حق غيره ؛ ويؤيد ذلك صاحب (اخبار الدولة العباسية ، المؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري، بيروت ، ١٩٧١م ص١٤١) لكن ذلك لا يقلل من اهمية الرواية بان هشاما كان مغمورا في البلاط الاموي .

(٢٧) يذكر ابن خيـــاط (ج١ ، ص‌ص٣٠١-٣٠٢) امـراء الحــج زمن عبدالملك (٧٢ ــ ٨٦هـ) وكذلك يذكـرهم ابن خياط أيضا (ج١ ، ص٢٠٦) زمن الوليد ولا يرد اسم هشام بينهم ، وكذلك عند اليعقوبي (التاريخ ، ج٢ ، ص٢٨١ ، ص٢٩١) زمن عبدالملك ، وزمن الوليد على التوالي .

(٢٨) يرجح Gabriele, Op. Cit. P. 133. ان الحج كان زمن الوليد وكان هشام اميرا له .

(٢٩) يذكر الاصفهاني (الاغاني ، ج٤ ، القاهرة ، ١٩٣١م ، ص١٥٨) ان احدهم خطب بين يدي عمر بن عبدالعزيز عندما بويع بالخلافـة فوصف الامويين بالظلم ، فسكت الجميع لكن هشاما قال له كذبت .

ويذكر الاصفهاني ايضا (الاغاني ، ج٤ ، ص‌ص٤٢١-٤٢٢) ان اسماعيل بن يسار الشاعر وفد على عبدالملك بعد مقتل عبدالله بن الزبير طلبا للعفو ، =

يُقال لها دورين[٣٠] ، ولا يُحدد من أقطعها له ومتى ؟ وكانت ارضا خرابا ، لم يحصل منها هشام على وارد الا بعد ان أحتال احد الكُتاب وأضاف اليها قرى في الديوان[٣١] ، وربما كان اقطاع ارض دورين لهشام زمن اخيه الوليد او سليمان ، فمن المستبعد ان يُقطع هشام ارضا زمن عمر بن عبدالعزيز ، او زمن اخيه يزيد حين كان هشام وليا للعهد • لان عمر كان حريصا على بيت المال ، كما وان علاقة هشام بيزيد لم تكن في الغالب على ما يرام •

وذلك يعطينا دليلا على ان هشاما كان مغمورا في البلاط الاموي زمن اخويه الوليد وسليمان •

بايع يزيد بن عبدالملك عام ١٠١هـ/٧٢٠م بولاية العهد لهشام على ارجح الروايات ، على ما سيأتي ؛ وظهر شيء من الاهتمام بشخص هشام بصفته وليا للعهد ، وبدا وكأنه اصبح مهما زمن اخيه يزيد ، ومع ذلك فلا نجد له مشاركة فعليه خلال عهد اخيه في الامور العامة ، كقيادة الجيوش او ادارة الاقاليم او ما سواهما ، وربما كان هشام راغبا عن ذلك ليكون قريبا من احداث البلاط

= فقد كان اسماعيل من انصار ابن الزبير ، فمدح عبدالملك بقصيدة منها :

جعلت هشاما والوليد ذخيرة ... وليين للعهد الوثيق المؤكدا

وتبدو رواية الاصفهاني السالفة غير دقيقة ، ذلك ان عبدالله بن الزبير قُتل عام ٧٢هـ ، فمن غير المحتمل ان يشار الى هشام كأول ولي للعهد ، ولم يكن اكبر اخوته ، ومع ان ابن يسار اعتذر عن ذلك لضرورة الشعر ، لكن ذلك لا يقدم دليلا على ان هشاما كان ذا اهمية في بلاط ابيه ، علما بان ولاية العهد كانت لعبدالعزيز بن مروان ولم تُعطَ للوليد وسليمان ، اخوة هشام ، الا بعد وفاة عبدالعزيز عام ٨٥هـ ، على رواية الطبري (ج٦ ، ص٤١٣) ومن غير المحتمل ان يتأخر ابن يسار عن الوفود وبيعة عبدالملك الى هذا التأريخ ؛ كما لا يحتمل ايضا ان يذكر ابن يسار بيعة هشام بعد مقتل ابن الزبير عام ٧٢هـ ، وهو لا يزال طفلا صغيرا •

(٣٠) لم اجدها في معاجم البلدان المتيسرة ، ولعلها احدى قرى الجزيرة الفراتية ، فيذكر البلاذري (انساب الاشراف المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٥٦) ان مسلمة بن عبدالملك لما استدعاه يزيد اخوه من العراق عام ١٠٢هـ ، قابل ابن هبيرة متجها الى العراق عند دورين •

(٣١) تأريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٠٥ ؛ والجهشياري ، المصدر نفسه ، ص ص٦٠ـ٦١ •

الاموي ، لكن ذلك لا يبدو امرا مقنعا فقد كان هشام بالرصافة لما جاءته وفـاة اخيه يزيد ، على ما سيأتي ، وعلى ذلك فقد بقي هشام بعيدا عن مسرح الاحداث نسبيا حتى توليه الخلافة عام ١٠٥هـ/٧٢٤م •

٢ ـ سعيه لنيل الخلافة وتوليته للعهـد :ـ

كان هشام تواقاً لنيل الخلافة ، ويروي لنا الطبري حكاية عن تلك الرغبة على لسان رجاء بن حيوة ، ففي أواخر أيـام سليمان بن عبدالملك ، اقنع رجـاء الخليفة ان يبايع لعمر بن عبدالعزيز (رض) • وخوف الفتنة ، وتجنبا لمعارضة بني امية ، يُبايع من بعده ليزيد بن عبدالملك ويكون ذلك في كتاب مختوم يُفتح بعد موت سليمان ؛ ولم يكن يَعلم لمن عَهِدَ سليمان بالخلافـة من بعـده الا رجاء ؛ وقد حاول هشام ان يستدرج رجاء لمعرفة من إستخلف سليمان منَ بعده ، ولما رفض رجـاء إخبـاره إستغرب هشام ذلك ، لاعتقـاده بانـه أحق الجميـع بالخلافـة •

قال الطبري « ••• قال رجاء لقيني هشام بن عبدالملك فقال : يا رجاء ان لي بك حرمة ومودة ••• فاعلمني هذا الأمر فأن كان اليّ علمت وان كان الى غيري تكلمت فليس مثلي قصّر به ، قال رجاء فأبيت ••• فانصرف هشام وقـد يئس ويضرب باحدى يديه على الاخرى وهو يقول : فالى من نحيت عني ؟ اتخرج من ولد عبدالملك ؟[٣٢] » •

ولما قرأ رجاء عهد سليمان لعمر بن عبدالعزيز ، رفع هشام صوته بالمعارضة ورفض البيعة ، لكنه اتخذ جانب العقل وبايع لما هُدد بالسيف[٣٣] •

أما لماذا فضّل سليمان يزيداً على هشام ، وهو يعلم طرفاً من سوء سيرة اخيه

---

(٣٢) تأريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٥٥١ ؛ وتأريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف ، ص٣٨١ ؛ وابن سعد ، محمد بن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، ج٥ ، بيروت ١٣٥٩هـ ، صص٢٤٧ـ٢٤٨ •
والذهبي ، محمد بن احمد ، تأريخ الاسلام وطبقات المشـاهير والاعـلام ، ج٤ ، القاهرة ١٣٦٩هـ ، ص١٦٨ •
(٣٣) فلهاوزن ، المصدر نفسه ، ص٢٥٨ •

يزيد[٣٤] ؛ فلعل سليمان فعل ذلك لارضاء اكبر عدد من بني أمية ، فيزيد الثاني كان مرواني الأب سفياني الأم[٣٥] ؛ وكان سليمان يخشى الفتنة اذا عهد الى عمر بن عبدالعزيز نظراً لعدم ارتياح بني أمية لولاية عمر ، لذا جعل سليمان ولاية العهد لاخيه يزيد مع انه لم يكن في الشام فقد كان يزيد « ••• غائباً على الموسم[٣٦] » •

توفي سليمان في صفر من عام ٩٩هـ[٣٧] ؛ والمفروض ان امير الحج لعام ٩٨هـ هو يزيد بن عبدالملك ، لكننا نجد ان امير الحج لعام ٩٨هـ ، كان « ••• عبدالعزيز بن عبدالله ••• وهو يؤمئذ أمير على مكة[٣٨] » ، وهذا ما يُضعّف رواية رجاء بن حيوة ، كما ان يزيد بن عبدالملك لم يتولَ أمارة الحج

---

(٣٤) يذكر الطبري (ج٧ ، ص٢٣) ان يزيد حج زمن سليمان وأشترى جارية بأربعة الاف دينار ، فلما سمع سليمان ، قال ، هممت ان أحجز على يزيد فاضطر يزيد لبيعها ويُستبعد ذلك في حج عام ٩٨هـ ، على ما سيأتي ، وربما كان الحج قبل ذلك التاريخ ويذكر الطبري أيضا (ج٦ ، ص٥٣١) وكذلك ابن الاثير (ج٥ ، ص٣٨) ان عبدالملك أوصى ولديه ، الوليد وسليمان ، بعد ان عهد لهما بالخلافة ، بان يجعلا لأبن عاتكة (يزيد) نصيبا من ولاية العهد• ويصعب على الباحث ان يأخذ بالرواية السالفة ، فان عبدالملك كان بامكانه ان يبايع لاولاده الثلاثة بولاية العهد ، وعلى ذلك فان ما أثبتناه في المتن هو الراجح • اما الزبيري (نسب قريش ج٥ ، ص١٦٢) فيذكر ان عبدالملك اوصى سليمان بان يبايع لاحد إبني عاتكة ، يزيد ، او مروان ، ابني عبدالملك ، بولاية العهد من بعده وهذه الرواية تبدو بعيدة الاحتمال لنفس السبب •

(٣٥) يذكر الزبيري (ج٥ ، ص١٦٣) وكذلك الطبري ، (ج٦ ، ص٤٢٠) ان ام يزيد هي ، عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن ابي سفيان •

(٣٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٥٠ ؛ وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٣٩ •

(٣٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٤٦ ؛ والمسعودي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٨٣ • واليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٩٩ •

(٣٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٤٥ ؛ وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٢٥ •

طيلة خلافة سليمان[٣٩] •

ان سيرة هشام تدل على رغبته الملحة بالخلافة ولربما كانت هذه الرغبة من بين الاسباب التي جعلت لروايـــة رجـاء بن حيوة ، على ما فيها من هنـــات ، هذه القوة •

اما بالنسبة لبيعة هشام بولاية العهد فقد كان للظروف السياسية دورهـــا الفعال في ذلك فعندما أراد يزيد بن عبدالملك أن يُرسل جيشا لقتال آل المهلب في العراق ، أثار العباس بن الوليد على يزيد ان يولي العهد لأخيـه عبدالعزيز بن الوليد ، ومن بعده للوليد بن يزيد ، وبيّن ان الوليد كـــان صغيرا ، كمـا علل العباس طلبه بالخوف من إرجاف أهل العراق ، بعد ان يشـيع موت الخليفـة ، فأجاب يزيد بالموافقة ، ووعد بان يبايع لعبدالعزيز بن الوليد في اليوم التـــالي ؛ ويبدو ان الخبر وصل هشاما فذهب وقابل اخاه مسلمة[٤٠] ، الذي قام بدوره بمقابلة يزيد واقناعه بالبيعة لهشام بولاية العهد ومن بعـــده للوليد ، لانه اخوه وأقرب اليه (الى يزيد) من ابن أخيه كما ذكر مسلمة ليزيد[٤١] •

ويذكر الطبري ان أحد المروانيين سأل هشاما عن أهليته للخلافة مع مـا يتصف به من جبن وبخل ، فقـــال هشام « ••• ولم لا أطمـع فيها وأنا حليم

---

(٣٩) يذكر الطبري ، (ج٦ ، ص٥٢٢ ، ص٥٢٩ ، ص٥٤٥) امراء الحج للسنوات، ٩٦هـ ٩٧هـ ، ٩٨هـ ، على التوالي وهي السنوات التي كان فيها سليمان خليفة على المسلمين •
وكذلك يذكر ابن خياط (ج٢ ، ص٣٢٥) امراء الحج خلال حكم سليمان ، ولا يذكر ان يزيداً كان من بينهـم •

(٤٠) يذكر ابن الأثير (ج٥ ، ص٩١) ان مسلمة بن عبدالملك ، لما بلغه ما اعتزم عليه يزيد اخوه من البيعة لعبدالعزيز بن الوليد قابل يزيداً واقنعه بالبيعة لهشام فوافق يزيد لكن ابن الاثير يذكر ايضا (ج٥ ، ص٩١) ان الاقتراح ورد من مسلمة والعباس باعطاء ولاية العهد لعبدالعزيز ، ويعود بعدهـــا فيذكر ما أوردناه ، فرواية ابن الاثير تبدو مضطربة ، والراجح ما اوردناه بالمتن •

(٤١) الاصفهاني ، الاغــاني ، ج٧ ، القاهـرة ، ١٩٣٥م ، صص٢ـ٣ ؛ وابن عبدربه المصدر نفسه ، ج٥ ، صص١٧٦ـ١٧٧ ؛ وتاريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف ، صص٣٨٣ـ٣٨٤ •

عفيف[٤٢] ».

ويذكر المسعودي ان الذي سأل هشاما ذلك كان أخوه مسلمة ، قالها له مازحا « ... قبل ان يلي الأمر[٤٣] ، ولعل هذا السؤال كان من جملة الحوار الذي دار بين هشام ومسلمة قبل مقابلة يزيد ، واقناعه بالبيعة لهشام بولاية العهد .

بويع لهشام بولاية العهد ، ومن بعده للوليد بن يزيد[٤٤] ، وكان ذلك عام ١٠١هـ/٧٢٠م على الاجح[٤٥] ؛ فيذكر الطبري ان يزيد بايع لهشام بولاية العهد ، وكان عمر الوليد احدى عشر سنة ؛ فلما مات يزيد عام ١٠٥هـ ، كان عمر الوليد خمس عشرة سنة[٤٦] .

٣ ـ العلاقة بين الخليفة وولي العهد :

كانت العلاقة بين الخليفة يزيد بن عبدالملك وأخيه هشام ، ولي عهده ، حسنة نسبيا رغم ندم الخليفة يزيد ، على إسناد ولاية العهد لهشام[٤٧] ؛ فكان يزيد كلما رأى ابنه الوليد يقول « ... الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك[٤٨] » ؛

---

(٤٢) تأريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٠٥ .

(٤٣) مروج الذهب ، ج٣ ، ص٢٢٣ .
كانت لمسلمة منزلة كبيرة لدى أخوته من الخلفاء ، خاصة يزيد فقد ولاه قتال آل المهلب في العراق ، كما ذكرنا ، وكان يستشيره في اموره حتى وفاته .

(٤٤) الزبيري ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٦٣ .

(٤٥) يذكر الطبري (ج٦ ، ص٥٨٥) في حوادث عام ١٠١هـ ، ان يزيد بن عبدالملك ارسل العباس بن الوليد في أربعة الاف فارس الى الحيرة ، مبادرا اليها قبل ان يحتلها يزيد بن المهلب ، ثم اتبعه مسلمة بعامة الجيش ، ولما كانت البيعة لهشام قبل خروج الجيش الى العراق ، فالبيعة بولاية العهد كانت على الارجح في اواخر عام ١٠١هـ .

(٤٦) أيضا ، ج٧ ، ص٢٠٩ ، ويذكر ايضا (ج٦ ، ص٤٣٤) ان الوليد بن يزيد ولد عام ٨٨هـ ، فاذا صح ذلك فيكون عمره عام ١٠١هـ ، ثلاث عشرة سنة ، وتصح البيعة له ، ولما كان يزيد لم يبايع لابنه الوليد لصغر سنه ، فولادة الوليد كانت بعد عام ٨٨هـ على الارجح .

(٤٧) Gabriele, Op. Cit. P. 154

(٤٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٩ ، وابن الأثير ، المصدر نفسه ، ج٥، ص٩١ ، وابن عبد ربه ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٧٧ .

فقد كَبُر الوليد وأدرك حياة أبيه ، ولربما كان مرد ذلك لخشية يزيد على ابنه الوليد من أخيه هشام بعد موته ، وان كان قد أخذ على هشام المواثيق بان لا يحرم الوليد من ولاية عهده(٤٩) ؛ وقد كان لخوف يزيد هذا ما يبرره ، على ما سنذكره في حينه .

عاتب يزيد بن عبدالملك أخاه هشاماً لما بلغه أنه « ... يتنقصه ويتمنى موته ويعيب عليه لهوه بالقينات(٥٠) » ؛ لكن هشاماً كتب الى أخيه ، ان ما سمعه لم يكن الا من عمل الوشاة كما أكد له أقواله السابقة ثم إرتحل وبقي في جوار يزيد الى حين موته ، خوفا من الوشاة (٥١) ؛ فلما مات يزيد صلى عليه هشـــام بأربل من أرض البلقاء(٥٢) .

ويبدو ان الرواية السابقة بعيدة عن التدقيق ، فان هشاماً لم يكن حاضـرا وفاة يزيد ، وانما صلى عليه ابنه الوليد بن يزيد(٥٣) ، وان هشاما كان بالرصافـة من ارض قنسرين عند وفاة الخليفة ، وسنذكر ذلك في موضعه من هـذا البحث وبالرغم من أن هشاماً كتب الى يزيد معتذرا فمن المحتمل انه زار أخـــاه يزيداً واعتذر له ، وقد قبل يزيد اعتذار أخيه(٥٤) ؛ لكن هشاما لم يبق مع يزيد لحين وفاته كما تشير الرواية .

أ ـ توليه الخلافة

١ ـ البيعـــة :ـ

توفي يزيد بن عبدالملك يوم الجمعة لخمس ليالٍ بقين من شـــعبان سـنة

---

(٤٩) الزبيري ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٦٣ .

(٥٠) ، (٥١) المسعودي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢١٣ ، وابن عبد ربه ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص ص١٧٧ــ١٧٨ ، ويذكر الاصـــــفهاني (ج٧ ، ص٣) ان النابغة الشيباني قال قصيدة يمدح بها يزيد بن عبدالملك بعد مقتل يزيد بن المهلب منها :

هشـــام والوليـــد وكل نفسٍ   تريد لك الفناء لك الفـداء

(٥٢) ابن خياط المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٤٠ .
البلقاء :ـ من مدن بلاد الشام (الاصطخري ، ص٤٨) .

(٥٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٢ ، واليعقوبي ، المصدر نفسـه ، ج٢ ص٩٦ .

(٥٤) المسعودي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣١٢ .

١٠٥هـ/٧٢٤م[٥٥] ؛ وجاء البريد لهشام بشارتي الخلافة ، العصا والخاتم ، وهو بالزيتونة[٥٦] ؛ وما لبث هشام حتى ذهب الى الرصافة[٥٧] ثم « ... ركب هشام من الرصافة حتى أتى دمشق[٥٨] » فبويع بها في اليوم الاول من شهر رمضان عام ١٠٥هـ على الارجح .

غير أن رواية اليعقوبي تشير ، الى ان البيعة لهشام كانت في رمضان من عام ١٠٥هـ[٥٩] ؛ أما الطبري وابن الاثير فيذكران أن استخلاف هشام كان لليال بقين

---

(٥٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢١ ، ص٢٢ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٢٠ ، وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٤٠ ، واليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣١٤ ، لكنه يذكر ان الوفاة كانت لاربع بقين من شعبان ، ويذكر المسعودي ايضا (ج٣ ، ص٢١٦) ان هشاماً بويع في نفس اليوم وهو يوم الجمعة لخمس بقين من شوال ولعله تصحيف ، والصحيح شعبان ، وينفرد المسعودي بالرواية السالفة والقائلة ان هشاماً بويع في نفس اليوم ، ومع ان ابن خياط (ج١ ، ص٣٤٠) يقول ان هشاماً صلى على يزيد لكنه لا يؤكد رواية المسعودي من ان البيعة لهشام كانت في نفس اليوم .

(٥٦) الزيتونة :ـ موضع في بادية الشام كان هشام بن عبدالملك ينزله فلما عمّر الرصافة انتقل اليها فكانت منزله الى ان مات .
(ياقوت ، معجم البلدان ، مادة الزيتونة ، ج٢ ، ص٩٦٥) .
الرصافة :ـ رصافة هشام بن عبدالملك غرب الرقة بينهما أربعة فراسخ على طرف البرية بناها هشام بن عبدالملك وكان يسكنها في الصيف . (ياقوت ، معجم البلدان ، مادة الرصافة ، ج٢ ، صص(٦٦٠ـ٦٦١) .

(٥٧) يذكر ابن خرداذبه (المسالك والممالك ، ص٩٢) ان الطريق من الرقة الى دمشق يمر بكل من الرصافة وحمص ويبلغ طوله بين الرصافة ودمشق مارا بحمص ١٩٢ ميلا .

(٥٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٥ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٢٣ ، والعيون والحدائق ، ص٨٢ ، وابن الوردي ، عمر بن مظفر ، تاريخ ابن الوردي ، النجف ، ١٩٦٩م ، ص٢٤٧ .

(٥٩) التاريخ ، ج٢ ، ص٣١٦ ، ويذكر الازدي (تاريخ الموصل ، ص٢) ان خبر موت يزيد وافى هشاماً بالرصافة ، بعد ستة ايام من وفاته ، وهذه مدة طويلة لوصول الخبر الى هشام وربما قصد الازدي البيعة لهشام في دمشق بعد ستة ايام من الوفاة ، فاذا صح استنتاجنا ، تكون البيعة لهشام في دمشق في بداية شهر رمضان .

من شعبان عام ١٠٥هـ[٦٠] ؛ لكن ذلك يبدو بعيد الاحتمال في دمشق لطول المسافة بين أربد ، (مكان وفاة يزيد) والرصافة ، ولربما كان تفسير روايتي الطبري وابن الاثير السالفتين ان البيعة كانت في الرصافة وليس في دمشق ، فقد وصل الخبر على البريد ، سريعاً ؛ وبعد ان بُويع هشام بالرصافة اتجه الى دمشق ، ومر بحمص ، وأُخذت له البيعة فيها ؛ وهذا ربما يفسر ايضا روايتي الطبري وابن الاثير الاخريتين والقائلتين ان موت يزيد بلغ هشاماً وهو بحمص . والا فكيف نوفق بين وصول شارتي الخلافة الى هشام بالزيتونة ، قرب الرصافة ، ووصول خبر وفاة يزيد اليه وهو بحمص ؛ وعلى ذلك فان البيعة لهشام بالخلافة في دمشق ، كانت يوم الخميس ، اليوم الاول من رمضان عام ١٠٥هـ[٦٢] .

٢ ـ الخطوط العامة لسياسته واهتمامه بالنواحي الأقتصادية والمالية :ـ

كان هشام سياسياً ناجحاً ، يعرف كيف ينجح في مشروعاته[٦٣] ؛ ويُعد من ساسة بني أُمية المشهورين ، خُتمت به أبواب السياسة وحسن السيرة[٦٤] . فقد كان حازما[٦٥] ؛ عاقلا[٦٦] ؛ متيقظاً مباشراً للأمور بنفسه[٦٧] . قال الطبري « ... قال غسان بن عبدالحميد ، لم يكن احد من بني مروان أشد نظراً في أمر أصحابي ودواوينه ، ولا أشد مبالغةً في الفحص عنهم من هشام[٦٨] .

---

(٦٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٥ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥، ص١٢٠ .

Encyclopaedia of Islam, Art, Hisham, p. 494

(٦١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٢ ، وابن الأثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٢٠ .

(٦٢) يُصادف ذلك اليوم الاول من شباط عام ٧٢٤م .

(٦٣) فلها وزن ، المصدر نفسه ، ص٣١٤ .

(٦٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص٢٢٣ ، والقلقشندي ، مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، ج١ ، الكويت ، ١٩٦٤م ، ص١٥٠ . وحتي ، فليب ، تاريخ العرب ، ج٢ ، بيروت ١٩٥٣م ، ص٣٤٩ .

(٦٥) اليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٢٨ ، وابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٢٣ .

(٦٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٢ .

(٦٧) القلقشندي ، مآثر الاناقة ، ج١ ، ص١٥٠ .

(٦٨) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٠٣ .

وشهد احد خصوم هشام بجدارته ، فقال عبدالله بن علي العباسي « ... جمعت دواوين بني مروان فلم أرَ ديواناً أصح ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام[٦٩] » .

اما عن سياسة هشام في تعيين ولاة الأقاليم ، فلم تكن له سياسة معينة في اختيار ولاته ، وسنذكر بعدئذ ، أسباب تعيين كل والٍ على حدة ، كما نورد تفصيلات عن اعمال كل منهم ، ومع ذلك فقد كان هشام لا يتردد في عزل الوالي ، وحتى معاقبته اذا شكاه الناس وصدقت الشكوى[٧٠] ، وكذلك كان يفعل اتجاه القضاة[٧١] . ويبدو ان بعض الولاة كان يَفِد ، أحيانا ، على هشام ليقدم تقريرا عن ولايته ، قال الطبري « ... وكان مروان يقدم على هشام المرة في السنتين ، فيرفع اليه أمر الثغر وحاله ومصلحة من به من جنوده ، وما ينبغي ان يُعمل به في عدوه[٧٢] » .

وكان هشام يعاقب المتبطلين من مغنين وغيرهم[٧٣] . فقد كتب الى والي المدينة

---

(٦٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٣ ، وابن كثير ، المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٣٥٣ .

(٧٠) يذكر المؤرخون شكاوٍ متعددة عن ولاة عزلهم هشام منهم ، ابن عبد ربه (ج٤ ، ص‌ص٢٦٠ ، ٢٦١) وابن منقذ (أسامة ، لب الاداب ، القاهرة ، ١٩٣٥م ، ص٣٣٧ .
والطبري (ج٧ ، ص‌ص٦٧-٦٨) ، والبلاذري ، أنساب‌الاشراف ، المخطوطة المصور في كلية الاداب في جامعة بغداد ، ج٧ ، ص٥٦٣ .

(٧١) الكندي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٤١ .

(٧٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٩٦ ، ولي مروان بن محمد أرمينة واذربيجان سنة ١١٤هـ ، واستمر على ولايته الى ما بعد وفاة هشام ، على ما سيأتي .

(٧٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص٢٠٣-٢٠٤ ، ص٢٠٦ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٦٢ .
ويقول أمير علي (مختصر تاريخ العرب ، ص١٣٩) ان المدينة طُهرت من الطفيليين زمن هشام .

باحصاء المخنثين لمعرفة عددهم ، لكن الكتاب صُحِف ولم يُفهم معناه[٧٤] ، ويذكر المسعودي ان هشاماً سأل ، عمن يكون أشعب لما ذكر اسمه أمامه ، على ما لاشعب من شهرة في المزاح ، وأراد هشام استقدامه من المدينة ، لكنه عدل عن ذلك[٧٥] وتعطينا الحوادث السالفة ، صورة عن جدية هشام وميله للعمل المثمر ومحاولته دفع الناس الى العمل ايضا ، وقد طبق ذلك فعلا على نفسه ، وعلى آل مروان ، فكان الذين يأخذون العطاء ، لابد وان يشاركوا في الغزو او يخرجوا عنهم بديلا[٧٦] ٠

وكان هشام يهتم برد المظالم ، فيخرج من الرصافة ستين ليلة كل سنة مباحا للناس « ٠٠٠ لا يفني أيامه تلك الا برد المظالم[٧٧] » ٠

---

(٧٤) الجاحظ،عمرو بن بحر ،الحيوان،ج١ ، القاهرة ، ١٩٣٨م،ص‌ص١٢١ـ١٢٢
ويذكر الاصفهاني (ج٤ ، ص‌ص٢٧٣ـ٢٧٤) ان الكتاب أرسله سليمان بن عبدالملك الى والي المدينة ، ومن المرجح ان الكتاب أرسله هشام الى قاضي المدينة ، سعد بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن عوف ، الذي اشتد على السفهاء والشعراءوالمغنيين ، كما يذكر الاصفهاني (الاغاني ، ج٣ ، القاهرة ، ١٩٢٩م ص٣٥٩) بينما يذكر ابن قتيبة (المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص٢٣٨) ان سعد بن ابراهيم جلد احدهم فلما سأله عن سبب جلده له ، قال سعد ، في السماجة ، ويبدو ان الرواية غير دقيقة ، فقد كان سعد متديناً ، وكان يكره أهل الفسق والمجون وكان موسى شهوات كثير الهجو له لهذا السبب، كما تشيران روايتي الاصفهاني (ج٣ ، ص٣٥٩) وابن قتيبة (المعارف ص٢٣٨) السالفتين ٠
ويذكر الطبري (ج٧ ، ص٢٢٧) ان سعد بن ابراهيم كان على قضاء المدينة ، وعزله عنه ، الوالي الجديد ، يوسف بن محمد الثقفي ، خال الخليفة الجديد الوليد بن يزيد ، وكان ذلك عام ١٢٥هـ ٠

(٧٥) مروج الذهب ، ج٣ ، ص٢٢١ ٠

(٧٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٢ ٠
البديل :ـ هو ان يرسل من يضرب عليه البعث (الغزو) من أهل العطاء ، شخصا اخر بدله ، من غير أهل العطاء لقاء أجر ، ويحتفظ هو بحقه من العطاء ٠
العلي ، صالح احمد ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، العدد ، ٢٠ ، ١٩٧٠م، العطاء في الحجاز ، ص٧٧ ٠

(٧٧) ابن قتيبة (المنسوب) الأمامة والسياسة ، ٢ : ١٢٩ـ١٣٠ ٠

وقد وضع هشام العيون والجواسيس[٧٨] من الثقاة للوقوف على أعمال الولاة ومعرفة ما يقوم به الاشرار في جميع اجزاء الدولة[٧٩] .

ويبدو مما يذكره ابن قتيبة في روايته السالفة ، أن هشاماً خرج الى البرية ، في احدى السنين ، وقدم عليه وفد العراق وكان فيهم خالد بن صفوان . وعلى ما ذكره غيره من المؤرخين ، فان هشاماً كان يخرج الى البرية للترويح عن النفس مع بداية الربيع من كل عام[٨٠] . وأنه لم يستهدف من خروجه من الرصافة النظر في المظالم ، وانما كان للنزهة .

ويذكر الطبري ان هشاماً كان يقرأ ما كتبه زيد بن علي (ع) ويكتب تحته ارجع الى أميرك[٨١] لكن ذلك لا يبدو انه كان اجراء يطبق في كل الحالات[٨٢] .

ويذكر صاحب تأريخ الخلفاء ان هشاماً « ... أمضى الأمور على ما كانت عليه أيام من تقدمه سوى عمر بن عبدالعزيز (رض) وجبى الخراج ، على رسم الوليد وعبدالملك[٨٣] » .

---

(٧٨) يذكر الذهبي (تاريخ الاسلام ، ج٤ ، ص٢٥٠) ان مجلسا ضم رجاء بن حيوة وجماعة من الناس فتحدثوا في بعض الامور العامة ، وكان معهم شخص غريب ، وبعد ان تركهم أقبل احد الحرس وطلب منهم الحضور امام الخليفة هشام ، فسأل هشام رجاء ، هل ذُكر امير المؤمنين بسوء ، فاقسم رجاء بالنفي ، فضرب هشام الساعي سبعين سوطا ولما عاتب الساعي رجاء على كذبه، قال له رجاء « ... سبعون سوطا في ظهرك خير من دم مؤمن » ويذكر البلاذري (انساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٢٦٥) ان هشاما وضع العيون والارصاد على حركات غيلان وصالح بن عبدالسلام القدريين واعدمهما بعد ان تأكد من قولهما بالقدر .

(٧٩) ابن قتيبة (المنسوب) الامامة والسياسة ، ج٢ ، ص ص١٢٩ـ١٣٠ .

(٨٠) ياقوت معجم الأدباء ، ج٤ ، القاهرة ، ١٩٢٧ ، ص ص١٦١ـ١٦٢ . والاصفهاني الاغاني ، ج٢ ، القاهرة ، ١٩٢٨م ، ص١٤٠ ، وابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج٢ ، القاهرة ، ١٩٢٦م ، ص٣٤١ .

(٨١) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٦٥ ، والعيون والحدائق ، ج٣ ، ص٩٢ .

(٨٢) يذكر ابن عبد ربه (العقد الفريد ، ج٤ ، ص٢٦٠) ان هشاماً وقّع في قصة رجل شكا اليه الحاجة ، كما وقع لقوم شكوا عاملهم .

(٨٣) تاريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف ، ص٣٩٩ .

وترى طائفة من المؤرخين المعاصرين ان هشاماً كان ضعيف الادارة[٨٤] ، وان كان أفضل من سلفه ، لكنه كان يفتقر الى المزايا التي تؤهله لمواجهة المصاعب التي كانت تحيق بالأمبراطورية من جميع أطرافها[٨٥] .

ويرى البعض الاخر ان هشاماً لم يتوان عن حل مشاكل الدولة الداخلية والخارجية وقد بلغت أقصى أتساعها في عهده ، فقد شمّر عن ساعد الجد ، وأعاد تنظيم الجباية فازال المظالم المباشرة الواقعة على الموالي ، وأدخل بعضا من التنظيمات الساسانية في الادارة ، فاتجهت الخلافة الأموية نحو الملكية ، مما اثار حفيظة المتدينين وزاد من قوة المعارضة للحكم الأموي[٨٦] .

ولما كانت الدولة تفتقد الى نظام اداري متكامل أصبح اعتماد الخلافة على الولاة في ادارة شؤون ولايات الدولة كبيرا . ولما لم تكن لهشام خطة معينة في اختيار ولاته ، شأنه شأن من سبقه من خلفاء بني أمية ، اذا استثنينا عمر بن عبدالعزيز (رض) . وكان أغلب ولاة الدولة لا يقدرون خطورة مراكزهم ، بوصفهم ممثلين لمصالح الامة فكان لمصالحهم الشخصية والقبلية الاعتبار الاول ، لذا كان ذلك من بين العوامل المهمة التي ادت الى ظهور ضعف في ادارة الدولة ، كما كان التنافس بين القادة والزعماء سببا اخر في اضطراب الأمور .

ويشير القيرواني مثلا الى ان العامل الرئيس ، في اندحار جيوش الخلافة أمام خوارج البربر ، كان التنافس والأنقسام بين زعماء الجيش[٨٧] . كما كانت

(٨٤) ماسية ، هنري ، الاسلام ، بيروت ، ١٩٦٠م ، ص٦٩ .
(٨٥) أمير علي ، المصدر نفسه ، ص١٣٩ .
(٨٦) كَبّ ، المصدر نفسه ، ص٤٧ ، ويشير أيضا « ص٧٨ » الى ان التحول عن النظم البيزنطية كان بعد فشل المسلمين من احتلال القسطنطينية عام ٧١٨م ، ويعتبر كَبّ في طليعة من انتبهوا الى التحول الأموي الى النظام الساساني زمن هشام ، وكذلك .
Ency. of Islam " Hisham " Vol. 111. p. 493.
(٨٧) القيرواني ، الرقيق ، تاريخ افريقية والمغرب ، تونس ، ١٩٦٧ ، ص١١٣ ، وابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص ص٢٩٤–٢٩٦ ، وابن عذاري ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٠ .

العصبية القبلية قوية في نفوس العرب لدرجة كانت تجعل بعض الولاة المتسببين الى قبيلة ما يضطهدون أبناء القبائل الأخرى ، مما يضطر معه هشام الى اقصائهم عن مناصبهم لذلك التطرف ، رغم ما لهم من صفات شخصية ممتازة في بعض الاحيان ، وسنشير في موضع آخر من رسالتنا هذه ، الى ولاة عظام ، كان تعصبهم من بين الأسباب المهمة التي أدت الى عزلهم أمثال خالد القسرى والي العراق والمشرق ١٠٥ـ١٢٠هـ وأخيه أسد ، الذي كان واليا على خراسان(٨٨) .

ورغما عما سبق ، فلا يسعنا ان نعفي هشاما ، لما أصاب ادارة الدولة من خلل في الداخل مما أدى الى قيام ثورات البربر في أفريقية ولجوء السغد في بلاد ما وراء النهر الى الترك لمساعدتهم ، كما مُنيت جيوش الخلافة بطائفة من الهزائم في آسيا الصغرى وجنوب فرنسا .

ونرى من المناسب ان نشير هنا الى ان هشاماً عمل جهده ، ولم يكن بمقدوره ان يعمل أفضل مما عمل(٨٩) ، فقد حاول ان يحل مشاكل الدولة ــ بالقدر الذي تسمح به ظروف العصر ولاقى بعض النجاح ، فقد أُخمِدت ثورات البربر ، وصالح المسلمون السغد وأبعدوا خطر الترك عن حدودهم الشرقية ، وصدوا هجمات الخزر بنجاح كبير . لكن هشاماً لم ينجح ولم يكن في مقدوره او مقدور غيره ، أيا كان مركزه ، ان يُبدّل من نفوس العرب او ذوى الوجاهة منهم في الاول ، فيجعلوا لمصالح دولتهم ، المرتبة الاولى ، بدل مصالحهم القبلية والشخصية .

اما بالنسبة للسياسة الاقتصادية والمالية فقد كان هشام يُحب جمع الأموال منذ كان أميرا ، فيُذكر أنه كان يجمع الكسى ويستجيدها(٩٠) . ويعلل الزبيري

---

(٨٨) كانت العصبية القبلية من العوامل المهمة التي ادت الى انهيار الدولة ، فدفعت بعضهم الى التستر على دعاة العباسين ، فيذكر الطبري مثلا ، (ج٧ ، ص١٠٨) ان أسد القسري والي خراسان ، عاقب الدعاة من القيسين وعفا عمن كان منهم من اليمانيين .

(٨٩) يذكر البلاذري ، انساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص ص٥٥٩ـ٥٦٠ . ان هشاماً قال « ... والله ما هممت بظلم مسلم ولا معاهد منذ وليتها (الخلافة) ... » .

(٩٠) المسعودي ، المصدر نفسه ، ٣ : ١٢٧ .

رغبة هشام بجمع الثياب ، بان عمر بن عبدالعزيز (رض) لما أراد مصادرة ، بعض أموال بني أمية لم يعرض لما قطعوا من الثياب[٩١] ، ولأعتقاد هشام ان عمر إمام عدل فان اي امام عدل آخر يلي الخلافة لن يعترض على حيازة الثياب لذا بدأ هشام بجمعها حتى قيل أنه لما حج حمل طرازه على سبعمائة جمل على بعض الروايات[٩٢] . او على أقل من هذا العدد ، كما تذكر روايات أخرى[٩٣] .

ولما توفي هشام أُحصي ما لديه من ثياب فظهر ان عددها كان اثنا عشر الف قميص[٩٤] وأُقطع هشام أرضا يقال لها دورين حصل منها على أموال كثيرة ، بتحايل أحد الكتاب على سجلات الخراج[٩٥] ، وكانت لهشام دار بالزيتونة كان يسكنها ، عند توليه الخلافة[٩٦] ، ويذكر البلاذرى ان هشاماً وأباه عبدالملك كانا شريكين في قرية ونصف قرية من قرى الرها[٩٧] .

---

(٩١) يذكر البلاذري (انساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٦٠) ، ان عمر بن عبدالعزيز (رض) باع متاع عبدالملك والوليد بالمزاد العلني، وقد بلغ سعر جورب عبدالملك مائة دينار ، وربما كانت الرواية بعيدة عن التدقيق فمن غير المحتمل ان يُحتفظ بجورب كل هذه المدة ، وان يُباع الجورب بهذا السعر المرتفع .

(٩٢) الزبيري ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٦٤ ، وابن عبد ربه ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٨٠ .

(٩٣) القرماني ، اخبار الدول واثار الاول ، المنشور مع كتاب الكامل ، لابن الاثير، ج٢ ، القاهرة ، ١٢٩٠هـ ، ص٢٨ .
حج هشام مرتين الاولى زمن الوليد أخيه ، وقد سبق ذكرها ، والثانية بعد توليه الخلافة عام ١٠٦هـ ، وهذا الحج هو المقصود ، ومما يبدو ان عدد الثياب مبالغ فيه ، لكن ذلك لا يقلل من اهمية الروايتين ، وحب هشام للثياب وجمعه لها .

(٩٤) ابن كثير ، المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٣٥٩ .

(٩٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٥ ، والجهشياري ، المصدر نفسه ، ص٥٩ .

(٩٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٥ ، واليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٣٦ .

(٩٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص١٨٥ . ولا يذكر البلاذري اسم القرية ، وحصة كل منهما ولربما كانت الشركة بينهما مناصفة .
الرها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام . (ياقوت ، معجم البلدان ، مادة الرها ، ح٣ ، ص١٠٦) .

ولما تولى هشام الخلافة وأصبحت مقاليد الامور بيده ، اتجه للادخار لبيت المال ، حتى اجتمع في خزائنه من الأموال ، ما لم يجتمع لاحد من خلفاء بني أمية قبله[٩٨] .

وتذكر بعض الروايات ان هشاماً رفض مرة إضافة عشرة دنانير الى عطاء أحد مواليه[٩٩] . كما طرد الكاتب الذي تلاعب بسجلات الخراج لصالحه وهو أمير ، قال الطبري : « ... اقطع هشام أرضا يقال لها دورين[١٠٠] فأرسل في قبضها فاذا هي خراب فقال لذويد (كاتب الشام) ويحك كيف الحيلة ؟ قال : ما تجعل لي قال أربعمائة دينار فكتب دورين وقراها ثم أمضاها في الدواوين ، فأخذ شيئا كثيرا ، فلما ولي هشام دخل عليه ذويد[١٠١] ، فقال له هشام دورين وقراها لا والله لا تلي لي ولاية أبدا واخرجه من الشام[١٠٢] » .

ولا شك ان في اجراء هشام السالف دليل على اهتمامه في أمور الدولة ، لان الكاتب الذي يتلاعب بسجلات الخراج ، وهو مسؤول عنها ، لا يؤتمن على غيرها . ولم يكتف هشام بطرد ذويد فقط بل صادر امواله ، قال البلاذري : « ... لما أخرج ذويد ثقله أُخبر هشام ، انه على أربعين جملا فأرسل فأخذه[١٠٣] » .

ورغم حرص هشام على ممتلكات بيت المال ، فأنه أباح لنفسه من جهة ثانية امتلاك الأراضي الواسعة في العراق فقد « ... استخرج حسان النبطي ... لهشام ... كثيرا من أرض البطائح[١٠٤] » . ومع ان المصادر لا تشير الى مساحات

---

(٩٨) المقريزي ، شذور العقود ، ص١٧٦ .
(٩٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٣ .
(١٠٠) سبقت الاشارة الى دورين واحتمال كونها احدى قرى الجزيرة .
(١٠١) يضيف البلاذري (انساب الاشراف) ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٥٨ « ... كالمتقرب مما كان فعل » .
(١٠٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٥ ، والجهشاري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص٦٠-٦١ .
(١٠٣) انساب الأشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٥٨ .
(١٠٤) الماوردي ، علي بن محمد ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص١٧٩ .
والبطائح : أراضي واسعة في جنوب العراق غمرها الماء في اواخر الحكم =

الاراضي التي استخرجها حسان لهشام لكن ايراداتها العالية تدل على ان مساحتها كانت واسعة(١٠٥) . وكان هشام من الطمع بحيث استولى على موضع كناسة الكوفة ايضا ، فقد كتب اليه خالد القسري ، اثناء ولايته للعراق ، يطلب منه ان يُقطعها له ، فسأل عنها هشام فقيل له انها جيدة فأتخذها لنفسه(١٠٦) . وكان لرجل من أبناء ابي معيط(١٠٧) أرحاء بعكا فأراد هشام شراءها فرفض المعيطي بيعها ، فنقل هشام الصناعة من عكا الى صور وإتخذ بها فندقا ومستغلا(١٠٨) وكانت لهشام أيضا أملاك وأراضي بالرصافة قرب الرقة(١٠٩) ، تسقى بالواسطة وقد حفر لهما الهني والمري(١١٠) . ويذكر الجهشياري ، أن لهشام أملاكا بالاردن كان متقلدها إسحاق بن قبيصة(١١١) . ويذكر الأزدي ان لهشام قصراً بالموصل ، ولا يذكر

= الساساني وقد استخرجت منها أراضي خصبة تسمى الجوامد لبني أمية وغيرهم .
ابن خرداذبه (المسالك والممالك ، ص ص ٢٤٠-٢٤١) ، والبلاذري ، فتوح البلدان ، ص ص ٢٩٠-٢٩١ .

(١٠٥) يذكر الطبري (ج٧ ، ص ص ١٤٢-١٤٣) ان حسان النبطي زاد على فروخ مليون درهم « ... وتقبل ضياع هشام بن عبدالملك بموضع يقال له رستاق الرمان او نهر الرمان » ويبدو ان زيادة الضمان كانت عالية ، وهذا يدل على ان مساحتها كانت كبيرة ، كما ان النص يوحي ايضا بوجود ضياع غيرها لهشام وان كانت المصادر لا تشير اليها .
والجهيشاري ، المصدر نفسه ، ص٦١ .

(١٠٦) البكري ، عبدالله بن عبدالعزيز ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، ج٤ ، القاهرة ، ١٩٤٥م ، ص١٣٦ .

(١٠٧) ابو معيط : هو أبان بن أمية (الزبيري ، نسب قريش ، ج٤ ، ص١٣٥) .

(١٠٨) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ص ١٢٤-١٢٥ .

(١٠٩) الرقة : مدينة على الفرات على جانبه الشرقي من بلاد الجزيرة (ياقوت ، معجم البلدان ، مادة الرقة ، ج٣ ، ص٥٩) .

(١١٠) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ص ١٧٩-١٨٠ ، الزبيري ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٦٤ . الهني والمري : نهران بازاء الرصافة حفرهما هشام بن عبدالملك ، (ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٤١٩) .

(١١١) كتاب الوزراء والكتاب ، ص٦٠ ، ويذكر حتي (تاريخ العرب ، مطول ، ج٢ ص٣٣٩) ان الحفريات أظهرت قصرين لهشام ، احدهما في الجزيرة ، بين الرصافة وتدمر والاخر قرب أريحا في شرقي الاردن .

املاكا له غير هذا القصر في الموصل[112] .

يظهر مما اوردناه ان هشاماً كان جماعاً للاموال الخاصة والعامة . حتى رويت عنه حكايات يتصف بعضها بالمبالغة للدلالـــة على طمعه[113] ، ويذكر فلها وزن نقلاً عن ايزيدور المؤرخ الاسباني ، ان جمـع هشـام للامـوال بكثـرة ادى الى انصراف الناس عن تأييدهم لسلطانة ، ويستطرد الى القول ان حكم هشام كان حكما طويلا مملوءا بالجد والعمل ، اذا قورن بغيره ، لكنه لم يكن محبوبـاً من أحد ، وقد فشل فشلا كبيرا في كل شيء ، ثم ترك وراءه تلك الدولة الشاسعة الاطـراف في حال أسوأ وأقرب الى اليأس مما كان وجدها[114] .

ويبدو مما سبق ان فلها وزن يُحمّل هشاماً تبعة أغلب الأمور السيئة ، والتي لم تكن له يد في اكثرها ، وربما كان لتبدل سمات العصر وانتشار المبدأ الخارجي في أفريقية والدعوة العباسية في المشرق ، والقدر في الشام[115] ، مضافاً الى ازدياد قوة الأعداء الخارجيين كالبيزنطيين في الأناضول والبحر المتوسط ، والفرنجـة في جنوب فرنسا كل ذلك ربما كان من عوامل انهيار الدولة واذا كان هشام قـد أخطأ في جمعة للاموال ، فلم يكن جمعه لها ، العامل الرئيس فيما تعرضت له الدولة من اخطار هزتها هزاً عنيفاً ، من الداخل والخارج . وكان هشام يعتقد ان المال أساس قوة الدولة ، فأسرف في جمعه والمحافظة عليه ، مما أدى الى إزدياد تذمر السكان ، ولا يسعنا أيضا ، ان نعفي هشاماً من مسؤوليته ، كرئيس للدولـة ، اتجاه الوضع السالف الذي ساهم فيه مساهمة فعالة .

وربما لم تكن الامور لتسير سيرها الذي كانت سائرة عليه لو اقتصر الامر على الأسراف في جمع المال ، ولم يكن هشام أسوء ممن سبقه ، لكن اختلاف سـمات

---

(112) تاريخ الموصل ، ص24 .

(113) يذكر ابن عبد ربه (ج5 ، ص ص180-181) ان هشـاماً دخل بستانـاً لراهب وأكل من ثمار البستان فأعجبه فطلب من الراهب ان يهبه البستان فامتنع الراهب ، وقال له وددت ان يموت النـاس جميعـاً ، الا انت يعني بذلك طمع هشام وانانيته .

(114) تاريخ الدولة العربية ، ص337 .

(115) تاريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف ، ص ص452-453 .

المصر ، التي أشرنا الى بعضها ، خلال حكم هشام الطويل نسبيا ، كان لها الدور الكبير في إسقاط دولة الأمويين ، ولم يكن الأمر مقصورا على هشام او غيره من الخلفاء الأمويين •

٣ ـ قيادته للحملات الحربية :ـ

لا تحدثنا المصادر عن غزوات قادها هشام ، او اشترك فيها عندما كان أميرا، ومع ذلك فقد ورد ما يشير الى انه غزا مرة واحدة ، قال الطبري « ••• وفي هذه السنة (٨٧هـ) غزا مسلمة بن عبدالملك أرض الروم ••• وقيل ان الذي غزا في هذه السنة هشام بن عبدالملك[١١٦] » •

ولا تذكر المصادر لهشام غزوة أخرى سوى ما ورد بالرواية السابقة والتي لا يذكر الطبري سندها ، وربما كان انصراف هشام عن الاشتراك في الغزو وقيادة الحملات السبب الذي دعا بعض المؤرخين ان يصفوه بالجبن[١١٧] ، مع انه كان يأخذ العطاء[١١٨] •

ولما تولى هشام الخلافة ، لم يشترك شخصياً في الحروب الخارجية الا مرة واحدة في أواخر سني خلافته على رواية البلاذري ، فقد استنجدت به ملطية لما غزاها الروم عام ١٢٣هـ وجاء الخبر على البريد ، عندها ندب هشام الناس الى ملطية ، ثم جاء الخبر برحيل الروم عنها فأخبر هشام رسول ملطية ذلك ، وأرسل مع الرسول خيلا لترابط بها « ••• وغزا هشام نفسه ثم نزل ملطية وعسكر عليها حتى بنيت ، فكان ممره بالرقة دخلها متقلداً سيفاً ، ولم يتقلده قبل ذلك في

(١١٦) تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٢٩ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٥٢٨ •

(١١٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٥ ، والمسعودي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٢٣ • والبلاذري ، أنساب الاشراف، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٦٢ •

(١١٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٢ •

(١١٩) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٩٠ •
ويذكر الاستاذ عثمان (الحدود الاسلامية البيزنطية ، ج٢ ، ص١٠٤) ، ما ذهبنا اليه ويكرر نص رواية البلاذري السالفة ، وان كان لا يشير الى مصدرها •

أيامه[119] » ، ويذكر ابن خياط ان الحملة المذكورة كـانت عام ١٢١هـ ، وان قائدها كان مسلمة بن عبدالملك « ••• وسار معه هشام حتى بلغ ملطية[120] » •

اما الطبري[121] ، وابن الأثير[122] ، فيشيران الى ان الحملـة المذكورة كانت عام ١٢١هـ ، وان قائدها كان مسلمة بن هشام وانه افتتح مطـامير[123] ، ولا يشيران الى وجود هشام مع الحملة ، وكذلك فعلا في حديثهما عن غزو عـام ١٢٣هـ[124] •

اما اليعقوبي فيذكر ان مسلمة بن هشام غزا ملطية عام ١٢١هـ ، ولايذكر هو الاخر شيئا عن وجود هشام في غزوتي عام ١٢١هـ ، ١٢٣هـ[125] • ولما كان مسلمة ابن عبدالملك قد توفي عام ١٢٠هـ ، او عام ١٢١هـ ، في الشام[126] ، فمن المرجح ان الذي قام بالغزو مسلمة بن هشام ، ولما كان هشام قد رافق حملة الغزو نحـو ملطية ، يترتب على ذلك ان رواية البلاذري ، هي المعول عليها ، اذ سبق ان أشرنا الى ان هشاماً اشترك في حملة ملطية عام ١٢٣هـ ، ولم يغزو هشام غير تلك الغزوة ، وأنّ كان يزود ، ولانه احيانا بنصائح اثناء حروبهم[127] •

٤ ـ موقفه من التعصب القبلي :ـ

كان من بين الاعمال التي قام بها هشام بعد توليه الخلافة عام ١٠٥هـ ، تعيين خالد بن عبدالله القسري واليا على العـراق ، ويحكي لنا الطبـري روايـة تعينه

---

(١٢٠) تاريخ خليفة بن خياط ، ج٢ ، ص٣٦٧ •
(١٢١) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٦٠ •
(١٢٢) الكامل ، ج٥ ، ص٢٢٩ ، ويكرر ذلك أيضا في ، ج٥ ، ص٢٤٠ •
(١٢٣) مطامير ، أحد الثغور الشامية (ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٤٨) •
(١٢٤) لا يذكر الطبري (ج٧ ، ص١٩٣) غزواً اسلامياً للروم عام ١٢٣هـ ، وكذلك ابن الاثير ، (ج٥ ، ص٢٥٢) •
(١٢٥) التاريخ ، ج٢ ، ص٣٢٩ •
(١٢٦) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٨ •
(١٢٧) يذكر ابن عبد ربه (ج٤ ، ص٢٦٠) ان هشاماً كتب الى واليه على خراسان لما امره بحرب الترك ، يحذره من ليالي البيات ، ويأمره باليقظة والاحتراس • ويذكر الطبري ايضا ، (ج٧ ، ص٢٩١) ، ان مروان بن محمد ، كان يقدم على هشام كل سنتين مرة ، ليقدم تقريرا عن ولايتيه أرمينية ، واذربيان ، والحالة على الحدود مع الاعداء •

وما رافقها من مدح لطاعة أهل اليمن[128] .

ولما كان المعزول ، عمر بن هبيرة الفزاري ، قيسياً متعصباً[129] ، فقد أتهم هشام بممالأته لليمانية في هذا التعين[130] . كما أُتهم هشام في تعيينه لنصر بن سيار الكناني ، بممالأته للقيسية[131] . وكان تعين الـولاة والجهـة التي ينتمون اليها ، هو الذي يحدد ميل الخليفة على ما يراه ، عدد من المؤرخين المعاصرين[132] .
اما في غرب الامبراطورية فقد أُتهم هشام بممالأته للقيسية ، عندمـا ولى عبيدة بن

---

(١٢٨) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص‌ص٢٦-٢٧ ، وابن الأثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٢٤ .

(١٢٩) يذكر الطبري ، ج٧ ، ص١٦ ، ان ابن هبيرة ، قال يوما لجلسـائه انـه « ... خير قيس لها ... لم يعرض لي امر أرى اني اقدر فيه على منفعة وخيرا الا جررته اليهم » ، ويذكر ذلك ابن الاثير ايضا ، ج٥ ، ص١١٥ .

(١٣٠) فروخ ، تاريخ صدر الاسلام ، ص١٧٤ ؛ وفلها وزن ، المصـدر نفسـه ، ص٣١٦ ، ومؤنس المصدر نفسه ، ص١٤٥ .

(١٣١) يذكر الطبري (ج٧ ، ص١٥٦) ان يوسف بن عمر ، والي العراق ، كتب الى هشام يمتدح القيسية ، ويطلب تعيين احد زعمائها ، واليا على خراسان فأجابه هشام « ... تقيست علي وانا متخندف عليك » ، ويذكر القلقشندي (نهاية الارب ، ص٢٤) ان بني خندف بطن من مضر من العدنانية .
ويذكر الطبري ايضا ، ج٧ ، ص١٥٦ ، ان هشاماً لما سأل عبدالكريم بن سليط عمن يصلح لخراسان ، ذكر له أسماء رجال من اليمانية فأعـرض هشام قال عبدالكريم « ... قلت في نفسي كره ربيعة واليمن فأرميـه بمضـر » .

(١٣٢) يرى مؤنس (فجر الاندلس ، ص١٤٣) ان هشاماً أراد ان يخفف من غلواء القيسية ، التي سيطرت زمن يزيد فعين خالد القسري على العراق وأخاه أسدا على خراسان وابقى بشر بن صفوان الكلبي على افريقية ، ولكن ميول هشام تغيرت ، بعد ذلك فمال الى القيسية ، فعزل خالدا وعين محله يوسف بن عمر الثقفي ونصر بن سيار الكناني ، وكنانة بطن من مضر كما يذكر القلقشـنـدي (نهاية الارب ، ص٤٠٨) ، كما ولى عبيدة بن عبدالرحمن السُلمي شمال افريقية قبل ذلك ، وبنو سلمى من العدنانية على ما يذكره القلقشندي ايضا (نهاية الارب ، ص٢٩٢) ويقول حسن ، (علي ابراهيم التأريخ الاسلامي العام ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص٣١٢) ان هشاماً اتبع سياسة التوازن بين اليمنية والمضرية .
ويرى فلها وزن (تاريخ الدولة العربية وسقوطها ، ص٣١٦) ان اول عمل قام به هشام ان كسر شوكة القيسيين ، فعين خالدا القسري على العراق .

عبدالرحمن السُلمي أفريقية عام ١١٠هـ ، ذلك ان عبيدة « ... أخذ عمالَ بشر فحبسهم وأغرمهم وتحامل عليهم وعذّب بعضهم وكان فيهم ابو الخطار بن ضرار الكلبي .... فقال :ـ

أفـادت بنو مـروان قيسـا دماءنـا — وفي الله ان لم يعدلوا حكم عدل
وقيناكـم حرالقنـا بصدورنـا — وليس لكم خيل سوانا ولا رجل
تغافلتـم عنـا كـأن لم نكن لكـم — صديقاً وانتم ما علمت لنا وصل

وأرسل الأبيات الى الأبرش الكلبي ، كاتب هشام ، فلما قرأها هشام عـزل السُلمي[١٣٣] .

كان هشام لا يتردد عن عزل الوالي اذا شكاه الناس ، فقد عزل سعيدا أبنه عن حمص ، لما شكاه أحد الحمصيين ، على ما سنذكره ، وربما كان تعصب السلمي للقيسية وشكوى الناس منه من بين ما دعا هشام لعزله ، فلو كان راضيا عن عصبية السلمي لما عزله[١٣٤] . وكان هشام يعتز بنفسه ، فلما أشترى أحد اولاده نصف أراضي البديع في فدك من رجل مخزومي ، وكان في غـزاة ، وأطعم المخزومي الجيش بثمن تلك الأرض ، وسـمع هشـام ، فغضب على إبنـه ووبخـه ، قال البكري ، « ... فلما رجع ابن هشام من غزاته قال له أبوه قبح الله رأيك ، أنت ابن أمير المؤمنين وأمير الجيش ، تصيب الناس معك مجاعة فلا تطعمهم ، ويبيعك رجل سوقة ماله ويطعمهم[١٣٥] » . وكان هشام يعتز بقومه من قريش ، فقد قال

---

(١٣٣) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص ص١٠٥ـ١٠٦ ، ويذكر ابن القوطية (تاريخ افتتاح الاندلس ، بيروت ، ١٩٥٨م ، ص ص٤٣ـ٤٤) بعض الابيات باسلوب اخر كما يذكر ان الابيات ارسلت الى هشام نفسـه ، ومؤنس ، فجـر الاندلس ، ص١٤٣ .

(١٣٤) يرى مؤنس (فجر الاندلس ، ص١٤٣) ان تعيين السلمي كان تعصبـا قيسيا من هشام . ويذكر البلاذري (انساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٦٤) ان الفرزدق هجا خالدا القسري ، لما حفر خالد النهر المبارك ، فلما سمع هشام ذلك الشعر ، قال « قاتلهم الله اذا جاءت الحقائق نصر بعضهم بعضا » .

(١٣٥) معجم ما استعجم ، ج١ ص ص٢٣٢ـ٢٣٣ ، وقد وصف هشام ، المخزومي بالرجل السوقة مع ما لا خواله من منزلة عنده ، وربما ذلك لاعتزاز هشام بنفسه .

للأبرش الكلبي « ... يا أبرش لعن الله من زعم ان قومي هلكوا ، ابن عروة يتهددني بالمدينة[136] ، وهذا[137] يشتم أبائي في وجهي = قد كان قائل قال له ، هلكت قريش بالمدينة[138] » .

ويذكر الطبري ان ابراهيم بن محمد بن طلحة ، طلب من هشام ان يرد عليه داره ، ووصف اباه واخوته بالظلم ، فلما تهدده هشام لم يأبه لتهديده ، فقال هشام للأبرش « ... كيف سمعت هذا اللسان ؟ قال ما أجود هذا اللسان ، قال هذه قريش والسنتها ولا يزال في الناس بقايا ما رأيت مثل هذا[139] » ، وكان ذلك عام ١٠٦هـ ، اثناء حج هشام . ومن غير الضروري ان تحمل أقوال هشام السالفة محمل التعصب .

لكن الولاة والنافذين لم يتركوا عصبيتهم أيا كانت الجهة التي يتعصبون لها ، فأتهم هشام بتأييده لتلك العصبية ، ولم يكن بمقدوره ، ان يعمل أفضل مما عمل ، الا اذا أراد أن يطبق مبادىء الاسلام ، كما وردت في القرآن والسنة وسيرة الراشدين ، ويختار ولاته وقادة جيوشه ، من بين من عرفوا بتأييدهم لتلك المبادىء والسيرة ، ولم يكن ذلك من اهداف هشام ، ولا من سياسة الخلفاء الامويين عامة ، بأستثناء عمر بن عبدالعزيز .

٥ ـ كتاب هشام :ـ

كان الكتاب في ذلك العهد يقومون مقام الوزير في الغالب ، فكان بعضهم يختص بديوان الخراج ، او الرسائل ، او الصدقة ، وما الى ذلك ، وكان سعيد بن عمرو بن

---

(١٣٦) يذكر الزبيري (نسب قريش ، ج٧ ، ص٢٤٦) نص قول ابن عروة ، وهو عبدالله بن عروة بن الزبير بن العوام .

(١٣٧) يقصد بهذا ، ابراهيم بن محمد بن طلحة ، والذي اشرنا الى رواية الطبري عنه وهي التالية لكلامنا بالمتن .

(١٣٨) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش وأخبارها ، ج١ ، القاهرة ، ١٣٨١هـ ، ص٢٧٣ .

(١٣٩) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٣٦ .

(١٤٠) يذكر الاصفهاني (ج٢ ، ص٣٤٢) ان هشاماً طلب من الأبرش ان يزوجه امرأة من كلب فزوجه الأبرش أخت زوجته .

جبلة الكلبي الأبرش[١٤٠] كاتب هشام والغالب عليه[١٤١] .

فيحدثنا الطبري ، ان هشاماً رفض ان يوافق على شروط الصلح بين السغد والمسلمين ، التي عقدها نصر بن سيار ، والي خراسان ، فلما كلمه الأبرش بذلك وافق على تلك الشروط[١٤٢] .

وكان سالم بن عبدالرحمن ، مولى سعيد بن عبدالملك ، كاتبه على الرسائل ويعاونه بعمله المذكور بشر بن ابي دلجة[١٤٣] ، ومع ما يُقال من ان سالماً كان ضعيفاً كثير الغلط[١٤٤] ، فمن المؤكد انه كان من البلغاء[١٤٥] ، الذين اشتهروا بالكتابة[١٤٦] . والا لما استعمله هشام على الرسائل ، وكان سالم يتجاوز مركزه أحياناً ، فقد سار مرة في موكب فمنعه هشام[١٤٧] ، كما كان يسير مع هشام في الموكب فاذا جاء الرجل الغريب يوقفه سالم ، ويسأله حاجته « كأنه هو آمر هشاماً[١٤٨] » ، ويذكر الكندي ان سالماً كان يقرأ الكتب لهشام فلا يُدخل منها عليه ، الا ما يسره ، واذا أخفى سالم أمراً وعلم به هشام ، كان ذلك مدعاة

---

(١٤١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص١٨١ ، والجهشياري ، المصدر نفسه ، ص٥٩ ، واليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٢٨ .

(١٤٢) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٩٢ .

(١٤٣) الجهشياري ، المصدر نفسه ، ص٦٢ ، ويذكر الطبري ، ج٧ ، ص١٤٨ ، ان اسمه بشير ابن ابي ثلجة ، والبلاذري ، انساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٥٧ .

(١٤٤) الجاحظ ، عمرو بن بحر ، رسائل الجاحظ ، ج٢ ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص٢٠٢ .

(١٤٥) ابن النديم ، الفهرست ، القاهرة ، ١٣٤٨هـ ، ص١٧١ .

(١٤٦) البلاذري ، انساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٥٩ ، وابن الآبار ، محمد بن عبدالله القضاعي ، اعتاب الكتاب ، دمشق ، ١٩٦١م ، ص٦٢ ، ويذكر ايضا ، ص٦٢ ، لما وشي بسالم عند هشام أجابهم .

يديرونني عن سالم واديرهم   وجلدة بين العين والانف سالم

ويستبعد ان يكون هذا البيت لهشام ، لانه لم يكن شاعرا ، وربما قيل هذا البيت على لسان هشام ، لما كان لسالم من منزلة عنده .

(١٤٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٢ .

(١٤٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٢ ، ويذكر البلاذري (انساب الأشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٥٩) ، ان سالماً كان عظيم القدر عندهشام .

لغضبه[١٤٩] • ولربما كان ذلك حرصاً من هشام على مصلحة المسلمين ورغبته في معرفة الأخبار سيئها وحسنها • وكان الحُصين بن قيس من كتاب هشام[١٥٠] • وقد إستعمل هشام أهل الذمة احيانا ، في تسيير شؤون الدواوين ، فقد كان تازين بن أسطين متقلداً لديوان حمص[١٥١] • وكان جنادة بن ابي خالد يكتب لهشام على الطراز واسمه موجود على الثياب الهاشمية [١٥٢] • وقلد هشام إسحاق بن قُبيصة ابن ذؤيب ديوان الصدقة ، ويبدو انه قلد اسحاق بعدئذ ضياعة بالاردن وأسمه مكتوب بالفسيفساء على أحد القصور بعكا[١٥٣] •

وكان لهشام كُتاب بالرصافة ، قال الطبري « ••• وكان من كُتابه بالرصافة شُعيب بن دينار[١٥٤] » • وكان الربيع بن سابور على الخاتم فولاه الحرس[١٥٥] • ويبدو أن الأشراف على ديواني الخراج والجند كانا لأسامة بن زيد ثم عزله هشام

---

(١٤٩) كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص‌ص٧٩ــ٨٠ •

(١٥٠) الحموي ، ياقوت بن عبدالله ، معجم الادباء ، ج٣ ، القاهرة ، ١٩٢٧م ، ص٢٢١ •

(١٥١) الجهشياري ، المصدر نفسه ، ص٦٠ •

(١٥٢) هكذا ورد عند الجهشياري ، ص٦٠ ، ولعله تصحيف ، وربما كان الصحيح الثياب الهشامية نسبة الى هشام •

(١٥٣) الجهشياري ، المصدر نفسه ، ص٦٠ ، ويذكر أيضاً ، ص٦١ ، ان هشاماً كتب الايُستعان بذمي ولما كانت بقية الرواية تشير ان ذلك كان قبل ولاية سعيد الحرشي لخراسان (١٠٣ــ١٠٤هـ) فان الكتاب صدر قبل ان يلي هشام الخلافة ومن المرجح انه صدر في خلافة عمر بن عبدالعزيز •

(١٥٤) تاريخ الرسل والملوك ، ٦ : ١٨١ •
ويذكر البلاذري (انساب الأشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٥٨) انه كان لهشام كاتب ويسميه سليمان بن سعد يدخل عليه البريد ، ويبدو انه لم يكن متأكداً من ذلك ، فيقول « دخل سليمان بن سعد •• او ابنه على هشام ومعه كتب يريد عرضها فقال له هشام اخرها فاني محموم وناوله يده ••• قال ما ارى بكم حمى فقال يا ابن اللخناء ••• وامر بعزله عن الديوان » وربما كان ذلك اشارة لعدم اخلاص بعض الكتاب للخلافة •

(١٥٥) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٧٩ •
لكن البلاذري (أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٥٦) يذكر ان الربيع كان على الحرس ثم ولاه هشام الخاتم •

وولاهما لعبيدالله بن الحبحاب[١٥٦] مولى بني سلول فلما ولاه مصر « ... صيّر مكانه على ديوان الخراج والجند سعيد بن عقبة مولى بني الحارث بن كعب[١٥٧] ».

اما بيوت الاموال فكان عليها عبدالله بن عمرو بن الحارث ، وعلى الخاتم الصغير والخاصة[١٥٨] إصطخر أبو الزبير مولاه[١٥٩] .

ولهشام حرس خاص يشرف عليه احد مواليه ، واسمه نُصير فعزله بعد ثلاث سنين من خلافته ثم ولى الحرس للربيع بن سابور ، مولى بني الحريش[١٦٠].

اما الشرط فولاها هشام لكعب بن حامد العبسي ثلاث عشرة سنة ، ثم ولاه أرمينية ، وولاها بعده ليزيد بن يعلي بن ضخم العبسي[١٦١] .

٦ - اهتمامه بحلبات السباق :-

كان هشام محباً للخيل معجباً بها[١٦٢] ، وكان هذا الأعجاب لا يقتصر على هشام وحده ، فقد تنافس أبناء عبدالملك بعدوفاته على فرس تركي أصيل ، ربما فضلوه على

---

(١٥٦) لا يشير البلاذري (أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٥٦) الى اسمه ويسميه ابن الحبحاب فقط ، أما ابن خياط ، (ج٢ ، ص٣٧٩) فيسميه عبيدة ، ولعله تصحيف والصحيح ما اشتباه في المتن .

(١٥٧) البلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٥٧ ، وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٧٩ .

(١٥٨) يبدو ان هناك ديوانا خاصا لاملاك الخليفة يشرف عليه احد مواليه .

(١٥٩) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٧٩ .

(١٦٠) البلاذري ، أنساب الأشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٥٧ ، وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٧٩ .

(١٦١) البلاذري ، أنساب الأشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٥٧ ، وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٧٩ .

وعلى ما تشير اليه رواية البلاذري السالفة فان تعيين كعب بن حامد العبسي على ارمينية كان بعد عزل الجراح بن عبدالله الحكمي وعلى ما سيأتي فان الجراح ولي ارمينية مرتين ، عزله هشام في اولهما عام ١٠٧هـ كما يذكر ابن الاثير ، (الكامل ، ح٥ ، ص ص١٣٧-١٣٨) وولى مكانه مسلمة أخاه وفي الثانية عين الحكمي عام ١١١هـ ، كما يذكر الطبري (ج٧ ، ص٦٧) وقُتِل في حروبه مع الخزر عام ١١٢هـ ، (طبري ، ج٧ ، ص٧٠) .

وعلى ما يبدو فان روايتي البلاذري ، وابن خياط السالفتين تبدوان بعيدتان عن التدقيق ، في تحديدهما لتأريخ عزل كعب بن حامد عن الشرط .

(١٦٢) الجهشياري ، المصدر نفسه ، ص٥٨ .

سائر تركته[١٦٣] . وقد كان هشام يهتم بالخيول الأصيلة ويجمعها خاصة المشهورة منها[١٦٤] ، العربية والتركية[١٦٥] . ويغضب هشام اذا نافسه أحد في جمع الخيول الأصيلة[١٦٦] ، حتى ان احدهم ، لما أراد الكيد لعمر بن هبيرة ، والي العراق (١٠٢–١٠٥ هـ)[١٦٧] ، جمع خيولا أصيلة وعارض بها موكب هشام ، فلما سأل عنها قيل له ، هي لابن هبيرة ، فظهر الغضب على وجه هشام ، واستدعى ابن هبيرة ، وسأله عن الخيل ، فلما رأى ابن هبيرة غضب هشام ، وعرف السبب ، استنتج ان مؤامرة قد حيكت ضده ، لاغضاب هشام عليه ، فقدم الخيل هدية الى هشام[١٦٨] ، ويظهر ان ذلك كان من بين اسباب رضا هشام عنه « ... واقباله عليه[١٦٩] » .

وكان هشام يتقبل الهدايا من الخيل[١٧٠] . ويقيم حلبات السباق لها ، ويصلح الطرق ويوسعها لاجل ذلك[١٧١] ، فاجتمع له من الخيل أربعة آلاف فرس في سباق واحد ولم يجتمع مثل ذلك لاحد غيره ، في جاهلية ولا اسلام ، حتى خشي الناس ان تطأ الخيل بعضها بعضا[١٧٢] .

وكان هشام يفرح كثيرا اذا فازت خيله في السبق ويطلب من الشعراء وصف

---

(١٦٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٥ .
(١٦٤) القالي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٨٤ .
(١٦٥) الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ج٢ ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص٢٤٣ .
(١٦٦) الجهشياري ، المصدر نفسه ، ص٦٠ .
(١٦٧) الجهشياري ، المصدر نفسه ، ص‌ص٥٩–٦٠ ، والبلاذري ، أنساب الاشراف المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٦٩ ، وابن نباته ، المصدر نفسه ، ص‌ص٢٩٤–٢٩٥ .
(١٦٨) الجهشياري ، المصدر نفسه ، ص٦٠ .
(١٦٩) ايضا ، ص٦٠ ، وتاريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف ، ص‌ص٤٠٤–٤٠٥ .
(١٧٠) ياقوت ، معجم الادباء ، ج٤ ، ص١١٦ .
(١٧١) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٦٤ .
(١٧٢) المسعودي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢١٧ ، وياقوت ، معجم الادباء ، ج٤ ، ص١١٦ .

الفرس او الحصان الفائز[١٧٣] • واذا خسرت خيله السباق كان ذلك مدعاة لغضبه ، وربما تبدلت طباعه[١٧٤] •

٧ ـ مجلس هشام :ـ

كان هشام بن عبدالملك يجلس لوفود العرب ، فقد كانت الأعراب تَفِد على هشام كل عام وتخطب بين يديه طلباً للمال وغيره[١٧٥] • وتذكر لنا المصادر بعضاً من وفود الأقاليم كالعراق[١٧٦] ، والحجاز[١٧٧] • وتفد ايضا وفود من أهل مكة[١٧٨] ، وأهل المدينة[١٧٩] • وربما زاره جماعة من بني هاشم[١٨٠] ، وتعقد لذلك المجالس ، وقد يفد أشخاص على هشام لطلب المال[١٨١] ، او لرفع مظالمة[١٨٢] •

---

(١٧٣) ابن عبد ربه ، المصدر ، ج١ ، ص١١٣ ، وابنقتيبة ، الشعر والشعراء ، بيروت ، ١٩٦٤م ، ص٥٠٤ •

(١٧٤) يذكر الاصفهاني ، الاغاني ، ج١١ ، القاهرة ، ١٩٣٨م ص‌ص١٩٣ـ١٩٤ ، رواية عن شيخ كبير السن ، من الانصار ، قَدِم على هشام وطلب منه ان يفرض له العطاء وكانت خيل هشام قد خسرت السباق ، وقيل للشيخ لا تكلم هشاماً الان ، لكنه كلمه فرفض هشام الطلب واقسم الا يفرض له الا بعد سنة ، وقال للابرش ان الشيخ قد أخطأ المسألة اي ان الوقت غير ملائم لطلبه•

(١٧٥) ابن عبد ربه ، المصدر نفسه ، ج٤ ، ص‌ص١٨ـ١٩ •

(١٧٦) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٣٦ •

(١٧٧) ابن عبد ربه ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٨٢ •

(١٧٨) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٨ ، القاهرة ، ١٩٣٥م ، ص٢٦٩ ، ج١ ، القاهرة ، ١٩٥٠م ، ص٣٠٣ •

(١٧٩) وفد على هشام أهل المدينة ، وقد أذن لهم مسلمة بن هشام لما حج عام ١١٩هـ ، كما يذكر الاصفهاني (الاغاني ، ج١٨ ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص٣٢٥) •

(١٨٠) ابن عبد ربه ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص‌ص٣٢٨ـ٣٢٩ ، واخبار الدولة العباسية ، لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري ، بيروت ، ١٩٧١م ، ص١٤١ ، والبلاذري ، أنساب الأشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٦٣ •

(١٨١) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص‌ص١٨٩ـ١٩٠ •

(١٨٢) يذكر ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص‌ص١٠١ـ١٠٢ ، وفود زيد بن علي بن الحسين على هشام لاختلافه مع ابناء عمه الحسن حول بعض الارث ، وعرض الامر على هشام •

وكان بنو أُمية يحضرون مجلس هشام[١٨٣] ، كما يحضر مجلسه ونزهاته غيرهم[١٨٤] ، وكانت نزهات هشام بالرصافة ، مشهورة عند الناس[١٨٥] .

وكان الشعراء والخطباء يحضرون أيضا لمدح الخليفة في المناسبات ، لتهنئته بالخلافة[١٨٦] ، او لسبق خيوله[١٨٧] ، او غير ذلك[١٨٨] .

وربما جلس هشام مجالس للسمر وعظه فيها إعرابي او غيره[١٨٩] . وتذكر لنا المصادر بعضاً من المجالس الخاصة والتي لا يحضرها الا المقربون من بني أمية وغيرهم[١٩٠] ، او بعض الشعراء[١٩١] ، أو الرواة[١٩٢] .

---

(١٨٣) ويذكر ابن عبد ربه ، ايضا ، ج٤ ، ص٩٥ ، ج٥ ، ص١٨٣ ، بعض مجالس بني أمية عند هشام .

(١٨٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص٢٠٥-٢٠٦ .

(١٨٥) ابن خاقان ، الفتح بن محمد ، قلائد العقبان في محاسن الأعيان ، مصورة عن طبعة باريس ، تونس ، ١٩٦٦م ، ص٥٧ .

(١٨٦) الأصفهاني ، المصدر نفسه ، ص٩٥ .

(١٨٧) ابن عبد ربه ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص‌ص١١٣-١١٤ .

(١٨٨) يذكر الاصفهاني ، (ج١ ، ص‌ص٢٩٣-٢٩٤) وفود الشاعر الاموي عبدالله بن عمر العبلي لطلب المال من هشام .
ويذكر الأصفهاني أيضا (ج٤ ، ص‌ص٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤) ان اسماعيل بن يسار دخل على هشام ، فاستنشده هشام فانشد قصيدة مدح بها العجم فعاقبه هشام وطرده . ويذكر الاصفهاني ايضا (الاغاني ، ج١٧ ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص‌ص١٠-١٥) ان الكميت الشاعر هرب من العراق من السجن ، والتحق بالشام لطلب العفو من هشام وقد مدحه بابيات من الشعر وبعض النشر .

(١٨٩) ابن عبد ربه ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤٥ ، وياقوت ، معجم الادباء ، ج٤ ، ص‌ص١٦١-١٦٤ ، والاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص‌ص١٣٦-١٤٠ . وابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج٢ ، ص‌ص٣٤١-٣٤٢ .

(١٩٠) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص‌ص١٨٩-١٩٠ .

(١٩١) ابن عبد ربه ، المصدر ، ١ ، ٢٢٢-٢٢٣ .

(١٩٢) يذكر الاصفهاني ، الاغاني ، ج٦ ، القاهرة ، ١٩٣٥م ، ص‌ص٧٥-٧٧ ، أن هشاماً استقدم حماد الراوية من العراق ، بعد سنة من خلافته فأرسله يوسف بن عمر ، ويُستبعد ذلك ، وربما ارسله خالد القسري ، ومع ذلك فان الاصفهاني ايضا (ج٧ ، ص٤٥) يكرر نفس الرواية مع الوليد بن يزيد =

وكان مجلس هشام يضم ، أحياناً ، بعض المحدثين وأهل الورع ، كالزهري، وابي الزناد[١٩٣] ، وغيرهما ، وربما كان المجلس يُعقد للمناظرات الدينية أحياناً، والتي تحولت الى محاكمة ، كالمناظرة التي دارت مع غيلان الدمشقي[١٩٤] . وربما كان حديث المجلس يدور أحيانا ، حول الطعن بولي العهد الوليد بن يزيد[١٩٥] .

وكانت دار الضيافة منزلاً للغرباء ، ووفود الأمصار ، وأصحاب البُرد وغيرهم ، وربما إحتاج هشام الى سؤال بعضهم . فقد سأل مقاتل بن حيان عمن يصلح لولاية خراسان[١٩٦] ، بعد موت أسد بن عبدالله القسري ، وكان ينزل دار الضيافة[١٩٧] .

وكان هشام يمزح مع جلسائه ، أحياناً ، وتذكر لنا المصادر روايات متعددة عن مزاحه[١٩٨] ، كما كان يحب سماع الغناء ، ويطرب لذلك[١٩٩] ، ويجلس

= الذي ولي لخلافة بعد هشام ، وهو الارجح ، فلم يكن من طبع هشام معاقبة من انقطع الى اخيه يزيد ، كما تشير الرواية ، الى ان حماد اختفى خوفا من هشام .

(١٩٣) يذكر ابن عبد ربه (ج١ ، ص٤٥ ، ج٥ ، ص١٨٨) ، بعضاً من هذه المجالس وبعض من يحضرونها .
والاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١١ .
الزهري ، هو محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب الزهري ، ابو الزناد ، هو عبدالرحمن بن ذكوان .

(١٩٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٣ .
وابن عبد ربه ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٩٣ ، وقد قُتل غيلان لانه قدريا .

(١٩٥) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ص٤ـ٥ ، وابن عبد ربه ، المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٩٥ ، ج٥ ، ص١٨٣ .

(١٩٦) كان مقاتل بن حيان صاحب السغد ، فقدم على هشام بعد عقد الصلح مع المسلمين كما يذكر الطبري ، ج٧ ، ص١٩٣ .

(١٩٧) أيضا ، ج٧٩ ، ص١٩٣ .

(١٩٨) يذكر ابن قتيبة (عيون الأخبار ، ج٤ ، ص١٠٠) رواية عن مزاح هشام مع الأبرش الكلبي عن نساء كلب ، ويذكرها ايضا ابن عبد ربه ، (ج٤ ، ص١١٠) ويكررها ابن عبد ربه ايضا (ج٧ ، ص١٣٥) .
ويذكر الأصفهاني (ج٢ ، ص٢٠٨) ان ابن عائشة ، المغني الشهير ، غنى ١٠٦هـ ، اثناء الطواف فحبس الناس والأبل ، فأراد هشام معاقبته ، لكنه عفا عنه لما سمع من حسن اجابته ومزاحه . =

مجالس خاصة لسماعه ، وتوضع ستارة بينه وبين الندماء لئلا يظهر منه بعض ما يكره[٢٠٠] • مع ان المسعودي يشير الى محاسبة هشام لنفسه ، وغالبا ما يردد البيت التالي اذا هم بأمر ، يتصوران فيه ما يقلل من قيمته عند الناس •

اذا انت طاوعت الهوى قادك الهوى الى بعض ما فيه عليك مقال[٢٠١]

وربما قضى هشام بعض وقته في لعب الشطرنج مع بعض خواصه[٢٠٢] ، او سماع القصص ، او سماع بعض المضحكين[٢٠٣] ، كما سبق وان أسلفنا •

٩ ـ نبذ عن حياته الخاصة :ـ

أ ـ بخل هشام

وصف هشام بالبخل وجمع المال[٢٠٤] ، قال الجاحظ « ••• كان هشام يقول

= ويذكر البيروني (محمد بن احمد ، كتاب الجماهير في معرفة الجواهر ، حيدر آباد ، ١٣٥٥هـ ، ص١٥٢) ان هشاماً أهدى الدرة اليتيمة ، لاحدى نسائه وكان يمازحها •

(١٩٩) يذكر الاصفهاني ، (ج٢ ، ص‌ص٣٤٢ـ٣٤٣) ان هشاماً حج « ••• وعديله الابرش الكلبي فوقف له حُنين بظهر الكوفة ومعه عوده وزامر له ••• ، فلما مر به هشام عرض له ، فقال من هذا ؟ فقيل حنين ، فأمر به فحُمِل في محمل على جمل وعديله زامره ، وسير به امامه وهو يتغنى ••• فأمر له هشام بمائتي دينار وللزامر بمائة دينار » •

(٢٠٠) الجاحظ ، عمرو بن بحر (المنسوب) ، كتاب التاج في أخلاق الملوك ، القاهرة ، ١٣٢٢هـ ، ص١٥٢ •

(٢٠١) مروج الذهب ، ج٣ ، ص‌ص٢٢١ـ٢٢٢ ، وتشير الرواية السالفة ان هشاماً طلب من الأبرش ان يمازح احدى الجواري ، فذكرت أشعب ، فسألها هشام فقالت لاهياً بالمدينة فكتب هشام باستقدامه لكنه عاد وأمر بعدم أرسال الكتاب وذكر البيت السابق •
ويذكر البلاذري (أنساب الأشراف ، المخطوطة ج٧ ، ص٥٥٨) ، ان الأبرش الكلبي عارض في أرسال الكتاب الى أشعب لكن ذلك يستبعد من الأبرش وربما كانت رواية المسعودي السالفة هي الراجحة لانها تلائم طبع هشام •

(٢٠٢) يذكر البلاذري (أنساب الأشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٥٨) ان هشاماً كان يلعب الشطرنج مع الأبرش الكلبي وكان يوشك ان يغلبه عندما استأذن الحاجب لاحد اخوال هشام •

(٢٠٣) ايضا ، ج٧ ، ص٥٥٨ •

(٢٠٤) الزبيري ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٦٤ ، والمسعودي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢١٧ • والمقريزي ، شذور العقود ، ص١٧٦ ، واليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٢٨ ، واماني المرتضى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٦١ •

ضع الدرهم على الدرهم يكون مالا[205] » .

وقيل ان هشاماً جمع من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبله[206] ، لشدة بخله[207] .

وتذكر لنا المصادر روايات عن بخل هشام ، فقد كان له قباء أخضر كان يلبسه أميرا وخليفة[208] ، ودخل بستان له فيه فاكهة مع أصحابه ، فجعلوا يأكلون من ثمره ، فأمر غلامه بقلع الأشجار وزراعة الزيتون محلها لئلا يأكل منه أحد[209] .

ولما وفد على هشام أهل البادية لقحطها أعطاهم مائة الف درهم ، وأمر للمتكلم منهم بمثلها فقال له المتكلم ردها الى جائزة العرب لخشيته من عدم كفاية جائزة الخليفة للجميع[210] .

كما رفض هشام طلب أحد مواليه باضافة عشرة دنانير الى عطائه[211] ، وكانت جوائز هشام للشعراء قليلة ، وليست كما اعتادوا من أسلافه ، فقد أعطى الشاعر ابا النجم خمسمائة دينار[212] ، ولما مدح الشاعر الراعي هشاماً وقال :

رجاءك انساني تذكر أخوتي ومالك أنساني بحرسين مالي

وصفه هشام بالحمق ولم يعطه شيئاً[213] .

ويروي لنا الطبري ، ان هشاماً أعطى مقاتل بن حيان مائة الف درهم من بيت

---

(٢٠٥) الجاحظ ، عمرو بن بحر ، البخلاء ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص١٥ .
(٢٠٦) القرماني ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٠٠ .
(٢٠٧) ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا ، الفخري في الاداب السلطانية ، بيروت ١٩٦٠م ، ص١٣٢ .
(٢٠٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠١ .
(٢٠٩) الجاحظ ، البخلاء ، ص١٥٠ .
(٢١٠) ابن منقذ ، المصدر نفسه ، ص ص٣٥٣ـ٣٥٤ .
(٢١١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٣ .
(٢١٢) ابن عبد ربه ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٢٣ .
(٢١٣) ويذكر البكري ايضا (ج٢ ، ص٤٣٨) ، ان حرسان ، جبل في ديار بني عبس وقال الزبير حرسان وادي بعجلان .

مال خراسان، لما بَشّر هشام بقتل خاقان[٢١٤] وانتصار المسلمين على الترك[٢١٥].

وخاطب هشام أحدهم مبررا بخله وحرصه على المال فقال : « ... اما ما ترون من جمعي هذا المال وصونه فانه لكم[٢١٦] » .

وقال هشام يخاطب أحدهم ، وقد رفض ان يضيف الى عطائه عشرة دنانير « ... العبادة أحدثتها فنعينك عليها ام لبلاء حسن أبليته عند أمير المؤمنين ، اذ يكثر السؤال ولا يحتمل بيت المال ذلك[٢١٧] » .

ولما أعطى هشام محمد بن الجهم العدوى القرشي ثلاثة الاف دينـــار وقد عَرِفَ هشـــام السبب الذي من أجلـه طلبها محمــد بن الجهم ، قــال هشــام : « ... أما والله أنا لنعرف الحق اذا نزل ، ونكره الأسراف والبخل ، وما نعطـي تبذيراً ، ولا نمنح تقتيراً ، وما نحن الا خُزان الله في بلاده ، وأمناؤه على عباده ، فاذا أذن أعطينا واذا منع أبينا ، ولو كان كل قائل يصدق وكل سائل يستحق ما جبهنا قائلاً ولا رددنا سائلاً[٢١٨] » .

وأجزل هشام العطاء لحاد حداه ، فاعطاه عشرين الف درهم ، وان كانت بقية الرواية تشير ، ان الحادي ذكر ذلك للمنصور طمعا بجائزته[٢١٩] .

ويذكر الأزرقي انه كان لهشام ، وهو خليفة ، شراب في أسوقة محمضــة ومحلات يسقى بها الحجاج في الموسم في فسطاط على المروة ، في الموضــع الذي

---

(٢١٤) خاقان : ملك الترك فيما وراء نهر جيحون .

(٢١٥) ويضيف الطبري (ج٧ ، ص١٢٦) الى ذلك ان مقاتل ذكر لهشـــام ، ان المهلب بن ابي صفرة ، أخذ المبلغ المشار اليه في المتن من أبيه حيان ، فأمر هشام برده اليه ، وقام مقاتل بتوزيعه على ورثة أبيه حسب الشـــرع . ويذكر ابن كثير (البداية والنهاية ، ج٩ ، ص٣٢٣) ان هشاماً أطلق للوفد الذي جاء بالبشارة مع مقاتل بن حيان اموالا لكن الطبري لا يشير الى غير ما ذكرنا .

(٢١٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠١ .

(٢١٧) المرتضى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ص٢٦١-٢٦٢ .

(٢١٨) ابن عبد ربه ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦٨ ، وابن منقذ ، المصدر نفسه ، ص١٢٢ . والقالي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٤٧ .

(٢١٩) الاصفهاني ، المصدر ، ج١٥ ، ص٣١ .

يسقى فيه الماء على المروة[220] .

ومن الجدير بالذكر ان هشاماً كان يندم على ما يهبه للناس من أموال ، رغم قلتها قال البلاذري : « ... قال هشام : ما ندمت على شيء ندامتي على ما أهب ، ان الخلافة تحتاج الى الأموال كأحتياج المريض الى الدواء[221] » .

اما المؤرخون المعاصرون ، فيرى قسم منهم إن هشاماً كان مقتراً بخيلاً[222]، ويعتقد الأخرون ان كره هشام للأسراف دعا الى وصفه بالبخل[223] .

يبدو مما سبق ان هشاماً كان بخيلاً باعترافه ، وانه أضطر الى تبرير بخله اكثر من مرة ، كما أسلفنا ، وعلى ذلك فان محاولة تبرير بخل هشام وتقتيره ، ربما يكون نوعاً من الجدل الذي لا فائدة منه ، فقد سبق هشاماً خلفاء عرفوا بكثرة العطاء والجوائز الكبيرة ، ولم تكن جوائز هشام مثل جوائزهم ، ولم يكن هو كعمر ابن عبدالعزيز ، لا يُعطي من بيت المال الا لحاجة ، تدينا ، ولم تكن عند عمر اموال خاصة يهب منها ، وهذا ما دعاه المؤرخين الى وصف هشام بالبخل .

ومن العسير على الباحث ان يجد تعليلاً لبخل هشام او نصوصاً تأريخية تدل على سبب البخل غير ما ذكره هو ، وقد أشرنا الى ذلك .

ولربما كان من بين العوامل التي أدت الى بخل هشام ، مع ما تيسر له من كثرة الاموال الشخصية ، وما في بيت المال العام ، هو ان هشاماً ولد في بيت غير بيت أبيه وكانت أمه حمقاء مطلقة كثيراً ما يُنسب اليها[224] ، فنشأ منطوياً على

---

(220) محمد بن عبدالله ، أخبار مكة ، مكة ، ١٣٥٧هـ ، ص٢٠١ .
(221) أنساب الأشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٦٢ .
(222) فلهاوزن ، المصدر نفسه ، ص ص٣٣٥-٣٣٦ ، وأمير علي ، المصدر نفسه، ص١٣٩ ، والريس ، محمد ضياءالدين ، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ص٢٥١ .
(223) الخضري ، محمد ، محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ، ج١ ، القاهرة ، ١٣٧٦هـ ، ص١٩٩ .
والراوي ، ثابت اسماعيل ، تاريخ الدولة العربية خلافة الراشدين والامويين ، بغداد ١٩٧٠م ، ص٢١٠ .
(224) Cabriele, Op. Cit. P. 133

نفسه ، وجاء الى دمشق ، كما سبق وان ذكرنا ذلك ، وفي دمشق ربما شعر بالغربة والعزلة عن أهله وذويه ، مضافاً لعاهة ظاهرة فيه ، هي حوله ، كل ذلك ربما كان من العوامل التي أدت الى انطوائه على نفسه ، وربما كان هذا الأنطواء هو دافع هشام الى الحرص على نفسه وممتلكاته أميرا وخليفة ، وعلى بيت المال خليفة ، فوصفه الناس بالبخل ولهم بعض الحق بهذا الوصف .

ب - شربه للخمر :-

تذكر أحدى الروايات ان هشام بن عبدالملك ، كان يشرب الخمر كل يوم جمعة بعد الصلاة[٢٢٥] ، ويشير البعض الاخر من الروايات ، ان هشاماً كانت له مجالس تدار فيها الخمر ، وان لم تشر صراحة الى أنه كان يعاقرها ، فقد حضر مجلساً شربت فيه احدى جواريه الخمرة[٢٢٦] .

كما حضر حماد الرواية أحد مجالس هشام الخاصة ، وأمر له الخليفة ، هشام ، بكؤوس الخمر حتى ثمل[٢٢٧] .

ومع قلة هذه الروايات التي تشير الى شرب هشام الخمر او حضور مجالس كانت تدار فيها الخمر ، فمن المستبعد ان نسلم بهذه الروايات . ولعل سيرة هشام[٢٨٨] تجعلنا نشك بصحة تلك الروايات لاسيما وان هشاماً زجر مرة الوليد بن يزيد ، ولي عهده ، لمعاقرته وإدمانه على الخمره ، فلما أجاب الوليد .

---

(٢٢٥) الجاحظ (المنسوب) ، التاج ، ص٢٣ . وحتي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٩٥ .

(٢٢٦) قدامة المقدسي ، عبدالله بن احمد ، كتاب التوابين ، دمشق ، ١٩٦١م ، ص ص١٤٧-١٤٨ .

(٢٢٧) يذكر الأصفهاني (الأغاني ، ج٦ ، القاهرة ، ١٩٣٥م ، ص ص٧٥-٧٧) استقدام هشام لحماد الرواية من العراق ، وعلى ما في الرواية من هنات ، اشرنا اليها سابقاً ، فان الاصفهاني ايضا ، (ج٧ ، ص٤٥) ، يذكر الرواية مكررة مع الوليد بن يزيد ولعلها هي الراجحة .

(٢٢٨) يذكر ابن نباتة (سرح العيون ، ص١٠٧) ان هشاماً كان يصوم في غير أيام رمضان .

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين ابي شاكر
نشربها صرفا وممزوجة بالسخن أحيانا وبالفاتر

زجر هشام ابنه مسلمة ، المكنى ابا شاكر ، وألزمه الأدب وحضور الجماعة[229] .

ولما سمع هشام ان زوجته ، أم حكيم ، تعاقر الخمرة سألها عن ذلك ، فأنكرت خوفا منه[230] ، فمن غير المحتمل ان يقوم بذلك شخص يعاقر الخمرة ، ومن غير المحتمل أيضا ان يعاقرها هشام مستترا ، ولا يعلم به هؤلاء .

وعلى ذلك فان القول بان هشاماً كان يعاقر او يجلس مجالس خاصة تدار فيها الخمرة ، قول يصعب تصديقه .

ج ـ شعره :ـ

لا تحدثنا المصادر عن قصائد او أبيات شعرية قالها هشام ، مع ما للشعر انذاك من منزلة ، ومع ذلك فان المصادر تذكر لنا بيتا من الشعر كتبه هشام الى أخيه مسلمة ، عندما أرسله لقتال الخزر فلم يقاتلهم ، فلما ارتحلوا تبعهم ، فكتب اليه هشام :

أتتركهم بميمذ[231] قد تراهم وتطلبهم بمنقطع التراب[232]

وكان هشام يردد دائما بيتا من الشعر ربما كان يمثل السياسة التي اختطها لنفسه .

اذا طاوعت الهوى قادك الهوى الى بعض ما فيه عليك مقال[233]

(٢٢٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢١٠ ، والاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص٣ـ٤ .
(٢٣٠) الأصفهاني ، الاغاني ، ج١٦ ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ص‌ص٢٧٨ـ٢٧٩ . والمنجد ، صلاح‌الدين ، معجم بني أمية ، بيروت ، ١٩٧٠م ، ص٢١٩ .
(٢٣١) ميمذ ، اسم جبل ، وفي الفتوح ان ميمذ مدينة باذربيجان أو أران (ياقوت، معجم البلدان ، مادة ميمذ ، ج٥ ، ص٢٤٤) .
(٢٣٢) ياقوت ، معجم الادباء ، ج٤ ، ص٧١٨ .
(٢٣٣) المسعودي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٢٢ ، لكن ابن كثير ، (البداية والنهاية ، ج٩ ، ص٣٥٢) يذكر ان هشاماً هو قائل البيت ولم يرد له غيره .

ولم تذكر المصادر قائل البيت السالف ولعله لهشام ، ومع ذلك فلم يكن هشام شاعراً ، وان كان يروى الشعر ويحب سماعه[٢٣٤] ، وربما دفعه ذلك الى استقدام الرواة من الولايات[٢٣٥] .

وربما اجتمع عنده الشعراء أميرا وخليفة ، وقد سبق أن أشرنا في اكثر من موضع الى اجتماع الشعراء عنده لاغراض شتى .

هـ ـ تقبلـه للهدايـــا :ـ

كان هشام يتقبل الهدايا ، أميرا وخليفة ، لكن المصادر لا تحدثنا عن هدايـا قدمت له عندما كان أميراً ، ومع ان هشاماً أُقطع ارضاً ، وهو أمير ، يقال لها دورين ، لكنها كانت قاحلة ولم يحصل منها على ايراد الا بعد ان قدم رشوة لاحد الكتاب ، فإحتال باضافة قرى خصبة اليها[٢٣٦] ، وكانت تلك الارض هبة من أحد اخوته ، الخلفاء ، كما سبق وان اشرنا الى ذلك من قبل .

فلما ولي هشام الخلافة قُدمت له هدايا كثيرة وقد تقبلها جميعاً ، ويروي لنا الطبري طائفة من تلك الهدايا ، وبالرغم من تفاهة بعضها فان هشـاماً كان يوليهـا إهتمامه[٢٣٧] .

وربما قدمت هدايا ثمينة فلاقت منه الاهتمام[٢٣٨] ، الذي لقيته التافهة منها .

(٢٣٤) سألت زوجة هشام ، عن معنى بيت من الشعر لجميل بثينة فأجابها هشام ان عمها عبدالملك سأل عنه فلم يعرف معناه (ياقوت ، معجم البلدان ، مادة قصر ام حكيم ج٤ ، ص‌ص٣٥٥ـ٣٥٦) .

(٢٣٥) استقدم هشام حماد الراوية من العراق لينشده قصيدة شعرية يذكرهـا الاصفهاني ، (ج٦ ، ص‌ص٧٥ـ٧٧) ويكررها مع الوليد بن يزيد ايضـا (ج٧ ، ص٤٥) ، لكن ياقوت (معجم الادباء ، ج٤ ، ص‌ص١٣٧ـ١٤٠) يذكر ان استقدام حماد كان من قبل هشام .

(٢٣٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٥ ، والجهشياري ، المصدر نفسـه ، ص‌ص٦٠ـ٦١ .

(٢٣٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٤ .

(٢٣٨) يذكر الطبري (ج٧ ، ص‌ص٢٠٧ـ٢٠٨) ان يوسف بن عمر اهدى لهشام الياقوتة التي اخذها يوسف من جارية خالد القسري وكانت الجـارية قد اشترتها بثلاثة وسبعين الف دينار . ويسميها البيروني (كتاب الجماهير في معرفة الجواهر ، ص١٥٢) الدرة اليتمية ويـروي ان هشامـاً اهداهـا لاحدى زوجاته .

ومن الطبيعي ان غالبية الهدايا ثمينها وتافهها كانت من الولاة ، ولما كان هشام محباً للخيل ، فقد رضي عن أبن هبيرة لما أهداه طائفة منها(٢٣٩) .

وربما كانت بعض الهدايا سبباً في تعيين والٍ او أقراره على ولايته ، فلما اهداه الجنيد بن عبدالرحمن بعض الأحجار الكريمة ولاه خراسان(٢٤٠)، كما أقر هشام حنظلة بن صفوان على أفريقية ، عندما قدّم له جميع الهدايا التي كان قد جمعها ليزيد بن عبدالملك ، لما قَدِم على يزيد فوجده قد مات(٢٤١) .

ولربما طلب هشام نفسه بعض الهدايا من الولاة ، خاصة الجواري ، فقد طلب شراء جارية له من العراق بالثمن الذي تطلبه صاحبتها ، وقد طلبت لها ثمناً غاليا(٢٤٢) ، وطلب هشام مرة من والي المدينة ان يُرسل له الوصائف البيض(٢٤٣). وبالرغم من ان بعض الروايات ، عن قسم من الهدايا التي قدمت لهشام ، يبدو عليها طابع الوضع ، كشراء الجارية من العراق بالثمن الذي تحدده صاحبتها مع ما عليه هشام من حب للمال .

لكن الثابت ان هشاماً كان يتقبل الهدايا على تفاهتها من الولاة ومن غيرهم ، ولم يرَ بذلك اضراراً بمصلحة الدولة او اجحافاً بحقوق الناس ، ومن الادلة على ذلك ان هشام لما تولى الخلافة ، طرد ذويد الكاتب ، وكان قد تلاعب بسجلات الخراج لصالحه وهو أمير وأخرجه من الشام ، كما سبق وان أشرنا ، لكن هشاماً لم يسأل ولاته عن مصدر تلك الهدايا ولم يكن له علم بالوسائل التي كان ولاته يحصلون بها على طائفة من تلك الهدايا(٢٤٤) .

---

(٢٣٩) الجهشياري ، المصدر نفسه ، ص‌ص٥٩ـ٦٠ .
(٢٤٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص٦٧ـ٦٨ .
(٢٤١) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢١٥ .
(٢٤٢) ويذكر قدامة المقدسي (كتاب التوابين ، ص‌ص١٤٦ـ١٤٧) ان صاحبة الجارية طلبت ثمناً لجاريتها ، مائتي الف درهم وبستان وارده السنوي خمسمائة مثقال ذهباً .
(٢٤٣) الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ج٢ ، ص١٣٣ .
(٢٤٤) مؤنس ، المصدر نفسه ، ص‌ص١٤٥ـ١٤٦ .

ولاشك ان قبول هشام للهدايا من الولاة خاصة ، وان عدم إمعانه في التحري عن مصادر تلك الهدايا أمر غير مقبول من حاكم مثله •

و ـ طائفة من صفات هشـــام :ـ

كان هشام جميل الصورة ربعة سميناً ، يخضب بالسواد وبعينه حول مـــع كَيس[٢٤٥] ، موصوفاً بالحلم[٢٤٦] ، لايُستغضب بسهولة[٢٤٧] ، الا في مسألة حول عينه[٢٤٨] ، وان كان قد لُقب بأحول بني أمية[٢٤٩] • وبالرغم من ذلك فأن هشاماً لم يغضب من سـكينة بنت الحســين (ع) لما وصفته بالحــول حـين كـان يمازحها[٢٥٠] • واذا أخطأ هشام كان سريع الندم وطلب العفو[٢٥١] • متقبلاً للوعظ[٢٥٢] • وكان يحب التظاهر بالتدين ، فقد كسى الكعبــة من الديبـــاج

---

(٢٤٥) ابن تغري بردي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٩٦ ، والقلقشـندي ، مآثر الاناقة ، ج١ ، ص١٥٠ ، والقرماني ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٧ •

(٢٤٦) ابن الطقطقي ، المصدر نفسه ، ص١٣٢ ، والقرماني ، المصدر نفسه ، ج٢، ص٢٧ •

(٢٤٧) يذكر الطبري (ج٧ ، ص٢٠٧) وابن الأثـــير (ج٥ ، ص٢٦٢) « ••• أغلظ رجل لهشام فقال له ليس لك ان تُغلظ لامامك » •

(٢٤٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٧ ، وابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج٤ ، ص٥٨ ، وابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج١ ، ص٣٠٥ ، والصابي ، هلال بن محسن ، رســوم دار الخلافة ، بغــداد ، ١٩٦٤م ، ص٦٢ • والاصفهاني ، الاغاني ، ج١٠ ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص١٥٥ ، وابن عبد ربه، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٨٩ •

(٢٤٩) المقدسي ، مطهر بن طاهر ، كتاب البدء والتــاريخ ، باريــس ، ١٩١٦م ، ص٤٩ • والخوارزمي ، المصدر نفسه ، ص٦٦ •

(٢٥٠) البلاذري ، احمد بن يحيى ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، القدس ، ١٩٣٦م ، ص١٢٤ •

(٢٥١) يذكر ابن الاثير (الكامل ، ٥ : ٢٦٣ـ٢٦٤) ان هشاماً شتم أحدهم ، ثم ندم وطلب العفو من الرجل ، ويذكر ابن الآبار (اعتاب الكتاب ص٦٠) ان الرجل هو الابرش الكلبي •

(٢٥٢) يذكر المؤرخون رواية عن موعظة لخـالد بن صفوان ، قالها أمـام هشـام فتكدر عليه نزهته ولم يعاقبه هشام بل اجازه ، يذكرها كل من الاصفهاني (ج١٣ ، ص١٤٠) وابن عبد ربه (ج٥ ، ص١٨٠) وياقـوت ، (معجم الادباء ، ج٤ ، صص١٦١ـ١٦٢) •

الثمين[٢٥٣] .

وأبدى هشام فرحة لصلاته ، على سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب يوم مات ، سنة ١٠٦هـ ، وجعلها موازية لحجه[٢٥٤] .

كما لبس هشام برد النبي (ص)[٢٥٥] . وقد كان هشام يخشى انتقاد الناس والشعراء منهم بخاصة[٢٥٦] .

كما كان يعجب بالمتكلمين ، وان كانوا من خصومه ، فقد حاجه ابراهيم بن طلحه حول دار له ، أخذها منه آل مروان ، فهدده هشام ، لكنه لم يأبه للتهديد وأجاب بخشونة ، فقال هشام للأبرش « ... ما أجود هذا اللسان ، ولايزال في الناس بقايا ما رأيت مثل هذا[٢٥٧] »وقال هشام أيضا «....ما مات من خلف مثل هذا » مستحسنا كلام أبن هبيرة وقد عفا عنه[٢٥٨] . وتذكر بعض الروايات ان هشاماً كان متواضعاً[٢٥٩] ، كما يصفه بعض المؤرخين بقلة الشر وبكرهه لسفك

---

(٢٥٣) ابن الأثير ، ج٦ ، ص٤٩ .

(٢٥٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٣٥ ، وابن عبد ربه ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٨٠ ، وابن سعد ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٤٨ .

(٢٥٥) ابن سعد ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٥١ .

(٢٥٦) يذكر ابن قتيبة (الشعر والشعراء ، ج١ ، ص٤٨٣) وكذلك الأصفهاني (ج١٨ ، ص ص٢٢٥–٢٣٦) والمرتضى (أمالي المرتضى ج١ ، ص٤٠٩) رواية عن احدهم وكان يقول ان رزقه يأتيه في بيته ، فلما قابل هشام ذكره بقوله ، وسأله لماذا وفد عليه ، فرجع الرجل ، لكن هشاماً ندم على ذلك وأرسل في أثره لخشيته من ان يذكره الرجل بسوء .

(٢٥٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٣٦ .

(٢٥٨) الجهشياري ، المصدر نفسه ، ص٥٩ .

(٢٥٩) يذكر الجهشياري ، ص٥٩ ، وابن الابار (أعتاب الكتاب ، ص ص١١٦–١١٧) ان هشاماً رفض ان يسمح للابرش الكلبي بتسوية عمامته .
ويذكر ابو حيان التوحيدي (البصائر والذخائر ، دمشق ، ١٩٦٤م ، ص٣٠) ان اعرابياً مدح هشاماً ، فقال له هشام قد نُهي عن مدح الرجل في وجهه ، ومع ذلك فمن الصعب تصديق الرواية ، فقد سبق وان اشرنا الى شعراء وخطباء مدحوا هشاماً وفرح بذلك ، لكنها راى لمؤرخ قديم فحسب .
Gabreele, Iba. P. 135.

الدماء[٢٦٠] • وان كان لا يمر عليه يوم ليس فيه غم[٢٦١] •

ويصف اليعقوبي هشاماً بانه كان حسوداً فظاً ظلوماً غشوماً شـديد القسوة بعيداً عن الرحمة طويل اللسان[٢٦٢] ، لكنه يذكر ان هشاماً كان حازماً وانه رجل القوم[٢٦٣] •

ومما يؤكد حقد هشام ، ان الجنيد بن عبدالرحمن تزوج من الفاضلـة بنت يزيد بن المهلب ، فلما سمع هشام ، عزله عن خراسان ، وكان الجنيـد مريضا ، وأوصى هشام الوالي الجديد « ••• ان ادركته [الجنيد] وبه رمق فازهق نفسه ، فقدم عاصم وقد مات الجنيد[٢٦٣] » •

ومع احتمال تفسير عزل الجنيد تفسيراً سياسياً ، فكيف نفسر معاقبـة المسؤول عن الوليمة التي دُعي اليها هشام أميرا ولم يُحترم فيهـا فلما تولى الخلافة عاقب المسؤول عنها بقسوة[٢٦٥] ؟ •

---

(٢٦٠) الدينوري ، احمد بن داود ، الأخبار الطوال ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص٣٣٦، ويذكر ابن سعد (الطبقات الكبير ، ج٥ ، صص٢٣٩-٢٤٠) ، وكذلك ابن كثير (البداية والنهاية ، ج٩ ، ص٣٥٢) ان هشاماً دخلـه غم من قتـل زيد بن علي •

(٢٦١) ابن كثير ، المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٣٥٣ •

(٢٦٢ ، ٢٦٣) التاريخ ، ج٢ ، ص٣٢٨ •
سبق وان أشرنا ، ان هشاماً قـال « ••• والله ما هممت بظلم مسـلم ولا معاهد » كما تشير رواية البلاذري (أنساب الاشراف ، المخطوطـة ، ج٧ ، صص٥٥٩-٥٦٠) وربما كان وصف هشام لنفسه بهـذا الوصف فيه بعض التجاوز ، كمـا ان وصف اليعقوبي لـه ، ربما يوحي ببعض التحامل من مؤرخ قديم يعتبر الامويين عامة مغتصبين للخلافة ، ولدينـا رواية ثالثة يذكرها ابن الاثير (ج٥ ، ص٢٦٨) يقول فيها ان احد موالي هشام وقف على قبره يشكو له حاله وحـال اولاده ، وما يلاقونـه من الوليد ، فقال له احدهم « ••• لو رأيت ما صُنع بهشام لعلمت انك في نعمة ••• ان هشاماً في شغل مما هو فيه عنكم » ومع احتمال ان القـول ربما قيل مزاحاً ، لكن ذلك يبدو رأيا لبعض الناس المعاصرين لهشام •

(٢٦٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ٧ : ٩٣ •

(٢٦٥) القالي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٦ •

وقد حسد هشام أخاه يزيد على كثرة البغال ، فلما استخلف أكثر منها ، وعندما ذُكّر بذلك قال هشام « ... تأتينا أشياء نحسد الناس عليها[٢٦٦] » .

وكان هشام يحب الابهة فكان يحرسه ثمانمائة فارس أربع مائة من الشرط وأربع مائة من الحرس[٢٦٧] ، عليهم الربيع بن سابور[٢٦٨] . ولا يسمح لاحد بان يسير في موكب الا اخاه مسلمة[٢٦٩] . وطلب هشام من عمر بن أبي ربيعة ان يمدحه ، فرفض وأجاب بأنه يمدح النساء لا الرجال[٢٧٠] .

ومن مظاهر حُبّ هشام للتظاهر ، ورغبته في السيطرة ، انه حاول ان يُجبر مسيحياً على اعتناق الأسلام ولما رفض المسيحي ذلك أطعمه هشام من لحمه[٢٧١] ، ويستبعد الباحث ان يقوم هشام بمثل هذا العمل الذي ينطوي على الغلظة تجاه رجل في ذمة الأسلام ، مع ما عُرِف عنه من احترامه لأهل الذمة[٢٧٢] ، كما أرسل هشام رسولاً الى احد ملوك الترك يدعوه للاسلام ، ومع ان الملك رفض الدخول في الأسلام[٢٧٣] ، لكنّ ذلك لا يقلل من أهمية

(٢٦٦) الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ج٢ ، ص٢٤٤ .
(٢٦٧) تاريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف ، ص٤٠١ .
(٢٦٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٨ ، وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٧٩ ، ويذكر البلاذري ، (أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٥٧) ان هشاماً ولى الحرس للربيع بن سابور بعد ثلاث سنوات من خلافته وكان عليه نصير أحد موالي هشام .
(٢٦٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٢ .
(٢٧٠) الثعالبي ، عبدالملك بن محمد ، شمار القلوب في المضاف والمنسوب القاهرة ، ١٩٦٥م ص٢٢٣ .
(٢٧١) الامدي ، الحسن بن بشر بن يحيى ، المؤتلف والمختلف ، القاهرة ١٣٨١هـ ، ١٩٦١م ص٢٠٧ .
(٢٧٢) يذكر الطبري ، (ج٧ ، ص٢٠٢) ان طفلا مسيحياً اعتدى على احد احفاد هشام فضرب احد الخدم ذلك الطفل ، فلما سمع هشام ، ضرب الخادم وشتم ابنه ، لانه امر الخادم بذلك .
Encyclopaedia of Islam, Art, Hisham, p. 494.
(٢٧٣) القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود ، آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ، ١٩٦٠م ، ص٥١٥ . وبارتولد ، تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، القاهرة ، ١٩٥٨م ، ص٦٩ .

الرواية وما تنطوى عليه من حب هشام للتظاهر ، وبأنه حريص على انتشـــار الأســلام .

وذكر ايضا ان هشاماً روى حديثا عن الرسول (ص) ، عن رجل كان قد حَرَّم زوجته[٢٧٤] .

ومع ان الباحث يستبعد ان يروى هشام حديثاً واحداً ، كالذي سبق ، طول حياته ، فربما كان ذلك أيضا من حبه للتظاهر بالتدين امام الناس .

١٠ ـ وفاة هشـــام :

توفي هشام بن عبدالملك عام ١٢٥هـ/٧٤٣م ، ويتفق أغلب المؤرخين على ان الوفاة كانت يوم الأربعاء من شهر ربيع الأخر وان اختلفوا في تحديد تأريخ اليوم ، ومع ذلك فلم يتجاوز الأختلاف سبعة أيام ، فالطبري يحدد الوفــاة يوم الأربعاء لست ليال خلون من ربيع الآخر[٢٧٥] ، ويتفق معه كل من ابن الأثير[٢٧٦] ، والمسعودي[٢٧٧] ، وغيرهم ، اما ابن خياط فيذكر ان الوفاة كانت يوم الأربعاء لثلاث ليال خلون من ربيع الاول[٢٧٨] ، ويذكر الكنـــدي ان الوفاة كانت يوم الأربعاء لعشر خلون من ربيع الآخر[٢٧٩] .

ولدى الحساب تبين ان يوم الاربعاء يصادف اليوم الخامس من شهـــر ربيع الأخر ، اى لست ليال خلون منه ، ويصادف الأربعاء الثاني ، اليوم الثاني عشر منه ، اى لثلاث عشرة ليلة خلت منه ، وعلى ذلك فان روايـة الطبري السالفة والقائلة ان الوفاة كانت يوم الاربعاء لست ليال خلون من ربيع الآخـر تبدو أرجح من غيرها .

---

(٢٧٤) وكيع ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٧٣ .
(٢٧٥) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٠٠ ، وابن عساكر ، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق ، ج٢ ، دمشق ، ١٩٥٤م ، ص١٥٢ :
(٢٧٦) الكامل ، ج٥ ، ص٢٦١ .
(٢٧٧) مروج الذهب ، ج٣ ، ص٢١٦ .
(٢٧٨) تاريخ خليفة بن خياط ، ج٢ ، ص٣٧٢ .
(٢٧٩) كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ج١ ، ص٨٣ .

ولما كان هشام قد بويع بالخلافة في اليوم الاول من شهر رمضان عـــام ١٠٥هـ ، كما ذكـرنا ، وتوفي يوم الأربعـــاء ، اليوم الخامس من ربيع الآخر عام ١٢٥هـ ، فان مدة خلافته على الحساب الهجري تكون ، تسع عشرة ســـنة وسبعة أشهر وخمسة أيام(٢٨٠) .

وتوفي هشام بالرصافة من أرض قنسرين(٢٨١) ، وكان يسكنها خـوف الطاعون(٢٨٢) ، ودفن فيها(٢٨٣) ، وكـــان مرضه الذبحة الصدرية(٢٨٤) . ولما مات هشام لم يجدوا قمقماً يسخنوا له فيه الماء لغسله ، ولم يجدوا له كفناً يكفن به ، لأن الخُزان أغلقوا ابواب بيوت الأموال فاســـتعاروا قمقماً مـن الجيران ، وأشترى لهشام كفن من السوق(٢٨٥) .

ويبدو ان تصرف الوليد وحاشيته ، وقسوتهم على ابناء هشام والمعاملـــة السيئة التي عوملوا بها ، بعد وفاة والدهم ، جعلت بعض المؤرخين يغالون فيمـا

---

(٢٨٠) تكون خلافة هشام حسب الحساب الميلادي من ١/٢/٧٢٤ ـ ٥/٢/٧٤٣م. ويذكر
Gabrieli (Ency. of Islam, Art Hisham, III p. 493)
ان البيعة كانت في شعبان عام ١٠٥هـ الموافق كانون الثاني عام ٧٢٤م ، وربما قصد من ذلك البيعة في الرصافـة على ما أشـرنا اليـه في المتن . ويذكر ان الوفاة كانت في السادس من شباط عام ٧٤٣م .

(٢٨١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٠ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٦١ ، وابن عبد ربـــه ، المصدر نفســـه ، ج٥ ، ص١٨٤ ، والمسعودي ، المصدر نفسه ، ج٣ ص٢١٦ ، واليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٢٨ ، وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ص٣٧٢ .

(٢٨٢) الطبري ، المصدر نفســـه ، ج٧ ، ص ص٢٠٦ـ٢٠٧ ، وابن الاثـــير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص ص٢٦٢ـ٢٦٣ .

(٢٨٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٠ ، واليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٢٨ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٦١ .

(٢٨٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠١ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٦١ ، وابن عبد ربه ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٨٤ ، يقصد بالذبحة الصدرية ، احتشاء القلب او السكتة القلبية .

(٢٨٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢١٥ ، واليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٢٨ ، وابن الاثـــير ، المصـــدر نفســـــه ، ج٥ ، ص٢٦١ ، والاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج٢ ص١٦ .

تعرض له هشام بعد وفاته ، فقيل انه لم يدفن حتى أنتن جسده[٢٨٦] . وتذهب بعض الروايات الى ان اهل العلم أخبروا هشاماً بموعد موته[٢٨٧] ، والرواية المذكورة ظاهرة الضعف ولكننا اوردناها للتدليل على ما كان ينسب لاهل العلم في عهد هشام .

استمرت خلافة هشام حوالي عشرين عاماً ، وهي اطول مدة حكمها خليفة أموي باستثناء معاوية بن ابي سفيان[٢٨٨] . ولعل طول مدة خلافته كانت من اسباب استثقال الناس لحياته ، وتمنيهم موته ، وربما كانت القلة هي التي حزنت عليه[٢٨٩] . واعتبرت موت هشام نهاية المرؤة وأدالة الشرف ، قال ابن عبدربه « ... سنة خمس وعشرين ومائة أديل الشرف وذهبت المرؤة ، وذلك عند موت هشام[٢٩٠] » . وربما كان للفترة الأموية اللاحقة لوفاة هشام وتميزها بالأضطراب ، والصراع على السلطة وما رافقهما من حروب ، وعدم مراعاة لحرمة القربى وصلات الرحم كل ذلك دعا ابن عبدربه الى قوله السالف ، ويقول ابن قتيبة « ... راحة العرب هشام ولا راحة لهم

---

(٢٨٦) القرماني ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٨ ، ويذكر ابن قتيبة (المنسوب ، الامامة ، والسياسة ، ج٢ ، ص١٣٠ ان هشاما لم يدفن حتى قدم الوليد ، وهذه الرواية بعيدة الاحتمال ، فقد سبق وان ذكرنا ، ان ليس بالامكان ذهاب البريد من الرصافة الى الاردن ومجيء الوليد ، بعد اخذ البيعة له في دمشق ، الى الرصافة في ثلاثة ايام كما يذكر الدينوري بسبب طول المسافة .

(٢٨٧) الطبري ج٧ ، ص٢٠١ .

(٢٨٨) بويع معاوية بالخلافة ، بعد تنازل الحسن عام ٤١هـ ، وتوفي عام ٦٣هـ ، اما عبدالملك بن مروان فأخذت له البيعة بالخلافة في الحجاز ، بعد مقتل عبدالله بن الزبير ، عام ٧٣هـ ، وتوفي عام ٨٦هـ . فاذا استثنينا المدة السابقة للاجماع على بيعته عام ٧٣هـ ، تكون مدة خلافة هشام أطول فترة لحكم خليفة مرواني .

(٢٨٩) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٨٣ .

(٢٩٠) العقد الفريد ، ج٥ ، ص١٨٤ .

بعد هشام[٢٩١] » ، كمـــا يعتبر حكـم هشـام أفضل من اي حكـــم أموي ٠٠٠ فكانت أيامه (هشام) عند الناس أحمد أيام مرت بهم[٢٩٢] » ٠

ويبدو ان تقريب العباسيين للاقوام غير العربية ، والفارسية بخاصة ، ربما دعا ابن قتيبة الى ايراد تلك الرواية ، ومن المحتمل أيضا ، ان ما قاله كان يمثل بعضا من وجهة نظر العرب بالنسبة للحكم الأموي ، بعـدما لاقوا من الاقوام الاخرى ، خلال حكم العباسيين[٢٩٣] ، ويرى ابن كثير ان ملك بني أميـة ، مات بموت هشام[٢٩٤] ، فلم يخلفه خليفة قوي يحافظ على ملك الأمويين وكان مجيء مروان بن محمد بعد فوات الأوان ٠

ح ـ أولاده :ـ

١ ـ تربيتهـــم :ـ

كان لهشام عشرة من الاولاد الذكـور وبعض البنات[٢٩٥] ، ويختلف المؤرخون في عددهم فيذكر أبن حزم مثلا ، ان عددهم كان ستة عشر ولدا ،

---

(٢٩١) الامامة والسياسة ، ج٢ ، ص١٢٥ ، ويقول ابن قتيبة ان عبدالملك روى له حديث عن الرسول (ص) بان راحة العرب هشام ويبدو ان الروايـــة ظاهرة الوضع ، فان الرسول (ص) لم يتنبأ لما يحصل للعرب ، كما انه (ص) ارسل للعالمين كافة ، ولم يكن ذا رسالة تخص العرب وحدهم ٠

(٢٩٢) ابن قتيبة ، (المنسوب) الامامة والسياسة ، ج٢ ، ص١٣٠ ٠

(٢٩٣) يذكر المســعودي (ج٣ ، ص٢١٩) أن عبدالله بن علي العباسي ، نبش قبور بني أمية في أيام أبي العباس السفاح وكان قبر هشام من بينها ، فاستخرجه صحيحاً ما فقد منه الا خورمة أنفه ، فضربه بالسياط وأحرقه٠ ويؤيد الاستاذ حتي (تاريخ العرب ، ج٢ ، ص٢٥٧) ذلك ، وربما كان لسياسة القسوة التي اتبعها العباسيون اتجاه الامويين ، أثرفي ذكــــر روايات كهذه ، وان العباسيين ، لم يتورعوا عن نبش القبور ٠

(٢٩٤) البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٣٥٤ ٠

(٢٩٥) يذكر الزبيري (ج٥ ، ص ص١٦٧ـ١٦٨) أسماء عشرة من الذكور من اولاد هشام لكنه يذكر اسم مروان مكررا ويسميه ابا شاكر ، وعلى ما أسلفنا فان ابا شاكر هو مسلمة بن هشام وليس مروان ، ويذكر ايضا اسـماء اربع بنات لهشام ٠ ويذكر البلاذري ، (انساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٥٦) ان مروان بن هشام مات صغيرا ٠ وابن قتيبة ، المعارف ، ص٣٦٥ ، واليعقوبي المصدر نفسه ، ج٢ ، ٣٢٨ ، وتاريخ الخلفـــاء ، مجهول المؤلف ، ص٤٣٢ ٠

وبعض البنات[٢٩٦]، وربما كان سبب اختلاف المؤرخين في تقدير عددهم يرجع الى ان قسماً منهم كان مغموراً ولم يعرف عنه شيء ٠

حاول هشام ان يُحسن تربية اولاده فاختـــار لهم محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب الزهري المحدث لتأديبهـــم[٢٩٧] ، وأختـــار هشام لاولاده أيضاً من يعلمهم اللغة والشعر ، وكان يحضر أحياناً مجالس مؤدبيهم[٢٩٨] ٠

وبالرغم من ذلك ، فقد أساء بعضهم السيرة[٢٩٩] ٠ ولم يشتهر احد منهم بعد سقوط الدولة الأموية ، عدا حفيد هشام ، عبدالرحمن بن معاوية بن هشام مؤسس الدولة الأموية في الاندلس[٣٠٠] ٠

---

(٢٩٦) ابن حزم ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص‌ص٩٢ـ٩٣ ، ويتفق معه في العـــدد ابن عبدربه (ج٥ ، ص١٧٩) ٠
ويذكر الزبيري ، (ج٥ ، ص‌ص١٦٧ـ١٦٨) ، اسماء بنات هشام ، وهن اربع بنات ، وجميع ازواجهن من ابناء عمومتهن ، ويتفق معه في ذلـــك ابن حزم (جمهرة انساب العرب ، ج١ ، ص٩٣) ٠

(٢٩٧) ابن كثير ، المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٣٤٢ ، تراجم رجال روى محمد بن اسحاق ، رئيس اهل المغازى عنهم ، ليدن ، ١٨٩٠ ، نشر أوكست فشر ٠ ص‌ص٦٩ـ٧٠ ٠

(٢٩٨) يذكر الاصفهاني (ج٣ ، ص‌ص٣٢٨ـ٣٢٩) ان مؤدباً لبني هشام قال ، انه كان يلقي عليهم شعر قريش ، وكان هشام حاضرا في المجلس ٠

(٢٩٩) يذكر ابن عبدربه (ج٥ ، ص١٨٢) ان سعيدا بن هشام ولي حمص زمن أبيه فأساء السيرة ، فكتب احدهم الى هشام ٠
أبلـغ أمير المؤمنـــين فقـــد   امددتنـــا بأمـير ليس عنينـــــا
طورا يخالف عمرا في حليلته   وعند ساحته يســقي الطلا دينا
وكذلك البلاذري (أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٦٣) ومــع ان اسلوب الوضع واضح على الرواية ، لكن ذلك لا يقلل من اهميتها ، فقد أساء سعيد بن هشام السيرة ، فأضطر أبوه الى عزله ٠
ويذكر الثعالبي (ثمار القلوب ، ص١٠٠) ان سعيد بن هشام يُعد من الزناة من قريش ٠

(٣٠٠) الطبري ، المصدر نفســه ، ج٧ ، ص٥٠٠ ، وابن قتيبة ، المعـــارف ، ص٣٦٥ ، والزبيري المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٦٨ ٠ ويذكر السمعاني (عبدالكريم بن محمد ، كتاب الانســـاب ، نشير مرجليوت ، لنـــــدن ١٩١٢م ، ورقة ٤٨) ان سعيد بن هشام كـــان راوية للحـــديث ، لكنه لم يكن شقة ٠ =

ويذكر عن هشام أنه شتم أبنه محمد لقيام أحد عبيده بضرب طفل نصراني ، كان قد أعتدى على أحد اولاد محمد[٣٠١] .

كما منع أحد اولاده من ركوب الدابة سنة ، عقاباً له على عدم حضوره لصلاة الجمعة ، بحجة موت دابته ، وليس باستطاعته ان يحضر الى المسجد ماشياً[٣٠٢] .

وكتب هشام الى الوليد ، ولي العهد ، يوبخه لمعاقرته الخمرة ، فأجاب الوليد هشاماً ببيتين من الشعر سبق ذكرهما ، متهماً مسلمة بن هشام بمعاقرته للخمر أيضا فوبخ هشام ابنه مسلمة ، المعروف بابي شاكر ، وزجره ، وولاه امارة الحج عام ١١٩هـ[٣٠٣] وعلى ما يظهر ، فان هشاماً اراد ان تكون صحبة ابنه حسنة ، فطلب من الزهري عام ١١٩هـ ان يصحب مسلمة[٣٠٤] ، وهو مرشح أبيه للخلافة ، الى الحج ، فحج معه[٣٠٥] .

وقد ولي هشام بعض اولاده امرة الموسم ، فقد ولى ابنه سليمان امرة

= ويذكر صاحب (لعيون والحدائق في أخبار الحقائق ، ص١٠٧) . ان عائشة بنت هشام كانت تحب الخيل وتعنى بها وتشترك في السباق وتسير من موكب ابيها . وكذلك حتى (تاريخ العرب ، ج٢ ، ص٢٩٦) .

(٣٠١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٢ ، ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص‌ص٢٦١-٢٦٢ .

(٣٠٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٤ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٦٢ .

(٣٠٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢١٠ ، واليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٦٥ ، والاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٤٠٣ .

(٣٠٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٣٨ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢١٤ .

(٣٠٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢١٠ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٦٥ .

الحج عام ١١٣هـ[٣٠٦]، وابنه محمدا عام ١١٨هـ[٣٠٧]، ويزيد بن هشام عام ١٢٣هـ[٣٠٨] ويبدو ان هشاماً كان يهتم بتصرفات اولاده، ويرغب لهم ان ينالوا رضا الناس عنهم[٣٠٩]. ويتضح ذلك من اختياره لمؤدبيهم، وتوليتهم المواسم، واجبارهم على حضور صلاة الجمعة، وقد ولى قسماً منهم أيضاً قيادة الحملات الحربية على ما سيأتي.

٢ ـ اشتراكهم في حروب الدولة :ـ

كان هشام يشرك أولاده بالحروب ويقلدهم قيادة جيوش الغزو واشتهر منهم معاوية بن هشام، قال عنه ابن حزم « ... قاد الصوائف عشر سنين متصلة[٣١٠] ».

ويذكر ابن خياط ان هشاماً ولى مسلمة بن عبدالملك الصائفة فلما مات مسلمة ولاها هشام ابنية معاوية وسليمان[٣١١].

ويبدو ان رواية ابن خياط لا تتصف بالتدقيق اذ سبق ان شارك معاوية في قيادة حملات الغزو، منذ عام ١٠٧هـ، على رواية ابن خياط نفسه[٣١٢]. او العام الذي سبقه[٣١٣].

---

(٣٠٦) الطبري، المصدر نفسه، ج٧، ص٩٣، وابن الاثير، المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٦، وابن خياط، المصدر نفسه، ج٢، ص٣٧٦.

(٣٠٧) ينفرد ابن خياط (ج٢، ص٣٧٧) بالقول، ان امرة الحج عام ١١٨هـ كانت لمحمد بن هشام بن عبدالملك، لكن الطبري (ج٧، ص١١٢) يذكر ان أمرة الحج كانت لمحمد بن هشام المخزومي، ويؤيد ذلك ابن الاثير (ج٥، ص١٩٩)، اما اليعقوبي (ج٢، ص٣٢٨) ففراغ ويذكر الناشر في الحاشية انها بياض بالاصل.

(٣٠٨) الطبري، المصدر نفسه، ج٧، ص١٩٧، وابن الاثير، المصدر نفسه، ج٥، ص٢٥٣، وابن خياط، المصدر نفسه، ج٢، ص٣٧٧.

(٣٠٩) يذكر ابن عبدربه (ج٢، ص٢٣٩) ان هشاماً ولى ابنه احدى الصوائف وارسل معه ابن عمه، فلما رجع الجيش سأل هشام ابن أخيه « ... كيف رأيت صحبة ابن عمك ؟ ».

(٣١٠) جمهرة انساب العرب، ج١، ص٩٢.

(٣١١) تاريخ خليفة بن خياط، ج٢، ص٣٧٧.

(٣١٢) تاريخ خليفة بن خياط، ج٢، ص٣٥٠، والطبري، المصدر نفسه، ج٧، ص٤٠.

(٣١٣) اليعقوبي، المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢٨.

ومع ذلك ، فقد شارك معاوية في قيادة الحملات الموجهة لغزو الروم ، زمن أبيه اكثر من عشر مرات[٣١٤] ، كما شارك فيها ايضا ابراهيم بن هشام[٣١٥] .

وقد شارك في قيادة حملات الغزو من اولاد هشام ، سليمان[٣١٦] ومسلمة[٣١٧] ، وسعيد[٣١٨] ، ومحمد[٣١٩] .

ولما كان ولاة أقاليم الدولة المجاورة لبلاد الأعداء مسؤولين عن الشؤون العسكرية لولاياتهم ، ولما كان هشام لم يول اولاده ، ادارة الأقاليم ، لذا فأنهم لم يشتركوا الا في الحملات الموجهة ضد الروم .

---

(٣١٤) يذكر ذلك كل من ابن خياط ، ج٢ ، ص٣٤٩ ، ص٣٥٠ ، ص٣٥١ ، ص٣٥٢ ، ص٣٥٣ ، ص٣٥٥ ، ص٣٥٧ ، ص٣٦٠ ، ص٣٦١ ، ص٢٦٢، ض٣٦٤ ، وكذلك الطبري ، (ج٧ ، ص٤٦ ، ص٥٤ ، ص٦٧ ، ص٧٠ ، ص٨٨ ، ص٩٠ ، ص٩٢ ، ص٩٣ ، ص٩٩ ، ص١٠٩) .
ويذكرها ابن الاثير ايضا (ج٥ ، ص١٤٥ ، ص١٥٥ ، ص١٥٨ ، ص١٧١ ، ص١٧٦ ، ص١٧٩ ، ص١٨١ ، ص١٨٢) . لكنه يكرر غزوة واحدة في (ج٥ ، ص١٨٦ ، ص١٨٢)،ويذكرها اليعقوبي ، ج٢ ، ص‌ص٣٢٨_٣٢٩.

(٣١٥) يذكر الطبري (ج٧ ، ص٤٣) ان ابراهيم بن هشام قاد اول غزوة له للروم عام ١٠٨هـ ، وكذلك يذكرها ابن خياط (ج٢ ، ص٣٦٩) .

(٣١٦) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٦٠ ، ص٣٦٤ ، ص٣٦٥ ، ص٣٦٩ ، ص٣٧٠ . والطبري ، ج٧ ، ص٩٠ ، ص٩٩ ، ص١٠٩ ، ص١٣٩ ، ص١٩٩ ، وابن الاثير (ج٥ ، ص١٧٩) ويذكر نفس الحملة في (ج٥ ، ص١٨٦ ، ص١٩٥) ، ويذكر ايضا غزوتين آخريتين في (ج٥ ، ص٢٢٩ ، ص٢٥٩) .

(٣١٧) يذكر ذلك ابن خياط في (ج٢ ، ص٣٦٥ ، ص٣٦٦) ، ويذكره باسم مسلمة بن عبدالملك ، وربما كان ذلك تصحيفاً فالراجح انه مسلمة بن هشام ، وقد سبقت مناقشة ذلك . وكذلك الطبري (ج٧ ، ص١٦٠) ، وابن الاثير ايضا (ج٥ ، ص٢٢٩) .

(٣١٨) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٥٥ ، والطبري ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٥٨ .

(٣١٩) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٦٩ .

٣ ـ إملاك عائلة هشـام :ـ

كان لكل واحد من اولاد هشام ملكيته الخاصة ، فيحدثنا الطبري ، ان هشاماً أخرج زوجتي ابنه معاوية ، بعد موته عن ثـمنهما فاعطى كل واحدة منهما، عن نصف الثمن ، أربعين الف درهم[٣٢٠] .

ويذكر البلاذرى ، ان حسان النبطي حـاز أرضاً في البصـرة ، أعطاها هشام لاولاده[٣٢١] ، وبعد فشل ثورة آل المهلب ، خـاز يزيد بن عبدالملك ضياعهم بالبصرة ، فلما ولي هشام منح تلك الضياع لاولاده ، ويذكر البلاذرى تلك الضياع بأسمائها[٣٢٢] ، كمـا يذكر ايضا ان هشاماً أقطع ابنته عائشـة قطيعة من أرض الجزيرة[٣٢٣] . ويحدثنا البكري ان احد اولاد هشام اشترى نصف البديع من ارض فدك ، بمبلغ عشرين الف دينار ، ولا يذكر اسم من اشتراها من اولاد هشام[٣٢٤] .

ويبدو مما سبق ، ان اولاد هشام ، يملكون أراضي خاصة بهم ، غـير ما عندهم من نقود في جهـات متعـددة من الدولة ، في العراق ، والجزيرة ، والحجـاز .

د ـ علاقات هشام باقربائـه :ـ

١ ـ علاقته بالوليد بن يزيد ولي العهد :

كان هشام مكرماً للوليد حتى ظهر منه مجون وفسق ، وربما كان لمؤدب الوليد ، عبدالصمد بن عبد الاعلى يد في سوء سيرة الوليد[٣٢٥] ، فأراد هشام

---

(٣٢٠) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٠٧ ، ولو احتسبنا المبلغ على اساس افتراض الملكية معاوية بن هشام ، والتي حددها أبوه تكون حصة كـل واحدة من زوجتيه = واحد من ست عشر ويسـاوى ذلـك (٤٠) ألف درهم . فتـكون ملكيـة معاويـة بن هشـام اذن = ١٦ × ٤٠ = ٦٤٠ الف درهم .

(٣٢١) فتوح البلدان ، ص٣٦١ .

(٣٢٢) ايضا ، ص٣٦٢ .

(٣٢٣) ايضا ، ص١٨٥ .

(٣٢٤) معجم ما استعجم ، ج١ ، ص ص ٢٣٢ـ٢٣٣ .

(٣٢٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٩ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٦٤ ، واليعقوبي، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٣٣ ، والاصفهاني، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٣٩ .

إبعاد عبدالصمد عن الوليد ، فكتب اليه بذلك فأستجاب الوليد الى رغبة عمه هشام وأخرج عبدالصمد[٣٢٦] . وقد حاول هشام ان يصلح من سيرة الوليد، فولاه الموسم عام ١١٦هـ[٣٢٧] .

ويبدو ان الوليد لم يرتدع ويترك ما كان عليه من لهو وفسق ، فطمع هشام في خلعه ، وتقليد ولاية العهد لابنه مسلمة[٣٢٨] ، لكن الوليد رفض خلع نفسه ، فطلب منه هشام ان يجعل مسلمة وليا للعهد من بعده ، فرفض الوليد ذلك أيضا « ... فتنكر له هشام وأضر به وعمل سرا في البيعة لابنه ... فأجابه قوم ، منهم محمد وابراهيم ابنا هشام بن اسماعيل المخزومي ، وبنو القعقاع بن خُليد العبسي ، وغيرهم من خاصته[٣٢٩] » .

وساءت العلاقة بين هشام والوليد[٣٣٠] ، فكان هشام يُعنّفه أمام الناس[٣٣١] . وكان الناس يتقربون الى هشام بعيب الوليد[٣٣٢] . ويذكر

---

(٣٢٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢١١ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٦٤ .

(٣٢٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٨ ، ويذكر ايضا (ج٧ ، ص٢٠٩) ، ان أمرة الحج كانت سنة تسع عشرة ومائة ، وربما كانت تصحيف والراجح ما اوردناه سابقا ، من ان أمير الحج عام ١١٩هـ ، كان مسلمة بن هشام ، كما يذكر ابن الاثير (ج٥ ، ص٢٦٤) واليعقوبي (التاريخ ، ج٢ ، ص٣٢٨) .

(٣٢٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٩ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ص٢٦٤ .

(٣٢٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، صص٢٠٩–٢١٠ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٦٤ .

(٣٣٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٩ ، واليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ ، ص٣٢٧ ، والاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٣٩ ، وابن عبدربه ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٨٤ ، ص١٨٨ .

(٣٣١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، صص٢١٠–٢١١ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، صص٣٦٤–٣٦٥ ، وابن عبدربه ، المصدر نفسه ، ج٤ ، ص٩٥ ، والاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٤٠ .

(٣٣٢) ابن عبدربه ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٨٤ .

الطبري ان الوليد أفرط في الشراب وطلب اللذات « ... فقال له هشام ويحك ياوليد والله ما أدري أعلى الاسلام أنت أم لا ؟[٣٣٣] » فخرج الوليد ونزل بالأزرق على ماء له بالأردن ، فقطع عنه هشام ما كان يجرى عليه[٣٣٤] ، ويبدو من بعض الروايات[٣٣٥] ان هشاماً لم يكن مخلصاً في طلبه الى الوليد ترك ما هو عليه ، ولما ولاه الموسم سنة ١١٦هـ ، لم يكن يرغب باصلاحه ، وانما اراد هشام ان يظهر الوليد على حقيقته ، أمام الناس « ... وليهتكه عند أهل الحرم فيجد السبيل الى خلعه فظهر منه [الوليد] اكثر مما أراد به[٣٣٦] » .

ومن جهة ثانية لم يألُ الوليد جهداً في الطعن على هشام ، فيذكر الأصفهاني ، ان الوليد إتهم هشاماً بمحاولة قتله[٣٣٧] . ومع ان اسلوب الرواية يبدو عليه الوضع ، فيصعُب على الباحث ان يقبل تلك الرواية دون تحفظ ، ولكن الذي نقرره ان هشاماً كان جاداً في خلع الوليد والبيعة لابنه مسلمة بولاية العهد[٣٣٨] ، او بولاية العهد بعد الوليد في الاقل ، ومع ذلك لم يجرؤ هشام على تحدى الناس في بيعتهم للوليد ، فيذكر ابن كثير ان الزهري ، المحدث ، كان يحث هشاماً على خلع الوليد من ولاية العهد ، لكن هشاماً كان يرفض ذلك خشية الفضيحة وتغير قلوب الاجناد[٣٣٩] .

---

(٣٣٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢١٠ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، صص٢٦٤ـ٢٦٥ .

(٣٣٤) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٦٥ ، الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢١١ .

(٣٣٥) يروي الطبري ، (ج٧ ، صص٢٠٩ـ٢١٥) ، روايات متعددة ، عن العلاقة بين الوليد وهشام ، والرسائل المتبادلة بينهما وبعضاً عن سيرة الوليد .

(٣٣٦) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٤٦ . والطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٩ .

(٣٣٧) يذكر الاصفهاني (ج٧ ق ص١٦٤) ان الوليد يتصيد وحده في البرية وراى شخصاً يقترب منه ويحاول قتله ، فقتله الوليد فكان الشخص احد موالي هشام .

(٣٣٨) يذكر الطبري (ج٧ ، ص٢١٠) ان هشاماً زجر أبنه مسلمة على شرب الخمر وقال له « يعيرني بك الوليد وانا أرشحك للخلافة » .

(٣٣٩) البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٣ .

ولما سأل هشام أحدهم « ... أفترى الناس يرضون بالوليد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ان له في أعناق الناس بيعة[٣٤٠] » .

وكان نتيجة محاولة هشام ، خلع الوليد والبيعة لابنه مسلمة ، ان جلب نقمة الوليد على أولاده من بعده ، فيذكر الطبري ان الوليد بن يزيد ، كتب الى العباس بن الوليد بن عبدالملك ، بعد وفاة هشام ، ان يذهب الى الرصافة « ... فيحصي ما فيها من اموال هشام وولده ، ويأخذ عماله وحشمه[٣٤١] ، كما ان الوليد « ... أشتد على بني هشام[٣٤٢] » .

ولم يقتصر أذى الوليد على اولاد هشام ، بل شمل جميع من أيدوه على خلع الوليد ، فيذكر الطبري انه سلّم لواليه على قنسرين ، يزيد بن عمر بن هبيرة ، بني القعقاع فعذبهم يزيد ، فمات في العذاب الوليد بن القعقاع وأخوه عبدالملك ورجلان من بني القعقاع ، وكانوا قد أيدوا هشاماً في خلع الوليد[٣٤٣] ، كما ارسل الوليد محمد وابراهيم ، ابنا هشام بن اسماعيل المخزومي ، الى خاله ، والي الحجاز ، يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي ، ليوقفهما للناس ، ثم أمره ان يُرسلهما الى العراق الى يوسف بن عمر الثقفي فلما قدما على يوسف ، قتلهما تحت العذاب ، وكان سبب ذلك ، انهما أيدا هشاماً على خلع الوليد[٣٤٤] .

٢ ـ علاقته بآل مروان وسائر الأمويين :ـ

كان هشام يولي أهل بيته قيادة الحملات الموجهة ضد البيزنطيين فقد ولى أخاه مسلمة قيادة تلك الحملات لسنوات عدة[٣٤٥] ، كما ولاه ولاية أرمينية

---

(٣٤٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢١٣ .
(٣٤١) ايضا ، ج٧ ، ص٢١٦ .
(٣٤٢) أيضا ، ج٧ ، ص٢٣١ .
(٣٤٣) أيضا ، ج٧ ، ص٢٣٧ .
(٣٤٤) أيضا ، ج٧ ، ص٢٢٧ ، وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٧٩ .
(٣٤٥) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ص٣٥٠ـ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، والطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٤٠ ، ٤٤ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٤٠ ، ص١٤١ .

وأذربيجان مرتين[٣٤٦] ، على ما سنذكره ، ولما عزل هشام مسلمة ، في المرة الثانية عام ١١٤هـ ، عن أرمينية وأذربيجان ، ولاها لابن عمه مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم[٣٤٧] • كما ولى هشام أخاه سعيداً قيادة احدى الحملات ضد البيزنطيين أيضا[٣٤٨] • واعطى هشام ولاية مصر لأخيه محمد بن عبدالملك ، فلم يبق محمد فيها الا شهرا واحدا وتركها[٣٤٩] ، ثم ولاها هشام للحر بن يوسف الأموي[٣٥٠] ، وقد استمر الحر على ولاية مصر حتى عام ١٠٨هـ[٣٥١] ، على ما سيأتي •

اما ابناء أخوته ، فمع ان هشاماً لم يولهم قيادة حملات الصوائف ، لكنه كان يشركهم فيها قال ابن عبدربه « ••• وجه هشام بن عبدالملك ابنه على الصائفة ، ومعه ابن أخيه واوصى كل واحد منهما بصاحبه[٣٥٢] » •

وكان هشام يفرض المشاركة في الحملات الحربية ، على من يأخذ العطاء من آل مروان قال الطبري ، « ••• ولم يكن أحد من بني مروان يأخذ العطاء الا عليه الغزو فمنهم من يغزو ومنهم من يخرج بديلا ، وكانوا يصيرون أنفسهم

---

(٣٤٦) كانت ولاية مسلمة لارمينية واذربيجان عام ١٠٧هـ ، كما عند ابن الاثير، (ج٥ ، ص١٣٧) وابن خياط (ج٢ ، ص٣٧٧) وعزل هشام اخاه مسلمة عنها عام ١١١هـ ، كما عند الطبري (ج٧ ، ص٦٧) وابن الاثير (ج٥ ، ص١٥٨) •

(٣٤٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٠ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٧٧ ، وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٧٧ •

(٣٤٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٩ ، وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٤٩ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٢٥ ، ويذكر ابن الاثير ايضا (ج٥ ، ص١٣٤) ، قيادة حملة اخرى ولعلها مكرره •

(٣٤٩) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٢ ، وابن تغرى بردي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٥٦ •

(٣٥٠) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٢ ، وابن تغرى بردي ، المصدر نفسه ج١ ، ص٢٥٨ •

(٣٥١) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٣ ، وابن تغرى بردي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٦٣ •

(٣٥٢) العقد الفريد ، ج٢ ، ص٢٠٩ •

في أعوان الديوان ، وفي بعض ما يجوز لهم المقام به ويوضع به الغزو عنهم[353] » ، ويبدو ان مقدار العطاء كان مائتي دينار ، قال الطبري ، « ... وكان عطاء هشام مائتي دينار ودينار ، يفضل بدينار[354] » ويظهران هشاماً لم يهب لأهل بيته من الأموال ، كما كان يوهب لهم في العهود السالفة ، فيذكر الطبري أن الوليد كتب الى يوسف بن عمر واليه على العراق يطلب منه الأموال بسبب كثرة ما اعطى الناس « ... وما وصل به أهل بيته لطول جفوة هشام أياهم[355] » ومع ان هشاماً لم يحاب آل مروان ويفضلهم على من سواهم ، لكنه لم يجفهم ، كما أشار الوليد ، وربما كان حرص هشام على بيت المال وعدم التفريط بالمال ، بدون سبب ، كما أشرنا سابقاً ، دفع الوليد الى ذكر ذلك ، وفيما عدا الهبات من الاموال ، فان هشاماً لم يجفُ أهل بيته ، وقد أشرنا الى ان هشاماً زوّج جميع بناته من ابناء عمومتهن كما كان بنو مروان يأخذون عطاء الشرف[356] .

وقد كان عدد من بني مروان يحضرون مجلس هشام للسمر معه[357] ، وتذكر الروايات أن هشاماً وبّخ أفضل ولاته ، خالدا القسري ، واليه على العراق ، لما أهان القسري أحد الأمويين ، وكتب الأموي اليه بذلك ، وربما كانت أهانة الأموي ، من بين ما دعا هشام الى عزل القسري عن ولايته[358] .

٣ ــ رعايته لأخواله من بني مخزوم :

سبق ان ذكرنا ان هشاماً ولد بالمدينة عند اخواله ، لأن أمه كانت مطلقة

---

(٣٥٣) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٠٢ .
(٣٥٤) ايضا ، ج٧ ، ص٢٠٢ .
(٣٥٥) ايضا ، ج٧ ، ص٢٣٣ .
(٣٥٦) يذكر لطبري ، ج٧ ، ص٢٠٢ ، ان عطاء الرجل من آل مروان كان مائتي دينار ، لذا فقد كانوا في الشرف الاعلى للاعطية ، على ما سيأتي .
(٣٥٧) يذكر الاصفهاني ، ج١١ ، ص ص١٨٩ـ١٩٠ ، ان عائشة بنت طلحة ، وفدت على هشام ، فأرسل الى مشايخ بني امية ليسمروا عنده لسماع حديث عائشة .
(٣٥٨) يذكر الطبري ، ج٧ ، ص١٤٣ ، ان الشخص ، كان رجلا من قريش ، لكن ابن الاثير ج٥ ، ص٢٢٠ ، يذكر انه من آل عمرو بن سعيد بن العاصي .

عند أهلها ، وأستنتجنا من ذلك ان هشاماً قضى طفولته المبكرة في المدينة عند اخواله ، فلما تولى الخلافة ، ولى خاله ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي، مكة والمدينة والطائف عام ١٠٦هـ[٣٥٩] . وقد استمر ابراهيم بن هشام الى عام ١١٤هـ ، فعزله هشام بن عبدالملك عن ولاياته الثلاث وولى مكة والطائف لخاله الأخر محمد بن هشام المخزومي[٣٦٠] ، وأضاف اليه المدينة عام ١١٨هـ[٣٦١] . وظهر ميل هشام لاخواله عندما أمر لوفد من قريش ببعض المال فضّل فيه اخواله ، فقال ابو عدى الأموي .

خس حظي ان كنت من عبد شمس   ليتني كنت من بني مخزوم[٣٦٢]

وشتم أحد أخوال هشام ، من بني مخزوم ، قاضي المدينة وأرسل ابنه ، الى هشام يعتذر عن ذلك ، فقال هشام لابنه « ... والله لولا ما يحتسب أبوك وما رعيت من خؤولته لضربته ... حتى لا يوهن سلطاناً أبدا[٣٦٣] » .

ويذكر الطبري ان هشاماً ، لما أرسل الى العراق ، من نسب اليهم

---

(٣٥٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٩ ، ص٣٩ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ص١٣٣ ، لا يذكر فلهاوزن (تاريخ الدولة العربية ، ص٣١٥) سوى ان هشاما حابى اخواله من بني مخزوم .

(٣٦٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٠ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٧٩ .

(٣٦١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١١١ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٩٨ .

(٣٦٢) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١١ ، ص٣٠٣ ، ويشير ايضا في نفس الصفحة ان ابا عدى كان علوى الهوى ، مع انه أموي النسب وقد هاجر من مكة الى المدينة بسبب حبه لآل علي ويورد أبياتا شعرية لابي عدى في حب علي بن ابي طالب (ع) . ومن المحتمل ان هشاما ، لم يعط لابي عدى مالا يرضى عنه للسبب السالف ، لكن ذلك لا يقلل من اهمية الرواية ومحاباة هشام لاخواله .

(٣٦٣) يذكر وكيع (أخبار القضاة ، ج١ ، ص ص١٧٣-١٧٤) ان ايوب بن سلمة المخزومي تزوج امرأة من آل علي فشكاه اخوتها وطلبوا فسخ النكاح ، فحكم لهم قاضي المدينة بذلك ، فأرسل أيوب ابنه الى هشام يطلب اعادة زوجته اليه ، ومع ان هشاماً وبّخ ابن ايوب لكنه اعاد زوجة ايوب اليه.

يوسف بن عمر حيازة أموال تعود لخالد القسري ، للتحقيق معهم ، استثنى أيوب بن سلمة المخزومي ، وكان ذكر اسمه معهم ، لأنه من أخواله[٣٦٤] .

ومع ان عبدالملك بن مروان أسند ولاية المدينة لهشام بن اسماعيل المخزومي سنة ثلاث وثمانين ، وبقي عليها حتى وفاة عبدالملك عام ٨٦هـ[٣٦٥]. فلا يبدو ان ولدي هشام المخزومي ، كانا من الكفاءة او الشهرة بحيث يعطيان ولايات مكة والمدينة والطائف لولا خؤولتهما لهشام .

وفي ختام بحثنا عن شخصية هشام بن عبدالملك نقرر ما يأتي :

١ ـ كان هشام من أشهر حكام بني أمية في الشام ، ولعله يفوق أباه عبدالملك في سياسة الدولة ، وفي تنظيم مواردها الاقتصادية ، والحفاظ على تلك الموارد من الضياع . ولا نبتعد عن الحقيقة اذا فضلناه على معاوية الاول في نواحي عدة من سياسته وخاصة ابتعاده عن أساليب المداهنة والخداع في ضرب الخصوم .

٢ ـ كان هشام اكثر مراقبة لولاته من عبدالملك ، وأشد تقييدا لتصرفاتهم تجاه الرعية ، فأبوه عبدالملك أطلق يد الحجاج في ادارة اقاليم كبيرة من الدولة ولم يلتفت لما ارتكبه من أخطاء ومظالم تجاه جماعات كبيرة من الرعية ، والموالي منهم بخاصة ، مما سبب اضرارا اقتصاديا للدولة وأفقدها عطف وتأييد كثير من سكانها .

٣ ـ إهتم هشام بمبادىء التنظيم الساساني وبتطوير الخدمات الادارية على مثال ذلك النظام . لكن التقاليد الساسانية كانت شديدة المباينة لطبيعة الفكر الأسلامي لما كانت تشتمل عليه من ملكية مركزية وارستقراطية قوية ولذلك

---

(٣٦٤) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٦١ .

(٣٦٥) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٩١ ، ويذكر الطبري (ج٦ ، ص٣٥٥) ان ولاية هشام المخزومي للمدينة ، كانت عام ٨٢هـ ، لكنه يعود الى القول فيذكر في (ج٦ ، ص٣٨٤) ان ولاية هشام للمدينة كانت عام ٨٣هـ ، والروايتين عن الواقدي ، ويذكر أيضا (ج٦ ، ص٤٢٦) ان أمير الحج ، كان هشام بن اسماعيل المخزومي لكنه يذكر أيضا (ج٦ ، ص٤٣٣) ان أمير الحج لنفس العام كان عمر بن عبدالعزيز ، وكان أمير على المدينة .

فانها دفعت عجلة التطور بقوة نحو الملكية وهو أمر أثار حفيظـــة المتدينين وفي عهد هشام اتسعت المعارضة وانتشرت ضد الأمويين وأصبح من الصعب عليهم دون المستحيل على خلفاء هشام ان يعدلوا كيان الدولـة العربيـة التعديل الذي اقتضته بالحاح القوى الداخلية الجديدة في التطور الاجتماعي • وكـان الخلفاء العباسيون اكثر استبدادا من الأمويين واشد منهم تقليدا للمثـــال الفارسي في ادارتهم غير انهم رغم ذلك ، استطاعوا ان يرضوا الشعور الأسلامي ارضاءا لم يبلغه الأمويون[٣٦٦] •

(٣٦٦) گب ، المصدر نفسه ، ص‌ص٤٧ـ٤٨ •

الفصل الثالث

ادارة الدولة في عهد هشام

أ ـ تعيين الولاة وممارستهم لأعمال الادارة ٠

١ ـ ولاة العـراق ٠

٢ ـ ولاة خراسان وبلاد ما وراء النهر ٠

٣ ـ ولاة أرمينية وأذربيجـان ٠

٤ ـ ولاة الجزيرة والموصـــل ٠

٥ـ ولاة مكة والمدينة والطائف ٠

٦ ـ ولاة مصـــر ٠

٧ ـ ولاة أفريقيــة ٠

٨ ـ ولاة الأندلس ٠



ادارة الدولة في عهد هشـــام .

أ ـ تعيين الولاة وممارستهم لأعمال الادارة :

كانت الأمبراطورية في اكثر عهود الأمويين مقســـمة الى ولايـات أو أقاليم ، وكان عددها يربو على العشر ولايات[1] ، وتناط ، أحيـاناً ولايتين أو أكثر بوال واحد ، على ما سيأتي ، وسنذكر اهم ولاة كل اقليم مبتدئين بالعراق:

١ ـ ولاة العـــراق :

يشمل العراق ادارياً ولايتي البصرة والكوفة ، ويُعين لهما ، أحياناً أمير واحد كانت واسط ، بعد تمصيرها ، مقرا له . وكان يلي العراق وما يليه من

---

(١) يذكر ابن خياط (تاريخ خليفة بن خياط ، ج٢ في صص٣٧٣ـ٣٧٤) ان عدد الولايات كان أربع عشرة ولايـــة زمن هشام ، ويعـــدد ولاة تلك الولايات ، لكنحتي (تاريخالعرب ، ج٢ ، ص٢٩١) يذكر انالامبراطورية كانت مقسمة الى خمس ولايات زمن الأمويين وهي :

١ ـ البصرة ، والكوفة ولاية واحدة هي العراق ، وضمت اليهـــا فارس وشرقي الجزيرة العربية ، وأصبحت عاصمتها الكوفة ، وواسط بعدئـــذ وتلحق بهما خراسان احيانا وبلاد ما وراء النهر ، ويرســـل أمير العراق والياً عليهما يكون مقره مرو ، كما يرســـل عاملا آخر لادارة شـــؤون السند والبنجاب .

٢ ـ الحجاز واليمن وأواسط الجزيرة عمـــلا واحداً يديرهـــا وال يعينه الخليفة .

٣ ـ وكانت الجزيرة الفراتية ، وأرمينية ، وأذربيجان وبعض الانحـــاء الشرقية من آسيا الصغرى ، يديرها وال يعينه الخليفة .

٤ ـ مصر بقسميها الشمالي (الدلتا) والجنوبي ، (الصعيد) لها وال يعينه الخليفة .

٥ ـ شمال أفريقية من حدود مصر حتى المحيط الأطلسي عليها أمير يعينه الخليفة ومقره القيروان ، ويرسل من قبله وال على الأندلس .

ويعدد كبرائيلي

(Gabrieli, Op. Cit. p.p. 121-122) ..

أقاليم الدولة في عهد هشام كما يلي :

١ ـ العراق .

٢ ـ خراسان وبلاد ما وراء النهر تلحق احياناً بالعراق .

٣ ـ أرمينية واذربيجان .

٤ ـ الحجاز ويتكون من ولايتي مكة والمدينة .

٥ ـ اليمن ٦ ـ أفريقية ٧ ـ مصر ٨ ـ اسبانيا ولعله يقصد الاندلس

عمل الشرق عمر بن هبيرة الفزاري ، قبيل مجيء هشام للحكم ، فلما جاء هشام عزل ابن هبيرة عن ولاياته جميعها .

ويبدو ان حب ابن هبيرة للاموال ، واحتجانه لكمية من الأموال العامة ، كانا من بين الأسباب التي أدت الى عزله عن ولايته[٢] . إضافة الى ذلك ما أظهره ابن هبيرة من عصبية فانه كان يقول بأنه « ... خير قيس لها[٣] » . فعزله هشام لذلك ثم ولى العراق وما يليه من عمل المشرق لخالد بن عبدالله القسري ، متأثراً « ... باليد التي كانت له عنده[٤] » .

ويذكر صاحب تاريخ الخلفاء ان هشاماً كان قد وعد خالدا بولاية العراق

---

(٢) يذكر الجهشياري (كتاب الوزراء والكتاب ، ص٦٠) ان هشاماً سأل مرة عن صاحب خيل عارضت موكبه ، فلما قيل له أنها لأبن هبيرة قال « ... اختان ما اختان ثم قدم والله مارضيت عنه بعد » .
وتاريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف ، ص٤٠٥ ، ويذكر الجهشياري ايضاً (ص٥٨) ان ابن هبيرة ، لما ولي العراق « ... عزم على الجباية ... » حتى انه ابتكر اداة جديدة لتعذيب الناس واستخلاص الأموال منهم ، سُميت الفزارية نسبة له ، وقد عذّب بها صالح بن عبدالرحمن ، مسؤول الخراج ، قبل ولايته للعراق .

(٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦ .

(٤) اليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ ، ص٣١٦،ويذكر ايضا (ج٢ ، ص ص٣١٣ـ٣١٤) ان يزيد بن عبدالملك ، بايع هشام بولاية العهد وبدا له بعدئذ ان يبايع لابنه الوليد فأرسل خالدا القسري ليقنع هشاماً بالتنازل وكان هشام بالجزيرة فذهب اليه خالد فوافق هشام على ان تكون له الجزيرة طعمة (وارداتها له) لكن خالدا أخبره ، بعد أن أقسم هشام على كتمان السر ، بان بامكانه ، اقناع يزيد برفض هشام خلع نفسه ، ولا مبرر لاثارة العداوة والبغضاء ، فوافق هشام . وقال لخالد انها يد مشكورة له .
ولعل الباحث يجد في رواية اليعقوبي ، ان صحت ، العامل المهم في تعيين خالد واليا على العراق ، لكنها لا تثبت للنقد ، فان البيعة لهشام والوليد بن يزيد ، كانت في آن واحد أي قبيل ارسال الجيوش الى العراق ، عام١٠١هـ، لأخماد ثورة آل المهلب ، كما ان بقية المصادر تجمع على ندم يزيد على تقديم هشام على ابنه ، لكنها لا تشير الى الرواية السالفة ، والتي ينفرد اليعقوبي بذكرها ، ومع ذلك فسنناقش أهم العوامل التي أدت الى تعيين خالد ، تاركين رواية اليعقوبي على ما فيها من ضعف .

اذا ولي الخلافة ، لان خالدا كان أخوه في الرضاعة[٥] • وعلى ما يظهر فأن الرواية السالفة لا تقدم لنا اسبابا وجيهة لاختيار خالد ، وربما كان بامكان هشام ان يختار أحد أخوته او أحد الأمويين لولاية العراق اذا أرادها لأقاربه • ويحكي لنا الطبري وابن الاثير ، ما رافق تعيين القسري من مدح لطاعة أهل اليمن ورضا هشام عنهم[٦] •

ويرى فلهاوزن أن تعيين هشام لخالد القسري ادى الى كسر شوكة القيسيين ، وان لم يكن القسري من اليمانية[٧] • ويعتقد الخضري أن تعيين القسري كان نتيجة لحسن رأي هشام بأهل اليمن[٨] • ويرجح مؤنس راي فلهاوزن القائل ان هشاماً أراد ان يخفف من غلواء القيسية ، فاستعمل ولاة من كبار اليمانية أمثال خالد القسري[٩] •

ويقول حسن ان اختيار القسري لولاية العراق ، كان لأيجاد نوع من التوازن بين القيسية واليمانية ، بعد ان ارتفع شأن القيسية في عهد يزيد[١٠] •

ويجمع الراوي بين الأراء السالفة تقريبا فيقول ، ان سياسة هشام كانت تتجه الى ايقاف التعصب القبلي ، واضعاف سيطرة مضر بعد القضاء على ثورة آل المهلب ، فعين خالدا القسري واليا على العراق رغم معارضة القيسية[١١] •

يتضح مما سبق ان هناك رأيين ، يكمل أحدهما الآخر ، لتعليل اختيار ،

---

(٥) تاريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف ، ص‌ص٤٠١-٤٠٢ •
ينفرد المصدر السابق بذكر الرواية السالفة ، ولعل تسامح هشام مع خالد ، رغم ما كان ينقل له عنه ، كما وان هشاماً لم يفرط به بعد عزله • مع ما كان يصدر عنه من أقوال بعد العزل ، ربما اوحى لطائفة من المؤرخين بروايات كالتي سبقت وان كانت بعيدة عن الواقع •
(٦) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٦ ، والكامل ، ج٥ ، ص١٢٤ •
(٧) تاريخ الدولة العربية ، ص٣١٨ •
(٨) محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ، ج١ ، ص١٩٠ •
(٩) فجر الأندلس ، ص١٤٣ •
(١٠) حسن ، علي ابراهيم ، التاريخ الأسلامي العام ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص٣١٢ •
(١١) الراوي ، المصدر نفسه ، ص٢١٠ •

هشام لخالد القسري واليا على العراق ، أولهما يعلل التعيين برضا هشام عن أهل اليمن ، ورغبته في كسر شوكة القيسيين بعد أن أرتفع شأنهم في عهد سلفه يزيد بن عبدالملك اما الرأي الثاني ، فيعلل ما سبق بان سياسة هشام كانت تتجه الى ايقاف التعصب القبلي وايجاد نوع من التوازن بين الفئتين القبليتين المتخاصمتين .

كان هشام يدرك أهمية القبائل اليمانية في الشام ، ويقدر دورها في الحفاظ على العرش الأموي ، لذا كان راضٍ عنها ، وأراد ان يشعرها بذلك الرضا ، خاصة في بداية حكمه[١٢] .

ومن الجدير بالذكر ان سياسة الخلافة اتجهت في المشرق قُبيل مجيء هشام اتجاهاً قيسياً ، فكان من مصلحة الحاكمين أن يلي المشرق شخص تثق به الخلافة خاصة ، وان ذلك حصل على أثر اخماد ثورة دامية في العراق ، كانت القبائل اليمانية فيه قد أيدتها ، كما سبق وان أشرنا في الفصل الاول ، فكان ذلك التصرف من الخليفة نتيجة حتمية للظروف التي سادت أنذاك عقب فشل ثورة آل المهلب .

ومع ذلك فلم يكن من الطبيعي ان تُعامل القبائل اليمانية ، في العراق ، بمثل ما عوملت به من قسوة وجفوة ، كما لم يكن من الطبيعي ان تستمر تلك السياسة لمدة طويلة فقد سار مسلمة بن عبدالملك ، لما ولي العراق (١٠١-١٠٢هـ) على سياسة قيسية ، كما سار خلفه عمر بن هبيرة الفزاري ، الذي كان يصف نفسه بانه « خير قيس لها » ، على منوال سلفه ، فلما جاء هشام عام ١٠٥هـ كان الوضع في المشرق عامة وفي العراق خاصة ، يتطلب تغيراً في الأتجاه القيسي السائد ، ولما لم يكن من السهل ايجاد ولاة يراعون أحكام الشريعة ويتصفون

---

(١٢) يذكر الزبيري (نسب قريش ، ج١ ، ص٩) ان جنداً من أهل الشام من لخم وجذام كانوا برفقة القسري ، لما قدم العراق أميراً .
ويذكر الطبري ، (ج٧ ، ص٢٧) ان فرحا طاغياً ساد المعسكر قرب دمشق، لما عين هشام خالد القسرى والياً على العراق ، لكن هذا لا يعني ان تعيين هشام لخالد القسرى كان عصبية لأهل اليمن .

بالكفاءة ، وفي الوقت نفسه يتعاونون مع الخلافة ، حتى من بين المروانيين أنفسهم[١٣] ، فمن المرجح ان يختار هشام للمشرق واليا كفوءا يفترض فيه الاخلاص للخلافة اولا[١٤] ، مع مراعاة لمصالح اليمانية الى الحد الذي لا يسمح بالتعصب على القيسية ثانياً . ولتحقيق ذلك تم أختيار خالد بن عبدالله القسري اليماني الاصل[١٥] .

وليس من الضروري ، ان يُفسر هذا الاختيار منهشام على انه تعصباً لجهة دون أخرى . تولى خالد العراق وما يليه من عمل المشرق ، في شوال من

---

(١٣) يذكر الكندي ، (كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ج١ ، ص٧٣) ان محمد بن عبدالملك بن مروان ، لما ولاه هشام مصر قال له « ... اليها على أنك ان أمرتني بخلاف الحق تركتها ... فوليها شهراً فاتاه كتاب لم يعجبه ، فرفض العمل وانصرف الى الاردن . ويصف ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص٥٩) محمدا هذا ، فيذكر انه كان ناسكا كثير العبادة . ويذكر ابن الآبار (أعتاب الكتاب ، ص ص٦٣-٦٤) ان ابراهيم بن ابي عبلة رفض ان يتولى خراج مصر لهشام تديناً ، ويذكر ابن تغرى بردى أيضا ، (ج١ ، ص ص٢٦٣-٢٦٤) ان حفص بن الوليد ولي مصر لهشام مكرها وكان محدثاً فاضلا .

(١٤) يذكر الطبري ، ج٦ ، ص٤٦٤) ان خالداً القسري تولى ولاية مكة للوليد بن عبدالملك باقتراح من الحجاج ليطارد الفارين من العراق ، وقد أثبت خالد كفاءة في هذا الموضوع ، ويذكر الاصفهاني (الاغاني ، ج١٩ ، القاهرة ، ١٣٢٣هـ ، ص٥٩) ، ان خالدا كان يقول « ... لو أمرني أمير المؤمنين ، نقضت الكعبة حجرا حجرا ونقلتها الى الشام » .

(١٥) يذكر الاصفهاني ايضا (ج١٩ ، ص٥٣) نسب خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عبدالله ، فاما غلبة بجيلة على هذا النسب ، في شهرته بها فان بجيلة أمرأة أختلف في نسبها . ويؤيد ذلك ايضا ابن نباته (سرح العيون ، ص٢٩٤) .

ويذكر القلقشندى (نهاية الأرب ، ص١٧١) ان بجلية قبيلة من انمار بن أراس من كهلان من القحطانية ، كما يذكر ايضا (ص٤٠٧) ان بني كلب بطن من بجيلة .

عام ١٠٥هـ (آذار ٧٢٤م) على الأرجح[١٦] • وأستمرت ولايته على العراق الى عام ١٢٠هـ (٧٣٨م) ، حين عزل في شهر جمادى الاولى من انعام نفسه[١٧] ، فكانت ولايته على العراق أربع عشرة سنة وسبعة أشهر •

اما خراسان فلم تكن أمرة خالد عليها مستمرة طيلة ولايته على العراق ، وسنذكر ذلك في موضعه من رسالتنا هذه •

وصل خالد القسري العراق في شوال عام ١٠٥هـ[١٨] ، واتخذ مدينة واسط مقراً لولايته[١٩] •

اهتم خالد بالزراعة فقام بتجفيف المستنقعات وحفر جداول الري وقد ساعده على ذلك حسان النبطي ، ونتج عن نشاط حسان هذا ، تجفيف مساحات واسعة من ارض البطائح وذلك بعمل المسنيات على دجلة •

وبذلك أصبحت ضياع خالد في العراق كثيرة ، ذكرها الطبري بأسمائها ومن امثلة ذلك ، نهر خالد ، وبارمانا ، والمبارك ، والجامع ، وكورة سابور ، والصلح[٢٠] • ولم يكن خالد وحده يملك مثل تلك الضياع في العراق ، فقد كان لهشام كثير منها قام حسان النبطي أيضا بتجفيفها له من ارض البطائح[٢١] •

---

(١٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٦ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٢٤ ، ص٢٢٤ ، ويذكر قسم من المؤرخين ان ولاية خالد للعراق كانت في عام ١٠٦هـ ، ابن خياط ، (تاريخ خليفة بن خياط ، ج٢ ، ص ص٣٤٩–٣٥٠) ، والبكري ، عبدالله بن عبدالعزيز ، كتاب التنبيه ، المنشور مع كتاب الأمالي ، القاهرة ، ١٩٢٦م ، ص١٠٣ •
اما الطبري (ج٧ ، ص٢٨) فيقول : « ••• قيل أن هشاماً انما استعمل خالد بن عبدالله القسري على العراق وخراسان ، سنة ستة ومائة » •

(١٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٣١ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٤ •

(١٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٦ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٤ •

(١٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٨ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٢ • ويذكر الازدي (تاريخ الموصل ، ص٣٥) ان خالدا كان على العراقيين ومسكنه الكوفة ولعله قصد ان له بها داراً •

(٢٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٥٢ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٥ •

(٢١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٩١ ، وابن خرداذبة ، المصدر نفسه ، ص٢٤٠ •

وقد بلغت غلات ضياع خالد، وابنه حوالي ثلاثين مليون درهم سنويا[٢٢] . كما ان حسان النبطي زاد على شخص اسمه فروخ ، مليون درهم ضماناً سنويا لأملاك هشام[٢٣] ، ولعل ذلك يقوم دليلا على سعتها . وكان من نتيجة اعمار الأراضي واحيائها ان ازدهرت الحياة الاقتصادية في العراق ، وازداد الأنتاج لكن هذا لم يؤدِ الى زيادة في دخل الفرد ولا الى انخفاض في الأسعار ، بل حصل العكس ، فأرتفعت الأسعار نتيجة الأحتكار[٢٤] « وانكسر الخراج »[٢٥]، فقَلَّ (نقص) مدخول الدولة من ضريبة الخراج .

لذا لم يتمتع العراقيون بثمرات هذا الأزدهار الأقتصادي ، ولم يجنِ منه بيت المال الا نقص الخراج ، ومع ازدهار الحياة الأقتصادية فقد ساد الهدوء النسبي في العراق خلال ولاية خالد له ، رغماً من قيام بعض الخوارج بثوراتهم ذات النطاق المحدود ، وقيام نفر من غلاة الشيعة بحركة محدودة الاثر في الكوفة ، وسنوضح ذلك في الفصل الرابع من هذه الرسالة .

وقام خالد بزيادة وزن الدرهم وجَوّده وحصر الضرب في مدينة واسط فقط ، فضرب الدراهم الخالدية ، واستمر على ذلك الى ان عزل عام ١٢٠هـ[٢٦] .

---

(٢٢) يذكر الطبري (ج٧ ، ص١٥٢) ان غلات خالد كانت عشرين مليون درهم سنويا ، ويذكر ايضا (ج٧ ، ص١٤٧) ان غلات ابن خالد كانت اكثر من عشرة ملايين درهم سنوياً .

(٢٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ص١٤٢–١٤٣ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢١٩ .

(٢٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٥٤ .

(٢٥) يذكر الطبري ، أيضا ، (ج٧ ، ص١٤٩) وابن الاثير (الكامل ، ج٥ ، ص٢٢٢) ان مقدار نقص الخراج خلال ولاية لخالد كان مائة مليون درهم . اما المبرد (الكامل ، ج٨ ، ص٢٩٣) فيذكر ان خالدا حمل الوظائف ناقصة عما حمله عمر بن هبيرة ولا يشير الى مقدار النقص .

(٢٦) المقريزي ، النقود الأسلامية ، ص١٦ . ويذكر ايضا ان ذلك كان بامر من هشام في بداية ولاية خالد عام ١٠٦هـ ، وربما كان الأرجح ان خالدا هو الذى قام بذلك ليضمن مقدارا ثابتا وجيدا من الدراهم لواردات ضياعه الضخمة . =

ومع طول مدة ولاية خالد على العراق ، فلا نكاد نعرف الكثير عن اعماله، اثناء ولايته ، الا من خلال ما نقم الناس عليه منها .

فقد نقموا على خالد أمورا فسروها بانهـا تمس معتقداتهم ، فكان « ... يهدم المساجد ويبني البيع والكنائس[٢٧] » . قال الفرزدق في ذلك :

الا قطـع الرحمن ظهر مطيـة أتتنا تهـادى من دمشـق بخـالد
وكيف يؤم الناس من كـانت أمـه تـدين بـان الله ليس بواحـد
بنى بيعـة فيهـا الصليب لأمـه ويهدم من كفـر منار المساجد[٢٨]

وقال ابن نوفل :

عليك أمـير المؤمنـين بخالـد وعمـاله ان كنت تطلب خالـدا
بنى بيعـة فيهـا الصليب لأمـه ويهدم من بعد الصلاة المساجد[٢٩]

كما أتهم خالد بالزندقة والمروق من الدين[٣٠] . وكان مستهتراً به[٣١] . بنى كنيسة لأمه النصرانية بظهر مسجد الكوفة ، وكان النصارى يضربون الجرس مع آذان المؤذن ويرتلون مع الخطبة[٣٢] » .

= والبلاذري ، فتوح البلدان ، ص‌ص٤٥٤-٤٥٥ ، والماوردي ، المصـدر نفسه ، ص١٥٤ .

(٢٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٣١ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٤ .

(٢٨) ابن الاثير ، المصدر نفسـه ، ج٥ ، ص‌ص٢٧٩-٢٨٠ ، ويذكـر المبرد (الكامل ج٦ ، ص٢٣٠) ان خالدا أمر بهدم المنائر لأنه سمع احد الشعراء يقول :-

ليتني من المؤذنين حيـاتي انهم يبصرون من في السطوح
فيشيرون او تشير اليهـم بالهوى كل ذات دل مليـح

لكن ذلك لم يكن عذرا كافيا عند الناس فعابوه وهجاه الشـعراء كما اشـرنا .

(٢٩) البلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٨ .

(٣٠) الاصفهاني ، المصدر نفسـه ، ج١٩ ، ص٦٠ ، ويذكـر ايضا (ج١٩ ، ص٥٩) أن خالدا قال للشيعة مرة اما آن لربكم ان يغضب لكم .

(٣١) ابن نباته ، المصدر نفسه ، ص٢٩٧ .

(٣٢) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١٩ ، ص٥٩ .

فلما أستعفي خالد منهـا قـال « ... قبح الله دينهم إن كان شـرا من دينكم[٣٣] » وكان خالد اذا بدأ الخطبة على المنبر يجلس مؤدبه بأزائه فاذا شك في شيء اومأ اليه ، واراد يوماً ان يقرأ أحدى السور فأرتج عليه فقال له احدهم « ... ما رايت عاقلاً يحفظ القرآن وانما يحفظه الحمقى من الرجـال قال صدقت يرحمك الله[٣٤] .

يصعب على الباحث ان يُسلم بمثل الروايات السالفة التي تتحدث عن كفر خالد وزندقته فأنه كان يَعد التقوى من أفضل صفات الرجل[٣٥] ، كما كـان يحث الناس في خطبه على عمل المعروف[٣٦] ، و « ... كان متقدماً في الخطابة متناهياً في البلاغة[٣٧] » . فمن المستبعد ان تصدر منه عبارات فيها كفر وزندقة ، او يجلس مؤدبه أمامه ليشير اليه باخطائه ، ومن غير المحتمـل أيضا ان يصف حفظة القرآن الكريم بالحمقى . وبلغ من تمسك خالد بالقواعد الخلقية أن منع الغناء بالكوفة وحبس طائفة من الجواري المغنيات[٣٨] ولم يبح الغناء الا لحنين على الا يغني لسفيه او معربد[٣٩] .

فلا يُحتمل والحالة هذه ان تصدر منه أقوال تمس الدين . ويبدو ان

---

(٣٣) المبرد ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص١٣١ ، ويذكر ابن الأثير (ج٥ ، ص٢٨٠) ان خالداً سمع ان الناس يذمونه لبناء الكنيسة ، فقال ذلك معتذراً .

(٣٤) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١٩ ، ص ص٦٢-٦٣ .

(٣٥) المبرد ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٣٣ ، وابن نباته ، المصدر نفسه ، ص٢٩٥ .

(٣٦) البلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٨ .

(٣٧) الأصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١٩ ، ص ص٦٢-٦٣ ، وابن نباتـه ، المصدر نفسه ص٢٩٥ .
ويذكر لنا الاصفهاني (الاغاني ، ج١٩ ، ص٦٠) روايات عن كفر خالد وزندقته فقد كان يُسمي بئر زمزم أم الجعلان . ويذكـر ابن نبـاته (سرح العيون ص٢٩٧) ذلك أيضا .
ويذكر الاصفهاني ايضا (الاغاني ، ج١٩ ، ص ص٥٨-٥٩) ان خالداً كان يتهكم على الذات الألهية ، وهذه الروايات كانت اثناء ولاية خالد عـلى مكة زمن الوليد بن عبدالملك .

(٣٨) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١٩ ، ص٦٣ .

(٣٩) ايضا ، ج١ ، ص٣٤٩ .

روايات كثيرة كالتي سبق ذكرت عن خالد ، وقد بولغ في بعضها ، وربما كان للحرية الدينية التي منحها خالد لأهل الذمة في بناء الكنائس والبيع[٤٠] ، وكثرة استخدامه للمجوس في شؤون الدولة[٤١] ، أثر كبير في ذكر تلك الروايات ، التي يصعب على الباحث ان يصدق صدورها من شخص مسؤول • ويرى فلهاوزن ان تفوق خالد العقلي وفصاحته كانا سببا في تفوهه بعبارات نابية أتخذت ذريعة للتشنيع به[٤٢] • ولا يقدم لنا ذلك أيضا سببا وجيهاً لان تصدر من خالد أمثال العبارات السالفة •

ومما نقمه الناس من خالد انه سمح لأهل الذمة شراء الجواري المسلمات ووطئهن[٤٣] • كما شكت اليه مسلمة ان احد عماله المجوس أكرهها على الزنى، فأستهزأ خالد منها ، فكتبت الى هشام بذلك فلما قرأ الرسالة كاد يطير من الغضب[٤٤] • ولما كانت بقية الرواية تشير الى ان حاملها كان حسان النبطي ، وهو من أعداء خالد فربما كانت من وضع حسان للدس عليه ، ومع ذلك فأنه اكثر من استخدام المجوس فقد « ••• كان عامة عمال خالد الدهاقين[٤٥] » وخاصة عمال الخراج فانه « لم يول على الخراج عربيا قط[٤٦] » ويبدو ان العرب كانوا يكرهون اولئك الدهاقين لظلمهم « ••• فقُتل دهقان منهم بفارس ، فأمر خالد بنفي العرب وعيالاتهم من السواد[٤٧] » ، لأتهامه لهم بقتله ويبدو أن

---

(٤٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٣١ •
(٤١) البلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٨ ، والطبري ، المصدر ، نفسه ، ج٧ ، ص١٣١ ، والاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١٩ ، ص٥٩ • ويسمهم المبرد (الكامل ، ج٨ ، ص٢٩٠) عمال السوء • ويصفهم حتي (تأريخ العرب ، ج٢ ، ص٣٠٣) باتباع زرادشت •
(٤٢) تاريخ الدولة العربية ، ص٣٢٠ •
(٤٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٣١ ، والاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١٩ ، ص٥٩ ، والمبرد ، المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢٩٠ •
(٤٤) تاريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف ، ج٤٠٩ •
(٤٥) البلاذرى ، أنساب ، الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٨ •
(٤٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٨ •
(٤٧) البلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٨ •

الرواية موضوعة فمن غير المحتمل ان ينفي خالد العرب وعيالهم جميعا من أرض السواد بسبب مقتل أحد الدهاقين ، مع ان القاتل كان مجهولا ، ومع ذلك فقد عاب الناس خالدا وشتموه فقال ابن نوفل :

« أيقتل عامل[٤٨] •••• فتنفون العباد من السواد
لعلك ان ترى عما قليل عيالك يسلبون بكل واد[٤٩] »

وكان خالد محبوباً من قبل الدهاقين[٥٠] ، فيذكر البلاذري ان هشاماً غرّم خالد تسعين مليون درهم ، كان قد صرفها على الأعراب ، في بعض سنوات الجفاف ، فتبرع أحدهم لخالد بخمسة ملايين درهم ، وقال « ••• بعض الدهاقين لك عندي عشرة الاف الف درهم ، وتبادر الدهاقين حتى جمعوها عنه[٥١] » •

ويبدو ان تلك العلاقة كانت مدعاة للطعن على خالد وباعثاً لذكر روايات متعددة عن كفر خالد وعدم التزامه بحدود الشرع في معاملته لأهل الذمة ، وقد أتينا على ذكر بعض منها ، فأعتقد الناس بحق او بغير حق ، ان خالدا سلط الذميين عليهم ، فلما « ••• ولي يوسف العراق كان الأسلام ذليلا والحكم فيه الى أهل الذمة[٥٢] » ، فقال يحيى بن نوفل لما وصل يوسف الى العراق •

أتانا وأهل الشرك أهل زكاتنا وحكا منا فيما نسر ونجهر[٥٢آ]

وربما كان توفر الخبرة لدى السكان المحليين من أهل الذمة والتزامهم بواجبات العمل ، لضعف مركزهم الأجتماعي جعلاهم خير من يلي الخراج ،

---

(٤٨) لم اتمكن من قراءة الكلمة ولعلها تشير الى موضع من أرض السواد •
(٤٩) البلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٨ •
(٥٠) يذكر الطبري ، (ج٧ ، ص١٤٧) ان احد الدهاقين حذّر خالد القسري من العزل فقال له « ••• ان الناس يحبون جسدك وانا أحب جسدك وروحك » •
(٥١) أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٢٧٧ •
(٥٢ ، ٥٢آ) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٤ ، والبلاذرى ، أنساب أنساب الاشراف المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٨٢ •

ولا يمكن ان نعد ذلك ضعفا من خالد ، لكن الناس عابوه وربما فسروا تقريبه لأهل الذمة لأن أمه كانت ذمية من النصارى ، كما أشرنا فيذكر البلاذري ان احدهم قام خطيباً بين يدى أبي العباس السفاح فوصف بني أمية وعمالهم بالسوء فذكر الحجاج وابن هبيرة ويوسف بن عمر فسأله احد الحاضرين لماذا تركت خالدا ؟ وقد « ... اجتمع في بطن أمه الخمر ولحم الخنزير ، وسلط أهل الذمة على المسلمات[٥٣] » .

وقد فشى الغناء بالكوفة فعاتب خالد صاحب الشرطة على ذلك ، فسجن الأخير بعض المغنيات فأستاعاهن خالد من السجن وطلب من احداهن ان تغنيه ، فلما غنته وأعجب بغنائها أهداها لاحدهم[٥٥] .

وسبق ان أشرنا الى قصة خالد من حُنين المغني وكيف أباح له الغناء شروط ذكرناها في حينه[٥٥] .

ومع ذلك فان عمل خالد هذا ما كان ليرضي بعض المتطرفين . فيذكر الطبري ان سبب ثورة بهلول الخارجي وجماعته ، والتي سنأتي على ذكرها ، كان بيع الخمر علناً بالعراق ، وان عامل احدى قرى السواد لخالد شتم بهلول، لما شكا اليه أحد الباعة عندما أعطى غلامه خمرا بدل الخل . فوضع بهلول وزر ذلك على خالد متهما اياه بالكفر ومخالفة أوامر الشرع[٥٦] .

ونسب الى خالد انه تهاون في عقاب بعض الخوارج ، فيذكر الطبري ان خالدا كان يبعث الى وزير السختياني ويأتي به من السجن ليحادثه ولم يقتله الا بعد ان تكلم الناس ، وكتب اليه هشام يوبخه وكان خالد يقول عن السختياني « ... اني أنفس به عن الموت لما كان يسمع من بيانه وفصاحته[٥٧] » ويمكن ان يُعد سلوك خالد تجاه الخارجي المذكور ليس تهاوناً بل احتراماً لفصاحة

---

(٥٣) انساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٨ .
(٥٤) الاغاني ، ج١٩ ، ص٦٣ .
(٥٥) ايضا ، ج١ ، ص٣٤٩ .
(٥٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص١٣٠-١٣١ .
(٥٧) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٩٤ .

الرجل ومقدرته . كما نقم الناس من خالد شدة تعصبة فقد كان « ... شديد العصبية على مضر[٥٨] » . ويرى (فلهاوزن) ان خالدا جاء وفي نيته التمسك بالحياد ، لكن عداوة قيس له جعلته ينجر الى المنازعات الحزبية فاتخذ جانب اليمن كارهاً لا مختاراً وان لم يكن خالد ينتمي الى أحد من الحزبين المتنازعين[٥٩] ، ويبدو ان فلهاوزن يحاول ان يبرر تعصب خالد على القيسية وانجرافه في تيار المنازعات القبلية فخالد يماني الاصل كما سبق وان ذكرنا ، ومن قبائل اليمن بالشام وانه يعرف تماماً أن الخليفة الجديد لم يوله منصبه لأنه من قبائل اليمن بالشام رغم رضا هشام عنهم ، وانما كان تعيينه لمؤهلاته الشخصية اولا واخلاصه للخلافة ثانيا ، كما أشرنا ، فلم يكن الخليفة يتوقع منه ذلك الموقف العدائي من مضر[٦٠] وان كان يريده الا يُبعد قبائل اليمن ويجفوها كمن سبقه من الولاة .

ويرى أمير علي ان خالداً استطاع ان يحافظ على التوازن بين الحزبين الرئيسين المتنازعين اليمانية والقيسية ، وان كان يماني الأصل .

ونرى من المناسب ان نذكر أيضا ان خالدا لم يحافظ على التوازن بين المتنازعين وانما وضع نفسه في تيار المنازعات القبلية طائعاً وانجرفي تيارها مختاراً، كما أشرنا .

فالأدعاء بان سياسة خالد كانت تمثل نوعاً من التوازن ، لا يمثل في الحقيقة الا دفاعاً عن سياسة حاولت بشتى الطرق ان تخفي تعصبها لأصلها

---

(٥٨) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١٩ ، ص١٦٠ .

(٥٩) فلهاوزن ، (تاريخ الدولة العربية ، ص٣١٨) ويذكر ايضا ان بجيلة لا تنتسب الى مضر او الى اليمن وقد اشرنا في بداية كلامنا عن خالد ، عن نسبه ، نقلا عن الاصفهاني وابن نباته ، وذكرنا نسبة بجيلة الى القبائل اليمانية نقلا عن القلقشندي .

(٦٠) قال الفرزدق لما عُذّب نصر بن سيار (الطبري ، ج٧ ، ص٤٩) .

اخالد لولا الله لم تُعطَ طاعة ... ولولا بنو مروان لم توثقوا نصرا

اذاً للقيتم دون شد وثاقه ... بني الحرب لاكشف اللقاء ولا ضجرا

اليماني[٦١] ، لكنها لم تفلح في نهاية الأمر ، في التغطية على تلك السياسة •

واذا قيل ان سمة العصر لا تسمح الا بقليل من التسامح فلن يكون ذلك عذرا للانتقام من اشخاص لم يكن لهم من ذنب الا أصلهم القيسي ، فقد أمر خالد عامله على البصرة بقتل عمر بن يزيد بن أسيد الأسيدي[٦٢] ، ويعود ذلك الى ان الأسيدى أثناء حفلة تعيين خالد أظهر شكه بأخلاص أهل اليمن للخلافة ، رغم امتداح الخليفة لهم[٦٣] • فأحفظ ذلك خالدا وجعله يأمر بقتل الأسيدي ، ثم يظهر أنه انتحر بالسم[٦٤] • وقد اتبع خالد طرق ملتوية للانتقام من خصومه السياسيين • فتذكر المصادر ان خالد ، لما بلغه ان الكميت الشاعر هجا قبائل اليمن جميعا أراد الأنتقام منه فدس جوار لينشدن قصائد الكميت الهاشميات أمام هشام فكان ذلك مدعاة الى غضبه[٦٥] ، ولما هرب ابن هبيرة من سجن خالد الى الشام اراد الكيد له ، فأرسل خيولاً عارضت موكب هشام ليغضبه على ابن هبيرة[٦٦] •

---

(٦١) يذكر الاصفهاني (الاغاني ، ج١٧ ، ص‌ص٣ـ٨) أخبار الكمت الشاعر وكيف كاده خالد القسري ، لما قال قصيدته الشهيرة في هجاء أهل اليمن « ••• الا حييت عنا يا مدينا » •

(٦٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٤٦ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٤٥ ، والاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١٩ ، ص٤٢ •

(٦٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٦ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٢٤ ، والراوى ، المصدر نفسه ، ص٢١١ •

(٦٤) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١٩ ، ص٤٢ ، ومع ان الطبري (ج٧ ، ص٤٦) وابن الاثير (ج٥ ، ص١٤٥) يذكران ، ان سبب قتل الاسيدي ، هو ان عمراً أبلى في قتال آل المهلب فامتدحه يزيد بن عبدالملك ، وقال هذا رجل العراق ، فلما ولى خالد العراق ، أمر صاحب شرطته على البصرة ، ان يعتل عليه ويقتله لكن روايتي الطبري ، وابن الاثير السالفتين عن سبب قتل الأسيدي ، غير محتملة ، وان سبب القتل هو ما اثبتناه في المتن على الارجح •

(٦٥) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١٧ ، ص‌ص٩ـ١٠ •

(٦٦) ابن نباته ، المصدر نفسه ، ص‌ص ٢٩٤ـ٢٩٥ ، ومع ان الجهشيارى (ص‌ص٥٩ـ٦٠) يذكر ان الذى قام بذلك الأبرش الكلبي ، لكن ذلك لا يستبعد من خالد ايضا لما هو معروف من تعصبه لليمانية ولان ابن هبيرة قد هرب من سجنه •

وقد قرب خالد بني هاشم ، فلما قدم عليه بعضهم أجزل لهم العطاء[٦٧]. مع انه كان يبالغ في شتم علي (رض) وربما كان ذلك « ••• نفياً للتهمة وتقرباً من القوم[٦٨] » .

وكان خالد قد أكرم العباسيين خاصة فقد « ••• بعث بمال ••• الى علي ابن عبدالله ومحمد ابنه وكان يتعهدهما بصلته[٦٩] » • ويعلل صاحب أخبار الدولة العباسية سبب ذلك ، ان عليا بن عبدالله كان قد أجار عبدالله والد خالد ، فقد كان من أنصار مصعب بن الزبير فلما قُتل استجار بعلي فأجاره[٧٠] •

ويبدو ان خالدا كان يعلم قوة الدعوة لآل البيت[٧١] ، فربما أراد أن يدخر ذلك لمستقبل الأيام •

« ••• وكان داود وعيسى ابنا علي بن عبدالله بن عباس ، وهما لام ، في أعوان السوق بالعراق لخالد بن عبدالله فاقاما عنده فوصلهما ، ولولا ذلك لم يستطع ان يحبسهما فصيرهما في الأعوان ، فسمرا ، وكانا يسامرانه ويحدثانه[٧٢] » •

ويذكر البلاذري على رواية أخرى ، ان السبب في اكرام داود بن علي ، ان الأخير شهد لخالد ، وكان قد ضرب أحد القرشيين اثناء ولايته على مكة ، في بداية حكم سليمان ، بغير حق ، فشكاه القرشي الى سليمان وادعى بان خالدا ضربه بعد وصول كتاب سليمان بعزل خالد ، فكتب سليمان الى قاضي

---

(٦٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦٠ •
(٦٨) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٤ •
(٦٩) البلاذرى ، أنساب ، الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٦ •
(٧٠) أخبار الدولة العباسية ، مجهول المؤلف من القرن الثالث الهجري ، تحقيق عبدالعزيز الدورى ، وعبدالجبار المطلبي ، بيروت ١٩٧١م ، ص١٥٥ •
(٧١) يذكر الطبري ، (ج٧ ، ص٢٥٦) ان خالداً لما غضب من هشام ، قال « ••• ليكفن عني هشام او لادعون الى عراقي الهوى شامي الدار حجازي الأصل يعني محمد بن علي بن عبدالله بن عباس » •
(٧٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٢ ، والبلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ج٧ ، ص٥٥٩ •

المدينة ، ان كان خالد ضرب القرشي قبل قراءة كتابه اليه ، فيُضرب كما ضرب القرشي ، وان كان ضربه بعد قراءة كتاب سليمان فتقطع يده ، فكان خالد يصيح بالناس طالباً الشهادة له ، بان الضرب كان قبل قراءة الكتاب . فشهد له داود بن علي ، على ذلك ، ونجا خالد من قطع يده وربما كان ذلك سبب اكرامه[٧٣] .

يبدو من رواية البلاذرى السالفة أن خالدا كان مكرما للعباسيين ، ومع ان قسماً من المؤرخين يذكرون روايات متعددة قد أتينا على بعضها ، عن سبب ذلك الأكرام فربما كان الأرجح ان ما أشرنا اليه من ان قوة الدعوة لال البيت واطلاع خالد على ذلك جعله يكرم الهاشميين ، وربما أحتجز خالد بعضهم ، كما تشير روايتا الطبري والبلاذري السالفتين ، ليضمن عدم تعكيرهم للهدوء في ولايته ولم يكرم خالد بعض الأمويين لما وفدوا عليه ، فقد وفد أحد أحفاد عثمان بن عفان (رض) على خالد ، طلباً للمساعدة ، فلم يُعطه شيئا فقال « ... أما المنافع فللهاشميين وأما نحن فما حبوتنا منه الا شتمه علياً ... فبلغ ذلك خالدا . فقال : ان أحب تناولنا له عثمان بشيء[٧٤] » .

ومع ان الباحث يستبعد صدور اجابة كالتي سبقت من رجل دولة أموي ، لكن اهانة أحد الأمويين وهو من آل عمرو بن سعيد بن العاصي ، أمام الناس[٧٥] ، تدل على عدم إحترام خالد لبعض الأمويين .

لكن ذلك ايضا لا يؤكد لنا ان خالدا كان متسرعاً الى درجة التهور في أجابته لما بلغه قول أحد أحفاد عثمان بن عفان . ولا يوحي لنا اكرام الهاشميين وعدم احترام بعض الأمويين بعدم اخلاص خالد للخلافة وربما كان ذلك لاسباب خاصة أشرنا الى بعضها . وكان مما نُقم على خالد ايضا انه كان يفخر بنفسه ،

---

(٧٣) البلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٦ .

(٧٤) ابن نباته ، المصدر نفسه ، ص٢٩٨ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٤ .

(٧٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٣ ، وابن كثير ، المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٢٢٥ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٠ .

وربما اعتقد ان له من المنزلة ما يوازي منزلة الخليفة ، فكان « ... خالد يقول لابنه يزيد ما أنت بدون مسلمة بن هشام فأنك لتفخر على الناس بثلاث لا يفخر بمثلها أحد ، سكرت دجلة ولم يتكلف ذلك أحد ، ولي سقاية بمكة ، ولي ولاية بالعراق[٧٦] » وقيل أيضا ان خالدا قال « ... لابنه كيف أنت اذا احتاج اليك بنو أمير المؤمنين[٧٧] » . من غير المشكوك فيه ان خالدا كان معتزا بنفسه وبنيه وربما دفعه ذلك الأعتزاز الى الفخر على الناس ، ولكن يُستبعد ان يفتخر خالد على هشام وبنيه وهو يعلم انه ولي نعمته ، اما قول خالد « ... انا بريء من خليفة يكنى أبا شاكر[٧٨] » يعني مسلمة بن هشام ، لما سمع ان اباه يرشحه للخلافة ، فيصعب الأخذ به ، فأن سلوك خالد بعدئذ ربما أوحى بأن خالدا لم يوافق على نقض بيعة الوليد بن يزيد ، لكن هذا لا يعني ان خالدا تبرأ من مسلمة وهو يعلم منزلته عند ابيه[٧٩] .

كما قيل ان خالدا كان يصف أم هشام بالحمق وربما بالسوء[٨٠] . وهذه الأقوال يُستبعد ان تصدر من مسؤول كخالد ، له منزلته عند هشام ، وفي سلوك خالد لما طعن يوسف بن عمر بوالدته وهو تحت العذاب لدليل على ترفع الرجل عن ذكر مساوىء النساء[٨١] . ومما ذُكر عن خالد ايضا انه كان يصف هشاماً بالأحول[٨٢] . وقيل ان خالدا كتب الى هشام كتاباً غاظه ، ويذكر الطبري جواب

---

(٧٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٣ ، والاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٤ ، ج١٦ ، ص٢٧٩ .

(٧٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٦ ، ويذكر الاصفهاني (ج١٩ ، ص٦٢) ان السؤال كان بحضره هشام .

(٧٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢١٠ ، والاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٤ ، ج١٦ ، ص٢٧٩ .

(٧٩) يذكر الاصفهاني (الاغاني ج١٧ ، ص١٩) ان مسلمة بن عبدالملك قال للكميت الشاعر لما جاءه مستجيرا ، أشير عليك بان تستجير عند مسلمة بن هشام ، لما له من منزلة عند ابيه .

(٨٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٦ ، والاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١٩ ، ص٦٢ ، وابن كثير ، المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٢٢٥ .

(٨١) يذكر الطبري (ج٧ ، ص٢٦٠) ان يوسف بن عمر ذكر والدة خالد بالسوء ، فقال خالد وما ذكرك للامهات واقسم الا يكلمه ومات خالد تحت العذاب ولم يتكلم بعدها ؛ والدينوري ، الاخبار الطوال ، ص٣٤٨ .

الكتاب ويتضح منه تعالي خالد واعتداده بنفسه وبنسبه ، ومن غير المحتمل ان يرسل خالد كتاباً بهذا المعنى وربما وصلت هشام وشايات والا لكان الطبري ذكر الكتاب او بعضاً مما فيه ، كما يتضح من نص كتاب هشام الى خالد[٨٣] .

ويبدو ان الوشايات بخالد كانت كثيرة « ... فلم يزل يبلغه [هشام] عنه ما يكره حتى تغيّر له[٨٤] » ، ويقول الطبري أيضا « ... ثم عزم هشام ، لما كَثُر عليه ما يتصل به عن خالد من الأمور التي يكرهها ، على عزله[٨٥] » . وعلى ما يذكره الطبري ، فقد « ... قيل في ذلك أقوال نذكر ما حضرنا من ذلك ذكره[٨٦] ». وهذا يشير أيضا الى كثرة ما كان يتناقله الناس عن خالد .

ويبدو ان دور حسان النبطي في الوشاية على خالد كان كبيرا فقد بثق البثوق على ضياع هشام وادعى ان خالدا هو الذي قام بذلك[٨٧] . ولما ضرب خالد ابن حسان أرسل هذا قميصه الى ابيه فأراه حسان لهشام « ... مع ما قد أوغر صدر هشام عليه من افراط الدالة واحتجان الأموال وكفر ما اسداه اليه من توليته اياه العراق[٨٨] » ، وقد بلغ من وشاية حسان بخالد عند هشام ان

---

(٨٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٦ ، ويذكر الطبري ايضا (ج٧ ، ص١٤٦) ان رجلا من اهل الشام جاء الى هشام ، فذكر له ان خالدا يذكره بسوء ، فقال هشام الاحول ، قال لا ، ويبدو ان هشاماً سمعها كثيرا ، بحيث تبادرت هذه اللفظة اليه .

(٨٣) يذكر الطبري ج٧ ، ص١٤٦) ان هشاما كتب ايضا الى خالد « ... بلغني أنك تقول » ويذكر الطبري ايضا (ج٧ ، ص١٤٦) .
« ... قد بلغني قولك ... » وتدل هاتان العبارتان على ان ذلك كان ردا لوشايات كانت قد وصلت هشام عن خالد ويذكرها ايضا الاصفهاني (الاغاني ج١٩ ، ص٦٣) ، واليعقوبي (التاريخ ، ج٢ ، ص٣٢٢) .

(٨٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٧ ، ويذكر الاصفهاني (ج١٩ ، ص٦٢) ان رجلا من أهل الشام جاء الى هشام فذكر له ان خالدا يذكره بسوء فقال هشام « .. بلغت كل ذلك » .

(٨٥) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٤٧ .

(٨٦) ايضا ، ج٧ ، ص١٤٢ .

(٨٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٣ .

(٨٨) المبرد ، المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢٨٧ .

« ... اتاه بصناديق وقائع على خالد ، وكان اول كاتب رفع على عامل بلده[89] » .

وكان حسان النبطي قد جفف المستنقعات ، بعمل المسنيات على دجلة لهشام ولخالد أيضا ، حتى بلغت غلة أرض خالد ثلاثة عشر مليون درهم[90] ، ويبدو انها ارتفعت بعد طرد خالد لحسان ، فيذكر الطبري ، ان هشاماً عزل خالدا لأنه « ... اعتقد بالعراق أموالا وحفر أنهارا حتى بلغت غلته عشرين الف الف دورهم[91] .

كما كان لخالد أملاك في البصرة والبحرين[92] ، وحوانيت في الكوفة معقودة سقوفها بالاجر والجص[93] . وكان خالد لا يدفع ضريبة عن هذه الأملاك والواردات لبيت المال[94] .

وكان لابن خالد واردات سنوية قدرها عشرة ملايين درهم[95] . لذا « ... حسده هشام على أمواله وحاصلاته[96] » .

ومع ان مصادر كثيرة تروى حسد هشام لخالد ، أتينا على ذكر بعضها ، فان خالدا لم يبخل بالمال على هشام ، قال البلاذرى ،« ... وبعث خالد الى

---

(٨٩) اليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٢٣ .
(٩٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٣ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٠ .
(٩١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، صص١٥١ــ١٥٢ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٠ .
(٩٢) البلاذرى ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٩ .
(٩٣) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص٢٨٤ .
(٩٤) البلاذرى ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٩ .
(٩٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٧ ، الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١٩ ، ص٦٢ .
(٩٦) ابن كثير ، المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٢٢٥ .
ويذكر الطبري (ج٧ ، صص١٥٢ــ١٥٣) ان أحد خاصة خالد وبعض عماله اقترحوا عليه ان يعرض املاكه على هشام ليأخذ منها ما يُحب خوف ، العزل والذل لكنه رفض ذلك .

هشام يمال[٩٧] ، لكن كثرة تلك الغلات والواردات كانت مدعاة للتنافس بين هشام وخالد فكتب هشام الى خالد الا يبيع غلاته حتى تباع غلات أمير المؤمنين[٩٨]، فأرتفعت الأسعار ، وقد وضع الناس وزر ذلك على خالد القسري ٠

ومع ما كان لخالد من واردات كبيرة فأنه لم يكن يملك قبيل عزله حتى عشرة الاف درهم[٩٩] ٠ فقد كان يهب الكثير منها للناس فحسدوه على ذلك ، واعتقدوا انه يختلس من بيت المال ويهبهم وكان لهم بعض الحق[١٠٠] ٠

وقد بلغ مقدار ما فرقه خالد على الناس ستة وثلاثين مليون درهم فلما بلغ هشام ذلك قال « ٠٠٠٠ ما زادت أمية في شرف قسر هكذا[١٠١] » مستعظماً هذا المبلغ ، ومما سبق فأن مقدار الغلة السنوية لخالد كان عشرين مليون درهم ، ولما عزل لم يكن يملك عشرة الاف درهم ، كما أشرنا ، أذن فكيف نوفق بين روايتي الطبري التي تتحدث عن واردات خالد وما كان يملك قبيل عزله وعما يذكره اليعقوبي عن مجموع ما وهبه خالد للناس[١٠٢] ٠ ويبدو ان المقادير التي يذكرها المؤرخون عن واردات خالد كان مبالغا فيها كما ان مقدار المبالغ التي وجدت عنده بعد عزله غير مقبول وحتى حسان نفسه لم يكن أمينا في تقديره لواردات خالد وكان قد قدرها بثلاثة عشر مليون درهم سنويا ، وربما بنى حسان

---

(٩٧) أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٦ ٠

(٩٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٥٤ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٠ ٠

(٩٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٩ ٠

(١٠٠) يذكر الطبري (ج٧ ، ص١٤٩) ان مقدار انكسار الخراج زمن خالد كان ١٠٠ مليون درهم ٠ ويذكر الدينوري (الاخبار الطوال ص ص٣٤٣ـ٣٤٤) ان المبلغ كان أقل من ذلك بكثير وان خالدا بذره في هباته للناس ، وفلهاوزن ، المصدر نفسه ، ص٣٢١ ٠

(١٠١) اليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٢٢ ٠

(١٠٢) كان خالد قد فرق ٣٦ مليون درهم على الناس ، على رواية اليعقوبي السالفة ، فاذا اضفنا اليه مقدار ما انكسر من الخراج كان المجموع ١٣٦ مليون درهم ، فاذا طرحنا مبلغ ١٢ مليون درهم صرفت في حفر المبارك كان مقدار ما وزع (١٢٤) مليون درهم وهو قليل بالنسبة لواردات خالد السنوية لانه عزل ولم يكن يملك شيئا كما أشرنا في المتن ٠

تقديره على سبيل المبالغة والدس على خالد ، ويبدو ان ما قالـــه حسان نـال قبول هشام ٠

كما نقم الناس من خالد أيضا حفره نهر المبارك[١٠٣] الذي كلف (١٢) مليون درهم[١٠٤] فقال الفرزدق في هذه المناسبة :ـ

أهلكت مال الله في غير حقه على نهرك المشؤوم غير المبارك[١٠٥]

ولما سمع هشام بمقـــدار المبلغ كتب الى خالـــد: « ٠٠٠ والله لو كنت من ولد عبدالملك بن مروان ما احتمل لك أمير المؤمنين ما أفســدت من مال الله وضيعت من أمور المسلمين[١٠٦] » ٠

كما « ٠٠٠ أنفق خالد على الأعراب ٩٠ ألف الف درهم وكتب الى هشام اني أنفقت على الأعراب من مالك وكانوا من قيس وتميم وأسد وكلب وكـــان يطعمهم[١٠٧] » ٠ في بعض سنوات الجفاف ، فكتب اليه هشام « ٠٠٠ يا ابن أم خالد اياى والخدع والله لا أحسبها لك أبدا ٠٠٠[١٠٨] » ٠

ويتضح من جواب هشام أنه غير واثق من صرف خالد للمبلغ المشار اليه ، مستعظماً كثرته ومتهماً خالد بعـــدم الحرص لذا رفض ان يحسبه لـه مـن بيت المال ٠

وكان خالد يكرم من جاءه ، من قومه ، فتمنى أحدهم ان يكون منهـــم ، فقـــــال :

ليتني من بجيلــة اللــوم حتى يعزل العامل الذي بالعراق[١٠٩]

---

(١٠٣) المبارك : نهر بالبصرة احتفره خالد بن عبدالله القسري لهشام ، ياقـوت معجم ، البلدان مادة مبارك ، ج٥ ، ص٥٠ ٠
(١٠٤) المبرد ، المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢٩٢ ٠
(١٠٥) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١٩ ، ص١٨ ٠
(١٠٦) المبرد ، المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢٩٢ ٠
(١٠٧) ، (١٠٨) البلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٧ ٠
(١٠٩) أيضا ، ج٧ ، ص٥٧٨ ٠

فلما بلغ هشام ذلك غضب من خالد ، وقال : « ... اني أبخل بهذا المال عن نفسي وأهلي وولدي وخالد يفرقه في قومه[110] » . وربما كان سبب غضب هشام انه أعتقد ان المال الذي يفرقه خالد كان من بيت المال ، وحتى اذا كان من مال خالد فقد سبق وان أشرنا ان هشاماً عتب على خالد لما بلغه كثرة ما يفرق على الناس من الأموال . فربما كان كره هشام الاسراف في الهبات مدعاة لنقمته على خالد أيضا . وهدد هشام خالدا اكثر من مرة بالعزل[111] . وتحدث الناس بذلك ، فقال الكميت وكان خالد يسمعه :

أراها وان كانت تُحب كأنها سحابة صيف عن قليل تقشع[112]

وكان لبعض الشعراء دورا في التحريض على عزل خالد .

قال ابن نوفل :ـ

عليك أمير المؤمنين بخالد وعماله ان كنت تطلب خالدا
بنى بيعة فيها الصليب لأمه وخرّب من بعد الصلاة المساجدا[113]

وقال الفرزدق :ـ

أبلغ أمير المؤمنين رسالة فعجّل هداك الله نزعك خالدا[114]

كما ان الكميت الشاعر كتب أشعارا على باب هشام ، ولم يذكر اسمه ، تتهم خالدا بالخلع[115] .

ويذكر ابن نباته ان هشاماً عزل خالدا « ... لما بلغه من كثرة أمواله

---

(١١٠) أيضا ، ج٧ ، ص٥٦٥ .
(١١١) يذكر الطبري ، ج٧ ، ص١٤٧ ، ان هشاما كتب الى خالد « ... ان أول من يأتيك من قريش يشد يديك الى عنقك » ويذكر المبرد (الكامل ، ج٨ في ص٢٩٠) أيضا ان هشاما كتب الى خالد « ... فتأهب لنوازل عقوبة الله بك » .
(١١٢) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١٧ ، ص١٥١ .
(١١٣) البلاذرى ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٨ .
(١١٤) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١٩ ، ص٦١ .
(١١٥) أيضا ، ج١٧ ، ص ص١٥ـ١٦ .

وبلاده وانصاره[116] » .

ويبدو ان تلك الروايات لم تبلغ من هشام مبلغ اليقين ، وهي وان لعبت دورها بالتظافر مع العوامل الأخرى ، فجعلت الخليفة يقدم على عزل خالد ، لكنه بقي يحنو عليه ويقدر خدماته للدولة . ومن الأدلة على ذلك ، ان يوسف بن عمر لما كتب الى هشام متهماً خالداً بالتواطىء مع زيد بن علي في ثورته ، ضرب هشام رسول يوسف ، وقال له « ... كذبت وكذب من أرسلك ، ومهما أتهمنا خالداً ، فلسنا نتهمه في طاعة[117] » .

ومع ذلك فيبدو ان لخالد منزلة في قلب هشام يصعب على الباحث ان يجد تعليلاً مقنعاً لها ، فتذكر المصادر ان هشاماً كان يتشوق الى حديث خالد وحبه لمجالسته فلما سئل عما يمنعه من اعادة خالد قال هشام « ... أدلّ فأمل وأوجف فأعجف ولم يترك لراجع مرجعاً[118] » . وتمثل هشام قائلاً :

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكن عليه بوجه آخر الدهر تقبل[119]

ومع ان هشاماً أبعد عبدالرحمن بن ثويب لما سمع أنه مدح خالد بصفات شبيهة بصفات الله تعالى ، لكنه لم يتخذ أي اجراء ضد خالد[120] .

ولما هدد خالد هشاماً بالأنضمام الى الدعوة لآل البيت ، وسمع هشام ، قال « ... خرف أبو الهيثم ، وانا حرى باحتماله لقديم حرمته وعظم حقه[121] » .

---

(116) سرح العيون ، ص294 .
(117) الطبري ، المصدر نفسه ، ج7 ، ص255 .
(118) ابن عبدربه ، المصدر نفسه ، ج5 ، ص180 ، وابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج1 ، ص24 .
(119) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج5 ، ص180 ، والطبري ، المصدر نفسه ، ج7 ، ص150 .
(120) الدينوري : الاخبار الطوال ، ص346 .
ويذكر الطبري ، ج7 صص 257ـ258 نص رسالة هشام الى خالد حول الموضوع ورد خالد عليها .
(121) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص345 ، ويذكر الطبري ، ج7 ، صص255ـ256 ان حرائقاً حصلت في دمشق ، فاتهم واليها ، كلثوم بن عياض ، موالي خالد ، وكتب الى هشام بذلك ، فأمر بحبس أفراد اسرة =

يبدو ان هشاماً كان يحمل معظم تصرفات خالد ، محمل الخطأ وسرعة اللسان ، فكتب اليه يقول « ... لعنك الله من متكل عليه بالثقة ما أكثر هفواتك، وأقذع لأهل الشرف الفاضك[١٢٢] » .

كما كان خالد يحسن المدح ، فلما دخل على عمر بن عبدالعزيز بعد توليه الخلافة قال « ... ما زينتك الخلافة ولكنك زينتها ، ولا شرفتك ولكنك شرفتها .. فقال عمر : أُعطي الرجل مقولا ولم يُعطَ عقلا[١٢٣] » . وربما كان رأى عمر فيه مصيبا فكان يحسن الكلام مع طيش في بعض تصرفاته ، فأساء الى نفسه ، وأحسن الى الناس ، لكنهم حسدوه ، ولم يدفعهم الحسد الى الوشاية به ، بل الى الأساءة اليه . فيذكر الأصفهاني وغيره من المؤرخين طُرفاً من تصرفات خالد ، تلك التصرفات التي توحي بان من يقوم بها ، أبعد ما يكون عن الانسان الصالح بل المطعون في سلوكه .

نقد رمي خالد بعادات سيئة[١٢٤] ، كما لقب بالخريت ، وكان يمشي مع عمر بن أبي ربيعة ، في صباه ، ويترسل بينه وبين النساء[١٢٥] .

ويذكر الاصفهاني أيضا ، نسب خالد وبعض ما قيل فيه من المثالب[١٢٦] ، كما يذكر بعضها ابن رسته[١٢٧] .

= خالد ومواليه ، فحبسهم كلثوم ، ولكن أتضح ان القائمين بذلك هم سراق من اهل العراق ، فأطلق المحبوسون فلما سمع خالد ، وكان في غزاة للروم ، قال « ... ليكفن عني هشام او لادعون الى عراقي الهوى شامي الدار حجازي الاصل ، يعني محمد بن علي بن عبدالله بن عباس » .

(١٢٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٤ ، ويذكر المبرد (الكامل ، ج٨ ، ص‌ص ٢٨٧ـ٢٩٤) نصا لرسالة أرسلها هشام لخالد فيها من الهنات ما يجعل الباحث يستبعد صدورها عن هشام ، لكنها تبدو مهمة لأنها تذكر معظم ما نقمه الناس من خالد ـ وقد ذكرنا معظم ما ورد فيها .

(١٢٣) البلاذرى ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٨ .

(١٢٤) الاغاني ، ج١٩ ، ص٥٩ .

(١٢٥) ايضا ، ج١٩ ، ص‌ص ٥٥ـ٥٦ ، ج١ ، ص١٥٤ .

(١٢٦) ايضا ، ج١٩ ، ص‌ص٥٥ـ٥٨ .

(١٢٧) الاعلاق النفيسة ، ج٧ ، ص٢٠٧ .

ونرى من المناسب ان نشير الى ان أعداء خالد كانوا كثيرين ، كما انهم نسبوا اليه أقوالاً ، لم تصدر عنه ، ولما كانت أسباب عزله غير واضحة تماماً ، فقد تكهن المؤرخون حول الموضوع ، وهذا أمر طبيعي في حالات كهذه(١٢٨) .

ونتيجة لما سبق ذكره ، من العوامل ، أصدر الخليفة أمره بعزل خالد عن أمرة العراق ، في جمادى الاولى عام ١٢٠هـ/٧٣٩م(١٢٩) .

ويذكر لنا الطبري روايته عن عزل خالد ، وتولية يوسف بن عمر محله، والسرية التي اصطنعها هشام في اخفاء أمر عزله حتى على حامل الرسالة . ومع ذلك فان الشك راود أحد الكتاب ، فكتب الى عامل الكوفة يعلمه ذلك(١٣٠) . ومع ان مصادر كثيرة تؤيد الرواية المذكورة ، فلا يبدو أن هناك مبررا لأن يتخذ هشام كل تلك الاحتياطات لكتمان أمر العزل ، فلم يكن هشام يتهم خالداً في طاعة ، كما ذكرنا .

اما ادعاء يوسف بن عمر بان هشاماً ، كتب اليه ، « ... خذ ابن النصرانية وعماله فأشفني منهم(١٣١) » .

---

(١٢٨) يرى فلهاوزن (تاريخ الدولة العربية ، ص٣٢١) ان سبب عزل خالد ، كان عصبية قيسية ، فقد أطاع الخليفة اعداء خالد آخر الامر ، وعلى ما يراهم فهم بعض الامويين وبعض اشراف قريش ، وكان خالد قد عضهم بلسانه ، فتظافروا عليه مع القيسيين ، فاستجاب هشام الى الحاحهم ، وقد ضموا حسانا اليهم ، وكان عليما باحوال خالد .
يبدو ان تصرفات خالد واقواله كانت السبب في عزله وقد اشرنا الى معظمها ويظهر ان بعض تلك الاقوال والافعال اوجدت له خصوما كثيرين، وكان ما ذكره فلهاوزن قسما منهم ، كما ان تعليل العزل بسبب العصبية يبدو امرا غير مؤكدا وقد سبق ان ناقشنا ذلك .

(١٢٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٥٤ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢١ .

(١٣٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ١٤٨-١٤٩ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص‌ص٢٢١-٢٢٢ .

(١٣١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٩ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٣ .

فربما كان ذلك من وضع يوسف ، ومن المحتمل ان هشاماً لم تكن له يد فيه ، فقد ألح يوسف على هشام كثيراً لأطلاق يده في تعذيب خالد ، فلم يسمح له الا مرة واحدة بعد ان اعتل بانكسار الخراج ، « ... وبعث حرسياً يشهد ذلك ، وحلف لئن اتى على خالد أجله ، وهو في يده ليقتلنه[١٣٢] » .

ولم يكتف يوسف بذلك ، فقد استمر في مطاردة خالد ، حتى قَتَلَهُ بعد موت هشام[١٣٣] .

وتذكر لنا المصادر بعضاً من تصرفات يوسف ، التي تقوم دليلاً على ان صاحبها لا يتمتع بقوى عقلية كاملة[١٣٤] .

لذا لا يُستبعد أن يذكر قولا ينسبه لهشام ، كالذي سبق ، على سبيل الأرهاب وابتزاز الأموال ، خاصة وانه لا يتوقع عقاباً من الخليفة ، لأن ذلك يرضي معظم الناس في العراق ، في الأقل .

وصل يوسف بن عمر العراق في جمادي الأخرة ، عام ١٢٠هـ[١٣٥]/٧٣٨م. فنزل النجف[١٣٦] ، وبمساعدة عبدالمسيح سيد أهل الحيرة إعتقل طارقاً ، خليفة خالد على الخراج[١٣٧] ، ثم قبض على خالد في واسط ، وقد نزلها يوسف ،

---

(١٣٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٥٤ .

(١٣٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٦٠ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٧٩ .

(١٣٤) يذكر الطبري (ج٧ ، ص١٥٠) ان الصلت بن يوسف سأل أباه عن وجهته لما عُيّن والياً على العراق ، فشتمه وضربه مائة سوط ، وسنذكر بعضاً من تصرفات يوسف اثناء ولايته للعراق .

(١٣٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٥٠ .

(١٣٦) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٣ ، ويذكر الطبري ج٧ ، ص١٤٧) ان يوسف نزل قريباً من الكوفة ، ولا يحدد الموضع ، ولعل ابن الاثير على صواب في تحديده ، ولكن الطبري أيضا (ج٧ ، ص١٥٠) يعود ليذكر ان الموضع كان النجف .

(١٣٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٥٠ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٣ .

وأغرمه مبلغاً كبيراً من المال دفعه عنه بعض أصحابه(١٣٨) • ويبدو ان مساعدة أصحاب خالد له اقتصرت على المال ، قال الطبري « ••• فو الله ما نصره أحد بيد ولا بلسان الارجل من عبس فانه قال :

الا ان بحر الجود أصبح ساجيا أسير شقيف موثقاً في السلاسل
فان تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفه في القبائل (١٣٨)»

لم يكن ليوسف من المميزات ما جعل هشاماً يختاره لولاية العراق ، ولكن وصول رسول يوسف ، في الوقت الذي عزم فيه هشام على عزل خالد ، كما تقدم ، ووصول كتاب من خالد أغاظ هشام(١٤٠) ، وربما ذكّره بيوسف فاختاره لولاية العراق ، وعلى ذلك فان القول ، بان اختيار يوسف لولاية العراق ، كان لتغير ميول هشام من الكلبية اليمانية الى القيسية(١٤١) ، لا تؤيده سياسة هشام •

ونرى من المناسب ان نذكر هنا أيضا ، بانه ليس من الضروري ان يُفسر تعيين والٍ او عزله ، على اساس من العصبية ، من جانب هشام •

ويمكننا ان نختتم الكلام عن ولاية خالد في العراق (١٠٥–١٢٠هـ/ ٧٢٤–٧٣٨م) بالملاحظات التالية :

اولا – نستنتج مما سبق ان خالداً كان من مشاهير الولاة ، وأبدى كفاءة كبيرة في النواحي السياسية والأقتصادية •

ثانيا – يبدو ان الروايات المتناقضة عن سيرة خالد كانت نتيجة لنكبته من قبل الخليفة ، لاسيما أن أسباب تلك النكبة لم تكن واضحة ، فأخذ المؤرخون

---

(١٣٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٥١ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، صص ٢٢٣–٢٢٤ •
(١٣٩) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٥٧ •
(١٤٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٨ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢١ •
(١٤١) مؤنس ، المصدر نفسه ، ص١٤٣ •

يعزون ذلك تارة الى تبديده للاموال ، وتارة الى تعصبه لقومه اضافة الى ما هناك من قضايا اوردناها اثناء البحث •

ثالثا ـ كانت علاقات خالد بالهاشميين حسنة على العموم ومع انه كـان يشتم الأمام علي (رض) على منبره ، لكنـه أكـرم من وفد عليه من العلويين والعباسيين وغيرهم من بني هاشم •

رابعا ـ تمتع العراق ، في عهده ، بفترة من الهدوء النسبي • ويبدو ان تسامح خالد ، وكرمه ، ورقة طبعـه ، كان لها أثر كبير في تخفيف حدة المعارضـة للامويين اثناء ولايته للعراق •

خامسا ـ ويظهر من الحوادث ، ان سمة العصر لم تكن لتسمح الا بقليل من التسامح ومع ان خالدا اعطى الكثير من امواله للناس ، لكنه لم يستطع ان ينفي تلك السمة عن نفسه ، وهي تعصبه لقومه ، وربما كان تعصب خالد أقل بكثير من تعصب غيره ، لكن ما تمتع به من ثراء ، جعـل الكثـيرين يبالغون بذلك التعصب ، باحثين أيضا عن كل ما يشين خالد ، حسـداً له وطمعاً بعزله ، ولم يدركوا خطاءهم الا بعد مجيء خلفه ، يوسف بن عمر وأخذه الناس بالشدة ، فظلمهم وقسى عليهم •

استمر يوسف بن عمر على ولايته للعراق حتى عام ١٢٦هـ(١٤٢)/٧٤٤م ، وكان قد نزل النجف كما اشرنا ، ثم دخل الكوفة ، لكنه تركها الى مدينة واسط واتخذها ، مقرا له ، ثم تركها بعد سنة الى الحيرة(١٤٣) ويبدو أنها كانت اكثر ملائمة ليوسف ، فاتخذها مقرا له(١٤٤) • ليكون قريباً من الكوفـة ، مركـز الحركات المعارضة للامويين في العراق • استبشر بعض الناس بقدوم يوسف الى العراق ، فقال يحيى بن نوفل :

---

(١٤٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٧٠ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٩٥ •

(١٤٣) البلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٨٢ •

(١٤٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٥٤ ، ص٢٦٠ ، والبلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٨١ •

اتانا وأهل الشرك أهل زكاتنا   وحكامنا فيما نسر ونجهر
فلما أتانا يوسف الخير أشرقت   له الارض حتى كل واد منور
وحتى رأينا العدل في الناس ظاهرا   وما كان من قبل العقيلي يظهر[١٤٥]

لكن يوسف خيب آمال من استبشروا بقدومه فقد كان « ... شديد العقوبة مسرفاً في ضرب الابشار ...[١٤٦] » فقال يحيى بن نوفل أيضا :

أرانا والخليفة اذ رمانا   مع الأخلاص بالرجل الجديد
كأهل النار حين دعوا أغيثوا   جميعاً بالحميم وبالصديد[١٤٧]

ووصفه غيره فقال :

أتانا أمير شديد النكال   لحاجب حاجبه حاجب[١٤٨]

وكان شديدا مع عمال خالد ومقربيه ، فيذكر البلاذري ، ان يوسف غرّم عمال خالد تسعين مليون درهما « ... ولولا عنفه لأستخرج منهم أكثر من ذلك ... » وكان عددهم ثلثمائة وخمسين عاملا[١٤٩] . كما أفنى يوسف معظم المقربين من خالد وكانوا من اليمانيين والعجم[١٥٠] . ويبدو ان القسوة التي اتصف بها يوسف جعلت بعضهم يروى رواية كالتي سبقت ، فلا يعقل ان يقتل يوسف جميع مقربي خالد الا واحدا كان قد هرب ، كما تشير ، رواية البلاذري السالفة ، وكان يوسف شديدا على عماله أيضا فيذكر البلاذري أنه ضرب ثلاثة من عمال الخراج ، لما ذكروا له طريقة جبايتهم للاموال[١٥١] . ولما قيل

---

(١٤٥) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٤ ، والبلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٨٢ .
(١٤٦) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٥ ، والبلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٨٢ .
(١٤٧) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٥ .
(١٤٨) البلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٨٢ .
(١٤٩) أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٨١ ، ويذكر الطبري (ج٧ ، ص١٥١) ان يوسف اخذ من اصحاب خالد اكثر من عشرة ملايين درهم « ... وقد قيل انه اخذ مائة الف الف » .
(١٥٠) البلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٨٢ .
(١٥١) أيضا ، ج٧ ، ص٥٨١ .

لاسماعيل بن يسار الشاعر ، ان يعمل ليوسف قال « •• دعوني انظر كيف معاملة يوسف عند رأس السنة ، وفعله بالعمال ، فلما راه يعذبهم قال :

رأيت صبيحـــة النوروز أمــــرا فظيعـــاً عن امارتكـــم نهـــاني
أحـــاذر ان أقصّر في خـــراج وفي النوروز او في المهرجان[١٥٢]

كما اشتد يوسف في تجويد العملة ، فقد « ••• ضرب جماعة في درهم زائفة أخرج من الدار وفي درهم نقص حبة ، خمســـة الاف سوط[١٢٣] » ، وحصر الضرب في مدينة واسط[١٥٤] • وكانت الدراهم التي ضربت في اثناء ولايته تسمى باليوسفية[١٥٥] •

ومع كل ما تقدم فقد « ••• كانت في يوسف خلال حسنة ، طول صلاة وحسن هدى ووفاء ولزوم للمسجد ، وضبط لحشمه وأهل بيته عن الناس ••• وتواضع في منزلـــه ••• وحفظ للقرآن ••• (وكـــان) بصـــيرا بالشـــعر والأدب[١٥٦] » •

وكان يوسف يصنع الطعام للناس ، ويشرف بنفسه على ذلك ، وكـــان يقدم خمسمائة خوان يومياً ، عليها مختلف الأطعمـــة فيأكل كل شـــخص ما يشتهي ، وكان طعامه لعامة الناس ، ولم يكن لأهل الشام فقط ، كما كان يصنع الحجاج ، فكان يوسف عند الناس أحمد[١٥٧] •

ويصفه ابن الاثـــير ، فيقول : « ••• كـــان أحمق ••• قصيراً عظيـم اللحية ••• » ومع قصره كان يختار الشباب الطوال لتفصل له[١٥٨] •

---

(١٥٢) أيضا ، ج٧ ، ص٥٨١ •
(١٥٣) ايضا ، ج٧ ، ص‌ص٥٨٢ـ٥٨٣ •
(١٥٤) المقريزي ، النقود الاسلامية ، ص١٧ •
(١٥٥) البلاذري ، فتوح البلـــدان ، ص‌ص٤٥٤ـ٤٥٥ ، والماوردي ، المصدر نفسه ، ص١٥٤ •
(١٥٦) البلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٨٢ •
(١٥٧) البلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٨٢ ، وابن عبدربه ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٥٦ •
(١٥٨) الكامل ، ج٥ ، ص٢٢٥ •

ويستطرد ابن الاثير فيقول : « ... كان في يوسف اشياء متناقضة ... أراد السفر فدعا جواريه فقال لاحداهن : تخرجين معي ، قالت نعم . قال : ياخبيثة كل هذا من حب النكاح ، ياخادم أضرب رأسها .

وقال للاخرى ما تقولين ؟ فقالت أقيم على ولدي ، فقال ياخبيثة أكل هذا زهادة فيّ ؟ أضرب رأسها . وقال لثالثة : ما تقولين ؟ قالت ما أدرى ما أقول ان قلت ما قالت احداهما لم أمن عقوبتك . فقال ... أو تناقضين وتحتجين ؟ أضرب رأسها . فضرب الجميع[١٥٩] » .

وعلى ما يبدو فان التناقض في سيرة يوسف ، جعل بعض المؤرخين يروون روايات كالتي سبقت ، وان كان بعضها صعب القبول وبعيدا عن التدقيق في الوقت نفسه .

أستمرت ولاية يوسف للعراق الى ما بعد وفاة هشام ، ومن الأحداث المهمة التي وقعت خلال ولايته ، ثورة زيد بن علي بن الحسين (ع) وسنوضح ذلك في موضعه من هذه الرسالة .

٢ ـ ولاة خراسان وبلاد ما وراء النهر :ـ

أُعطيت ولاية العراق والمشرق لخالد بن عبدالله القسري في بداية حكم هشام عام ١٠٥هـ ، وكان على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم ، ولاه عمر بن هبيرة الفزاري ، كما سبق وان أشرنا ، فلما وليها خالد القسري أبدله بأخيه أسد بن عبدالله عام ١٠٦هـ[١٦٠] ، وكان مسلم غازياً فكتب اليه خالد أن أتمم غزاتك[١٦١] .

وصل أسد خراسان ، وأرسل فارسين يحملان كتابه الى عبدالرحمن بن نعيم الغامدي بأمرته على الجند بدل مسلم بن سعيد[١٦٢] ، ومع ان مسلماً لم

---

(١٥٩) الكامل ، ج٥ ، ص٢٢٥ .
(١٦٠) الطبري ، المصدر نفسه ج٧ ، ص٣٣ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٣١ .
(١٦١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٣٣ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٢٨ .
(١٦٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٧ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٣١ .

بعارض أمر العزل لكن أحدهم ضربه سوطين . لما كان منه بالبروقان[١٦٣] ، فغضب عبدالرحمن من الرجل وشتمه[١٦٤] .

تظهر لنا الحادثة المذكورة ، على تفاهتها ، مدى ادراك ولاة خراسان لمركزهم الحرج أمام العدو ، فكانوا اكثر تسامحاً مع الولاة المعزولين ، وأقل قسوة من ولاة العراق مع أسلافهم ، كما حصل لعمر بن هبيرة مع خالد القسري ، ولخالد مع يوسف بن عمر ، بعد عزله ، كما ذكرنا ، وكان أسد من بين الولاة الذين ادركوا حراجة الوضع فلم يتعرض لمسلم بن سعيد وأرسله الى العراق مكرماً له[١٦٥] .

انصرف أسد الى قتال الترك ، فكان جُلّ نشاطه في هذا الميدان . كما قام ، فضلا عن نشاطه في ساحات الحرب ، بتجديد بناء مدينة بلخ ونقل اليها من كان بالبروقان من الجند وأسكنهم فيها ، ولكنه لم يسكنهم على الاخماس[١٦٦] بل مزج بينهم تجنباً لاثارة روح العصبية بينهم[١٦٧] .

وعاد أسد بذلك الى نظام زياد بن أبيه المعروف في الكوفة والبصرة بالخلط بين القبائل تجنبا لاثارة العصبية بينهم[١٦٨] .

وفرض أسد أجور عمال بناء بلخ على الكور « ... على كل كورة على

---

(١٦٣) أرسل مسلم نصر بن سيار ليخرج المتخلفين عن الغزو وليلحقهم بالجيش ، فكان ان نشبت الحرب بالبروقان ، اقرب بلخ واتخذت طابع العصبية ، بين قبائل تميم المؤيدة للوالي ولنصر وبين قبائل ربيعة .

(١٦٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٣٧ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص ص١٢٧–١٢٨ ، ويُعرف الطبري (ج٧ ، ص٤١) البروقان بانها منزل الامراء قرب بلخ وهي مقر الحامية العربية .

(١٦٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٤٠ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٣٧ .

(١٦٦) أسكنهم على الاخماس :– اي اسكن كل قبيلة لوحدها ، كما كانوا بالبروقان .

(١٦٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٤١ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٣٨ ، والبلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤١٧ .

(١٦٨) فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية وسقوطها ، ص ص١١٩–١٢٠ .

قدر خراجها وولى بناء مدينة بلخ برمك ، أبا خالد بن برمك[١٦٩] ، فقال أحد الشعراء قصيدة منها :

ان المباركة التي أحصنتها عصم الذليل بها وقر الخائف[١٧٠]

وفي عام ١٠٩هـ عزل هشام أسد بن عبدالله عن خراسان « ... وكان سبب ذلك ان أسدا تعصب حتى أفسد الناس[١٧١] » .

ويصفه البلاذري بأنه كان « ... شديد العصبية لا يملك نفسه[١٧٢] » ، فكان تعصبه وحدة طبعه ، العامل الرئيس باقصائه عن خراسان .

فقد ضرب نصر بن سيار ومعه جماعة من مضر متهماً اياهم بالشغب وأرسلهم مقيدين الى العراق[١٧٣] . فاستنكرت المضربة ذلك التعصب ، ولام الشعراء منهم الخليفة على ذلك الموقف ، فقال الفرزدق :

أخالد لولا الله لم تعط طاعة ولولا بنو مروان لم توثقوا نصرا
اذا للقيتم دون شد وثاقه بني الحرب لاكشف اللقاء ولا ضجرا[١٧٤]

ومع ان الطبري يذكر ان ضرب نصر ونفر من مضر بالسياط كان تعصباً من أسد[١٧٥] ، لكن الباحث يشك بان الدافع لذلك كان تعصباً ضد المضرية فقط ، فان أسدا ضرب مع نصر بعض أشراف العرب في خراسان ، وربما كان

---

(١٦٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٤١ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٣٨ ، والبلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤١٧ .
(١٧٠) يذكر الطبري ، (ج٧ ، ص ص٤١-٤٢) ، ان ابا البريد قال قصيدة من ثمانية أبيات يمتدح بها أسدا لبناء بلخ وتجديد سورها .
(١٧١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٤٧ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٤٢ .
(١٧٢) البلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٦ .
(١٧٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٤٨ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٤٢ ، والبلاذري ، فتوح البلدان ، ٤١٧ .
(١٧٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٤٩ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٤٣ .
(١٧٥) يذكر الطبري (ج٧ ، ص٤٨) أسماء من ضربهم أسد وكانوا من قبائل عربية متفرقة في خراسان .

يستهدف أيضا ، ابعاد بعض الرؤوساء من ذوى النفود عن منطقة حكمه ، أي خراسان .

ترك أسد خراسان في شهر رمضان من عام ١٠٩هـ ومعه دهاقين خراسان، وكان محباً لهم ، واستخلف الحكم بن عوانة الكلبي[١٧٦] ، لكن هشاماً عين أشرس بن عبدالله السلمي واليا على خراسان « ... وأمره ان يكاتب خالد بن عبدالله القسري ، وكان أشرس فاضلا خيرا ، وكانوا يسمونه الكامل لفضله عندهم ، فسار الى خراسان ، فلما قدمها استبشروا بقدومه ... [و] كبّر الناس فرحا به[١٧٧] » فقال أحدهم :

لقد سمع الرحمن تكبير أمه   غداة أتاها من سليم امامها[١٧٨]

قدم أشرس خراسان وكان يركب حمارا ، فقال له حيان النبطي « ... ان كنت تريد ان تكون والي خراسان فاركب الخيل وشد حزام فرسك، والزم السوط خاصرته حتى تقدم النار ، والا فأرجع . قال أرجع اذن ، ولا اقتحم النار . ثم أقام وركب الخيل[١٧٨آ] » .

يبدو أن حيان كان مدركا للأوضاع في خراسان ، لذا يجب ان يكون واليها قائدا كفؤا ، مستعدا للمفاجآت ، لأن ولايته محادة للأعداء . كما يُفترض فيه إستعمال القوة والعنف في ادارة أقليم كخراسان ، اذا أراد ان يجمع الضرائب المقررة لبيت المال .

وكان أشرس حريصا «... تولى ... صغير الامور وكبيرها بنفسه[١٧٨ب]»، لكنه لم يكن مدركا للأوضاع في ولايته ، فمحاولته تهدئة السغد في بلاد ما وراء النهر عن طريق اسقاط الجزية عمن يسلم ، أتت بنتائج معكوسة ، لأنه عاد

---

(١٧٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٤٩ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٤٣ .

(١٧٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٥٢ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٤٣ .

(١٧٨) ، (١٧٨آ) ، (١٧٨ب) : الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٥٢ .

ففرض الجزية على من أسلم منهم ، « ...وطالبهم بها فنصبوا له الحرب[١٧٩] »، وأيدهم بعض المتدينين من العرب[١٨٠] ، وسنوضح ذلك في موضعه من رسالتنا هذه .

حاول أشرس ان يحمي حدود خراسان مع الأعداء بوضع الحاميات ، قال الطبري « ... وكان (أشرس) أول من اتخذ الرابطة بخراسان[١٨١] » ، لكنه كان ضعيف الهمة في حروبه حتى خشي الناس الضياع في امرته[١٨٢] ، وكان لهم بعض الحق ، فقد أصيب المسلمون ببعض الهزائم العسكرية[١٨٣] ، وكان التفوق الحربي حينذاك في جانب العدو[١٨٤] .

عزل هشام أشرس عام ١١١هـ ، لاسباب قيل ان بعضها يعود الى الشكوى منه ، وولى خراسان من بعده للجنيد بن عبدالرحمن[١٨٥] . ومع ان الطبري يذكر ان تولية الجنيد كانت لتقديمه هدية الى هشام[١٨٦] ، لكنه يصعب على الباحث ان يعزو اختيار الجنيد لتقديمه الهدية فقط ، فهشام كان يبحث عن والٍ كفءٍ لخراسان[١٨٧] ، وبما ان الجنيد قد جاء من السند ، وكان واليا

---

(١٧٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٥٤ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٤٨ .

(١٨٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٥٥ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٤٨ .

(١٨١) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٥٢ .

(١٨٢) أيضا ، ج٧ ، ص٥٢ .

(١٨٣) يذكر الطبري (ج٧ ، صص٥٧-٦٠) وابن الاثير (الكامل ، ج٥ ، صص١٤٩-١٥٠) بعض معارك المسلمين مع الترك .

(١٨٤) ويذكر الطبري أيضا (ج٧ ، صص٦٠-٦٦) ، وابن الاثير (الكامل ، ج٥ ، صص١٥١-١٥٤) حصار الترك لاحدى قلاع المسلمين واجلائهم عنها ومع ذلك فان الطبري (ج٧ ، ص٦٠) يَعُدُّ مقاومة أهل القلعة للجيش التركي من « ... أشرف ايام خراسان واعظمها ايام اشرس في ولايته » .

(١٨٥ ، ١٨٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٦٧ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٥٦ .

(١٨٧) يذكر فلهاوزن (تاريخ الدولة العربية ، ص٤٣٧) ان عزل أشرس يعود الى فشله في حربه مع الترك .

عليها بعد ان عزله خالد القسري(١٨٨) ، فلربما تم اختياره اذاً لسابق خبرته ، ومن المحتمل ان لخلافه السابق مع القسري أثر في توليته . فيذكر الطبري ان الجنيد كان يكره القسري ويصفه بالسوء(١٨٩) .

وصل الجنيد الى خراسان ، وكان أشرس حينئذ يقاتل الترك والسغد فلحق به الجنيد ، وأعانه على دحر الترك(١٩٠) .

وفي عهد الجنيد ارتفعت الأسعار ، فلما شكا الناس اليه ذلك ، قال لهم « ... تشكون الجوع ورغيف الخبز بدرهم لقد رأيتني بالهند وان الحبة من الحبوب لتباع عددا بالدرهم(١٩١) . ويظهر انه أراد تهدئة الوضع عن طريق المبالغة ، كما كتب « ... الى الكور بحمل الطعام الى مرو »(١٩١آ) لتخفيف الأزمة .

ولم يتخلص الجنيد من العصبية القبلية ، فكان جميع عماله من مضر(١٩٢) ، وجفا الأزد(١٩٣) ، على مالهم من قوة في جيش خراسان(١٩٤) .

عزل هشام الجنيد عن ولايته ، وعزى ذلك الى زواجه من الفاضلة بنت يزيد بن المهلب ، واوصى هشام عاصماً بن عبدالله ، الوالي الجديد ، « ... ان ادركته [الجنيد] وبه رمق فأزهق نفسه(١٩٥) » وكان الجنيد مريضاً .

ويبدو ان هشاماً لم يكن راضياً عن الجنيد بعد مقتل سورة بن الحر ، والي سمرقند ، ولم يصدق هشام ما جاء برسالة الجنيد عن مقتله ، فسأل نهار بن توسعة ، رئيس وفد خراسان عن صحة ما جاء برسالة الجنيد(١٩٦) . وكان

---

(١٨٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٥ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٣٥ .
(١٨٩) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٨٤ .
(١٩٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، صص٦٧-٦٨ .
(١٩١ ، ١٩١آ) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٢ .
(١٩٣) ، (١٩٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٧٤ .
(١٩٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٧٤ .
(١٩٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٣ .
(١٩٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٢ .

الجنيد فضلا عن ذلك ، « ... غير محمود في حروبه[197] » ، ويفتقر الى مزايا القائد العسكري الناجح في ولاية واسعة مجاورة لاعداء أقوياء كالترك . ومن المحتمل ان قوة الترك ، وخطورة الوضع على حدودهم وعدم نجاح الجنيد في حربه معهم ، كما كان منتظرا منه ، كانت من عوامل اقصائه عن ولايته . ولم يبق الجنيد طويلاً بعد مرضه ، فما لبث ان توفي ، وقد اختلفت الروايات في تحديد سنة وفاته ، فيذكر الطبري في احدى رواياته ان الجنيد توفي عام ١١٥هـ ، واستخلف ابن عمه ، عمارة بن حُريم ، على ولاية خراسان[198] . وعلى رواية المدائني ، وهي الراجحة ، ان وفاة الجنيد كانت في محرم عام ١١٦هـ[199] .

ويبدو ان مرض الجنيد الزمه الفراش ، قبيل وفاته ، فاستخلف عمارة ، فكان العامل الفعلي لخراسان في آواخر عام ١١٥هـ ، وربما فسر ذلك اختلاف الروايتين في تحديد وفاة الجنيد .

توفي الجنيد في مرو ودفن بها ، فقال احدهم يرثيه :

هلك الجود والجنيد جميعا فعلى الجود والجنيد السلام
أصبحا ثاويين في أرض مرو ما تغنت على الغصون الحمام
كنتما نزهة الكرام فلما مت مات الندى ومات الكرام[200]

ومما يجدر ذكره ان الدينوري يصف الجنيد ، « ... رجل من اليمانية ذا فضل وسخاء[201] » ، ويبدو ان زواج الجنيد من الفاضلة بنت يزيد بن

---

(١٩٧) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٨٢ .
(١٩٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٢ .
(١٩٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٣ .
(٢٠٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ص٩٣-٩٤ .
(٢٠١) الاخبار الطوال ، ص٣٣٥ ، ويؤيد ابن الاثير ، (الكامل ، ج٥ ، ص١٨٢) ما ذكره الدينوري عن كرم الجنيد وان كان يختلف معه في النسب . فيذكر ابن الاثير (ج٥ ، ص١٥٦) نسب الجنيد فيقول :- هو الجنيد بن عبدالرحمن بن عمرو بن الحارث المري ، ويذكر ابن خياط (ج٢ ، ص٣٧٥) انه من مرة غطفان ، ويذكر القلقشندي (نهاية الارب ص٣٨٨) ان غطفان بطن من قيس عيلان من العدنانية .

المهلب دعا الدينوري الى قوله المذكور ، فان الجنيد كان قيسيا[٢٠٢] ، وكان جميع عماله من مضر ، كما أسلفنا .

وعيّن هشام عاصماً بن عبدالله الهلالي والياً على خراسان[٢٠٣] ، وربما كان للعداء الشخصي بينه وبين الجنيد أثر في هذا الأختيار ، اضافة الى رغبة هشام بالانتقام من الجنيد بسبب زواجه من الفاضلة[٢٠٤] .

وصل عاصم خراسان في مطلع عام ١١٦هـ ، بعد وفاة الجنيد ، فلما قدمها « ... حبس عمارة بن حُريم وعمال الجنيد وعذبهم[٢٠٥] » .

واستمرت ولاية عاصم على خراسان أقل من سنه لكن تلك المدة تزيد على سبعة أشهر[٢٠٦] . فاذا صح ذلك كان ولاية عاصم استغرقت معظم عام ١١٦هـ ، على رواية المدائني[٢٠٧] ، ومع ان الطبري وابن الأثير يضعان عزل عاصم تحت أحداث عام ١١٧هـ[٢٠٨] ، لكن رواية المدائني تبدو اكثر تدقيقاً .

وكان السبب المباشر للعزل ، ان عاصماً كتب الى هشام يبلغه « ... ان خراسان لا تصلح الا ان تُضم الى صاحب العراق ... لتباعد أمير المؤمنين عنها وتباطؤ غياثه عنها[٢٠٩] » .

ويبدو ان ضعف عاصم كان من عوامل عزله ، فقد كانت خراسان ثائرة ، ولم تكن لعاصم سيطرة الا على مرو ونيسابور وأبرشهر ، فلما بلغ هشام ذلك « ... كتب الى خالد بن عبدالله : ابعث اخاك يُصلح ما أفسد[٢١٠] » ، فوجه خالد أخاه أسدا الى خراسان ، فلما وصلها حبس عاصماً وحاسبه واغرمه مائة

---

(٢٠٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٧٢ .
(٢٠٣ ، ٢٠٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٣ .
(٢٠٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٤ .
(٢٠٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٠٤ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٨٦ .
(٢٠٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٩ .
(٢٠٨) أيضا ، ج٧ ، ص٩٩ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٨٦ .
(٢٠٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٩ .
(٢١٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٠٥ .

الف درهم لانه لم يفز[٢١١] ، وأطلق أسد عمارة بن حريم وعمال الجنيد من الحبس[٢١٢] .

إتخذ أسد مدينة بلخ مقراً لولايته ونقل اليها الدواوين عام ١١٨هـ[٢١٣]، ويرى فلهاوزن أن أسداً بني مدينة بلخ في ولايته هذه ونقل اليها الدواوين[٢١٤]. ونرى من المناسب ان نشير الى ان بناء مدينة بلخ كان في ولاية أسد الاولى ، وقد أشرنا الى ذلك في حينه فلما انتقضت خراسان على عاصم اتخذ مرو دارا للامارة ، لكن أسدا بعد ان تمكن من اعادة السيطرة على خراسان وبلاد ما وراء النهر[٢١٥] ، أعاد دار الامارة الى بلخ ونقل اليها الدواوين ليكون قريبا من الترك الذين يشكلون خطراً مستمراً على ما يحادهم من بلاد المسلمين.ومن المحتمل ان فلهاوزن قصد من ذلك ان يُذكّر القارىء بأن أسداً عاد الى اتخاذ بلخ دارا لامارته ، او أنه أكمل ما كان ناقصا في بنائها ، والا فيصعب على الباحث ان يرى مؤرخاً مثل فلهاوزن يقع في خطأ كهذا .

وما يُذكر عن أسد أنه نجح في ابعاد الحارث بن سُريج ، وكان ثائراً على الدولة عن خراسان وبلاد ما وراء النهر ، كما نجح في درىء خطر الترك على حدود ولايته[٢١٦] .

ومما يروى عن أسد أنه خطب على منبر بلخ فقال « ... يا أهل بلخ، لقبتموني الزاغ والله لازيغن قلوبكم[٢١٧] » .

ويذكر الثعالبي أن أسداً لما قَدِم خراسان ، واليا عليها ، « ... وكان أسد شديد السواد وقد اعتم بعمامة خز أحمر وتلثّم بها ، نظر اليه بعض أهلها

(٢١١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٠٥ .
(٢١٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٠٤ .
(٢١٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١١١ .
(٢١٤) تاريخ الدولة العربية ، ص٤٤٥ .
(٢١٥) يذكر الطبري (ج٧ ، ص١١٠) ان مرو كانت مؤيدة للحارث بن سريج الثائر مدة ولاية عاصم لخراسان .
(٢١٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١١٣ وما بعدها .
(٢١٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٤٩ .

وقال : ما أشبه أميرنا بالزاغ فَلُقِّب بذلك وسار على الافواه فقال يوماً في خطبته لازيغن قلوب قوم يدعونني الزاغ فلم يكترثوا به ولـم يقطعوا عنـه هـذا اللقب[٢١٨] » .

استمرت ولاية أسد على خراسان الى ان توفي في ربيع عـام ١٢٠هـ ، واستخلف جعفر بن حنظلة البهراني على ولاية خراسان ، فعمل أربعة أشـهر وجاء عهد نصر بن سيار في رجب من عام ١٢٠هـ[٢١٩] .

تولى نصر بن سيار الكنـاني خراسـان في شهر رجب من عام ١٢٠هـ/ ٧٣٨م . ويقدم لنا الطبري رواية ، يذكر فيها كيفية اختيار نصر بن سيار ، على

---

(٢١٨) الثعالبي ، عبدالملك بن محمد ، لطائف المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص٤٢ .

(٢١٩) لا يحدد الطبري (ج٧ ، ص١٥٩) الشهر الذي توفي فيه أسد ولكنـه يذكر ان عمل البهراني استمر اربعة اشهر وفي رجب جاء عهد نصر بن سيار وهذا ما جعل فلهاوزن (تاريخ الدولة العربية ، ص‌ص٤٤٩ـ٤٥٠) يحدد وفاة أسد في صفر من نفس العام .

ويذكر ابن الاثير (الكامل ج٥ ، ص٢١٦) ، وابن خلدون (تاريـخ ابن خلدون) (ج٣ ، ص٢٠٤) ان وفاة اسد كانت في شهر ربيع الاول مـن عام ١٢٠هـ . فولاية البهراني أستغرقت اكثر أيام شهر ربيع الاول الى أيام من رجب من نفس العام ، وعلى ذلك فالراجح ما اثبتناه في المتن . اما ما يذكره الطبري (ج٧ ، ص١٤١) من ان عهد نصر جاء في عام ١٢١هـ، فربما كان تصحيفا فان وفاة أسد كانت قبل عزل خالد في جمادي الاول عام ١٢٠هـ . اما الرواية الاخرى للطبري ايضا ، (ج٧ ، ص١٥٤) التي تتحدث عن تولية يوسف بن عمر للكرماني على خراسان ، فيبدو انهـا غير محتملة ، فهشام بدأ يستشير فيمن يوليه خراسان بعد وفاة أسد ، ولما كانت الوفاة في ربيع الاول على الارجح ، من عام ١٢٠هـ ، وجاء عهد نصر في رجب من نفس العام ، فمن المرجح ان استشارة هشام لا تستغرق اكثر من هذا الوقت ، وعلى ذلك فان القول بولاية الكرماني لخراسـان حينئذ غير محتملة .

لسان عبدالكريم بن سليط أحد العارفين بأحوال خراسان وبرجالاتها[220] ، ويشير الدينوري ، ان نصر بن سيار ، لما جاءه كتاب التولية قال للبهراني ، خليفة أسد على خراسان ، « ... السلطات سلطانك فمر بأمرك ، فدعا له البهراني وسلم الأمر اليه[221] » .

كان هشام موفقاً في اختياره لنصر ، فقد كان « ... أرجل القوم وأحزمهم وأعلمهم بالسياسة ... عفيفاً مجرباً عاقلاً[222] » ، أنجز خلال ولايته أعمالاً جديرة بالتقدير في المجالين المالي والحربي . وقد استمرت ولاية نصر على خراسان الى نهاية الدولة الاموية .

٣ ـ ولاة أرمينية وأذربيجان :

كانت ارمينية وأذربيجان ولاية واحدة ولاها يزيد بن عبدالملك الجراح بن عبدالله الحكمي عام ١٠٤هـ بعد هزيمة سلفه البهراني امام الخزر[223] . فلما تولى هشام الخلافة أقر الجراح على ولايته[224] ، ولما كانت محادة لبلاد الأعداء ، فقد كان جل نشاطه متجها الى حربهم خلال ولايته التي استمرت الى عام ١٠٧هـ حيث عزله هشام « ... عن أذربيجان وأرمينية وولاها أخاه مسلمة فقلدها مسلمة للحارث بن عمرو الطائي[225] » .

---

(٢٢٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ص١٥٥ـ١٥٦ ؛ والدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ص٣٤٠ـ٣٤٢ .
ويذكر الطبري (ج٧ ، ص١٥٦) ان يوسف بن عمر ، والي العراق ، كتب الى هشام باسماء رجال من قيس لاختيار أحدهم لولاية خراسان ، وكان نصر آخرهم فاختاره هشام .
ويبدو من الرواية ان يوسف كتب الى هشام بقلة عدد عشيرة نصر فهو لا يصلح للولاية وربما كانت هذه الرسالة بعد اختيار نصر لا قبل ذلك .

(٢٢١) الاخبار الطوال ، ص٣٤٢ .

(٢٢٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٥٦ .

(٢٢٣) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١١١ .

(٢٢٤) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٧٧ .

(٢٢٥) الازدي ، المصدر نفسه ، ص٢٥ ، وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٥٠ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص ص١٣٧ـ١٣٨ .

وربما كان سبب هذا التعيين ان هشاماً أراد ان يضع أرمينية وأذربيجان تحت اشراف أخيه مسلمة وكان قائدا للصوائف التي تغزو بلاد الروم عن طريق ملطية(226) .

وربما كان ذلك ايضا سبباً في انابة مسلمة للحارث بن عمرو لولاية أرمينية وأذربيجان فمن المرجح ان مسلمة كان مشغولاً بالحرب ولم يبق في دمشق ويرسل نائبا عنه ، كما يشير الى ذلك حتي(227) .

استمرت ولاية مسلمة على أرمينية وأذربيجان الى عام ١١١هـ(228) ، وفي ذلك العام عزل هشام مسلمة عن ولايته « ... وولى الجراح بن عبدالله الحكمي الولاية الثانية » . وفي العام التالي ، اي عام ١١٢هـ ، التقى الجراح بالخزر فقتل واكثر من معه من المسلمين قرب أردبيل(229) ، وتقدم الخزر حتى بلغوا قرب الموصل(230) ، فاسرع هشام بارسال عمرو بن سعيد الحرشي « ... ووجه معه فرسان العرب على البريد(231) » ، وقد استطاع الحرشي ان يبعد خطر الخزر عن مدن الحدود مؤقتا(232) ، ثم أرسل هشام أخاه مسلمة في اثر الحرشي عام ١١٢هـ(233) ، على رأسي جيش كبير لقتال الخزر ، وعينه واليا على أرمينية

---

(٢٢٦) يذكر ابن خياط ، (ج٢ ، ص٣٧٧) ان مسلمة بن عبدالملك كان يلي الصوائف زمن هشام ، ويذكر ايضا (ج٢ ، ص٣٥٠ ، ص٣٥١) ان مسلمة كان قائدا للصوائف لعامي ، ١٠٧هـ ، ١٠٨هـ على التوالي ، ويشير ايضا (ج٢ ، ص٣٥٢ ، ص٣٥٣) الى غزوتين قام بهما مسلمة لبلاد الخزر لعامي ١٠٩هـ ، و ١١٠هـ على التوالي ايضا .

(٢٢٧) تاريخ العرب ، ج٢ ، ص٢٩٢ .

(٢٨٨) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٥٤ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٥٨ .

(٢٢٩) أردبيل : اكبر مدن اذربيجان (الاصطخرى ، المسالك والممالك ص١٠٨) .

(٢٣٠) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٥٩ ، والطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٧٠ .

(٢٣١) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٥٦ .

(٢٣٢) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٦٠ ، والطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٧٠ ، والازدى ، المصدر نفسه ، ص٣٢ .

(٢٣٣) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٥٧ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٦٢ .

وأذربيجان في العام التالي ، وعزل سعيد بن عمرو الحرشي ، فأناب مسلمة ابنه عبدالملك « ... ثم سار مسلمة فأخذ سعيد بن عمرو فقيده وحبسه ، فبعث هشام فأخرجه من الحبس[٢٣٤] » .

ويبدو أن رواية ابن خياط المذكورة ليست دقيقة ، فقد أُعطيت لمسلمة قيادة الجيش وولاية أرمينية واذربيجان في نفس الوقت اي شتاء عام ١١٢هـ[٢٣٥]، وكان ارسال الحرشي كمقدمة لجيش مسلمة الكبير .

ظل مسلمة على ولايته الى نهاية عام ١١٣هـ ، حيث عزله هشام « ... عن أرمينية واذربيجان والجزيرة وولاها مروان بن محمد ... لمستهل المحرم سنة أربع عشرة ومائة[٢٣٦] » . ويبدو ان مسلمة لم يُحسن التصرف في حربه مع الخزر ، كما قال مروان بن محمد لهشام[٢٣٧] .

استمر مروان على ولايته الى ما بعد وفاة هشام ، وكان جل نشاطه منصرفا الى حروب الاعداء مدة ولايته .

ويجدر بنا ان نذكر ان المعلومات المتوافرة لدينا عن اعمال قسم من الولاة لا تعدو اهتمامهم بالحرب والهجوم والدفاع ، وان وضعهم لا يدل على استقرار الحكم الاسلامي في ولاياتهم ، وكان مروان من بينهم ، ويبدو أن العلاقات الحربية بين الخزر والمسلمين طغت على ما سواها من اخبار مروان ، ويظهر ان تحالفاً كان قد عقد بين الخزر والترك[٢٣٨] . على حرب المسلمين ، كما لم يكن

---

(٢٣٤) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٥٨ .
(٢٣٥) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٦٢ .
(٢٣٦) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٥٩ . وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٧٧ .
(٢٣٧) يذكر ابن الاثير (ج٥ ، صص١٧٣-١٧٤) حروب مسلمة امام الخزر ويذكر ايضا (ج٥ ، ص١٧٧) مقابلة مروان بن محمد لهشام وما دار بينهما وسبب تولية مروان بدل مسلمة .
(٢٣٨) يذكر ابن الاثير ، (ج٥ ، ص١١٠) في حوادث عام ١٠٤هـ ان الترك اعانوا الخزر في حربهم مع المسلمين .

المسلمون دائما في مركز القوة خلال حروبهم مع الخزر ٠ وان لم يصابوا بهزائم عسكرية كبيرة ، بعد مقتل الجراح الحكمي عام ١١٢هـ ، خلال الفترة التالية من حكم هشام ٠

٤ ـ ولاة الجزيرة والموصل :ـ

لم يكن للجزيرة وال واحد[٢٣٩] ، ويبدو ان منطقة الموصل أصبحت ولاية منفصلة عن الجزيرة في عهد هشام ، ويعدد الازدي أعمالها ، واستنادا على تقريره فهي تشمل جزءا من شمال وشمال شرق الموصل حاليا الى تكريت جنوبا[٢٤٠] ٠

ويبدو أن منطقة الموصل كان يحكمها وال مستقل زمن هشام يخضع للخليفة مباشرة[٢٤١] ، وما يقع شمال الموصل الى حدود أذربيجان أصبح تابعا لوالي أذربيجان وأرمينية ، لذا فان أغلب المصادر لا تشير الى ولاة للجزيرة[٢٤٢]، خلال عهد هشام ، ويذكر خليفة بن خياط ، ان هشاما عزل مسلمة « ٠٠٠ عن أرمينية وأذربيجان والجزيرة[٢٤٣] ٠٠ » ، ولا يوجد غير هذا النص عن ولاة للجزيرة عند ابن خياط ٠ وفي نهاية حكم هشام عندما يعدد ابن خياط ، الاقاليم وولاتها لا يرد ذكر ولاة للجزيرة[٢٤٤] ، وعلى ما يظهر ، فان الجزيرة وأذربيجان وأرمينية ، كانت تخضع لوال واحد في عهد هشام ، وقد سبقت الأشارة الى ذلك ٠

اما الموصل فكان يليها لهشام عام ١٠٥هـ مروان بن محمد ، على

---

(٢٣٩) الجزيرة : تقع بين دجلة والفرات وتشمل على ديار ربيعة ومضر ومخرج ماء الفرات من داخل بلد الروم من ملطية على مسيرة يومين على الفرات شمالا الى الانبار جنوبا وعلى دجلة من تكريت جنوبا الى شمال جزيرة بن عمر شمالا (الاصطخري ، ص٥٢) ٠

(٢٤٠) تاريخ الموصل ، ص‌ص٣٢ـ٣٣ ٠

(٢٤١) ربما لان الموصل كانت قريبة من مقر هشام في الرصافة ٠

(٢٤٢) يذكر الطبري (ج٧ ، ص١٣٢) في معرض حديثه عن ثورة بهلول الخارجي ، ان عامل الجزيرة وجه اليه جيشا ، ولا يذكر اسم الوالي ٠

(٢٤٣) تاريخ خليفة بن خياط ، ج٢ ، ص٣٥٩ ٠

(٢٤٤) ايضا ، ج٢ ، ص‌ص٣٧٣ـ٣٧٧ ٠

الأغلب[٢٤٥] ، ثم ولاها للحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن ابي العاصي عام ١٠٨هـ[٢٤٦] ، على الأرجح بعد ان عزله عن ولاية مصر ، على ما سيأتي ، وربما كان لمنزلة عمته عند هشام أثر في اختياره لولاية الموصل[٢٤٧] .

بنى الحر المنقوشة ، واتخذها دارا له ، وكان نقشها بالساج والرخام والفصوص الملونة لذا سميت بالمنقوشة[٢٤٨] .

وكان من اعمال الحر بالموصل ان بدأ بحفر النهر المكشوف بها ، بعد اخذ موافقة هشام ، ليستقي منه أهل الموصل لبعد دجلة عنهم وبدأ العمل فيه عام ١٠٧هـ[٢٤٩] ، او بعد ذلك[٢٥٠] ، وكان على النهر الشارع المعروف

---

(٢٤٥) الازدي ، المصدر نفسه ، ص٢٢ .

(٢٤٦) ابن تغري بردي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٩ .
كان الحر بن يوسف قد ولي مصر لهشام عام ١٠٥هـ ، على ما سيأتي ، أما ما يذكره الازدي (تاريخ الموصل ، ص٢٢) من انه ولي الموصل عام ١٠٦هـ فبعيد الاحتمال ، ذلك ان النصوص التي وردت عنده ايضا (ص٢٤ـ٢٥) عن ولاية الحر للموصل تبدو مضطربة ، وربما اخذها عنه ابن الاثير (الكامل ، ج٥ ، ص‌ص١٣٢ـ١٣٣) فوقع في نفس الخطأ ، ويشير الازدي ايضا (ص ٢٧) ، ان ابن الحبحاب ولي خراج مصر عام ١٠٧هـ ، لكن ابن تغري بردي (النجوم الزاهرة ج١ ، ص٢٥٨) يذكر ان ابن الحبحاب ولي خراج مصر قبل ولاية الحر لها ، في عام ١٠٥هـ ، كما يشير الازدي ايضا (ص٢٥) ان يوسف ابا الحر ، ربما ولي الموصل لعبدالملك بن مروان وعلى ذلك فربما بدات ولاية الحر للموصل عام ١٠٨هـ ، على الارجح وهو ما اشتبناه في المتن .

(٢٤٧) يذكر الاصفهاني (الاغاني ، ج١٦ ، ص٢٧٧) ان هشاما كان يحب زوجته ام حكيم كما يذكر ايضا (ج٧ ، ص٣) انها كانت من اجمل نساء قريش. ويذكر الطبري (ج٧ ، ص٦٧ ، ص٢١) ان ام حكيم بنت يحيى بن الحكم ، ويؤيده الاصفهاني ايضا (الاغاني ، ج٧ ، ص٣) وعلى ذلك فهي عمة الحر بن يوسف .

(٢٤٨) الازدي ، المصدر نفسه ، ص‌ص٢٤ـ٢٥ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٣٣ ، وابن تغري بردي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٥٩ .

(٢٤٩) الازدي ، المصدر نفسه ، ص٢٦ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٣٣ .

(٢٥٠) سبق وان ذكرنا ان النصوص الواردة عند الازدي عن تاريخ ولاية الحر للموصل تبدو مضطربة ، ويرجح ان ابن الاثير نقل الروايات السالفة عن الازدي لذا فان تحديد عام ١٠٧هـ لبدء العمل بحفر النهر يبدو غير دقيق هو الآخر ويرجح ان العمل فيه بدأ بعد عام ١٠٧هـ .

بشارع النهر[٢٥١] .

استمرت ولاية الحر على الموصل حتى وفاته عام ١١٣هـ . ويذكر ابن تغرى بردي ان الحر ، « ... كان أجل أمراء بني أمية شجاعة وكرما وسؤددا[٢٥٢] » ، ولما مات استخلف ابنه يحيى لكن هشاماً عزله وولى الموصل الوليد بن تليد العبسي « ... وأمره بالجد في اتمام حفر النهر بالبلد[٢٥٣] » ، وقد تمكن الوليد من اتمام حفره في عام ١٢١هـ[٢٥٤] . واستمر الوليد على ولايته الى عام ١٢٢هـ ، ثم عين هشام أبا قحافة المزني أحد أقارب الوليد على الموصل . وبقي هذا على ولايته الى موت هشام[٢٥٥] . ويبدو ان ولاية الموصل لم تكن مهمة لذا لم تشر اغلب المصادر الى اعمال ولاتها ، فيذكر الأزدي ان ام حكيم عتبت على هشام فقالت له : « ... تولي أخي الموصل وما قدرها ، فقال لها هشام : يا بنت يحيى أما يُرضي أخوك ان يصلي خلفه الهراثمة[٢٥٦] » .

٥ ـ **ولاة مكة والطائف والمدينة :ـ**

كان عبدالواحد النضري ، في بداية حكم هشام ، واليا على مكة والطائف والمدينة من قبل يزيد بن عبدالملك .

وفي عام ١٠٦هـ عزل هشام النضري وولى محله خاله ابراهيم بن هشام المخزومي فقدم المدينة يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من جمادى الأخرة من العام نفسه[٢٥٧] .

(٢٥١ ، ٢٥٢) ابن تغري بردى ، ج١ ، ص٢٥٩ .

(٢٥٣) الازدي ، المصدر نفسه ، ص٣٣ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٧٦ .

(٢٥٤) الازدى ، المصدر نفسه ، ص٤٣ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٤١ .

(٢٥٥) تاريخ الموصل ، صص٥٢ـ٥٣ .

(٢٥٦) ايضا ، ص٢٤ ، وعلى ما سبق فان ام حكيم بنت يحيى بن الحكم هي اخت يوسف بن يحيى وعمه الحر وليست اخته كما تشير رواية الازدى السالفة .

(٢٥٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٩ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٢٧ ، وابن كثير ، المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٢٣٤ ، والقلقشندى، مآثر الاناقة ، ج١ ، ص١٥٤ .

ويذكر الاصفهاني ، ان نُصيبا الشاعر مولى عبدالعزيز بن مروان ، ذكر لهشام ان النضري أغرمه ثمن عشرة نوق كان سلف النضري قد منحها لنصيب من بيت المال بعد مدحه أياه ، فأقسم هشام أن لا يلي النضري له عملا ثم عزله[٢٥٨] . ولما كان النضري خيرا فاضلا ، كما سبق وان أشرنا ، فلا يُستبعد ان يطالب نصيباً بثمن النوق ، التي اخذها من بيت المال ، ولكن من غير المحتمل ان يعزل هشام والياً لسبب كالذي سبق .

ونرى من المناسب ان نذكر ان الاصفهاني يشير بعدها الى ان نصيبا قدم المدينة بكتاب من هشام الى النضري ليفرض لقوم نصيب[٢٥٩] .

ويبدو ان حب هشام لأخواله ورغبته بتقديمهم ربما كان السبب في عزل النضري وتقليد الولاية لخال هشام ابراهيم بن هشام المخزومي ، ولم يكن تغريم نصيب سببا وجيها لعزل النضري .

كان ابراهيم بن هشام كثير المال ، محبا لجمعه ، فيذكر الزبيري انه صادر بعضا من املاك عبدالله بن عروة بن الزبير ، فشكاه هذا الى هشام عند حجه عام ١٠٦[٢٦٠] ، وذلك يعني ان ابراهيم بدأ ولايته بداية غير حسنة . ومع أن الطبري يثير الى ان ابراهيم ومحمدا ولدا هشام المخزومي ، اقيما للناس بالمدينة[٢٦١] ، موثقين ، ليقدم الناس ظلاماتهم ضدهما ، وكان ذلك زمن الوليد بن يزيد ، لكن الشكوى منهما كانت قليلة . فاكتفى الوليد بأرسالهما الى العراق الى يوسف بن عمر متهما اياهما باحتجان الأموال[٢٦٢] ، ومع ان ذلك لا يؤكد حسن سيرتهما فربما رغبت اكثرية الناس عن تقديم الشكوى ضدهما وهما في موقف كالذي سبق ، لكنه يعطي احتمالا أنهما لم يكونا سيىء السيرة الى حد كبير .

---

(٢٥٨) الاغاني ، ج١ ، ص‌ص٣٤٩ـ٣٥٠ .
(٢٥٩) أيضا ، ج١ ، ص٣٧٣ .
(٢٦٠) نسب قريش ، ج٧ ، ص٢٤٦ .
(٢٦١) ، (٢٦٢) تأريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٢٧ .

استمر ابراهيم على ولايته الى عام ١١٤هـ ، ومع ذلك فلا تشير المصادر الى اعمال قام بها خلال مدة ولايته اللهم الا اذا استثنينا امرته للحج في اكثر سنوات ولايته على المدينة المنورة .

كما كان ابراهيم بن هشام معتزاً بنفسه مدعياً المعرفة بالفرائض والسنن ، فيذكر الطبري أنه « ... خطب الناس بمنى ... فقال سلوني ، فأنا ابن الوحيد ، لا تسألون أحدا أعلم مني . فقام اليه رجل من أهل العراق فسأله عن الاضحية ، أواجبة هي أم لا ؟ فما درى أيّ شيء يقول له : فنزل[٢٦٣] » .

ويصفه الاصفهاني بقوله « ... كان ابراهيم بن هشام جبارا[٢٦٤] »، ومع ذلك لم يعاقب نصيبا الشاعر وقد دخل عليه مع الناس ومدحه بقصيدة لم تكن بليغة ، فاراد احد الحاضرين ممازحة نصيب فطلب اعادة احد أبيات القصيدة ، فوصف ابراهيم نصيبا بأنه شاعر غير مجيد « ... وحمى نصيب فقال أنا والله نصنع المديح على قدر الرجال كما يكون الرجل يمدح ، فعم الناس الضحك وحلم [ابراهيم] عنه[٢٦٥] » .

ويبدو أن علاقة نصيب الحسنة بهشام ربما منعت ابراهيم من معاقبته وقد وجه اهانة لشخصه أمام الناس . ولكن ابراهيم عاقب ابن عائشة المغني المشهور ، فيذكر الأصفهاني ان ابن عائشة كان يسمر عند المخزومي في مجلس شراب وجاءت جوارٍ للمخزومي فغمز ابن عائشة احداهن ورآه ابراهيم ، فأمر أحد مخدوميه ان يرمي ابن عائشة من السطح ، وكانوا فوق سطح يشرف على بستان، اذا قام لحاجته ، فرماه الخادم[٢٦٦] ، ومع أن الأصفهاني يبدى شكه بالرواية فيقول « ... وما أظن الصحيح الا انه توفي [ابن عائشة] في أيام الوليد (بن يزيد) ...[٢٦٧] » .

---

(٢٦٣) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٥٣ .
(٢٦٤ ، ٢٦٥) الاغاني ، ج٧ ، صص١٣٠–١٣١ .
(٢٦٦) الاغاني ، ج٢ ، صص٢٣٥–٢٣٧ .
(٢٦٧) الاغاني ، ج٢ ، ص٢٣٥ .

وربما كان الأرجح ان ابراهيم قتل ابن عائشة لعلاقته الحسنة بالوليد بن يزيد ، فاذا صح ذلك فان رواية الأصفهاني تقدم لنا عمـــلا آخر يـدل على ان ابراهيم كان جبارا غير محمود السيرة في ولايته .

عزل هشام خاله ابراهيم بن هشام عن ولاية مكة والمدينة والطائف عـــام ١١٤هـ ، وولى المدينة خالد بن عبدالملك بن ابي العاصي ، وولى مكة والطـائف خاله محمد بن هشام[٢٦٨] ، وعلى رواية اخرى ، ان ابراهيم عُزل عن مكـــة والطائف عام ١١٣هـ[٢٦٩] ، واحتفظ بولاية المدينة فقط ، ويبدو ان الروايـــة الأخيرة ، والمتضمنة عزل ابراهيم عن مكة والطائف ، غير دقيقة في تحديدها لعزل ابراهيم ، فمن المحتمل ان تولي سليمان بن هشام لأمرة الحج عام ١١٣هـ[٢٧٠]، وقدوم خالد واليا على المدينة في منتصف ربيع الاول عام ١١٤هـ[٢٧١] . جعلت بعض الناس تعتقد ان عزل ابراهيم عن مكة والطائف كان عام ١١٣هـ ، ولمــا كانت روايتا المدائني وابي معشر تجعـلان امـــارة الحج عام ١١٤هـ لخالد بن عبدالملك[٢٧٢] ، فربما كـــان عزل ابراهيم ، قد حصـــل ، في نفس العــام على الارجح .

استمرت ولاية خالد على المدينة الى عام ١١٨هـ ، وفيها « ... قحط المطر ... وكان يقال لها سنيات خالد ، فجلا الناس من باديـــة الحجـاز ، فلحقوا بالشام[٢٧٣] .

(٢٦٨ ، ٢٦٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٠ .

(٢٧٠) يذكر الطبري (ج٧ ، ص٨٩) عن الواقدي وابي معشر ان أمير الحج لعام ١١٣هـ ، كان سليمان بن هشام وفي قول بعضهم ، انه ابراهيم بن هشام المخزومي ، اما ابن خياط (تاريخ خليفة بن خياط ، ج٢ ، ص٣٧٦) فيذكر انه سليمان بن هشام وكذلك اليعقوبي (التاريخ ، ج٢ ، ص٣٢٨) . اما ابن الاثير (الكامل ، ج٥ ، ص١٧٦) فيكرر ما عند الطبري .

(٢٧١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٠ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٧٩ .

(٢٧٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩١ .

(٢٧٣) الزبيري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٤٦ ، ويذكر الازرقي (اخبار مكة ، ج٢ ، ص٢٥٢) ان الامطار لم تسقط الا في بداية عام ١٢٠هـ ، ومع ذلك فان سنة ١١٩هـ ، لم تكن ضمن ولاية خالد وان كانت غير ممطرة ايضا .

ولم يكن خالد محبوبا من الناس لسوء سيرته[٢٧٤] ، وربما كان ذلك من اسباب عزله ، فيذكر الزبيري انه عادى عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر ، « ... وكان من خيار الناس ، وكان له قدر كبير في أهل المشرق ، وكان خرج يتظلم من خالد ... الى هشام ... فلما قدمه خالد ... ظن انه خرج الى المشرق ، فكتب الى هشام ... وكثّر عليه ، فلم يدر هشام الا بعبدالرحمن قادما عليه يتظلم من خالد فغضب هشام على خالد ... وعزله[٢٧٥] » عام ١١٨هـ على الأرجح . ويحدد وكيع تاريخ العزل فيقول « ... عزل خالد بن عبدالله [عبدالملك][٢٧٦] سنة ثمان عشرة [ومائة] يوم الخميس لثلاث بقين من رجب[٢٧٧] » ، وكتب هشام ، الى ابي بكر بن حزم فصلي « ... بالناس ستة أيام ، ثم قدم محمد بن هشام من مكة عاملا على المدينة »[٢٧٨] وعلى رواية اخرى ان عزل خالد بن عبدالملك كان عام ١١٩هـ[٢٧٩] ، ولما كان محمد بن هشام المخزومي أميرا للحج عام ١١٨هـ[٢٨٠] ، فلربما كان عزل خالد قبيل الحج بحيث استغرقت ولايته معظم أشهر عام ١١٨هـ ، وربما دعا ذلك بعضهم الى القول ان عزله كان في عام ١١٩هـ ، كما تشير روايتا الطبري وابن خياط السالفتين .

ويظهر ان سيرة محمد لم تكن أفضل من سيرة أخيه أبراهيم ، فقد حبس الشاعر العرجي ، أحد احفاد عثمان بن عفان (رض) ، الى ان مات في الحبس ، وكان قد اتهمه بدم احد موالي العرجي[٢٨١] .

---

(٢٧٤) البلاذرى ، أنساب الاشراف ، القدس ، ١٩٣٦م ، ج٥ ، ص١٦١ .

(٢٧٥) نسب قريش ، ج٨ ، ص٢٨٠ .

(٢٧٦) يسميه وكيع خالد بن عبدالله وربما كانت عبدالله تصحيف ، كما انه لا يذكر كلمة مائة ولعلها سقطت والصحيح ما اثبتناه بالمتن .

(٢٧٧) اخبار القضاة ، ج١ ، ص١٧٤ .

(٢٧٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١١١ ، وكيع ، المصدر نفسه ، ج١ ، صص١٧٤-١٧٥ .

(٢٧٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١١٢ ، وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٧٣ .

(٢٨٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١١٢ ، وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٧٣ .

(٢٨١) الزبيري ، المصدر نفسه ، ج٤ ، ص١١٨ .

استمرت ولاية محمد بن هشام الى وفاة هشام بن عبدالملك(٢٨٢) ، وبعدها عزله الوليد بن يزيد وأقامه واخاه ابراهيم للناس بالمدينة ، وأرسلهما بعد ذلك الى العراق ، فعذبهما يوسف بن عمر حتى قتلهما تحت العذاب(٢٨٣) .

٦ ـ ولاة مصـــــــر :ـ

ولى هشام مصر لأخيه محمد في شوال عام ١٠٥هـ ، وتركها بعد شهر من توليته لها ، ويذكر الكندي ان محمد قال لهشام : « ... انا اليها على أنك ان أمرتني بخلاف الحق تركتها فقال : ذلك لك ، فوليها شهرا فاتاه كتاب لم يعجبه فرفض العمل وانصرف الى الأردن(٢٨٤) » .

وربما ترك محمد ولايته خوفا من الطاعون ، الذي كـــان منتشرا حينذاك بمصر ، ومن المحتمل أيضا ان محمداً ترك ولايته تديناً ، لأن هشاماً كان قـــد أجبره على تقلد ولايتها(٢٨٥) .

ثم ولى هشام الحر بن يوسـف بن يحيى بن الحكـــم بن ابي العاصي ، فوصلها « ... لثلاث خلون من ذى الحجة سنة خمس ومائة(٢٨٦) » .

وفي امرته انحسر النيل فبنى الحر قيسارية هشام بعد ان استأذن الخليفة في ذلك(٢٨٨) ، كما أخمد عصيانا للقبط حصل في عام ١٠٧هـ ، وسنوضح ذلك في موضع آخر من رسالتنا هذه .

بقي الحر في ولايته على مصر ثلاث سنوات ، ويظهر أنه لم يكن على وفاق

---

(٢٨٢) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٧٣ .
(٢٨٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٢٧ .
(٢٨٤) كتاب الولاة وكتاب القضـــاة ، ج١ ، ص١٠ ، والمقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٣٠٢ .
(٢٨٥) ابن تغري بردى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٥٧ .
(٢٨٦) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٣ ، والمقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٣٠٢ .
(٢٨٧) ابن تغري بردى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٥٩ .
(٢٨٨) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٤ .
وقيسارية كما يوضحها الكندي في نفس الصفحة ، انها محلة قرب الجسر من محلات الفسطاط .

مع عبيدالله بن الحبحاب عامل الخراج ، فكتب الى هشام يستعفيه ، فأعفاه « ... في ذي القعدة سنة ثمان ومائة[٢٨٩] » .

وعلى رواية أخرى ، ان هشاماً عزل الحر عن ولايته عندما شكاه عبيدالله بن الحبحاب[٢٩٠] . ونميل الى ترجيح هذه الرواية لأن هشاماً كان راضياً عن ابن الحبحاب ، لما قام به من اضافة زيادة في خراج أرض مصر ، على ما سيأتي ، وكان هشام جماعا للمال ، كما أسلفنا ، كما ان هشاماً لم يتردد في عزل الوالي الذي عينه بعد الحر وهو حفص بن الوليد عندما كتب اليه ابن الحبحاب « ... انك لم تعزل الحر اذ وليت حفصا ، فجعل الاختيار الى عبيدالله ، فاختار عبدالملك بن رفاعة ، ... فصرف حفصا يوم الأضحى ولم يمكث الا جمعتين[٢٩١] » . وعزل حفص على الأرجح في نهاية ذي الحجة عام ١٠٨هـ[٢٩٢] » .

قدم عبدالملك بن رفاعة واليا على مصر « ... وهو عليل لليلة الجمعة لثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة تسع ومائة[٢٩٣] » .

ومات عبدالملك بن رفاعة ، واستخلف أخاه الوليد فأقره هشام على الصلاة[٢٩٤] ، وفي امرته « ... نقلت قيس الى مصر في سنة تسع ومائة ولم يكن لها منهم أحد قبل ذلك الا من كان من فهم وعدوان فوفد ابن الحبحاب على هشام فسأله ان ينقل منهم أبياتا فاذن له هشام » فنقلهم الى مصر وحول ديوانهم اليها وأنزلهم الحوف الشرقي وفرقهم فيه[٢٩٥] .

---

(٢٨٩) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٤ ، وابن تغري بردي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٥٩ ، والمقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٣٠٢ .

(٢٩٠) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٥ .

(٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٥ ، والمقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٣٠٣ .

(٢٩٤) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٥ ، وابن تغرى بردى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٦٥ ، والمقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٣٠٣ .

(٢٩٥) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٦ ، وابن تغرى بردى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٦٥ والمقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٣٠٣ .

الحوف الشرقي : بمصر حوفان الشرقي والغربي وهما متقابلان ، اولهما =

ويرى الأستاذ خورشيد ان قيسا كانت بمصر قبل هذا التاريخ ، وأن فهم وعدوان شاركتا بالفتح واختطتا بالفسطاط ، كما شهد غيرهما من قبائل قيس فتح مصر ، وكان لقيس داران بالفسطاط[٢٩٦] .

واضافة لذلك يذكر أسماء أشخاص قيسيين سكنوا مصر ، ويبدو ان سكنى هؤلاء بمصر دعت خورشيد الى تقرر ما سبق ، وربما كتب ابن الحبحاب الى هشام بذلك ليوافق على الهجرة ، لكن وجود قبائل قيسية مستقرة في مصر ، غير ما ذكرنا ، قبل ابن الحبحاب أمر مشكوك فيه .

كما كانت معاملة الوليد بن رفاعة للنصارى حسنة فقد أذن لهم ببناء كنيسة[٢٩٨] . وقد توفي الوليد بن رفاعة « ... يوم الثلاثاء مستهل جمادى الآخره سنة سبع عشرة ومائة ... فكانت امرة الوليد عليها [مصر] سبع سنين وثلاثة أشهر[٢٩٩] » ، ويذكر ابن تغرى بردي ان امرة الوليد بلغت تسع سنوات وخمسة أشهر[٣٠٠] . ولما كان الوليد قد تولى مصر في بداية عام ١٠٩هـ ، فان مدة ولايته بلغت ثمان سنوات وأربعة أشهر على الأرجح .

استخلف الوليد ، قُبيل وفاته ، عبدالرحمن بن خالد الفهمي صاحب شرطه فأقره هشام ، ويبدو ان لين عبدالرحمن وصغر سنه ، وعدم شهرته ، كانت من عوامل عزله بسرعة فلم يبق في منصبه سوى سبعة أشهر[٣٠١] ، ثم

= الشرقي في جهة الشام والآخر الغربي قرب دمياط يشتملان على بلدان وقرى كثيرة (ياقوت معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٨٦) .

(٢٩٦) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢١٥ .

(٢٩٧) القبائل العربية بمصر ، ص ص١٠٠-١٠١ .

(٢٩٨) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٧ ، وابن تغرى بردي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٦٥ ، والمقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٣٠٣ .

(٢٩٩) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص٧٩-٨٠ ، والمقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٣٠٣ .

(٣٠٠) النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص٢٠٦ .

(٣٠١) ابن تغرى بردي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٧٧ ، والكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص ٧٩-٨٠ ، والمقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٣٠٣ .

استبدله هشام بحنظلة بن صفوان الكلبي[٣٠٢] ، فكانت ولايته الثانية على مصر ... فقدمها يوم الخميس لخمس ليال خلون من المحرم سنة تسع عشرة ومائة[٣٠٣] » .

وقد قام القبط بعصيان في ولايته سنة أحدى وعشرين ومائة فقضى على حركتهم ، على ما سيأتي .

استمر حنظلة على ولاية مصر الى « ... يوم الاثنين لسبع خلون من ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة ، فكانت ولاية حنظلة عليها خمس سنين وثلاثة أشهر[٣٠٤] ، ويذكر ابن تغرى بردي ان امرة حنظلة كانت خمس سنين وثمانية أشهر[٣٠٥] ، ولما كان قد ولي مصر لخمس خلون من محرم عام ١١٩هـ، وتركها لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ١٢٤هـ ، فان أمرته على مصر استمرت خمس سنين وثلاثة أشهر .

ومما يجدر ذكره ان حنظلة كان يراعي مصالح الناس فلما شكوا اليه صاحب شرطه ، عياض بن حريبة عزله ، وأعاد لشرطه شخصا من قيس ، كان قد عزله في بداية أمرته ، وكان معروفا بالكفاءة وحسن السيرة[٣٠٦] .

ترك حنظلة بن صفوان مصر بسبب تعيينه والياً على أفريقية ، وأستخلف على مصر حفص بن الوليد الحضرمي « ... نأقره هشام عليها الى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة أربع وعشرين فجمع له هشام الصلاة

---

(٣٠٢) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٨٠ ، ابن تغرى بردي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٧٧ ، ويذكر ابن تغرى بردي ايضا (ج١ ، ص٢٧٨) ان عزل عبدالرحمن كان لميله لآل العباس لكنه يُفند هذه الرواية ، ويؤكد ايضا (ج١ ، ص٢٨٠) ان اهل مصر شكوه الى هشام لضعفه ولينه .

(٣٠٣) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٨٠ ، وابن تغرى بردى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٨١ .

(٣٠٤) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٨٢ ، والمقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٣٠٣ .

(٣٠٥) النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص٢٨١ .

(٣٠٦) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٨١ .

والخراج جميعا[٣٠٧] » .

ومن الجدير بالذكر أن حفص بن الوليد زاد في أرزاق المسلمين ، وكانت قد أنُقصت قبل ولايته[٣٠٨] ، وربما كان السبب في ذلك ان الأمطار قلت في عهده ، فيذكر الكندي ، ان « ... حفص بن الوليد استسقى بالناس في امارة هشام ... »[٣٠٩] وقد استمر حفص على ولاية مصر الى وفاة هشام[٣١٠] .

٧ ـ ولاة أفريقية :ـ

كان بشر بن صفوان الكلبي يلي أفريقية ليزيد بن عبدالملك ، كما أشرنا سابقا ، فوفد بشر على يزيد « ... فألفاه قد هلك ... ثم ولي هشام بن عبدالملك فرد بشر بن صفوان الى أفريقيا ...[٣١١] » . ويذكر ابن عبدالحكم ان بشراً قدم الهدايا التي كان أعدها ليزيد بن عبدالملك ، لاخيه هشام « ... فرده على أفريقية »[٣١٢] .

ويرى الأستاذ مؤنس ان ميول هشام كانت كلبية يمانية لذا أقر بشر بن صفوان على ولايته[٣١٣] .

ونرى من المناسب ان نذكر هنا أيضا ، أن بشر بن صفوان ولي أفريقية بعد مقتل يزيد بن ابي مسلم فضبطها ، فكان من غير المحتمل ان يعزل هشام وانما ضبط أمر ولايته ، وسنشير في موضع لاحق من رسالتنا هذه الى طرف من سيرة بشر التي كانت من بين العوامل التي ادت الى التباعد بين العرب والبربر

---

(٣٠٧) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٨٢ ، والمقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٣٠٣ .

(٣٠٨) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٨٢ .

(٣٠٩) أيضا ، ج١ ، ص ص٨٢ـ٨٣ .

(٣١٠) أيضا ، ج١ ، ص٨٣ ، والمقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٣٠٣ .

(٣١١) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١٠٢ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤٢ .

(٣١٢) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩١ ، والسلاوي ، احمد بن خالد ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، ج١ ، ١٣٠٦هـ ، ص٤٧ .

(٣١٣) فجر الأندلس ، ص١٤٣ .

في افريقية[٣١٤] .

وعلى رواية أخرى لابن عبدالحكم ، ان بشر بن صفوان « ... نزع عن افريقية في سنة خمس ومائة ورد اليها في سنة ست ومائة[٣١٥] » ، وربما قصد ابن عبدالحكم ان بشرا سافر الى الشام ، او استدعي اليها ، وبقي فيها مدة ثم اعاده هشام لولاية افريقية .

ويؤيد الاستاذان عبدالحميد ودبوز ، رواية ابن عبدالحكم الاولى والقائلة ان هشاما أعاد بشرا الى أفريقية[٣١٦] ، لكن نص الرواية الثانية لابن عبدالحكم يوحي بان بشرا لم يترك ولايته مختارا بل أستدعي الى الشام وربما كان ذلك بعد استخلاف هشام ، فاذا صح ذلك فان سفر بشر الى الشام كان بعد رمضان وربما في شوال من عام ١٠٥هـ ، بعد عيد الفطر ، وعلى ذلك فقد وصل الشام في أواخر عام ١٠٥هـ ، وبعد ان قدم هداياه أعادة هشام الى أفريقية في عام ١٠٦هـ وربما في مطلع العام ، اذاً لماذا لم يستخلف بشر والياً على أفريقية ؟، خلال الفترة التي تركها فيها[٣١٧] ، وهي ليست بالقصيرة ، فاذا أردنا ان نأخذ بالقاعدة العامة ، وهي ان كل وال لابد وأن يستخلف على ولايته عند تركه لها ،

---

(٣١٤) يرى الاستاذ دبوز (محمد علي ، تاريخ المغرب الكبير ، ج٢ ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص٢٠٦) ان بشرا عامل البربر باللين والاحسان ، لذا لم تحصل في عهده ثورة سخطا على سياسته وهذا الاستنتاج يفنده ثورة البربر على الحكم الاموي وسنناقش ذلك في الفصل الرابع من هذه الرسالة .

(٣١٥) فتوح مصر والمغرب ، ص٢٩١ .

(٣١٦) عبدالحميد ، المصدر نفسه ، ص٢٩٣ ، ودبوز ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٠٨ .

(٣١٧) لا يشير ابن عبدالحكم (فتوح مصر والمغرب ، ص٢٩١) الى الشخص الذي استخلفه بشر بن صفوان عند سفره للشام ، كما لا يشير الى ذلك ايضا ابن عذارى (البيان المغرب ، ج١ ، ص٤٩) .
لكن ابن خياط (ج٢ ، ص٣٧٦) يذكر ان بشرا استخلف يحيى بن ناعصة الكلبي ، اثناء سفره الى الشام ، ولعل الامر اشتبه على ابن خياط ، فان بشرا استخلف يحيى بن سلمة الكلبي على الاندلس وليس على القيروان.

فلا يسعنا الا الرجوع الى رواية اليعقوبي التي تشير الى ان بشرا لم يترك ولايته وانما « ... بعث اليه [لهشام] بأموال عظـــام وهـــدايا ، فأقره هشـــام على افريقيـــة[318] » .

استمر بشر على افريقية الى وفاته ، عام ١٠٩هـ ، « ... فلما حضرتـــه الوفاة قالت جاريته واشماتة الاعداء فقال لها قولي للاعداء لا يموت ، واستخلف العباس بن باضعة الكلبي[319] ، لكن هشاما عزلـــه وولى افريقيـــة لعبيدة بن عبدالرحمن السلمي ابن أخي أبي الأعور السلمي ، قائد خيل معاوية في معركة صفين ، وكان ذلك في صفر من عام ١١٠هـ ، على ما يذكره ابن عبدالحكم[320] ، لكن ابن عذارى يذكر ان تولية عبيدة كانت في ربيع الأول من نفس العام[321] . ويرجح الاستاذ عبدالحميد رواية ابن عذارى السالفة لأن خبر وفاة بشر لم يصل دمشق الا في مطلع عام ١١٠هـ فولى هشام عبيدة فلم يصل افريقية الا في ربيـــع الأول[322] ، وربما كانت رواية ابن عبدالحكم القائلة بوصول عبيدة الى القيروان في صفر ، اكثر دقة في تحديد وصول الوالي الجديد ، ذلك ان وفاة بشر كـــانت

---

(٣١٨) التاريخ ، ج٢ ، ص٣١٨ .

(٣١٩) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤٩ ، ويسمية القيرواني (تاريخ افريقية والمغرب ص١٠٢) العباس بن ناصعة ، اما ابن عبدالحكم (فتوح مصر والمغرب ، ص٢٩١) فيذكر ان بشرا استخلف نغاش بن قرط الكلبي . ويذكر الاستاذ عبدالحميد (تاريخ المغرب العربي ، ص٢٤٤) ان بشـــرا استخلف العباس بن باضعة ، لما غزا صقلية عام ١٠٧هـ ، اما قبل وفاة بشر فانه استخلف نغاش بن قرط الكلبي على ترجيح رواية ابن عبدالحكم المشار اليها .

وفي حاشية (ص٢٤٤) ايضا يذكر عبدالحميد ان العباس بن باضعة هو نفس الشخص الذي استخلفه بشر لما غزا صقلية استنادا على رواية ابن عذارى التي اشرت اليها في المتن ، لكن نص رواية ابن عذارى ، المشـــار اليه لا يوحي بما استنتجه عبدالحميد وربما كان الارجح ان بشرا استخلف العباس قبل وفاته لا اثناء غزوه لصقلية .

(٣٢٠) فتوح مصر والمغرب ، ص٢٩١ ، والقيرواني ، المصدر نفسه ، ص١٠٣ .

(٣٢١) البيان المغرب ، ج١ ، ص٥٠ .

(٣٢٢) تاريخ افريقية والمغرب ، ص٢٤٥ .

قبيل نهاية عام ١٠٩هـ فمن غير المحتمل ان يتأخر الوالي الجديد الى ربيع الأول من عام ١١٠هـ .

وصل عبيدة الى افريقية ودخل القيروان فجأة وكان ذلك يوم الجمعة «... فألفى العباس بن ناصعة الكلبي قد تهيأ لشهود الجمعة ولبس ثيابه . فقيل له : هذا عبيدة قد قدم أميرا ، فقال لا حول ولا قوة الا بالله هكذا تقوم الساعة بغتة ، فالقى بنفسه فما حملته رجلاه ، ودخل عبيدة بن عبدالرحمن يجمع الناس ، وأخذ عمال بشر فحبسهم وأغرمهم وتحامل عليهم وعذّب بعضهم ...[٣٢٣] » .

استمر عبيدة على ولايته أربع سنوات ، وفي عام ١١٤هـ ، جمع هدايا عظيمة « ... من العبيد والأماء ومن الجواري المستخيرة سبعمائة جارية وغير ذلك من الخصيان والخيل والدواب والذهب والآنية[٣٢٤] » ، وتوجه عبيدة الى الشام « فقدم على هشام بهداياه واستعفاه فاعفاه[٣٢٥] » .

وعلى رواية اخرى ان هشاماً عزل عبيدة لانه تعصب ضد اليمانية ، وعذب عمال بشر بن صفوان ، وكان فيهم ابو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي ، فأرسل ابياتا من الشعر الى الأبرش الكلبي كاتب هشام منها :

أفادت بنو مروان قيساً دماءنا ... وفي الله ، ان لم يعدلوا ، حكم عدل[٣٢٦]

---

(٣٢٣) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص‌ص١٠٤-١٠٥ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤٩ ، وعبدالحميد ، المصدر نفسه ، ص٢٤٥ .
لكن ابن عذارى (ج١ ، ص٤٩) لا يذكر في روايته السالفة ، اسم والي القيروان الذي وجده عبيدة بل يكتفي بالقول « ... فالفى [عبيدة] خليفة بشر بن صفوان » وعلى ذلك فيبدو ان ابن عذارى غير متأكد من شخصية خليفة بشر على القيروان ، وربما كانت رواية القيرواني ارجح من غيرها وان كان يسمي العباس بن ناصعة بدل باضعة .

(٣٢٤) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٢ .

(٣٢٥) ايضا ، ص٢٩٣ ، اليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣١٨ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥١ .
وفروخ ، عمر ، العرب والاسلام ، بيروت ، ١٩٥٩م ، ص١٣٥ .

(٣٢٦) يختلف المؤرخون في عدد الابيات وفي بعض الفاظها ، ولمن أرسلت للأبرش ام لهشام . القيرواني ، المصدر نفسه ، ص‌ص١٠٥-١٠٦ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٠ ، وابن القوطية ، المصدر نفسه ، =

فلما وصلت الأبيات الى هشام عزل عبيدة . ومع ان ابن عذارى يؤكد الرواية السالفة لكنه يذكر أيضا ان عبيدة حمل هدايا وتحفاً عظيمة عندما سافر الى الشام(٣٢٧) ، فما الذي دعا عبيدة اذاً لأن يحمل هدايا كالتي حملها وهو معزول ؟ وعلى ذلك فان روايتي اليعقوبي وابن عبدالحكم السالفتين والقائلتين ، بان عبيدة حمل الهدايا والتحف العظام الى هشام واستعفاه فاعفاه ، تبدوان أرجح من غيرهما من الروايات .

استخلف عبيدة عقبة بن قدامة التجيبي وذلك في شوال من عام ١١٤هـ(٣٢٨) ، وعلى رواية اخرى ان هشاماً عين عقبة التجيبي لولاية افريقية ثم عاد فعزله(٣٢٩) ، لكن ذلك يبدو بعيد الاحتمال فان عبيدة وصل الشام في أواخر عام ١١٤هـ ، وربما أوائل عام ١١٥هـ واستعفى هشاماً فأعفاه ، وعين هشام عبيدالله بن الحبحاب والياً على أفريقية ، ولما كان التجيبي قد استمر على ولايته ست أشهر(٣٣٠) ، فان ابن الحبحاب وصل أفريقية في ربيع الاول من عام ١١٥هـ(٣٣١) ، على الأرجح ، وليس عام ١١٦هـ ، على ما تذكره بعض

= صص١٨-١٩ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، صص٢٧٢-٢٧٣ ويؤيد الاستاذان ، عبدالحميد (تاريخ المغرب العربي ، ص٢٦٦) ودبوز تاريخ المغرب الكبير ، ج٢ ، صص٢١١-٢١٢) ان الأبيات ارسلت الى هشام وكان ذلك سببا لعزل عبيدة .

(٣٢٧) البيان المغرب ، ج١ ، ص٥١ .

(٣٢٨) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١٠٥ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥١ ، ويذكر الاستاذ فروخ (العرب والاسلام ، ص١٣٥) ان سفر عبيدة كان في مطلع عام ١١٥ ، بعد ان استخلف عقبة على أفريقية ، لكنه يشير ايضا (ص١٣٦) ، ان وصول عبيدالله ، خلف عبيدة ، الى أفريقية ، كان في ربيع الآخر عام ١١٦هـ ، وربما كان فروخ غير دقيق في تحديده لوصول عبيدالله ، والراجح ما اشتبناه في المتن .

(٣٢٩) اليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣١٨ .

(٣٣٠) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣١٨ .

(٣٣١) يذكر القيرواني (تاريخ افريقية والمغرب ، ص١٠٧) ، وابن عذارى (البيان المغرب ، ج١ ، ص٥١) ان عبيدة ترك أفريقية في شوال عام ١١٤هـ ، اما ابن عبدالحكم (فتوح مصر والمغرب ، ص٢٩٢) فيذكر ان عبيدة ترك افريقية في رمضان عام ١١٤هـ ، وربما كانت رواية ابن =

المصادر[٣٣٢] . وعلى ذلك فان تعيين التجيبي وعزله بهذه السرعة وبدون مبرر ظاهر يدعو للشك بصحة الرواية القائلة بذلك .

كان ابن الحبحاب رئيساً نبيلاً وأميراً جليلاً ، وكان مولى لبني سلول ، وبدأ حياته كاتباً بسيطاً وتناهت به الحال فتولى خراج مصر ، ثم ولاية أفريقيـة والأندلس[٣٣٣] . ويبدو ان حرص هشام على جمع الأموال وتنفيذ ابن الحبحاب لهذه الرغبة عند هشام ، كانت من عوامل تقدمه السريع في المراتب ، ولم يكن لأبن الحبحاب تلك الصفات الجيدة التي جعلته يتقدم بسرعة وسنشير في موضعه من رسالتنا هذه الى طائفة من أعمال ابن الحبحاب التي كانت العامل الرئيس في حركات المصريين وثورات البربر على ظلم هذا الوالي وتعسفه .

قام ابن الحبحاب ببناء جامع تونس ، كما بنى داراً لصناعـة السفن فيها عام ١١٦هـ[٣٣٤] ، وقيل ان ابن الحبحاب جددهما فقط[٣٣٥] .

ويذكر الأستاذ عبدالحميد ، ان ابن الحبحاب انتهج سياسة قوية استهدفت امرين أولهما السيطرة القوية على افريقية ونشر السيادة العربية على قسم من اجزائها البعيدة ، وثانيهما الأجتهاد في جمع الأموال[٣٣٦] .

= عبدالحكم غير دقيقة ، فمن المستبعد ان يسافر عبيدة وهو صائم ، من غير أمر عاجل . ولما كان التجيبي قد بقي ستة أشهر على ولاية أفريقية ، فان وصول ابن الحبحاب كـان في ربيـع الاول عـام ١١٥هـ وليس عام ١١٦هـ .

(٣٣٢) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١٠٧ ، وابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٢ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥١ .

(٣٣٣) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١٠٧ ، وابن عذارى ، المصدر نفسـه ، ج١ ، ص٥١ ، وفروخ ، عمر ، العرب والاسلام ، ص‌ص١٣٥-١٣٦ .

(٣٣٤) القيرواني ، المصدر نفسـه ، ص١٠٧ ، وابن عذارى ، المصدر نفسـه ، ج١ ، ص٥١ .

(٣٣٥) يذكر السلاوى (الأستقصا في اخبار المغرب الاقصى ، ج١ ، ص٤٨) ان حسان بن النعمان هو باني جامـع تونس ، وانما جدده ابن الحبحاب ، ويذكـر الاستاذ عبدالحميد (تاريـخ المغرب العربي ، ص٢٥٠) ان ابن الحبحاب جدد بناء دار السفن فقط وكـان قد بناها حسان بن النعمان ، وكان يلي افريقية وعلى يديه أسلم غالب أهلها من البربر .

(٣٣٦) تاريخ المغرب العربي ، ص‌ص٢٤٩-٢٥٠ .

ويبدو ان جمع الهدايا والطُرف والاموال وارسالها الى الشام ، كـــان الهدف الرئيس لسياسة ابن الحبحاب ، وربما كـــان من بين أهدافـه ايضا من الحملات الى ارض السودان[٣٣٧] والغزوات البحرية الى جزر البحر المتوسط ، جمع المزيد من الاموال والطرف[٣٣٨] ، التي كان خلفاء دمشق يحبونها[٣٣٩] ، وكـان ذلك من بين الأسـباب التي أدت بابن الحبحاب الى عسـف البربـر والقسوة عليهم[٣٤٠] .

استمر ابن الحبحاب على ولايتـه « ... والأمر يجري على ما يحب من الظفر والغلبة[٣٤١] » ، ثم ثار البربر على والي طنجة وقتلوه عام ١٢٢هـ ، وتفاقم أمر الثورة ، على ما سيأتي ، و « ... أختلت الأمور على ابن الحبحاب ، فأجتمع الناس عليه وعزلوه . وبلغ ذلك الخليفة هشام بن عبدالملك ... [ف] كتب الى ابن الحبحاب بقدومه عليه فخرج في جمادي الاول من سنة ١٢٣هـ[٣٤٢] ، ثم أرسل هشام بن عبدالملك كلثوم بن عياض القشـيري ، على رأس جيش كبـير للسيطرة على أفريقية ، فوصلها في شهر رمضان عام ١٢٣هـ[٣٤٣] ، لكنه قُتـل وهُزم جيشه ، فلما « ... بلغ هشام بن عبدالملك قتل كلثوم بن عياض وأصحابه بعث الى أفريقية والمغرب حنظلة بن صفوان الكلبي وكان عامله على مصر ...

---

(٣٣٧) ارض السودان : يذكر ابن خرداذبه (المسالك والممالك ، ص٨٩) ان السودان تعني العراة وأرضهم تقع على ساحل البحر (المحيط الأطلسي) الى الجنوب من بلاد المغرب .

(٣٣٨) يذكر القيرواني (ص١٠٨) ان حبيب بن ابي عبيـدة ، لما غزا « أرض السودان ... اصاب من الذهب والسبي أمرا عظيما » . وكذلك ، ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥١ ، وابن الاثـير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٩١ .

(٣٣٩) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٢ .

(٣٤٠) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٢ ، ومؤنس ، المصدر نفسه ، ص١٤٦ ، وعبدالحميد ، المصدر نفسه ، ص٢٥١ .

(٣٤١) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١٠٨ .

(٣٤٢) ايضا ، ص١١١ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٤ .

(٣٤٣) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١١٣ .

سنة أربع وعشرين ومائة فقدمها في شهر ربيع الآخر منها ...[٣٤٤] » .

قاتل حنظلة البربر وانتصر عليهم قرب القيروان ، وبقي واليا على أفريقية الى وفاة هشام ، وسنوضح ذلك في الفصل الرابع من هذه الرسالة .

٨ - ولاة الأندلس :-

سبق وان أشرنا الى ان يزيد بن ابي مسلم ، والي أفريقية ليزيد بن عبدالملك ، أرسل عنبسة بن سحيم الكلبي والياً على الأندلس ، فلما ولى خلفه بشر بن صفوان ، الحكم ، أقر عنبسة على ولايته[٣٤٥] .

كان عنبسة حسن السيرة « ... فأستقام أمر الأندلس ...[٣٤٦] » بعد مباشرته للحكم ، كما انه اتجه الى تنظيم الأدارة والجيش واعداده لغزوات جديدة[٣٤٧] .

وفي أواخر عام ١٠٥هـ ، اتجه عنبسة الى الشمال وعبر جبال البرنيسة وأشتبك مع الفرنجة بقتال جرح خلاله ، ثم توفي في شعبان عام ١٠٧هـ[٣٤٨] . ولما توفي عنبسة « ... قدّم أهل الأندلس على أنفسهم رجلا من العرب يقال له عذرة[٣٤٩] الى ان ورد بعد شهرين يحيى بن سلمة الكلبي والياً من عند

---

(٣٤٤) القيرواني ، ص‌ص١١٤-١١٥ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٨ .

(٣٤٥) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٧ ، ويذكر الحميدي (جذوة المقتبس ، ص٣٠١) ان ولاية عنبسة كانت عام ١٠٦هـ ، ولعله قصد أن بشر بن صفوان ، عامل أفريقية ، لما أقره هشام على ولايته أقر هو بدره عنبسة على الاندلس .

(٣٤٦) المقري ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص‌ص٢١٩-٢٢٠ .

(٣٤٧) عنان ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٢٠ ، وفروخ ، عمر ، تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية ، بيروت ، ١٩٧٠م ، ص١٧٤ .

(٣٤٨) يذكر ابن عذاري (البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٧) ان عنبسة توفي ، لكن المقري ، (نفح الطيب ، ج١ ، ص٢٢٠) يقول انه أستشهد ويستنتج عنان (تاريخ الأندلس ، ج١ ، ص٨١) ان عنبسة توفي متأثرا من جرح أصيب به .

(٣٤٩) هو عذرة بن عبدالله الفهري ، سالم ، السيد عبدالعزيز ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، بيروت ، ١٩٦٢م ، ص١٤٠ .

أمير المؤمنين هشام بن عبدالملك [وعزل] في آخر سنة ١٠٩هـ ، فكانت ولايته سنتين وستة أشهر(٣٥٠) » ، وعلى ما يبدو فان رواية المقرى هي الراجحة ومفادها ، ان أهل الاندلس طلبوا من بشر بن صفوان ان يبعث اليهم واليا فانفذ يحيى بن سلمة ، فأقام « ... سنتين ونصفا ولم يغزُ ... »(٣٥١) ، فلما قدم عبيدة السلمي أفريقية في مطلع عام ١١٠هـ عزل يحيى عن الاندلس وولاها حذيفة بن الأحوص القيسي عام ١١٠هـ(٣٥٢) ، فكانت ولاية حذيفة ستة أشهر(٣٥٣) ، ثم عزله عبيدة وولى الأندلس عثمان بن ابي نسعة(٣٥٤) ، فوصلها في شعبان من نفس العام(٣٥٥) ، واستمر خمسة أو ستة أشهر في ولايته ، ثم

---

(٣٥٠) يذكر ابن عذارى (ج٢ ، ص٢٧) النص المشار اليه وهو على ما يبدو ناقصاً ، وربما سقطت منه الكلمة المضافة للنص في المتن ، كما ان امر التعيين صدر عن والي افريقية وكان ذلك في اواخر عام ١٠٧هـ ، على ما يذكره المقرى (نفح الطيب ، ج١ ، ص٢٢٠) .

(٣٥١) نفح الطيب ، ج١ ، ص٢٢٠ .

(٣٥٢ ، ٣٥٣) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٧ .

(٣٥٤) يذكر ابن عذارى ، (ج١ ، ص٥٠) والمقرى (نفح الطيب ، ج١ ، ص٢٢٠) وابن القوطية (تاريخ افتتاح الاندلس ، ص٣٩) ان عثمان تقدم حذيفة ، ويؤيد ذلك الاستاذ عنان (دولة الاسلام في الاندلس ، ج١ ، ص٨٢) ويرى الامير شكيب أرسلان (تاريخ غزوات العرب في فرنسا ، بيروت ، ١٩٦٦م صص ١١٣–١١٤) حسب تحقيقه ، ان عثمان ولى الاندلس مرتين ، مرة قبل حذيفة وأخرى بعده ، وقد أيد ذلك الاستاذ فروخ (العرب والاسلام، ص١٢٤) فاذا صح ذلك ، فان ولايتي عثمان وولاية حذيفة بينهما تستغرق اكثر من سنة ، ولما كانت ولاية الهيثم قد ابتدأت في محرم عام ١١١هـ فان احدى ولايتي عثمان تصبح زائدة اما ايهما تقدم الآخر ، فان حذيفة ربما سبق عثمان ، وهو ما اثبتناه بالمتن ، ذلك ان الأمير أرسلان يذكر ان ولاية عثمان الاولى استغرقت وقتا قليلا فمن المحتمل اذا انها هي الزائدة ، ويؤيد ذلك الاستاذ مؤنس (فجر الاندلس ، صص ٦١٢–٦١٤) في تعداده لولاة هذه الفترة ، حسب تعاقبتهم الزمني ، ومدة حكم كل منهم .

(٣٥٥) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٨ .

وليها الهيثم بن عبيد الكناني في محرم عام ١١١هـ[٣٥٦] ، وأستمر الهيثم على ولايته عشرة أشهر او اكثر قليلا وتوفي ، فأمر أهل الأندلس على أنفسهم محمد بن عبدالله الاشجعي فبقي في الحكم شهرين[٣٥٧] ، الى ان عُين عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي مرة ثانية واليا على الأندلس في صفر من عام ١١٢هـ ، وأستمر في ولايته سنتين وسبعة أشهر او اكثر قليلا[٣٥٨] .

وكان عبدالرحمن رجلا صالحا ، فيذكر ابن عبدالحكم انه كان يوزع الغنائم ، التي يحصل عليها ، على الجيش حسبما تقضي بذلك أحكام الشرع رغما عن غضب عبيدة ومطالبته له بان يُرسل الجيد منها اليه ليهديه لاولي الأمر في دمشق[٣٥٩] .

أنصرف عبدالرحمن الى تنظيم الادارة والجيش واستشهد غازيا في رمضان عام ١١٤هـ/٧٣٢م[٣٦٠] ، ثم ولى عبيدة على الاندلس عبدالملك بن قطن الفهري

---

(٣٥٦) المقرى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٢٠ ، ويذكر ابن عذارى (ج٢ ، ص٢٨) ان الهيثم قدم في صدر عام ١١١هـ ولا يحدد الشهر .

(٣٥٧ ، ٣٥٨) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٨ .

(٣٥٩) فتوح مصر والمغرب ، ص٢٩٢ ، والحميدي ، المصدر نفسه ، ص٦ ، والسلاوى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤٨ .

(٣٦٠) المقرى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٢٠ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٨ ، واخبار مجموعة ، لمؤلف مجهول ، مجريط ، ١٨٦٧م ، ص٢٥ ، وابن القوطية المصدر نفسه ، ص٣٩ ، ويذكر الاستاذ عنان (دولة الاسلام في الاندلس ، (ج١ ، ص ص٨٣-٨٤ ، ص ص١١١-١١٢) بعضا من اصلاحات الغافقي .
هناك خلاف بين المؤرخين في تحديد تاريخ تعيين الغافقي فيذكر المقرى (نفح الطيب ، ج١ ، ص٢٢٠) ان عبدالرحمن ولي الاندلس ولايته الثانية سنة ثلاث عشرة ومائة ، ولما كانت روايتي ابن عذارى والمقرى السالفتين تؤكد ان مقتل الغافقي كان في رمضان عام ١١٤هـ ، ولما كان الغافقي قد استمر في ولايته سنتين وسبعة أشهر او ثمانية على رواية ابن عذارى والتي اثبتناها في المتن ، فان تعيين الغافقي كان في محرم او صفر من عام ١١٢هـ ، وليس كما يذكره المقرى (ج١ ، ص٢٢٠) من ان التعيين كان في عام ١١٣هـ ، كما يذكر المقرى ايضا (ج١ ، ص٢٢٠) ان عبيدالله بن الحبحاب قد ولى افريقية في مطلع عام ١١٥هـ ، كما اشرنا سابقا ، وان مقتل الغافقي كان في رمضان ١١٤هـ ، فان رواية المقرى السالفة تبدو بعيدة الاحتمال .

فدخلها في رمضان ١١٤هـ[٣٦١] ، ولما كان عبيدة قد ترك أفريقية في شوال عام ١١٤هـ على الأرجح ، كما سبق وان أشرنا ، فان تعيين عبدالملك قد تم قبل خروجه من القيروان[٣٦٢] ، كما ان التعيين كان قبل وصول خبر مقتل الغافقي الى عبيدة[٣٦٣] .

كان عبدالملك بن قطن سيىء السيرة « ... ظلوما جائرا[٣٦٤] » ، وقد استمر على ولايته سنتين ، وعزل في رمضان عام ١١٦هـ[٣٦٥] ، عزله عبيدالله بن الحبحاب وولى مكانه عقبة بن الحجاج السلولي . وتذكر لنا المصادر ان عزل

(٣٦١) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٨ .

(٣٦٢) يذكر ابن عبدالحكم (ص٢٩٢) ان تعيين عبدالملك بن قطن على الاندلس صدر عن عبيدة في رمضان عام ١١٤هـ وكان ذلك قبل خروجه الى هشام ويذكر ايضا في نفس الصفحة ان مقتل الغافقي كان في رمضان عام ١١٥هـ فروايته تبدو مضطربة نوعما .

(٣٦٣) يقول ابن عذارى (ج٢ ، ص٢٨) « ... ولي عبدالملك فدخلها [الاندلس] في شهر رمضان المذكور الذي توفي فيه عبدالرحمن الغافقي فالفاه قد استشهد ، وقيل دخلها في شوال من سنة ١١٤ ... » .
ويذكر الاساتذة مؤنس (فجر الاندلس ، ص٢٧٤) وفروخ (العرب والاسلام ، ص١٣٤) وحمودة (تاريخ الاندلس ، ص٨٥) ان التعيين كان بعد سماع خبر مقتل الغافقي ، لكن فروخ (العرب والاسلام ، ص١٣٥) يذكر ان مقتل الغافقي كان في رمضان من عام ١١٤هـ ، ولما كان التعيين في نفس الشهر فمن المستبعد ان يكون عبيدة قد عرف بمقتل الغافقي قبل تعيين عبدالملك ، كما ان نص ابن عذارى والذي ذكرناه لا يوحي خلاف ما اشرنا اليه بالمتن وربما كان سبب تعيين عبدالملك ان عبيدة لم يكن راضٍ عن سيرة عبدالرحمن وتوزيعه للغنائم . كما ذكرنا ، ويضيف الاستاذان حمودة (تاريخ الاندلس ، ص٨٥) ، وعنان (دولة الاسلام في الاندلس ، ج١ ، ص١١١) ان تعيين عبدالملك صدر عن هشام للثأر للمسلمين ، ويبدو ان ذلك غير محتمل ايضا فالأندلس ، تابعة لوالي افريقية كما ان المدة الزمنية بين وفاة عبدالرحمن الغافقي وتعيين عبدالملك لا تسمح بوصول الخبر الى هشام ومجيء جواب منه لان مقتل الغافقي كان في رمضان عام ١١٤هـ وكذا تعيين خلفه عبدالملك .

(٣٦٤) المقرى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٢٠ .

(٣٦٥) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٨ ، المقرى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٢٠ .

عبدالملك لم يكن بسبب سوء سيرته وانما أراد ابن الحبحاب أن يكرم عقبة لرد صنيع سبق ان عمله والدعقبة لوالده فلما ولي ابن الحبحاب مصر وافريقية وفد عليه عقبة فاكرمه وقدمه وعرض عليه عملا فأختار عقبة ولاية الأندلس لانهـا دار جهاد ، فولاها له[٣٦٦] ، فدخلها عقبة في شوال عام ١١٦هـ[٣٦٧] ، ومع ان الاستاذ عنان يرى ان سوء سيرة عبدالملك كانت العامـل الرئيسي لعزله[٣٦٨] ، فمن المرجح ان ما تذكره المصادر أقرب الى التدقيق ، فان سوء سيرة ابن الحبحاب وولاته ، كانت العامل الرئيس في قيام ثورات البربر في شمال افريقية ، ولم يكن عبدالملك بن قطن أسوء منهم سيرة ٠

استمر عقبة على ولايتـه « ٠٠٠ خمس سنين محمود السـيرة مجاهـدا مظفرا[٣٦٩] » ، وكـان من طراز عبدالرحمن الغافقي جنـديا عظيما[٣٧٠] ، « ٠٠٠ صاحب بأس ونجدة ونكاية للعدو وكان اذا أسر الأسـير لم يقتله حتى يعرض عليه الاسلام ويقبح له عبادة الأصنام ، فيذكر انه أسـلم على يديـه الف رجل[٣٧١] » ٠

إختلفت الروايات في نهاية عقبة وتعتبر روايات ابن عذارى انموذجاً لهـذا الاختلاف فيذكر في احداها ان عقبة أُستشهد ومن معـه[٣٧٢] ، وربما كـان ابن عذارى يريد نهاية مشرفة لعقبة فاختـار له الشـهادة ، ويؤيد ذلك ان

---

(٣٦٦) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٩ ، المقرى ، المصدر نفسـه ، ج١ ، ص٢٢٠ ٠

(٣٦٧) الضبي ، احمد بن يحيى ، بغية الملتمس ، مجريط ، ١٨٨٤م ، ص٣٠٣ ، ويذكر المقرى (نفح الطيب ، ج١ ، ص٢٢٠) ان عزل عبدالملك كـان في رمضان لكن ابن عذارى (ج٢ ، ص٢٩) ، يذكر ان توليـة عقبة كانت في شوال ولعله قصد وصول عقبة الى الاندلس ٠

(٣٦٨) دولة الاسلام في الاندلس ، ج١ ، ص١١٢ ٠

(٣٦٩) المقرى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٢٠ ٠

(٣٧٠) عنان ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص١١٢ ٠

(٣٧١) ابن عـذارى ، المصدر نفسـه ، ج٢ ، ص٢٩ ، اخبـار مجموعـة ، صص ٢٧ــ٢٨ ٠

(٣٧٢) البيان المغرب ، ج٢ ، ص٢٩ ٠

ابن عذاري يقول في روايته الثانيــة « ••• وقيل ان أهل الأندلس ثاروا على عقبة بن الحجاج وخلعوه[٣٧٣] » • وكان ذلك بعد ثورة قام بهـا برير شمال افريقية • وقاد تلك الثورة عبدالملك بن قطن الفهـري[٣٧٤] • ويؤيد الاستاذ فروخ ذلك ، فيذكر ان عقبة عُزل على أثر ثورة جماعة من البربر في الأندلس بعد معركةالأشراف فيشمال أفريقية ويحدد عزلعقبة في صفر عام ١٢٣هـ[٣٧٥] ، ويقول ابن عذاري في روايته الثالثة « ••• وقيل ان عقبة بن الحجاج لما حانت وفاته استخلف عبدالملك بن قطن[٣٧٦] » ويميـــل الاستاذ دوزى الى الأخـذ بالرواية الآخيرة وان عقبـــة استخلف ابن قطن قبل وفاته عام ١٢٣هـ[٣٧٧] • ويحاول الاستاذ مؤنس الربط بين استخلاف عقبة لعبدالملك وثورة الأخير عـلى عقبة ، فيذكر ان عبدالملك كان معارضا لحكم عقبة مما أضطره الى سجن عبدالملك ونفي بعض المؤيدين له الى أفريقية وكانوا من اليمانيين والمدنيين[٣٧٨] المهاجرين الى الأندلس ، وعلى ما يرى فـان ضعف القيسية في أفريقيـــة بعد ثورة البربر انعكست على الأندلس فضعف أمر عقبة ، لكنه يستدرك فيقول ان عقبة مرض وطال مرضه فأضطر الى انابة عبدالملك بن قطن بضغط من يماني الأندلس وكان ذلك عام ١٢٣هـ[٣٧٩] اما الاستاذ عنان فلا يؤيد أيا من الروايتين سواء تلك التي

(٣٧٣) ايضا ، ج٢ ، ص٣٠ ، ويضيف ابن الاثير (ج٥ ، ص١٩٣) أنهم ولوا على أنفسهم عبدالملك بن قطن ، ويذكر القيرواني (تاريخ افريقيـة والمغرب ، ص١٠٩) ان الثوار قتلوا عقبة وولوا عبدالملك بن قطن •

(٣٧٤) ابن القوطية ، المصدر نفسه ، ص٤٠ •

(٣٧٥) العرب والاسلام ، ص٢٤٠ •

(٣٧٦) البيان المغرب ، ج٢ ، ص٣٠ ، واخبار مجموعة ، ص٢٩ ، ويذكـر ابن عبدالحكم (فتوح مصر والمغرب ، ص٢٩٣) ان عبيدالله بن الحبحاب أعـاد عبدالملك بن قطن بعد ان هلك عقبة بالاندلس ، لكنه لا يحدد الزمان الذي هلك فيه عقبة ولا سبب الوفاة •

(٣٧٧) دوزى ، تاريخ مسلمي اسبانيا ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص١٥٠ •

(٣٧٨) المدنيين : أهل المدينة المنورة •

(٣٧٩) فجر الاندلس ، ص١٩٥ ، سبق وان أشـرنا الى ان الاستاذين دوزى وفروخ يؤيدان التاريخ الـذي يحـدده مؤنس لاسـتيلاء عبدالملك على السلطة •

تشير الى استيلاء عبدالملك على السلطة بالقوة أو التي تبين استخلاف عقبة له ، لكن عنان يستطرد على افتراض استيلاء عبدالملك على السلطة بالقوة خاصة وهو قائد جيش الشمال حسبما يرى[٣٨٠] • ويذكر الأستاذ عبدالحميد ان البربر القاطنين في الأندلس ثاروا على عقبة وخلعوه بعد فشله في القضاء على ثورة البربر في شمال أفريقية ، بناءا على أمر صدر عن ابن الحبحاب[٣٨١] •

ويبدو ان رغبة عبدالملك بالسلطة ، ووجود جماعة من الجيش مؤيدة له[٣٨٢] ، ادت الى استيلائه على السلطة ، وليس من الضروري ان يكون قد قام بانقلاب عسكري او اجبر عقبة على استخلافه له •

اما مصير عقبة فقد بقي مجهولا فيقول عنه ، صاحب أخبار مجموعة « ••• ولا ادرى اقتله [عبدالملك] ام أخرجه[٣٨٣]» ، وربما كان من غير المحتمل ان يترك ابن قطن عقبة حيا بعد استيلائه على السلطة ، وربما قتله ام سجنه ، وكان ذلك في نهاية عام ١٢١هـ[٣٨٤] • او محرم عام ١٢٢هـ[٣٨٥] •

ويرى الاستاذ عنان ان هذا الانقلاب كان فاتحة عهد من الاضطرابات والفتن والحرب الأهلية المستمرة[٣٨٦] ، ومع ان الحرب الاهلية بين العرب

---

(٣٨٠) دولة الاسلام في الاندلس ، ج١ ، صص١١٤ـ١١٥ •

(٣٨١) تاريخ المغرب العربي ، ص٢٥٧ ، فلهاوزن ، المصدر نفسه ، ص٢٣١ •

(٣٨٢) يذكر الاستاذ عنان (دولة الاسلام ، ج١ ، ص١١٥) ان عبدالملك بن قطن كان قائدا لجيش الشمال وهو على ما يبدو حرس الحدود •

(٣٨٣) اخبار مجموعة ، ص٢٩ •

(٣٨٤) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٠ •

(٣٨٥) يذكر ابن عذارى (ج٢ ، ص٢٩) ان ولاية عقبة امتدت خمسة اعوام وشهرين ، ويذكر المقرى (نفح الطيب ، ج١ ، ص٢٢٠) ان ولاية عقبة كانت خمسة اعوام • فاذا اخذنا برواية ابن عذارى تكون ولاية عقبة قد انتهت في ذى الحجه عام ١٢١هـ ، لكن ابن عذارى (ج٢ ، ص٣٠) يشير ان ولاية عبدالملك الثانية ابتدأت عام ١٢٢هـ • ولا يرجح الاستاذ عنان (دولة الاسلام ، ج١ ، ص١١٥) اى من التأريخين ١٢٢هـ ، أو ١٢٣هـ في تحديده للانقلاب عبدالملك بن قطن لكنه يضع الانقلاب قبل السماع بثورات أفريقية ، وعلى ذلك فربما كان الانقلاب قد وقع في نهاية عام ١٢١هـ ، او محرم ١٢٢هـ على ما اثبتناه في المتن •

(٣٨٦) دولة الاسلام في الاندلس ، ج١ ، ص١١٥ ، وسالم ، المصدر نفسه ، ص١٤٩ •

والبربر في الاندلس كان لها أسبابا متعددة ، كما ان الحرب بين القيسية واليمانية كان لها اسبابها ايضا ، فان ابن قطن قد عَجّل بتلك الحرب التي كان من المحتم ان تنشأ بين العرب والبربر ، ثم بين العرب أنفسهم ، لما عليه المجتمع الاندلسي من تركيب غير متوازن وصراع على السلطة بين مختلف الفئات .

استمر عبدالملك بن قطن على ولايته للأندلس « ... الى ان دخل بلج بن بشر بأهل الشام سنة أربع وعشرين فغلب عليه [عبدالملك] وولي الأندلس سنة او نحوها[٣٨٧] » وقد قتل جند الشام بقيادة بلج ، عبدالملك بن قطن وكان بلج بن بشر القشيري قد جاء مع عمه كلثوم بن عياض ، قائد جيش الخلافة الى أفريقية . ولما كان جيش كلثوم قد وصل افريقية في رمضان عام ١٢٣هـ[٣٨٨] ، وقاتل البربر فلما قُتل كلثوم فر بلج،ابن أخيه وخليفته في القيادة ، مع قسم من الجيش وتحصنوا بمدينة سبتة فحاصرهم البربر حتى تمزقت ملابسهم « ... وقد بلغ بهم الجهد غايته[٣٨٩] » وقد استغرق ذلك ما بقي من عام ١٢٣هـ ، وجزءا من العام التالي ، ويذكر صاحب أخبار مجموعة ان مقام بلج واصحابه بافريقية بعد مقتل كلثوم كان قريبا من سنة[٣٩٠] ، ولما كان ابن قطن قد اشترط على بلج وأصحابه ، لما استدعاهم لمساعدته ، ان يتركوا الأندلس بعد سنة من دخولهم ، فلما إنقضت السنة طالبهم بتنفيذ شرطهم فماطلوا وقتلوا ابن قطن[٣٩١] ، فمن المرجح ان ذلك كان في أواخر عام ١٢٥هـ ، اي بعد وفاة هشام ، وعلى ذلك فان ولاية عبدالملك بن قطن الثانية انتهت بمقتله في أواخر عام ١٢٥هـ على الارجح ، كما ذكرنا ، اما ما يذكره القيرواني ، من أن حنظلة بن صفوان لما وصل أفريقية عاملا عليها في ربيع عام ١٢٤هـ ، أرسل اليه أهل الأندلس طالبين منه تعيين عامل لبلادهم فأرسل الحسام بن ضرار الكلبي[٣٩٢] ، فتبدو بعيدة الاحتمال في هذا الوقت ، خاصة

---

(٣٨٧) المقرى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٢١ .
(٣٨٨) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١١٣ .
(٣٨٩) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ص٣٠-٣١ .
(٣٩٠) اخبار مجموعة ، ص ص٤٥-٤٦ .
(٣٩١) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٠ .
(٣٩٢) تاريخ افريقية والمغرب ، ص١١٥ .

وانه كان مشغولا بالاعداد لحرب البربر ، وان ما يذكره القيرواني على أنه وقع عام ١٢٤هـ ، ربما وقع في وقت لاحق لذلك[٣٩٣] .

وفي ختام كلامنا عن ولاة الأقاليم ، نرى من الأفضل ان نشـير الى بعض الأقاليم التي تتبع والي العراق مثل سجستان والسـند والبحرين[٣٩٤] ، أما اليمن فولاها هشام ليوسف بن عمر الثقفي وقد استمر على ولايتها الى ان ولي العراق عام ١٢٠هـ ، على ما اسلفنا ، فاستخلف عليهـا ابنه الصلت ، ثم أخـاه القاسم[٣٩٥] ، أما شرق الحجاز (اليمامة) فتتبع الخلافة مباشرة ، وقد ولاهـا هشام للمهاجر بن عبدالله من بني بكر بن كـلاب ، فلما مـات المهاجـر وليهـا ابنـه[٣٩٦] .

ب ـ علاقة الولاة بأفراد الخدمة العامة الآخرين :

كان الوالي مسؤولا عن ولايته ، يختـار موظفيها ، كصاحب الشرطة ، والقاضي ، وولاة المدن التابعة له .

ولم يتدخل هشام في شؤون الولاة ، الذين يعينهم ، الا في حالات قليلة . فيذكر البلاذري ، ان خالدا القسري ولى شرطه ، عندما تولى العراق ، شخصا صغير السن ، ف « ... كتب هشام الى خالد ، انك وليت شرطتك رجلا حدثاً ، فلو وليتها ذا حيلة ونقلت صاحبك الى ما هو أجدى عليه ... فولاه فارس ... وولى شرطه للعريان بن الهيثم[٣٩٧] » .

---

(٣٩٣) يذكر حميدة ، المصدر نفسه ، ص١٠٤ ، ان ولاية ابي الخطار ابتدأت في رجب عام ١٢٥هـ ، ويؤيد ذلك مؤنس (ص٢٢٠) ويضيف ان حنظلـة طلب من ابي الخطار ان يرسل جيشا لمساعدته ، لكن احوال العرب هناك لم تسمح بذلك ، ولما كانت معركتي القرن والاصنام بين البربر وحنظلة قد وقعت قبيل وفاة هشام ، على ما سيأتي ، وقد توفي هشام في ربيـع ١٢٥هـ ، على ما سلفنا ، فان تعيين ابي الخطار في رجب كان بعد وفـاة هشام وبعد اندحار البربر .

(٣٩٤) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص‌ص٣٧٥ـ٣٧٦ .

(٣٩٥) ايضا ، ج٢ ، ص٣٧٣ .

(٣٩٦) ايضا ، ج٢ ، ص٣٧٦ .

(٣٩٧) أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٧ .

وقد أساء كُتّاب قاضي مصر ، يحيى بن ميمون ، السيرة فقد كانوا « ... لا يكتبون قضية الا برشوة ، فكُلم يحيى في ذلك فلم ينكره ، ثم كُلم مرة بعد مرة فلم يعزل منهم أحدا عن كتابته[398] » ، وشكا يتيم وصيه الى يحيى ، فلم ينصفه منه ، وشهد له جماعة من قومه أنه مظلوم ، فلم يستمع يحيى اليه ، فتمثل اليتيم بأبيات من الشعر منها .

حكمت بباطل لم تأتِ حقاً ولم يسمع بحكم مثل ذاكا

فلما بلغ الشعر يحيى « ... سجن اليتيم ، فرفع أمره الى هشام ، فعظم ذلك عليه وكتب بصرفه ، وكان في كتابه الى الوليد بن رفاعة [والي مصر] اصرف يحيى عما يتولاه من القضاء مذموماً مدحوراً وتخير لقضاء جندك رجلا عفيفاً ورعاً تقياً ... فعزله[399] » .

ومع ما للوالي من سلطات واسعة في ولايته ، فقد كان هشام لا يتردد عن عزل الوالي اذا شكاه الناس ، وصدقت الشكوى ، فقد عزل أسد بن عبدالله القسري عن خراسان ، وكان أسد حاد الطبع سريع الغضب[400] ، تعصب لقومه من اليمانية ضد القيسية[401] . ولما أُتهم سعيد بن هشام بسوء السيرة ، وكان يلي حمص ، عزله هشام ووبخه[402] .

وربما عزل هشام الوالي عن ولايته ، لعدم رضا عامل الخراج عنه ، فقد عزل واليين عن مصر بناء على رغبة متولي الخراج عبيدالله بن الحبحاب ، وكان أحد الواليين ، الحر بن يوسف الأموي ، ابن أخي زوجة الخليفة ، ام حكيم ، ولما لم يرض ابن الحبحاب عن خلف الحر ، ترك هشام الأمر اليه ليختار واليا

---

(٣٩٨) الكندي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٤٠ .
(٣٩٩) ايضا ، ج٢ ، ص٣٤١ .
(٤٠٠) البلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٧٥٦ .
(٤٠١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٤٧ .
(٤٠٢) ابن عبدربه ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٨٢ .

لمصر فاختار ابن الحبحاب ، عبدالملك بن رفاعة[403] .

اما في المشرق فقد كان عمال الخراج من غير العرب ، أثناء ولايـة خالد القسري له ، فيذكر الطبري ان خالدا « ... لم يستعمل على الخراج عربيـا قط[404] » ، وكان أغلبهم من الدهاقين[405] .

ولما كان الوالي يختار موظفي ولايته ، حسبما يشاء ، فقد اختار عبيدالله بن الحبحاب عمال المناطق الرئيسة في شمال افريقية من عائلته ، لما أُعطي ولايتها ، اضافة الى ولاية مصر . فاعطى ولاية تونس لأخيه المستنير ، وولى المغرب الاقصى أبنه اسماعيل ، كما استخلف ابنه القاسم على مصر ، واعطى ولايـة الاندلس لعقبة بن الحجاج ، وكان الحجاج والد عقبة ، قد اعتق الحبحاب ، والد عبيدالله ، من الرق[406] .

وربما اختار الوالي موظفيه من قومه ، فقد كان جميع عمـال الجنيد بن عبدالرحمن ، والي خراسان ، من قومه من المضرية[407] . ولما عُوتب نصر بن سيار ، بعد ان ولي خراسان عام ١٢٠هـ ، على كثرة توليتـه للقيسية من قومه ، أجاب ان ذلك ردا على تصرف الوالي اليماني السابق ، أسد بن عبدالله القسري ، قال الطبري : « ... قال رجل من اهل الشام من اليمانية ، ما رأيت عصبية مثـل هذه . قال [نصر] : بلى التى كانت قبل هـذه ، فلم يستعمل أربـع سـنين الا مضريا[408] » .

ونرى من المناسب ان نذكر ايضا ان ولاة الامويين والنافذين من رؤوساء القبائل وغيرهم ، فضلوا مصالحهم الشخصية والقبليـة ، على مصالح الدولة في اغلب الاحيان وربما كان التعصب القبلي الموجـه الرئيس لتصرفـات هؤلاء القادة والولاة .

---

(٤٠٣) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٥ .
(٤٠٤) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٨ .
(٤٠٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٨ .
(٤٠٦) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٣ .
(٤٠٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٧٩ .
(٤٠٨) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص‌ص١٥٧-١٥٨ .

وكان الوالي الجديد ، في اكثر الاحيان ، يعزل أغلب موظفي سلفه ، لأنهم ليسوا من قومه ، او من مؤيديه ، فقد أخذ عبيدة بن عبدالرحمن السلمي ، لما ولي أفريقية ، عمال سلفه بشر بن صفوان الكلبي ، « ... فحبسهم واغرمهم وعذّب بعضهم[409] » .

كما اخذ عاصم بن عبدالله الهلالي بعد ان ولي خراسان ، عمال الجنيد بن عبدالرحمن المري « ... فحبس عمارة بن حريم[410] ، وعمال الجنيد وعذبهم[411] » . وكان عاصم مضرياً ايضا على ما اسلفنا .

وربما ابقى الوالي الجديد بعض الموظفين القديرين ، فقد أبقى أسد بن عبدالله القسري ، توبة بن أبي أُسيد ، مولى بني العنبر ، وكان حسن سيرة توبة مع الناس واعطاء الجند ارزاقهم من أسباب احتفاظه بمنصبه[412] ، وكان من لين توبة واحسانه ان أسدا طلب منه ان يحلف الجند بالطلاق ، حتى لا « ... يتخلف أحد عن مغزاة ، ولا يدخل بديلا ، فابى توبة فلم يحلفهم بالطلاق[413] » . حتى اصبحت « ايمان توبة » عادة جند خراسان لا يحلفون الا بها[414] » .

ولا تقتصر عقوبة الوالي الجديد على عمال الوالي المعزول بل ربما شملت الوالي نفسه ، فقد مر معنا ان يوسف بن عمر عذّب خالدا القسري ومعه أبني هشام المخزومي وغيرهم من عمال هشام وقتلهم تحت العذاب .

كما لم يتدخل الخليفة في أمر اقصاء عمال الولاة المعزولين الا نادرا ،

---

(٤٠٩) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١٠٥ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٠ .

(٤١٠) ابن عم الجنيد وخليفته على ولاية خراسان بعد وفاته .

(٤١١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٣ .

(٤١٢) كان توبة يلي خاتم والي خراسان ، مسلم بن سعيد ، سلف أسد ، فيذكر الطبري (ج٧ ، ص٣٥) ان مسلما قال لتوبة « ... هذا خاتمي فاعمل برأيك » .

(٤١٣ ، ٤١٤) ايضا ، ج٧ ، ص٣٥ .

فعندما عزل خالد عن العراق والمشـرق وولاه ليوسف بن عمر أمره « ... ان يغزل عمال خالد جميعا الا الحكم بن عوانـة وكـان على السند[٤١٥] ، لكن يوسف بن عمر لم يكتف بعزلهم بل عذبهم وقتل أغلبهم ، وكان عددهم ثلاثمائة وخمسون عاملا ، ولم يفلت منهم الا الحكم بن عوانة الكلبي ، وقد قُتل في حروبه في الهند[٤١٦] ، كما تتبع يوسف الفارين منهم وقتل بعضهم تحت العذاب[٤١٧] .

وربما كان للقسوة التي استعملها يوسف بن عمر مع خالد وعماله أثر في ذكر روايات كالتي سلفت ، لكن الباحث لا يستبعد ان يقوم يوسف بعمل كهذا ، خاصة وهو لا يتوقع عقابا من الخليفة . ونرى من المناسب ان نذكر أيضا ان بعض تصرفات يوسف لا يمكن ان تصدر عن شخص يتمتع بقوى عقلية كاملة ، وقد سبق ان أشرنا الى بعض منها ، وكان على سجن يوسف شخص مختص بالتعذيب ، ولديه الوسائل اللازمة لذلك ، يطلق عليه « صاحب العذاب »[٤١٨] .

ولم يكن الوالي المعزول ليعذب او يهان فقط من الوالي الجديد ، وربما أهين من بعض جنده ، فقد ضرب بعض جند خراسان واليهم المعزول مسلم بن سعيد ، بعد ان سمعوا نبأ عزله[٤١٩] .

ولم تقتصر معاملة أغلب الولاة المعزولين السيئة ، على المشرق ، بل كان في المغرب ما يشابه ذلك ، وان كان أقل قسوة وحدة مما في المشرق ، فتشير المصادر الى ان الوالي المعزول كان يخشى عقوبة الوالي الجديد ، فيذكر القيرواني ، ان عبيدة بن عبدالرحمن السلمي ، لما قدم أفريقية أميرا ، قيل لمن ينوب عن واليها المتوفي : « ... هذا عبيدة قد قدم أميراً ، فقال لا حول ولا قوة الا بالله ، هكذا تقوم الساعة بغتة فالقى بنفسه فما حملته رجلاه[٤٢٠] » .

ويذكر الكندي ان عبدالرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي ، والي مصر ،

(٤١٥ ، ٤١٦) انساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٨٠ .
(٤١٧ ، ٤١٨) ايضا ، ج٧ ، ص٥٨١ .
(٤١٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٣٧ .
(٤٢٠) تاريخ افريقية والمغرب ، ص١٠٥ .

لما سمع بقدوم الوالي الجديد حنظلة بن صفوان الكلبي ، المعين مكـانه ، قـال « (... لا اله الا الله هكذا تقوم الساعة بغتة[٤٢١] » . كما سبق وان ذكرنا بعض الروايات عما قام به بعض ولاة افريقية من تعذيب وتغريم عمال أسلافهم .

ومع ذلك فلا تحدثنا المصادر عن ولاة عذبوا وقتلوا تحت العذاب ، كما حصل في المشرق ، خلال عهد هشام في الاقل ، وربما كان لقلة العنصر العربي بالنسبة للسكان المحليين أثر في تخفيف حدة القسـوة والعنف اتجـاه الولاة المعزولين وعمالهم .

واذا قيل ان حروبا قامت في الاندلس ، في أواخر عهد هشام ، بين عبدالملك ابن قطن الفهري وبلج بن بشر القشيري ، ابن أخي كلثوم بن عياض ، وخليفته، وقائد جيش الخلافة الى ثوار البربر في افريقية ، فان تلك الحرب كانت لهـا اسباب كثيرة ، كان الصراع على السلطة من بينها ، بين واليين لدى كل منهمـا أسبابه الخاصة ، التي تدعوه الى المحافظة على نفسه وجيشه .

ونرى من المناسب ان نذكر ايضا ، ان علاقة الوالي الجديد بالوالي المعزول وعماله ، يحددها حسن تصرف الامير الجديد وتسامحه في بعض الأحيان ، فـان حنظلة بن صفوان الكلبي ، عندما قدم مصر أميرا عليها ، لم يكن يعرف واليها ، فلما عرفـه « ... أعتذر اليـه وقـال : لو علمت أنك هو [الوالي] ما وليت عليك »[٤٢٢] .

ولما ولي أسد بن عبدالله خراسان ولايته الاولى ، لم يعاقب سلفه مسلم بن سعيد ، بل أرسله الى العراق مكرما له[٤٢٣] . وربما كـان لتصرف أسـد مـا يبرره ، وقد أشرنا الى ذلك في حينه .

ونرى من المناسب ان نذكر ايضا ان غرب الامبراطوريـة ولي لولاة من غير العرب ، مثل عبيدالله بن الحبحاب ، وربما كان تفوق ابن الحبحاب على غيره

(٤٢١ ، ٤٢٢) كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ج١ ، ص٨٠ .
(٤٢٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٤٠ .

من الولاة في تنفيذ رغبة هشام في جمع الأموال ، أضافة لصفاته الشخصية ونشاطه[٤٢٤] ، كان من عوامل سيطرته وعائلته على غرب الأمبراطورية والأندلس كما سبق وان أشرنا •

ويظهر مما تقدم ان اختيار الولاة لا يتم حسب قاعدة معينة ، وربما كان لمصالح الدولة ومن بينها بيت المال الاعتبار الاول في اختيار هشام لولاته ، اي كانت الجهة التي ينتمون اليها ، كما ان استمرارهم في مناصبهم يتوقف ، فضلا عن رضا الخليفة والناس عنهم ، الى حد كبير ، على حسن تصرفهم •

كما ان خلق الوالي وعقليته لهما الأثر المهم في معاملته لكافة الناس في الولاية من موظفين وجند وعامة المسلمين وغير المسلمين •

وفي ختام حديثنا عن ولاة الاقاليم نرى من المناسب ان نقرر ما يلي :

اولا ـ حاول ولاة الاقاليم المحادة للاعداء المحافظة على حدود ولاياتهم من جهة واستهدفوا التوسع الخارجي من جهة ثانية • وقد نجحوا في مهمتهم تلك في حالات متعددة •

كما تمكن ولاة الاقاليم التي لها سواحل بحرية من حماية ولاياتهم في أغلب الاحيان • ورغم ان الروم هاجموا السواحل الاسلامية اكثر من مرة خلال الفترة موضوعة البحث ، لكن المسلمين كانوا في مركز من القوة مكنهم من الرد على البيزنطيين في الحوض الشرقي لبحر الروم ومكنهم من السيطرة على حوضه الغربي[٤٢٥] •

ثانيا ـ كانت الظروف السائدة في اقليمي خراسان والاندلس متشابهة الى حد ما فقد كانتا محادتين لاعداء اقوياء كالترك والفرنجة • كما كان يسودها ايضا صراع بين العرب والموالي من فرس وبربر وغيرهم من

(٤٢٤) يذكر القيرواني (تاريخ افريقية والمغرب ، ص١٠٧) ان عبيدالله بن الحبحاب كان في احد الايام « ينظر في دفتر العطاء ويملي رسالة ويأمر بحاجات في ناحية اخرى ، ويأمر في خلال ذلك بالحكم بين رجلين متنازعين » •

(٤٢٥) عثمان ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ص١٠٥-١٠٧ •

جهة ، وبين العرب أنفسـهم من قيسيين ويمانيين من جهـة ثانيـة ، وكـان ذلك من بين العوامل التي أدت الى ضعف مركز المسلمين أمام الأعداء في الاقليمين المذكورين والى سرعة تبدل الولاة فيهما .

ويظهر ان ولاية أرمينية وأذربيجـان ، رغم وقوعها على حـدود الخزر الأقوياء حلفاء البيزنطيين أنذاك[٤٢٦] ، لم تعان مما عانت منه ولايتا خراسـان والأندلس ، وربما كان ذلك راجع الى قلة عدد العنصر العربي المسـتقر فيها ، اضافة الى اسناد منصب الولاية الى شخصية مروان القوية الذي كان يتمتع بصفات شخصية جيدة مكنته من الحفاظ على حدود ولايته من جهة وعلى منصبة كـوال من جهة ثانية .

ثانيا ـ أما ولاة الاقاليم الداخلية فكان جل نشاطهم منصرفا الى المحافظة على الأمن والأستقرار وجمع ما يمكن جمعه من الأموال سواء كان ذلك من الضرائب العامة او الأموال التي تؤخذ من دون مبرر شرعي . مثل ولاة العراق ، ومصر ، وشمال أفريقية وغيرهم ، وان اختلفوا في السبل الموصلة للهدف السالف ، وقـد ذكرنا سيرة كل وال من ولاة الاقاليم وبينا طرفاً من سلوكه مع الناس وكيفيـة ادارته لشؤون الولاية المسؤول عنها .

رابعا ـ وقد أنفق ولاة الاقاليم الداخلية كثيرا من جهودهم لمجابهة حركات المعارضة من ثورات وحركات سرية وغيرها داخل ولاياتهم ، سنذكرها تفصيلا في الفصل الرابع من رسالتنا هذه .

وقد نجح بعضهم في تخفيف حدة المعارضة الى ادنى حد ممـكن ، لـكن سياسة الشدة التي اتبعها بعضهم الآخر كانت من بين الاسباب التي ادت الى قيـام ثورات شملت مناطق واسعة من ولاياتهم وادت بالتظافر مع العوامل الاخرى الى ضعف الدولة الاموية .

---

(٤٢٦) اليوسف ، عبدالقادر احمد ، الامبراطورية البيزنطية ، بيروت ، ١٩٦٦م، ص١٠٢ .



الفصل الرابع

الثورات والحركات المناهضة للحكم الاموي في عهد هشام

١ ـ ثورة زيد بن علي

٢ ـ انتفاضات وثورات البربر في شمال أفريقية .

٣ ـ ثورات الخوارج وحركاتهم في مناطق متعددة من الدولة .

٤ ـ ثورة الحارث بن سريج .

٥ ـ ثورة السغد فيما وراء النهر .

٦ ـ حركات التمرد في مصر .

٧ ـ حركة المغيرة بن سعيد .

٨ ـ الدعوة العباسية .



كانت الدولة الأموية في عهد هشام تشمل أجزاء واسعة من آسيا وأفريقية وبعض الأجزاء من أوربا ، وفي بحثنا عن المعارضة للحكم الأموي في عهد هشام نرى ان نذكر ما يلي :-

١ - كانت الدولة الأسلامية تضم شعوبا كثيرة ذات شقافات ولغات وعادات مختلفة عن بعضها البعض وحدت بينها ظاهريا ، في الأقل ، رابطة الأسلام وانضوائها تحت حكم دولة يدين خلفاؤها بذلك الدين • وبقي ممثلو تلك الثقافات ومعتنقو الأديان القديمة يعملون في الخفاء ، بشتى السبل ، محاولين زعزعة ايمان الناس بدينهم الجديد وبثقافاتهم الأسلامية العربية •

٢ - ولما كانت طائفة من شعوب الدولة الأسلامية حديثة العهد بالأسلام ، فقد كان اسلامها سطحيا • كما ان بعضها الآخر قد أسلم لدوافع غير دينية ، وسرعان ما أرتدت عن الأسلام بزوال تلك الدوافع وقاتلت المسلمين •

٣ - لم تكن للدولة أنظمة ادارية مستقرة ومتطورة مع الزمن ، خاصة النظام الأقتصادي وما تفرع عنه من ضرائب غير شرعية فرضت على السكان ، وسنوضح ذلك في الفصل الخامس من رسالتنا هذه •

ومن المرجح ان ذلك أدى الى تذمر السكان ، وحمل جماعات كثيرة منهم على القيام بثورات وانتفاضات ، بينما انخرط بعضهم الآخر في تنظيمات سرية تعمل لأسقاط الدولة الأموية •

٤ - كانت الدولة الأسلامية تضم شعوبا غير مسلمة كان شعورها بالولاء للدولة قليلا او معدوما • وادى ذلك الى تعاونها مع أعداء المسلمين ، خاصة في مناطق الحدود ، مثل بلاد ما وراء النهر وأرمينية وأذربيجان وغيرها من الأقاليم

وسنتحدث بايجاز عن أهم الثورات والأنتفاضات التي حصلت في عهد هشام •

١ - ثورة زيد بن علي :

قام زيد بن علي زين العابدين بثورته في الكوفة مركز الحركات المعارضة للأمويين في المشرق •

فقد كان عامة العراقيين غير راضين ، لأسباب عدة ، عن حكـم الأمويين وكانوا يقومون بالثورات بين حين وآخر ، تعبيرا عن سخطهم ومعارضتهم • وكان العلويون من بين الجماعات التي قادت طائفة من تلك الثورات التي كان مصيرها الفشل والتنكيل بالقائمين بها ، وكـان من نتائج تلك الثورات ان تعلقت نفوس غالبية العراقيين بالعلويين خاصة أهل الكوفة عاصمة الدولة الأسـلامية في عهـد الأمام علي (رض) • وصارت الكوفة مركزا للتشيع[1] ، وبالرغـم مما لاقاه أغلب الكوفيين المؤيدين للعلويين من متاعب ، فانهم حافظوا على حبهم وتأييدهـم للعلويين • وربما كان السبب السالف من بين العوامل التي دفعت زيد بن علي زين العابدين الى اختيار الكوفة مركزا لاعلان ثورته ، وربما أختاروه لقيـادة ثورتهم ، لكن أغلبهم تخلوا عنه • لذا يقترح بعض المؤرخـين ان تسمى الثورة التي نحن بصدد البحث فيها ثورة زيد لا ثورة أهل الكوفة[2] •

اختلفت الروايات في سبب مجيىء زيد الى الكوفة ، عندما عزم على القيـام بثورته ، وفي حالة كالتي سبقت لابد من الرجوع الى أحداث سابقـة لوصول زيد الى الكوفة •

---

(١) يذكر الكشي (الرجال ، ص٢٢٤) على لسان أحدهم « ••• وافيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب أبي جعفر [محمد الباقر] ••• ووجـدت أصحاب ابي عبدالله (ع) [جعفر الصادق] متوافرين فسمعت منهم •••» • ويذكر الاستاذ عبدالله الفياض (تاريخ التربية عند الامامية ، بغـداد ، ١٩٧٢م ، ص٧٥) ان جماعـة من أهل الكوفـة كانوا يزورون الائمة ، ويأخذون العلم عنهم ، كما يذكر ايضا (ص١٢٨) ان احدهم زار محمـد الباقر وأخذ الاذن منه ليفتي في الناس في مسجد الكوفة ، وذلك يدلنا على كثرة الشيعة أسلاف الامامية فيها • كما ان قيام ثورتي الحسين بن علي (رض) وحفيده زيد في الكوفة يدلنا على كثرة انصار العلويين فيها •
ويذكر الطبري (ج٧ ، ص١٦٩) ان هشاماً أرسل رسـالة الى يوسف بن عمر قال فيها « ••• قد علمت بحال أهل الكوفة في حبهم أهل هذا البيت [بني هاشم] ••• ووضعهم اياهم في غير مواضعهم ووضفوا عليهم شرائع دينهـم •

(٢) فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص‌ص٣٢٥ـ٣٢٧ وكتب الاستاذ ناجي حسن رسالته الموسومة بـ « ثورة زيد » نال بها درجة ماجستير في الآداب من جامعـة بغـداد وطبعهـا تحت العنوان السـالف في بغـداد ، ١٩٦٦م ـ ١٣٨٦هـ •

ونرى من الافضل ان نبدأ من الجهة التي توجه منها زيد الى الكوفة ، فبعض المصادر تذكر ان زيدا أراد التوجه من المدينة الى الكوفة ، بعد ان أرسل له أهلها رسائل يدعونه اليهم ، وتشير بقية الرواية ان زيدا استشار أخاه محمد الباقر فأهاب به ان لا يثق بأهل الكوفة لكنه سافر معتبرا نصيحة أخيه نوعا من الحسد[٣] .

ويرى الاستاذ حسن انالاتصالات ، كانت تجري بين اهل الكوفة وزيد ، وكان زيد يعد للثورة منذ حياة أخيه محمد الباقر ، وزاد تصميم زيد على الثورة، بعد المشادة التي جرت بينه وبين هشام ، عندما توجه اليه لمقابلته حول بعض وقوف الأمام علي (رض) ومع ان الاستاذ حسن لا يحدد السنة التي تمت فيها المقابلة ، لكنه يرجح انها تمت قبل وفاة محمد الباقر عام ١١٤هـ[٤] .

وعلى ما يبدو فان رسائل كانت قد وصلت الى زيد او الى غيره ، من العلويين تدعوهم إلى الكوفة ، ولم تقتصر الرسائل على زيد[٥] ، وربما استشار زيد أخاه محمدا او ابنه[٦] ، لكنه لم يذهب الى الكوفة من المدينة ، كما اشارت الروايات السابقة فان الرسالة التي ارسلها عبدالله بن حسن الى زيد ، وهو مختف بالكوفة[٧] ، توضح ان زيدا ، لم يتجه من المدينة الى الكوفة ، والا لكان لعائلته، ومنهم عبدالله بنحسن ، علم بذهابه ، على روايتي المسعودي والمجلسي السالفتين. ولكان عبدالله أخبره ، بوصول رسائل اليه أيضا من أهل الكوفة ، وربما كان ذلك مما يزعزع ثقة زيد بأهل الكوفة ، ومن المحتمل ان يمنعه ذلك من التوجه اليهم. ونرى من المناسب ان نذكر أيضا ان عبدالله بن حسن لم يذكر من أرسل له تلك الرسائل ، على رواية الطبري ، كما ان زيدا ، لم يذكر ، رسائل أرسلها اليه

---

(٣) المسعودي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢١٧ ، والمجلس ، محمد باقر ، بحار الانوار ج١١ ، طهران ١٣٨٥هـ ، ص ص٢٠٣ـ٢٠٤ .
(٤) حسن ، ناجي ، ثورة زيد بن علي ، بغداد ، ١٩٦٦م ص ص٤٨ـ٤٩ .
(٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦٩ .
(٦) المجلسي ، المصدر نفسه ، ج١١ ، ص١٨٦ .
(٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦٩ .

أهل الكوفة عندما حاوره سلمة بن كهيل ، ورجاه الا يضحي بنفسه لوعود أهل الكوفة ، مع انه أحدهم[٨] .

كما تذكر روايات أخرى ، أن زيدا اتجه الى الكوفة من الشـــام ، وان اختلفت في تحديد سبب سفره الى الشام .

فتذكر بعضها ان زيدا سافر الى الشام مخاصماً بني عمه الحسن على وقوف لعلي بن ابي طالب (رض) ، وكان يخاصمهم بالمدينة ، أمام واليها ، الذي كـان يشمت بهم ، فلما شعر زيد بذلك ترك مخاصمة ابناء عمه وتوجه الى الخليفة في الشام لعرض شكواه[٩] . ويرى الاستاذ حسن ، ان سفر زيد الى الشام ، دُبّر بالاتفاق بين هشام ووالي المدينة ، للنيل من زيد[١٠] .

ويبدو ان الأستاذ حسن استنتج من شماتة والي المدينة بالعلويين ، والمشادة بين زيد وهشام ، ان هناك اتفاقا كان قد تم بينهما ، على اهانة زيد ، ومن المعلوم أن العلاقات كانت سيئة بين بني هاشم وبني أمية . اذ أن النزاع بين العائلتين كان معروفا في الجاهلية والأسلام ، فلا يُستبعد والحالة كما أشرنا ، ان يشــمت والٍ أموي النسب في عهد هشام ، هو خالد بن عبدالملك بن الحارث بن الحكـم الأموي ، بالعلويين وهم يشتموا بعضهم البعض أمامه على مسمـــع ومرأى مـن سكان المدينة[١١] .

كما لا يُستبعد من هشام أن يطعن بنسب زيد لأمه السندية لاهانته ، وهو على علم بصفاته الشخصية الجيدة التي أشار اليها هشام في رسالته الى يوسف بن عمر[١٢] ، وربما كان نسبة زيد الى أمه السندية ، هو غاية ما يمكن ان يقولـه هشام ، في الطعن على زيد ، من وجهة نظره ، في الأقل ، ولا يشترط ان ذلـك

---

(٨) الطبري ، ج٧ ، ص‌ص١٦٨ــ١٦٩ .
(٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ص‌ص ١٦٣ــ١٦٦ تاريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف ، ج١ ، ص٤١٦ .
(١٠) ثورة زيد بن علي ، ص٥٥ .
(١١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦٤ .
(١٢) أيضا ، ج٧ ، ص‌ص١٦٩ــ١٧٠ .

التصرف من والي المدينة وهشام على انه اتفاقا مدبرا ، أعداه مسبقا للنيل من زيد.

و « ... حلف [زيد] لهشام على أمر فقال له لا أصدقك ، فقال : يا أمير المؤمنين ان الله لم يرفع قدر أحد عن ان يرضى بالله ، ولم يضع قدر أحد عن الا يرضى بذلك منه[١٣] » ، وتطور النقاش الى مشادة بينهما ، ولم يدبر الأمر مسبقا كما يريدنا الأستاذ حسن ان نعتقد[١٤] .

كما تختلف الروايات في تحديد ، اسم والي المدينة ، فبعضها تذكر أنه ابراهيم بن هشام المخزومي[١٥] ، فاذا صح ذلك ، فان تلك المقابلة قد تمت قبل عام ١١٤هـ ، على الارجح ، وهو العام الذي عزل فيه ابراهيم بن هشام المخزومي عن المدينة[١٦] .

ويرجح الأستاذ حسن هذه الرواية ، لأن هشاما سأل زيدا ، عن أخيه محمد الباقر المتوفي في حدود عام ١١٤هـ[١٧] .

وعلى ما يبدو فان الرواية السالفة ، ربما كانت غير مؤكدة ، فلو كان محمد الباقر حيا ، فلم يخاصم زيد عن ابناء الحسين (رض) ؟ ، ولم يكن اكبرهم او المقدم عليهم ، وربما قامت الخصومة بعد وفاة محمد الباقر عام ١١٤هـ ، ومن المرجح انها قامت في وقت لاحق لوفاة الباقر ، ومن المحتمل ان ذلك كان في ولاية خالد بن عبدالملك الأموي[١٨] ، وربما كانت قبل عام ١١٨هـ ، حيث عزل خالد عن ولاية المدينة[١٩] .

وعلى ما تقدم ، فان القول بسفر زيد الى الشام بعد المخاصمة مع والي

---

(١٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦٥ .
(١٤) ثورة زيد بن علي ، ص٥٥ .
(١٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦٣ .
(١٦) ايضا ، ج٧ ، ص٩٠ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٩١ .
(١٧) ثورة زيد بن علي ، ص٤٨ .
(١٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، صص١٦٣-١٦٥ ، أما ابن الاثير ، (الكامل ، ج٥ ، ص٢٣١) فيذكر ان الخصومة كانت في عهد خالد بن عبدالملك ١١٤-١١٨هـ .
(١٩) الزبيري ، المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢٨٠ .

المدينة ، خالد بن عبدالملك ، لا يبدو أمرا مؤكدا ، ذلك ان الحوادث اللاحقة لا تؤيد ذهاب زيد ورجوعه الى المدينة ، خلال ولاية خالد عليها ، ١١٤-١١٨هـ[٢٠] .

اما القول بان زيدا سافر مع بعض ولد الحسن (رض) الى الشام ، خلال ولاية خالد واستمر هناك ، الى ان جاء كتاب يوسف متهما زيدا بأموال لخالد القسري ، فلا يبدو محتملا ، فمن غير الجائز ان يستمر زيد أكثر من ثلاث سنوات بانتظار اذن هشام له ، ليعرض عليه شكواه ، كما تشير أحدى روايات الطبري والتي يؤيدها بعض المؤرخين المعاصرين[٢١] .

وربما سافر زيد ، ومن معه ، الى الشام عند استدعاء هشام لهم ، بعد وصول كتاب ، من يوسف بن عمر ، يذكر فيه ان خالدا القسري أودع زيدا ستمائة الف درهم[٢٢] ، كما ان القسري اشترى من زيد أرضا بعشرة الاف دينار ، ثم أعادها له[٢٣] . ومع ما عرف عن هشام من رغبة في جمع الأموال ، فانه استدعى زيدا وبقية من كتب يوسف باسمائهم ، من المدينة ، فأرسلهم واليها بناءا على أمر هشام ، الى الشام ، قال زيد بن علي « ... خُرج بنا أسراء على غير ذنب من الحجاز الى الشام ثم الى الجزيرة ثم الى العراق الى قيس ثقيف يلعب بنا[٢٤] » .

وصل زيد وجماعته الى الشام ، وقابلوا هشاما ، وانكروا التهمة التي وجهها اليهم ، يوسف بن عمر[٢٥] ، وصدقهم هشام على ما يبدو ، لكنه أراد ان

---

(٢٠) ذكر الطبري (ج٧ ، ص١٦٥) ان زيدا كان يرفع الكتب الى هشام ، « ... فكلما رفع اليه قصة كتب هشام في اسفلها ارجع الى اميرك ، فيقول زيد ، والله لا ارجع الى خالد ابدا » .

(٢١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦١ ، وفلهاوزن ، يوليوس ، الخوارج والشيعة ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص٢٥٦ .

(٢٢) اليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٣٢٥ .

(٢٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٦٠ .

(٢٤) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٣٣ ، ويذكر الطبري ، (ج٧ ، ص١٦٢) ان والي المدينة حمل زيدا وجماعته الى الشام بأمر هشام .

(٢٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، صص١٦٢ ، ١٦٧ .

يرسلهم الى العراق ليقابلوا القسري ويكذبوه أمام يوسف بن عمر[٢٦] ، لكن الجماعة اعتذروا عن الذهاب ، « ... خوفا من شـــر يوسف وظلمه[٢٧] » ، وحاول زيد ان يثني هشاما عن عزمه ، فقـــال له متوسلا « ... لا ترسلني الى عبد شقيف يتلاعب بي[٢٨] » ، لكن هشاما أصرّ على رأيه ، فقال زيد كالمهدد « ... والله ما آمن ان بعثتني اليه الاّ أجتمع أنا وانت حيين على ظهر الأرض بعدها ، فقال الحق بيوسف كما تؤمر[٢٩] » .

وعلى رواية أخرى ، فان هشاما طمأن زيــدا وجمــاعته بانه ســيكتب الى يوسف بن عمر ، ان يقابلهم بخالد فان ثبت عليهم شيء ، يرجعهم اليه ، وان لم يقم عليهم خالد البينــة فان يوســف يستحلفهـــم ، بأن خالدا لم يودعهم وديعة او غيرهـــا[٣٠] .

وعلى ما يبدو ، فان الجماعة ، وكان زيد متكلمهـــم رفضوا الذهـــاب الى يوسف ، وقالوا لهشام : « ... انّا نخاف ان يتعدى كتـابك ، ويطول علينـــا ، قال : كلاّ ، أنا باعث معكم رجلا من الحرس حتى يأخذه بذلك[٣١] » .

وعلى ما يظهر ، من تواتر الروايات ، فان زيدا ، وجماعته كانوا يخشون يوسف ، وانهم رفضوا الذهاب الى الكوفة خوفا منه ، وربما كان ارســال هشام للحرس معهم ، للتأكد من وصولهم الى الكوفة وليس لحمايتهـم من يوسف ، كما أدعى ، ذلك ان هشاما أرسل الى الكوفة من اتهمهم يوسف[٣٢] ، وهـــم زيد بن علي وداد بن علي بن عبدالله بن عباس ، ورجلين من قريش أحدهمـــا

---

(٢٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص١٦٢ـ١٦٣ .
(٢٧) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٣٠ .
(٢٨) اليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٢٥ .
(٢٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦٢ .
(٣٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦١ .
(٣١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦١ ، واليعقوبي المصدر نفســه ، ج٢ ، ص٣٢٥ .
(٣٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦١ .

جمحي واستثنى المخزومي لأنه من اخواله[٣٣] .

وربما ذكر زيد خلال اقامته بالرصافة النزاع مع اولاد عمه الحسن ، فأخبره هشام ان المسؤول عن هذه المشكلة هو أمير المدينة ، فحلها منوط به بعد مقابلة الأطراف المعنية ، ومع ان بقية الرواية تقول ان زيدا رفض ان يعرض الأمر على والي المدينة خالد بن عبدالملك[٣٤] ، فمن المحتمل ان زيدا ذكر ان خالدا لم يحل المشكلة وان الوالي اللاحق له ربما كان عاجزا عن حلها للسبب نفسه .

ولم يقتصر حديث زيد مع هشام حول الأرث ، فقد كلمة « ... زيد بكلام كثير[٣٥] » ، ويبدو من تتمة الرواية ان الكلام كان يدور حول كلام سبق ان قاله زيد ورغبته بالحصول على الخلافة ، وطعنه بشرعية خلافة الأمويين و « ... حلف لهشام على أمر ، فقال له : لا أصدقك »[٣٦] ، وتطور النقاش بينهما فعيّر هشام زيدا بأمه السندية ، وأجاب زيد بان ضعة أصل أمه لا يعيبه ، وهو سليل النبوة ، فطرده هشام من مجلسه ، وخرج زيد من المجلس مهددا لهشام[٣٧] .

ويرى أمير علي ان تلك المقابلة كانت قبل وصول كتاب يوسف بن عمر الى هشام متهما زيدا وجماعته ، بودائع لخالد القسري ، لانه يذكر ان زيدا توجه الى الكوفة غاضبا واعلن ثورته[٣٨] ، ومما تقدم فان زيدا قابل هشاما عام ١٢١هـ ، بعد مجيء رسالة يوسف وأنه سافر الى العراق مرغما ، فمن المستبعد ان نأخذ بأستنتاج امير علي السالف .

---

(٣٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦٧ ، وعلى رواية اخرى يضيف الطبري (ج٧ ، ص‌ص١٦٠ـ١٦١) ، اسم محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب .

(٣٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦٥ .

(٣٥) اليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٢٥ .

(٣٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص ١٦٥ـ١٦٦ .

(٣٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦٦ .

(٣٨) مختصر تاريخ العرب ، ص١٥٥ .

سافر زيد ومن معه الى العراق ، بسبب اموال ادعـاها يوسف بن عمر ، عليهم ، فقد ادعى ان خالدا القسري ، سلفه على امارة العراق ، اشترى أرضا من زيد بن علي بعشرة الاف دينار ، ثم ردها له[39].

وعلى ما يبدو فأن قصة الارض ليست مؤكدة ، فاذا كان الأدعاء ، على زيد ، فلم استدعى يوسف الاخرين معه[40] .

اما الرواية الثانية ، فتقول ان خالد القسري ادعى مالاً قبل من استدعاهم يوسف بن عمر ، ولكن الذين ذكرهم يوسف أنـكروا ، ان يكون لديهم مالا لخالد القسري بحضور يوسف وخالد ، ولكنهم أقروا بجائزة كان خالد قـد منحها لهم خلال وفودهم عليه ، بالعراق[41] .

وعلى رواية ثالثة ، فان يوسف بن عمر عَذّب خالدا القسري فادعى انـه اودع زيدا وبقية الجمـاعة ، مالا ، فأرسل يوسف بكتـاب الى هشام يخبره باسمائهم ، فاستدعاهم هشام اليه ، وسألهم عما ذكره يوسف ، فانكروا ، ذلك ، لكن هشام أرسلهم الى العراق ليقابلوا خالدا القسري[42] .

فلما قابلوه ، قال خالد « ... غَلـُظ علي العذاب فادعيت ما أدعيت وأملت ان يأتي الله بفرج قبل قدومكم[43] » .

ويظهر ان الرواية السالفة ، ضعيفة لأن هشاما لم يسمح ليوسف بتعذيب خالد الا « ... مرة واحدة ، وبعث حرسيا يشهد ذلك ، وحلف : لئن أتى على خالد أجله وهو في يده ليقتلنه[44] » .

وعلى رواية رابعة ، ان الذي ادعى المـال على زيد وجماعته هو يزيد بن

---

(39) الطبري ، المصدر نفسه ، ج7 ، ص160 .
(40) الطبري ، المصدر نفسه ، ج7 ، ص‌ص160-161 .
(41) الطبري ، المصدر نفسه ، ج7 ، ص160 ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج5 ، ص229 .
(42) الطبري ، المصدر نفسه ، ج7 ، ص162 .
(43) الطبري ، المصدر نفسه ، ج7 ، ص167 .
(44) أيضا ، ج7 ، ص254 .

خالد القسري[٤٥] ، وعلى ما اسلفنا فان زيدا ومن معه اقروا ، بان خالدا لا ابنه قد وهبهم بعض الاموال ، ومن المستبعد ان يفد وفد من أشراف قريش ، الى خالد بالعراق طلبا لجائزته ، فيكرمهم ابنه ولا يجيزهم هو ، لاسيما انه كان متهمـا باغداق العطايا للهاشميين ، وذات مرة قال احـد أحفـاد عثمان بن عفان (رض) « ••• أما المنافع فللهاشميين واما نحن فما حبوتنا منه الا شتمه عليا[٤٦] » يعني خالدا القسري •

وصل زيد ومن معـه الى الكوفة ، وقابلوا يوسف بن عمر فقـال لزيد « ••• زعم خالد أنه قد أودعك مالا ، قال أنى يودعني وهو يشـتم آبائي عـلى منبره ، فأرسل الى خالد فاحضره ••• فقال له هذا زيد ، زعمت انك قد أودعته مالا ، وقد انكر فنظر خالد في وجههما ، ثم قال : أتريد ان تجمع مع اثمك في إثماً في هذا ، كيف أودعه مالا وأنا أشتمه واشتم آباءه على المنبر ، قال : فشتمه يوسف ثم رده[٤٧] » •

وعلى ما يبدو فان خالدا لم يدّع على أحد بايداع المال • وكان قد أجـاز الجماعة[٤٨] ، لما عرف عنه من الكرم ، وقد سـمع يوسف بما أعطى خالـد للوفد ، فأراد استرجـاعه ، بما عُرِف عن يوسـف من شـح وظلم وقسـوة ، على ما أسلفنا •

كما ان خالد القسري ، كان قد استخدم داود بن علي بن عبدالله بن عباس وعيسى اخاه ، في اعوان السـوق في الكوفـة ليضمن بقاءهما تحت رقابته[٤٩] • كما كان خالد « ••• يصل الهاشميين ويبرهم[٥٠] » ، وأرسل لبعضهم الأموال

---

(٤٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، صص١٦٠-١٦١ •

(٤٦) ابن نباته ، المصدر نفسـه ، ص٢٩٨ ، وابن الاثير ، المصدر نفسـه ، ج٥ ، ص٢٢٤ •

(٤٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، صص١٦٦-١٦٧ •

(٤٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦٠ •

(٤٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٢ ، والبلاذري ، أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٥٩ •

(٥٠) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٢٤ •

الى الحجاز[51] ، فلا يستبعد أن يدعي يوسف ما ادعى ، ويتهم زيدا ومن معه باخفاء اموال لخالد القسري[52] ، وربما تعدى ذلك فأتهم خالدا بالتواطيء مع زيد على الثورة[53] ، ومع ان هشاما لم يصدق ما ورد برسالة يوسف عن التواطيء بينهما على الثورة[54] ، لكنه صدق تهمة ايداع المال عندهم وأرسل زيدا ومن أتهمهم يوسف الى العراق .

وأضافة لما سبق فان يوسف بن عمر كان راغبا بابقاء خالد وعائلته تحت سيطرته في العراق ، سجينا ، أطول مدة ممكنة نكاية به ولا يُستبعد من يوسف ان يختلق الاسباب لذلك فادعى تهمة المال للسبب السالف .

أما القول ، بان هشاما دبّر اتهام زيد ، ومن معه باخذ المال[55] ، فلا يبدو أمرا مقنعا ، فهشام كان يخشى بقاء زيد بالكوفة[56] ، كما كان يخشى أهل الكوفة .

فيذكر البلاذري ، ان هشاما مر بالكوفة ، وهو في طريقه للحج عام ١٠٦هـ ، فلما سمع اصواتا كثيرة ، خشي ثورة أهل الكوفة ، ولم يطمئن الا بعد ان أخبره ، الوالي انها أصوات المؤذنين[57] .

ويظهر مما سبق ان هشاما كان حريصا على أرجاع زيد الى الحجاز ، خشية الفتنة فاتهام هشام بتدبير تهمة اخذ الاموال ، لا تؤيدها الحوادث ، وربما كان حرص هشام على الاموال ، والحاح يوسف ، في طلب استدعاء زيد ومن اتهمهم معه ، دعا هشام الى ارسالهم الى الكوفة ، ولم يدرك خطأ تصرفه الا بعد فوات الاوان ، فأرسل الى يوسف يطلب منه اخراج زيد الى الحجاز ، على ما اسلفنا .

---

(٥١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦٧ ، وتاريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف ، ص٤١٦ .
(٥٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦٠ .
(٥٣ ، ٥٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٢٥ .
(٥٥) حسن ، ثورة زيد بن علي ، صص٥٥-٦٩ .
(٥٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦٩ .
(٥٧) أنساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٦٠ .

وصل زيد ومن معه الى الكوفة ، عام ١٢١هـ[٥٨] ، ولا تحدد المصادر الشهر الذي وصلوا فيه ، لكن زيدا ومن معه قابلوا خالدا القسري حيث أخرجه يوسف بن عمر من السجن ، ولما كان الأفراج عن القسري قد تم في شوال عام ١٢١هـ ، بأمر هشام ، ثم توجه بعد ذلك الى الشام[٥٩] ، فمن المرجح ان وصول زيد ومن معه ، كان قبل شوال عام ١٢١هـ ، وربما كان قبل رمضان من العام نفسه فمن المستبعد ان يوجه هشام زيدا ومن معه ، وهم صائمون الى العراق، ولا يحتجوا عليه بذلك •

وتذكر بعض الروايات ، ان زيدا ، أقام بالكوفة بضعة عشر شهرا ، قضى شهرين منها بالبصرة[٦٠] ، فاذا صح ذلك ، فان قدوم زيد الى الكوفة كان في أواخر عام ١٢٠هـ ، او بداية عام ١٢١هـ ولأن زيدا أعلن ثورته في غرة صفر ، عام ١٢٢هـ[٦١] ، على ما سيأتي • فمن المستبعد ان يبقى في الكوفة ، اكثر من سنة ، ولا يعرف به يوسف ، وربما كان الأرجح ان زيدا ، قضى في الكوفة أربعة او خمسة أشهر كما تشير احدى روايات الطبري[٦٢] •

بقي زيد بالكوفة بعد مقابلة خالد القسري وابنه ، وتشير احدى الروايات ، ان يوسف بن عمر كتب ، الى هشام يخبره ، ان خالدا وابنه ، أنكرا ما ادعيا على زيد ومن معه ، عندما قابلهم مع بعضهم ، فأمره هشام ، باخراج زيد ومن معه ، فلحقوا بالمدينة الا زيدا فقد بقي بالكوفة[٦٣] •

---

(٥٨) يضع الطبري (ج٧ ، ص١٦٠) وصول زيد ومن معه في أحداث عام ١٢١هـ، وكذلك يفعل ابن الاثير (ج٥ ، ص٢٢٩) •

(٥٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٥٤ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٧٦ ، ويذكر ان مدة اعتقال خالد ، كانت ثمانية عشر شهرا •

(٦٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٧١ ، وحسن ، ثورة زيد بن علي ، ص١١٣ ، ويذكر فلهاوزن (تاريخ الدولة العربية ، ص٣٢٥) ان زيدا أقام بالكوفة عشرة أشهر في الجملة •

(٦١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٨١ •

(٦٢) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٦٧ •

(٦٣) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٦٢ •

وتذكر رواية ثانية ، ان زيدا بقي بالكوفة مدعيا المرض[٦٤] ، وعلى غير تلك الرواية ، انه بقي بالكوفة لينازع بعضهم ، في مال بينه وبينهم بالمدينة[٦٥] .

ويبدو من روايات الطبري السالفة ان زيدا بقي في الكوفة باختياره ، وان والي الكوفة تسامح باخراجه .

وعلى ما يبدو فمن المستبعد ان يبقى زيد بالكوفة بعلم يوسف ، خاصة وان هشاماً كان يخشى بقاء زيد بالكوفة وأرسل الى يوسف رسالة بهذا المعنى يطلب منه فيها ان لا يُبقي زيدا بالكوفة خشية الفتنة[٦٦] . ويذكر اليعقوبي ان هشاماً أرسل رسالة مع زيد وجماعته الى يوسف يأمره فيها ، ان لا يُبقي زيداً في الكوفة ولا ساعة واحدة بعد مقابلة خالد القسري[٦٧] .

ويظهر مما أوردناه سابقاً ان يوسف بن عمر ، أخرج زيداً ومن معه من الكوفة تحت الحراسة وأوصلهم الى العُذيب[٦٨] ، لكن الشيعة لحقوا بزيد وارجعوه[٦٩] .

وعلى ما يبدو ، فقد دار نقاش عند العُذيب او الثعلبية[٧٠] ، بين زيد وداود ، عندما أراد زيد الرجوع الى الكوفة ، فقد نصحه داود ان لا يثق بأهلها ، فقدخذلوا الأمام علياً وكذلك فعلوا مع ابنه الحسن ، وتخلوا عن الأمام الحسين ، فقتل ، فالاولى به ان لا يعتمد عليهم[٧١] .

ويظهر ان كلام داود أثّر في زيد فأبدى تردده في الرجوع الى الكوفة ، خشية الغدر من أهلها ، لكنهم اقنعوه بالرجوع[٧٢] ، ولما هم بذلك قال له

---

(٦٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦٦ .
(٦٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦٧ .
(٦٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦٩ .
(٦٧) التاريخ ، ج٢ ، ص٣٢٦ .
(٦٨) العُذيب ، موضع قرب الكوفة يبعد عنها واحد وعشرون ميلا (ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص ص١٢٥-١٢٦) .
(٦٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ص١٦٦-١٦٧ .
(٧٠) الثعلبية : موضع قرب الكوفة يقع بعد العُذيب في الطريق الى مكة (ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص١٢٧) .
(٧١ ، ٧٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٦٨ .

محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب « ... اذكر الله يا زيد لما لحقت بأهلك ولم تقبل قول أحد من هؤلاء الذين يدعونك الى ما يدعونك اليه ، فانهم لا يفون لك ، فلم يقبل منه ذلك ورجع [٧٣] » .

ومع تواتر الروايات حول لحاق أهل الكوفة بزيد ، الى العُذيب او الثعلبية لكن الباحث يجد صعوبة في التسليم بصحتها تماماً ، فان أغلبها لا تشير الى أسماء النفر الذين لحقوا بزيد ، ولا تذكر اسم رجل واحد منهم ، وربما كان الأرجح ان زيدا رجع الى الكوفة ، اعتمادا على وعود كان قد تلقاها من أهلها قُبيل سفره ، فلما أخرجه ، يوسف بن عمر ، ومن معه الى العذيب ورجع الحراس ، أراد زيد الرجوع فنصحه أبناء عمومته بالعدول عن رأيه ، لكن زيداً أصر على رأيه ورجع الى الكوفة ، ولا يشترط ان يلحقه وفد من أهلها ، وانما كان رجوعه ثقة منه بوعودهم ، وان كان قد نُصح بألا يثق بوعود أهل الكوفة ، الذين نكثوا بوعودهم السابقة لاجداده من قبله ، ولامه بعض أشراف الكوفة على رجوعه ، اعتمادا على تلك الثقة[٧٤] .

ويبدو ان يوسف لم يكن يعلم برجوع زيد الا بعد ان أخبره هشام بذلك ، وكان أحد الأمويين ، قد « ... كتب ... الى هشام ، يذكر له أمر زيد ، فكتب هشام الى يوسف يشتمه ويجهله ، ويقول : انك لغافل وزيد غارز ذنبه بالكوفة يبايع له فالحح في طلبه ، فأعطه الأمان ، فان لم يقبل فقاتله ،فكتب يوسف الى الحكم بن الصلت ... وهو خليفته على الكوفة بطلبه[٧٥] » .

وهذا ما دعا زيدا أن « ... ينزل منازل شتى في دار امرأته في الأزد مرة ، ومرة في أصهاره السُلميّين ومرة عند نصر بن خزيمة في بني عبس...[٧٦]» .

---

(٧٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٧١ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٣٥ .

(٧٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص١٦٨-١٦٩ ، والمسعودي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢١٧ .

(٧٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٨٨ ، وتاريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف ، ص‌ص٤١٩-٤٢٠ .

(٧٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٧٢ .

وبدأ زيد بأخذ البيعة لنفسه ، فبايعه أناس كثيرون وفي مقدمتهم نصر بن خزيمة[٧٧] ، وكانت بيعة زيد « ... التي يبايع عليها الناس : انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، واعطاء المحرومين وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء ، ورد الظالمين، واقفال المجمر ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا[٧٨] » .

بايع زيدا أربعون الفاً[٧٩] ، وعلى رواية ثانية ، فقد « ... أحصى ديوانه خمسة عشر الف رجل[٨٠] » . او عشرون الفاً من اهل الكوفة[٨١] .

ويرى حسن ، ان عدد الذين بايعوا زيداً في الكوفة وحدها خمسة عشر الفاً ، عدا بقية المدن ، لكنه لا يشير الى الرواية التي تذكر ان عددهم كان أربعون الف ، ولما كانت بقية الرواية تشير ان زيداً ذكر ذلك الرقم لسلمة بن كهيل ، حيث اراد سلمة ان يثنيه عن عزمه ، على الثورة ، فربما ، قال زيد ذلك مبالغة منه ، وربما كان من بايعه من أهل الكوفة فقط خمسة عشر الفاً كما ذهب الاستاذ حسن[٨٢] .

وعلى ما يبدو ، فان زيدا لم يكن متاكداً من عدد أنصاره ، وان الأرقام التي يوردها المؤرخين ، ربما كانت تخميناً لا تستند على أسس ثابتة .

كما ان هذا العدد الكبير من الأسماء ، كان لابد لها من ديوان تسجل فيه . ولما كان والي الكوفة ملاحقاً لزيد ، وهو يتنقل من مكان لآخر خشية الأعتقال ، فلا يُعقل ألا يضع الوالي يده على ديوان زيد ، ومن غير المحتمل ان يسجل زيد أسماء مؤيديه ، وهو يخشى الأعتقال ، خوفاً من قوع الديوان (السجل) في أيدي أعدائه ، ومما يجدر ذكره ان الأستاذ حسن جمع أسماء كثير من

(٧٧ ، ٧٨) أيضا ، ج٧ ، ص١٧٢ .
(٧٩) ايضا ، ج٧ ، ص١٦٨ .
(٨٠) ايضا ، ج٧ ، ص١٧١ .
(٨١) تاريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف ، ص٤١٩ .
(٨٢) ثورة زيد بن علي ، ص١١٣ .

الأشخاص الذين أيدوا زيدا في ثورته من مختلف الأقاليم ، وكان من بينهم عدد من المحدثين والاتقياء[٨٣] .

كما ان عددهم يبدو قليلاً لما تذكره المصادر من عدد الذين أحصاهم ديوان زيـــد .

ونرى من المناسب ان نذكر ، ان الأوضاع العـــامة في العراق ، لم تكن حسنة ، على ما أسلفنا ، وكان العراقيون عامة وأهل الكوفة في الأخص ، غير راضين عن الأمويين ، وكانوا مستعدين لاعلان معارضتهم كلما تهيأت الظروف لأعلانها ، فقد سبقت ثورة زيد ثورات عراقية كثيرة ، لا نرى ضرورة لذكرها .

وللباحث ان يتساءل ، عن العوامل التي دفعت زيدا الى الثورة . وربمـــا كان زيد ثائراً على التقاليد والعادات التي لا تستند على أساس من الاسلام ، فقد عيّره ابن عمه بوضاعة نسب أمه السندية[٨٤] ، مع حسن سيرتها[٨٥] ، كمـا عيّره هشام أيضا بذلك النسب[٨٦] ، وكانت ام زيد أمـــة سندية ، أهداهـا المختار بن عبيد الثقفي ، لابيه .

فأعتقها وتزوجها[٨٧] ، فربما أثر ذلك في نفس زيد وتشـــير الروايتان السالفتان ، ان زيدا كان يغضب ممن يعيّره بذلك .

وربما كان الأتجاه اللاسلامي في دار الخلافة (البلاط) الأموي[٨٨] ، من بين العوامل التي حدت بزيد الى الثورة ، أضافة الى الاستعداد النفسي لدى زيد لقيادة ثورة ضد الأمويين الظالمين[٨٩] ، ومحاربة الطاغية هشام على حد تعبيره[٩٠] .

---

(٨٣) ثورة زيد بن علي ، ص١٠٥ ، ص١٠٦ ، ص١٥٧ ، ص١٠٩ .
(٨٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ص١٦٣–١٦٤ .
(٨٥) ايضا ، ج٧ ، ص١٦٤ .
(٨٦) ايضا ، ج٧ ، ص١٦٥ .
(٨٧) المجلسي ، المصدر نفسه ، ج١١ ، ص٥٨ .
(٨٨) يذكر الطبري ، (ج٧ ، ص٢٥٨) ان ابن شـــقي الحميري فضل الخليفـــة هشام على الرسول (ص) في مجلس عام فلم يزجره هشام او يطرده .
(٨٩) قال الطبري (ج٧ ، ص١٧٢) « ... وكانت بيعة زيد التي يبايع عليهـــا الناس : انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه ... وجهاد الظالمين ... » .
(٩٠) المجلسي ، المصدر نفسه ، ج١١ ، ص١٨٥ .

كما كان زيد ذا أنفه وكبرياء ، كارها للحياة مع الذل ، قال الطبري على لسان زيد « ... لا يحب الحياة أحد الا ذل[91] » ويذكر اليعقوبي ان زيدا تمثل ببعض الابيات لما أخرجه يوسف بن عمر من الكوفة ، منها :

شرده الخوف وأزرى بـــه كذاك من يكـره حـّر الجـلاد
قـد كــان في الموت لـه راحـة والموت حتم في رقاب العبــاد[92]

وربما كانت هناك أسبابا أخرى غير ما ذكرنا أثرت في نفس زيد ودفعته للثورة[93] . وللباحث ان يتساءل عن العوامل التي دعت زيدا الى اختيار الكوفة مركزا لاعلان الثورة ، فربما كان ذلك يعود الى أن أغلب سكانها كانوا من الشيعة[94] ، وانهم أبدوا استعدادهم لنصرته ، اضافة الى ضعف الحامية الأموية فيها[95] .

ويرى الأستاذ حسن ان الشيعة لم تضطر زيدا الى البيعة (الثورة) ، بل ان الظروف المحيطة به الجأته الى ذلك[96] ، وعلى ما يبدو فان حسن يريد ان يثبت ان سوء الأوضاع العامة المحيطة بزيد ، ومحاولته تغير تلك الأوضاع ، كان العامل الرئيس في ثورة زيد .

ويظهر ان رأى حسن السالف لا يبدو دقيقاً ، ذلك ان زيداً قد أختار الكوفة مركزاً لثورته ، لأن سكانها قد حرضوه على الثورة . فقد قال زيد يخاطب أحد أنصاره ، « ... وقد رأى خذلان الناس اياه يانصر بن خُزيمة ، أتخاف ان يكون قد جعلوها حسينية ؟[97] » .

---

(91) تاريخ الرسل والملوك ، ج7 ، ص165 ، والمجلسي ، المصدر نفسه ، ج11 ، ص187 .
(92) التاريخ ، ج2 ، ص326 ، والمسعودي ، المصدر نفسه ، ج3 ، ص218 .
(93) الطبري ، المصدر نفسه ، ج7 ، ص ص165-166 ، والكشي ، المصدر نفسه ، ص232 ، والمجلسي ، المصدر نفسه ، ج11 ، ص186 ، وحسن ، ثورة زيد بن علي ، ص ص98-104 .
(94 ، 95) الطبري ، المصدر نفسه ، ج7 ، ص166 ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج5 ، ص234 ، وتاريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف ، ص418 .
(96) ثورة زيد بن علي ، ص63 .
(97) الطبري ، المصدر نفسه ، ج7 ، ص184 .

كما قال زيد يخاطب أهل الكوفة ، وقد خذلوه « ... كان داود بن علي أعلم بكم ، وقد حذرني خذلانكم فلم أحذر[٩٨] » .

رجع زيد من العذيب ، او الثعلبية الى الكوفة ، وبقي فيها يدعو الى نفسه « ... فلما رأى أصحاب زيد بن علي الذين بايعوه ، أن يوسف بن عمر قد بلغه أمر زيد ... إجتمعت اليه جماعة من رءوسهم ، فقالوا له رحمك الله : ما قولك في أبي بكر وعمر ؟ قال زيد : رحمهما الله ... ما سمعت أحدا من أهل بيتي يتبرأ منهما ... ففارقوه ونكثوا بيعته[٩٩] » .

ويرى الأستاذ حسن أن أفكار زيد كانت معروفة ، لدى أهل الكوفة ، وان أهدافهم كانت متفقة مع أهدافه ، وهي الثأر للامام الحسين بن علي (رض)، والخلاص من الأمويين ، لذا فانه يرجح ان الذين سألوا زيدا عن رأيه بابي بكر وعمر ، ربما كانوا بعض من يهوى هشاماً ، للتفريق بين زيد وبعض أتباعه ، وايجاد نوع من الأنقسام بين أتباع زيد ، الذين رفضوه حينما رفض ان يتبرأ من أبي بكر وعمر[١٠٠] .

وعلى ما يظهر فان حسن يحاول ان يبرأ أهل الكوفة من تبعة تخليهم عن زيد ، وان السؤال كان دسيسة ممن يهوى هشاماً ، وربما كان الأستاذ حسن يناقض نفسه ، فان معرفة أهل الكوفة بافكار زيد . وبيعتهم له ، لا تدعوهم الى التخلي عنه ، بعد السؤال السالف ، خاصة ، وأهدافهم متفقة مع أهداف زيد ، على فرض أن السؤال صدر عمن يهوى هشاماً على رأى الاستاذ حسن .

وربما كان الأرجح أن أهل الكوفة ، لما رأوا جد يوسف بن عمر في طلب زيد ، تخلوا عنه خشية العقاب[١٠١] ، ومن المحتمل ايضا أنهم ارادوا التخلي عن زيد ، فسألوه السؤال السالف ليجدوا عذرا في نكثهم لبيعته .

---

(٩٨) أيضا ، ج٧ ، ص١٨٨ .

(٩٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص١٨٠-١٨١ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٤٣ ، وتاريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف ، ص٤٢٠ .

(١٠٠) ثورة زيد بن علي ، ص‌ص١٣٤-١٣٥ .

(١٠١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٨٠ .

وتشير احدى روايات الطبري ، ان نفرا من أهل الكوفة ، « ... مروا الى جعفر بن محمد ... [الصادق] ، فقالوا له : ان زيد بن علي فينا يبايع له ، أفترى لنا ان نبايعه ؟ فقال لهم : نعم بايعوه ... فجاءوا ، فكتموا ما أمرهم به[١٠٢] » . وربما توضح الرواية السالفة ان سؤال زيد عن رأيه بأبي بكر وعمر ربما كان مقصودا ، استهدف منه سائلوه ايجاد عذر لهم للتخلي عن زيد ، وربما سافروا الى المدينة ، الى جعفر الصادق (رض) وسألوه ذلك ، محاولة منهم لنكث بيعة زيد ، فلما أجابهم بما أجابهم به رجعوا وكتموا أمر الصادق ، وسألوا زيدا ، وهم على معرفة بما سيقوله ، ومن المرجح أن أهل الكوفة ، ارادوا عذرا فحسب لنكث بيعتهم .

فارق أغلب أهل الكوفة زيدا ، بعد ما سمعوا من اجابته ، ورأيه بأبي بكر وعمر ، « ... وقالوا سبق الأمام ...[١٠٣] » ، يعنون جعفر بن محمد (الصادق) ، الذي تولى الأمامة بعد وفاة أبيه محمد الباقر ، فهو « ... أحق بالأمر بعد أبيه ، ولا نتبع زيد بن علي فليس بامام ، فسماهم زيد الرافضة[١٠٤] » .

وعلى ما يبدو أن نقاشاً طويلاً ، دار بين زيد ، وبعض أهل الكوفة وقد بلغهم قوله « ... ليس الامام منا من أرخى عليه ستره ، انما الأمام من شهر سيفه[١٠٥] » .

وسألوا زيدا ، عن امامة الأمام علي بن أبي طالب (رض) « ... أو لم يكن اماما حتى خرج وشهر سيفه ... فسكت (زيد)[١٠٦] » ، وطلب منهم ان يكفوا عنه ، ويؤخذ من الرواية ان نقاشاً دار بين بعض أهل الكوفة وزيد ، وانهم لاموه على مجيئه الى الكوفة ، مع ان الأمام الصادق بقي في المدينة ، فأجابهم زيد « ... ليس الأمام من أرخى عليه ستره ...[١٠٧] » .

---

(١٠٢) ايضا ، ج٧ ، ص١٨١ .

(١٠٣) ، (١٠٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٨١ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٤٣ .

(١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧) الكشي ، المصدر نفسه ، ص٤١٦ ، المجلسي ، المصدر نفسه ، ج١١ ، ص١٩٧ .

ومن غير المحتمل ان يقول زيد ذلك ، معرضاً باجداده وأبيه من الأئمة ، وربما قال زيد ذلك ، معرضا بتقاعد ابن أخيه جعفرا عن الثورة ، ولا يبدو ، ذلك أمرا مؤكدا فثمة رواية ثانية تقول أن زيداً قابل اخاه محمدا الباقر ، واستشاره في الشخوص الى الكوفة فمانع الباقر ، وغضب زيد وقال « ... ليس الأمام منا من جلس في بيته وأرخى ستره وشبط عن الجهاد ، ولكن الأمام منا من منع حوزته ، وجاهد في سبيل الله حق جهاده ...[108] » وتذهب بقية الرواية الى القول أن سبب منع الباقر لأخيه زيد من الثورة ، يرجع الى خوفه من فشل الثورة ، التي لم يحن أوانها بعد ، والضحايا التي ستقتل فيها[109] .

ولما كانت وفاة الباقر في حدود عام ١١٤هـ ، أو بعد ذلك بقليل[110] ، فان القول بان المناقشة كانت معه ، ربما كانت بعيدة الأحتمال ، وعلى فرض صحة النقاش فربما كان مع جعفر الصادق[111] ، فاذا صح ذلك ، فان القول بان بعض أهل الكوفة ناقشوا زيدا ، حول صحة امامة ، الأمام الذي يرخي عليه ستره ، يبدو بعيدا عن الواقع .

ويوضح المجلسي رأيه بأمامة من يرخي عليه ستره ، بان الرواية من وضع أسلاف الزيدية لتصح امامة زيد ، مع أن زيدا لم يدعِ الأمامة[112] .

وقيل ان زيداً ، كان يشرب المسكر بالكوفة[113] . وعلى ما يظهر ، فان الباحث يجد من الصعوبة ، بمكان ، ان يصدق روايات ، كالتي سبقت ، فقد كان زيد متديناً ويحفظ القرآن ، ومن غير المحتمل ان يكون قائداً لثورة يدعو ، الى

(١٠٨ ، ١٠٩) المجلسي ، المصدر نفسه ، ج١١ ، ص٢٠٣-٢٠٤ ، والمسعودي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢١٧ .

(١١٠) يذكر اليعقوبي (التاريخ ، ج٢ ، ص٣٢٠) أن وفاة محمد الباقر كانت في حدود عام ١١٧هـ .

(١١١) المجلسي ، المصدر نفسه ، ج١١ ، ص٢٠٣ .

(١١٢) بحار الانوار ، ج١١ ، ص١٩٨ .

(١١٣) ايضا ، ج١١ ، ص١٦٨ ، والكشي ، المصدر نفسه ، ص٢٣٢ .

بكتاب الله وسنة نبيه[114] ، ويخالف الشرع علناً وأمام الناس ، الذين يدعوهم لتأييده .

ويبدو ان بعض أهل الكوفة حاولوا بشتى الطرق التنصل من تأييدهم لثورة زيد ، فاضافة لما سبق ، فأنهم ادعوا ، ان « ... الخارج والجالس موسع لهما » مع غير الامام[115] ، كما كان السبب في عدم تأييدهم لزيد ، اعتقادهم انه يريد الأمامة لنفسه ، لأنه خرج ثائرا بالسيف[116] .

ويميل الاستاذ حسن الى ترجيح الرواية السالفة لعدم تأييد أهل الكوفة لزيد ، محاولا تبرير خذلانهم له[117] .

قرر زيد ان يُعجّل بالثورة خشية القبض عليه « ... فواعد أصحابه ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة أثنتين وعشرين ومائة[118] » . وعلى رواية ثانية ، فان مقتل زيد كان في اليوم الأول من صفر عام ١٢١هـ[119] .

ولما كان يوسف بن عمر ، راغبا بابقاء خالد القسري تحت سيطرته ، فأنه لم يترك منفذاً الا سلكه لتحقيق تلك الرغبة ، وربما كان آخر ما كتب به يوسف الى هشام ، اتهام زيد ومن معه باخفاء أموال لخالد القسري او لابنه يزيد ، فأستقدمهم يوسف ، وقابلوا خالدا وابنه ، وربما تمت المقابلة ، قُبيل اطلاق سراح خالد القسري ، وبعض أفراد عائلته ، وكانوا قد أُطلقوا بأمر هشام في شوال عام ١٢١هـ[120] ، وربما تمت المقابلة المشار اليها ، قبل رمضان عام ١٢١هـ ، على الأرجح كما سبق وأن أسلفنا ، وتشير احدى روايات الطبري

---

(١١٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ص١٧٢-١٧٣ .
(١١٥) رجال الكشي ، ص ص٤١١-٤١٢ .
(١١٦) المجلسي ، المصدر نفسه ، ج١١ ، ص١٨٦ .
(١١٧) ثورة زيد بن علي ، ص ص١٤٦-١٤٧ .
(١١٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٨١ .
(١١٩) المجلسي ، المصدر نفسه ، ج١١ ، ص٢٠٣ .
(١٢٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٥٤ .

ايضا ، ان يوسف بن عمر كتب الى هشام « ... ما خــرج زيد الا عن رأى خالد ، والدليل على ذلك نزوله القرية[121] على مدرجة من العراق يستنشي اخبارها[122] » . ويبدو من روايتي الطبري ، الســالفتين ، ان ثورة زيد ، كانت بعد اطلاق سراح خالد ، اي بعد شوال عام ١٢١هـ .

وتشير رواية الطبري السالفــة ايضا ان خالدا أقــام « ... بازاء باب الرصافة بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم وصفر » ، وهشام لا يأذن له بالدخول اليه[123] . وعلى ما يذكره الطبري في روايتــه السالفــة ، فأن خالداً ، ترك الرصافة بعد وصول رســالة يوسف المذكــورة . وسافر الى دمشق[124] . وعلى ذلك فربما كانت رواية الطبري التي تؤكد ثورة زيد في مستهل صفر عام ١٢٢هـ ، أرجح من غيرها من الروايات .

ويذكر الأستاذ حسن أن زيداً ، أضطر لتقديــم موعـد الثورة أسبوعاً كاملاً ، خشية القاء القبض عليه من قبل شرطة يوسف بن عمر ، فأعلن زيد ثورته لسبع بقين من محرم عام ١٢٢هـ ، ويذكر ان يوسف كان قد حصــر الناس في مسجد الكوفة قبل ذلك[125] .

وعلى ما يبدو فان زيدا لم يقدم موعد الثورة ، وربما كان يوسف بن عمر على علم بموعد اعلانها ، يدلنا على ذلك انه حصر الناس في المسجد الجامع قبيل اعلانها بيوم وكانوا راضين تمام الرضا عن ذلك ، قال الطبري « ... وبلــغ يوسف بن عمر ان زيدا قد أزمع على الخروج فبعث الى الحـكم بن الصلت ، فأمره ان يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم يحصرهم فيه[126] » .

---

(١٢١) تقع القرية مقابل الرصافة (الطبري ، ج٧ ، ص٢٥٥) .
(١٢٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٥٥ .
(١٢٣ ، ١٢٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٥٥ ، ويذكــر ابن الاثير ، (ج٥ ، ٢٧٦) ان خالدا ومن معه قضوا ثمانية عشر شــهرا في حبس يوسف بن عمر .
(١٢٥) ثورة زيد بن علي ، صص١١٥-١١٦ .
(١٢٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٨١ .

واندر والي الكوفة الناس ، وطلب منهم دخــول المسجد الجامـــع « ... فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم[١٢٧] » • وربمـا أراد الأستاذ حسن ، ان يجد عذرا لمن تخلف عن تأييد ثورة زيد من ســائر المدن التي أخذت له البيعة فيها ، وتواعد واياهم ، على الثورة في يوم واحد ، لكن زيدا أضطـــر الى تقــديم الموعـد فلم تؤيـــده تلك المـــدن على رأى الأستاذ حسن[١٢٨] •

وربما كان الارجح ان زيدا أرسل جماعة من مؤيديـــه الى بعض المدن فعرضوا عليهم البيعة لزيد ، فأبدوا تأييدهم له وربما بايعوه ورجعوا في بيعتهم لنفس العوامل التي أدت بأهل الكوفة الى خذلان زيد •

ويحدثنا الطبري ، عن المعارك التي دارت في الكوفة بين زيد وأتبـاعه ، وبين جيش الشام[١٢٩] ، فيذكر ان أتباع زيد كانوا مائتين وثمانية عشر رجـلا لكنهم ثبتوا لأهل الشام يومي الاربعاء والخميس[١٣٠] •

ويرى الأستاذ حسن ، ان عدد أتباع زيد كـان أكثر من العـــدد ، الذي أشرنا اليه ، بكثير والا لما استطاعوا ان يثبتوا بوجه أهل الشام مدة يومين[١٣١] •

ويبدو ان المعارك دارت في شوارع الكوفة الضيقة فكان بامكان زيد ، مع قلة أتباعه ان يقف بوجه جيش الشام ، بل ويهزمهم في اليوم الاول لبدأ القتال ، « ... فان الخيل لا تطيق الرجال في المضيق[١٣٢] » على رأى أهل الشام •

لكن أهل الشام استقدموا في اليوم التالي لبدأ القتـــال أي يوم الخميس « ... القيقانية والبخارية ، وهم ناشبة فجعلوا يرمون زيد وأصحابه ... حتى اذا جنح الليل رمي [زيد] بســـهم فأصاب جانب جبهتـــه اليسرى فتثبت في

---

(١٢٧) ايضا ، ج٧ ، ص١٨١ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٤٣ •
(١٢٨) ثورة زيد بن علي ، ص‌ص١١٤ـ١١٥ •
(١٢٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص١٨٢ـ١٨٦ •
(١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ص١٨٥ ، حسن ، ثورة زيد بن علي ص‌ص١١٧ـ١١٨ •

الدماغ[١٣٣] ، وخيم الليل فانصرف الفريقان ولما جيء بطبيب ، وسحب السهم مات زيد لساعته فدفنه أصحابه في مجرى ماء ، بعد ان حبسوا الماء ، ثم أطلقوه على جثة زيد ، لكن يوسف بن عمر ، عرف المكان فاخرج الجثة وصلب الجسد، وأرسل رأس زيد الى هشام[١٣٤] .

اما يحيى بن زيد فقد هرب الى خراسان[١٣٥] ، وقتل في فترة لاحقة لحكم هشـام .

قضى الأمويون على ثورة زيد بسهولة ، وكانت نتائجها العسكرية بسيطة ، لكن نتائجها المعنوية كانت أكبر بكثير مما توقعـه الأمويون ، فلما قتل زيـد « ... تحركت الشيعة بخراسان وظهر أمرهم وكثر من يأتيهـم ويميل معهم ، وجعلوا يذكرون للناس أفعال بني أمية ... حتى لم يبق بلد الا فشا فيه هـذا الخبر وظهرت الدعاة ورئيت المنامات وتدورست كتب الملاحـم[١٣٦] » ويرى فلهاوزن ان فشل ثورة زيد ومقتله أدى الى ثورات شيعية أخرى ، أسقطت الحكم الاموي في النهاية[١٣٧] . وان كان لا يوضح ماهية تلك الثورات .

وعلى ما يظهر ، فان مقتل زيد وصلبه ، أثار موجه استياء في العالم الاسلامي، خاصة المشرق ، فاستكره المسلمون ، كما استغله دعاة العباسيين لصالحهم[١٣٨] . فيذكر أمير علي ، ان مقتل زيد أزال منافساً قوياً للعباسيين ، وأسند دعوتهـم التي قوضت دعائم الدولة الأموية[١٣٩] .

ومما يجدر ذكره ، فان اعطاء تلك الأهمية البالغة لثورة زيد ، لا يبدو امرا مؤكدا ، فقد أثار مقتل الامام الحسين بن علي (رض) في الطف ، استياءاً اكثـر

---

(١٣٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٨٦ .

(١٣٤) أيضا ، ج٧ ، ص ص١٨٦–١٨٨ .

(١٣٥) الطبري ، لمصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٨٩ ، واليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٢٦ .

(١٣٦) اليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٣٦ .

(١٣٧) فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص٣٢٧ ، حسن ، ثورة زيد بن علي ، ص ص١٥٠–١٥١ .

(١٣٨) Ency. of Islam, Art Hisham Vol. III. p. 493.

(١٣٩) مختصر تاريخ العرب ، ص١٥٥ .

بكثير مما أثاره مقتل حفيده زيد . وربما كان اختلاف سمة العصر ، وقوة دعوة بني العباس ، ودخول الموالي في دعوتهم بكثرة ، اضافة لعوامل كثيرة أخرى ، في الشام ، وانقسام البيت الاموي ، كانت من عوامل تقويض دولة الامويين ، وكانت ثورات العلويين ، وغيرهم من أحزاب المعارضة ، وثورة زيد من ضمنها من بين تلك العوامل ، لكنها على الارجح لم تكن العامل الرئيس في سقوط دولة الامويين .

٢ ـ انتفاضات وثورات البربر في شمال أفريقية :ـ

كان مقتل يزيد بن أبي مسلم ، والي أفريقية ، في حدود عام ١٠٢هـ ، نذيرا للخلافة في دمشق بوجوب اصلاح الاوضاع ، لكن الخلافة لم تعمل اكثر من تغيير الولاة .

وربما كان عزل والٍ ومجيء آخر يعمل على ازالة أسباب تذمر السكان واصلاح أحوالهم ، مؤدياً الى هدوء الاوضاع العامة ، لكن أولئك الولاة ، وان تعددوا ، فان سياستهم كانت متفقة في أهدافها ، فكان همهم جمع المزيد من الاموال والهدايا والطرف وغيرها وارسالها الى الشام لملء الخزانة وارضاء الخليفة والنافذين في البلاط الأموي . وقد أشرنا الى شيء من سيرة أولئك الولاة ، وما أرسلوا من الهدايا والتحف الى الشام في بحثنا عن ولاة أفريقية في الفصل الثالث من هذه الرسالة .

فلما ولي عبيد الله بن الحبحاب أفريقية حاول ان يجمع المزيد من تلك الهدايا والطرف والأموال . قال ابن عذارى « ... كان الخلفاء بالمشرق يستحبون طرائف المغرب ويبعثون فيها الى عامل أفريقية ، فيبعثون لهم البربريات السنيات ، فلما أفضى الامر الى ابن الحبحاب مناهم بالكثير ، وتكلف لهم او كلفوه اكثر مما كان . فأضطر الى التعسف وسوء السيرة ، فحينئذ عدت البرابر على عاملهم فقتلوه وثاروا بأجمعهم على ابن الحبحاب[١٤٠] .

ويضيف ابن عذارى سببا آخر للثورة ، فقد كان لابن الحبحاب

---

(١٤٠) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٢ .

« ... اولا أعجبتهم أنفسهم[١٤١آ] » ، وكان بعضهم يلي ولايات مهمة في أفريقية ، على ما أسلفنا في بحثنا عن ولاة افريقية ، اضافة الى ظلم باقي ولاة ابن الحبحاب وكثرة تعسفهم وعبثهم بأموال البربر[١٤١ب] . وتكاد تجمع أغلب المصادر على ان الثورة بدأت في اقليم طنجة في المغرب الاقصى ، وكان من أسبابها « ان عمر بن عبدالله المرادي ، عامل طنجة وما والاها ، أساء السيرة ، وتعدى في الصدقات والعشر ، وأراد تخميس[١٤٢] البربر ، وزعم أنهم فيء المسلمين ، وذلك مالم يرتكبه عامل قبله ، وانما كان الولاة يخمسون من لم يجب للاسلام ، فكان فعله الذميم سبباً لنقض البلاد ووقوع الفتن العظيمة[١٤٣] » .

وثمة رواية ثانية تقول ان الثورة قامت في اقليمي طنجة والسوس الاقصى[١٤٤] في آن واحد ، فقد ثار عبد الاعلى بن خديج في اقليم طنجة ، وقتل واليها عمر المرادي ، وثار ميسرة المدغري[١٤٥] في اقليم السوس الاقصى ، وقتل واليها اسماعيل بن عبيدالله بن الحبحاب والي أفريقية ، وكانت ثورتا عبد الاعلى وميسرة « ... على ميعاد للنصف من رمضان سنة اثنتين وعشرين ومائة ... ثم بعث ميسرة الحقير قائدا فقتل عبد الاعلى بن حديج[١٤٦] » .

(١٤١آ) أيضا ج١ ، ص٥٢ .

(١٤١ب) السلاوي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤٨ ، وفان فلوتن ، المصدر نفسه ، ص١٤١ .

(١٤٢) تخميس : أي يأخذ الخمس من البربر كرقيق .

(١٤٣) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص‌ص٥١-٥٢ ، والقيرواني ، المصدر نفسه ، ص١٠٩ ويسمية عمر بن عبيدالله ، والسلاوي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤٨ .

(١٤٤) السوس الاقصى : اسم مدينة ، وهي مركزا الكورة عظيمة في أقصى المغرب (الاصطخري ، ص٤٣) ، ويذكر ابن خرداذبه (المسالك والممالك ص٨٩) « ان السوس الأدنى يقع خلف طنجه ... وخلف السوس الادنى السوس الاقصى وبينهما مسيرة نيف وعشرين يوما » .

(١٤٥) هكذا وردت عند القيرواني (تاريخ أفريقية والمغرب ، ص١٠٩) وكذلك عند ابن عذارى ، (البيان المغرب ، ج١ ، ص٥٢) ، اما ابن عبدالحكم (فتوح مصر والمغرب ، ص٢٩٣) فيسمية « المذغرى » بالذال ، وذلك نسبة الى قبيلة مذغرة او مطغرة التي ينتمي اليها ميسرة .

(١٤٦) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٦٨ .

وعلى ما يبدو فان الرواية السالفة ليست مؤكدة ، ذلك انها لا تقدم لنا سببا وجيها لمقتل عبد الاعلى ، وهو من قادة الثورة ، وربما كان الأرجح ان ميسرة ، قاد الثورة في اقليم طنجة ، ولما نجح بقتل واليها المرادي استخلف عبد الاعلى على طنجه[147] ، وتوجه على رأس جيش من الثوار الى السوس الاقصى لقتال اسماعيل بن عبيدالله بن الحبحاب فقتله .

كان قائد الثورة ميسرة المدغري ، وقد لقبه بعضهم بالفقير[148] نسبة الى فقره ، لانه كان يبيع الماء في أسواق القيروان ، ولقبه الآخرون بالحقير[149] ، والسقاء[150] ، تصغيرا لشأنه .

ويرى بعض الكتاب أن ميسرة قام بالثورة بعد أن عجز عن اسماع صوته للمسؤولين فقد سافر ميسرة مع وفد من قادة البربر الى الشام ، لمقابلة الخليفة ، لكنهم لم يحصلوا على الأذن ، وطال انتظارهم ونفذت نفقاتهم ، فلما يئسوا من مقابلة هشام ، تركوا أسماءهم في رقع عند الأبرش الكلبي كاتبه ، ورجعوا .

ويضيف الطبري بان أهل افريقيا كانوا « ... أحسن أمة سلاماً وطاعة حتى دبّ اليهم أهل العراق واستثاروهم ... فقالوا [البربر] لا نخالف الأئمة بما تجني العمال ... فقالوا لهم : انما يعمل هؤلاء بأمر أولئك ، ... فخرج ميسرة في بضعة عشرة انسانا حتى يقدم على هشام ، فطلبوا الاذن فصعب عليهم ، فأتوا الابرش فقالوا : أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده ، فأذا أصاب نفلهم دوننا : وقال هم أحق به ، فقلنا هو أخلص لجهادنا .. وقالوا اذا حاصرنا مدينة قال : تقدموا وآخر جنده ، فقلنا تقدموا فانه ازدياد في الجهاد ، ومثلكم كفى اخوانه فوقيناهم بانفسنا وكفيناهم ... ثم أنهم عمدوا الى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها على السخال يطلبون الفراء البيض ... فيقتلون الف شاة في جلد ...

---

(١٤٧) عبدالحميد ، المصدر نفسه ، ص٢٥٧ .

(١٤٨) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٣ .

(١٤٩) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٢ ، وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٦٨ .

(١٥٠) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٩١ .

فاحتملنا ذلك ••• ثم أنهم سامونا يأخذون كل جميلة من بناتنا فقلنا : لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون ، فأحببنا أن نعلم : أعن رأى أمير المؤمنين ذلك ام لا ؟ •••[151] » •

ويشكك بعض الكتاب برواية الطبري السالفة ، فيرى مؤنس أن سفر الوفد ليس مؤكدا وأن كان زعماء البربر قد حاولوا بسط شكواهم أمام الخليفة[152] • لكنه لا يوضح الوسيلة التي حاول بها البربر ذلك •

اما الاستاذان فلهاوزن وعبدالحميد فيؤكدان سفر الوفد ، ويضيف عبدالحميد ان ميسرة اعتنق مبادىء الخوارج الوسط في الشام ، أثناء وجوده هناك ، وهي مبادىء الخوارج الصفرية المعتدلين ، فلما رجع ميسرة الى أفريقية وقويت دعوته ، وكثر أنصاره أعلن ثورته في اقليم طنجة واستولى عليها وقتل واليها عمر المرادي[153] •

وعلى ما يبدو فان الأستاذ مؤنس محقاً في شكه ويؤخذ مما أورده الطبري ان ما ذكره الوفد يمثل بعضه مرحلة سابقة لفترة حكم هشام ، وكذلك لا تشير المصادر لغير ميسرة ، ومن غير المشكوك فيه ، ان وفدا كالذي سبق ، لابد وان يكون أعضاؤه من رؤوساء القوم ، وان يكون معروفاً لدى الناس ، لذا فان الباحث ليتساءل عن سبب اغفال أسماء بقية أعضاء الوفد ، خاصة وقد سجلوا أسماءهم وأنسابهم في رقاع تركوها عند الأبرش كاتب هشام ، كما تشير رواية الطبري السالفة ، وربما أرسلت رسالة بهذا المعنى الى البلاط الأموي ولم يلتفت لها الا بعد قيام الثورة • وربما أدعى ميسرة ذلك أيضا ليقنع قومه بالثورة ولم يذكر لهم أسماء الوفد واكتفى بالاشارة الى نفسه ، فشاع ذلك بين الناس على انه حقيقة واقعة وسجله المؤرخون كحادث مسلم بصحته ، لأن ميسرة كان كثير التنقل قضى فترة كبيرة من حياته في القيروان بعيدا عن قومه •

---

(١٥١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٤ ، ص‌ص٢٥٤–٢٥٥ •
(١٥٢) فجر الاندلس ، حاشية ، ص١٥٠ •
(١٥٣) تاريخ الدولة العربية وسقوطها ، ص٣٣١ ، وتاريخ المغرب العربي ، ص‌ص٢٥٥–٢٥٦ ، وفان فلوتن ، المصدر نفسه ، ص‌ص١٤٠–١٤١ •

اما عن اعتناق ميسرة لمبدأ الخوارج فمن المحتمل ان ميسرة آمن بضرورة الأصلاح والرجوع الى مبادىء الاسلام ، كما فهمها عن الفقهاء والمتدينين عند اختلاطه بهم في مساجد القيروان ، وكان يبيع الماء هناك(١٥٤) . ولا تشير المصادر الى وقت اعتناقه لمبادىء الخوارج ، وربما كان استنتاج الأستاذ عبدالحميد مبنيا على أساس أن ميسرة أعلن الثورة بعد رجوعه من الشام ، وعلى رواية الطبري السالفة ، عن سفر الوفد فان الخوارج كانوا موجودين ومتصلين به قبل سفره الى الشام فقد ثار ميسرة وقومه من مطغرة ، وكانوا على رأى الخوارج الصفرية ، وكان شيخهم ميسرة مقدما على أتباع ذلك المذهب ، فحمل البربر على الخروج عن الطاعة(١٥٥) .

فربما اذا كان اعتناق ميسرة لمبدأ الخوارج قبل سفره الى الشام ، فمن غير المحتمل أن يكون رئيسا لفرقة كخوارج البربر ، ومن غير المحتمل أيضا ان تكون الدعوة قد نالت هذا التأييد الشامل خلال هذه الفترة الوجيزة بين سفر الوفد ورجوعه من الشام(١٥٦) .

ويذكر الاستاذ مؤنس أن للثورة أسبابا سياسية قبل أن تكون دينية ويسمي الثوار ، خوارج سياسيين لا دينيين ، ويدلل على رأيه بأن مبادىء الخوارج الصفرية ، تميل الى المسالمة والتسامح مع المخالفين ، لكن الثوار كانوا متطرفين لا يعرفون حلا وسطا ، كما يرى ان ميسرة اعتنق مبادىء الخوارج في القيروان ، عندما كان يبيع الماء هناك(١٥٧) .

وربما كان رأى الاستاذ مؤنس مقبولا ما دام الأمر يتعلق بالمبادىء الدينية نظريا ، وربما كان من المستبعد أن يتمكن قائد جيش مثل ميسرة ، وغيره بعدئذ من الرؤوساء ان يسيطروا على أتباعهم من رجال القبائل ، وقد اسكرتهم نشوة

---

(١٥٤) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٦٨ ، عبدالحميد ، المصدر نفسه ، ص٢٥٥ .
(١٥٥) السلاوي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤٩ .
(١٥٦) فجر الاندلس ، ص١٤٩ .
(١٥٧) أيضا ، ص١٦٥ .

النصر ، ويدفعهم الحقد والانتقام الى المزيد من سفك الدماء واستباحة الأعراض والأموال ، حتى ليذكر صاحب أخبار مجموعة أنهم قتلوا حتى الصبيان عند احتلالهم طنجة[158] .

وأيا كان الزمان أو المكان اللذين اعتنق فيهما ميسرة مبادىء الخوارج ، فيبدو أن الاستياء كان عاما بين السكان فأيد أغلبهم الثورة . قال ابن الأثير : « ... تداعت البربر مسلمها وكافرها[159] » .

ويصف ابن عذارى اتساع الثورة بقوله : « ... ثارت البرابر كلها مع أميرهم ميسرة الحقير[160] » ، ويذكر القيرواني ان البربر « ... تداعت بأسرها[161] » . ورغم ما تحوى النصوص السالفة من مبالغة فيبدو ان الثورة كانت عامة بين السكان ، كما يبدو أن قبيلة مطغرة في المغرب الأقصى كانت هي البادئة بالثورة[162] ، وقد أيدتها قبيلة برغواطة بزعامة رئيسها طريف بن شمعون بن يعقوب بن اسحق[163] . وقد أيد الافارقة الثورة بزعامة عبد الاعلى ابن جريج الأفريقي ، « ... وكان أصله روميا وهو مولى لأبن نُصير[164] ».

ويرى الأستاذ مؤنس أن اسراف ابن الحبحاب في قيسيته ، جعل العرب الأفارقة اليمانيين يقفون منه موقف العداء ويتحينون الفرصة للانقضاض عليه .

---

(١٥٨) اخبار مجموعة ، ص‌ص٢٨ـ٢٩ ، وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٦٨ .

(١٥٩) الكامل ، ج٥ ، ص١٩١ ، ويذكر صاحب أخبار مجموعة (ص٢٩) ان الثورة شملت كل أفريقية فقد « ... وثب كل قوم من البربر على من يليهم » .

(١٦٠) البيان المغرب ، ج١ ، ص٥٢ .

(١٦١) كما يذكر القيرواني أيضا (ص١٠٩) ، ان المبادىء الخارجية انتشرت بين البربر كانتشار النار في الحطب .

(١٦٢) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٣ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٢ ، والقيرواني ، المصدر نفسه ، ص١٠٩ .

(١٦٣) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص‌ص٥٦ـ٥٧ .

(١٦٤) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٣ ، ومؤنس ، المصدر نفسه ، ص١٦٦ ، وعبدالحميد ، المصدر نفسه ، ص٢٥٧ ، اما ابن خياط (ج٢ ، ص٣٦٨) فيسميه ابن حديج .

ويظهر ان في رأى مؤنس تطرفا • ومع ان ابن الحبحاب ، كان متطرفا في قيسيته لكن المصادر لا تشير الى قبائل عربية انضمت للثورة أو أيدتها ، ولا حتى لأفراد من العرب ، وانما يصفون المعارك على أنها بين العرب والبربر ، فيذكر ابن عذارى في وصفه لموقعة الأشراف « ••• فتكاثرت عليهم [على العرب] البربر ، فانهزم العرب[١٦٥] » وبعد القضاء على الثورة يقول ابن الأثير « ••• ان الله تعالى هزم الخوارج والبربر ونصر العرب »[١٦٦] •

ويظهر أن مؤيدي الثورة كانوا من فئات مختلفة من بربر وأفريقيين وبقية السكان المحليين ، ولم يكن العرب من بينهم ، وربما كانت قلة العنصر العربي في أفريقية ، ودخول العرب اليها متأخرين عن دخولهم للمشرق ، من بين العوامل التي حالت دون امتزاجهم بالسكان • كما كان البربر يعيشون على شكل قبائل ، تشدهم العصبية القبلية الى بعضهم البعض ، خاصة البتر منهم ، وكانوا يسكنون الأقسام الداخلية من البلاد ، كما كان وضعهم الأقتصادي والاجتماعي سيئاً ، فمن المحتمل ان العوامل السالفة أعطت للثورة زخما كبيرا ، وجعلتها بهذه السعة والشمول ، كما أن بعد أفريقية عن مركز الخلافة ربما كان من بين العوامل التي أدت الى قيام الثورة من جهة وصعوبة السيطرة عليها من جهة ثانية ، ذلك أن ميسرة لم يعلن الثورة الا بعد أن غادر الجيش العربي بقيادة حبيب بن أبي عبيدة ، أفريقية لغزو صقلية[١٦٧] •

ابتدأت الثورة في اقليم طنجة ، على ما أسلفنا ، وكان ذلك في رمضان عام ١٢٢هـ[١٦٨] ، فقتل البربر والي المدينة بعد احتلالهم لها • ويقول القيرواني ان الثوار انتشرت « ••• فيهم دعوة الخوارج ، وفيهم عدد كثير وشوكة[١٦٩] »•

---

(١٦٥) البيان المغرب ، ج١ ، ص٥٤ •
(١٦٦) الكامل ، ج٥ ، ص١٩٤ •
(١٦٧) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١٠٩ ، ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٢ •
(١٦٨) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٦٨ •
(١٦٩) تاريخ أفريقية والمغرب ، ص١٠٩ •

وقد بايع البربر ميسرة بالخلافة ، بعد احتلالهم لطنجة ، فاستخلف ميسرة عليها عبد الأعلى بن جريج الأفريقي ، وكان أصله روميا ، من موالي موسى بن نُصير(١٧٠) .

ثم سار ميسرة الى اسماعيل بن عبيدالله بن الحبحاب ، وكان يلي السوس الأقصى لابيه ، فقتله(١٧١) .

فلما سمع ابن الحبحاب بمقتل عامله وابنه « ... كتب الى حبيب بن ابي عبيدة ، يأمره بالرجوع من صقلية ، ليأخذ في الحركة مع أهل أفريقية الى ميسرة(١٧٢) ، ولما كان الوقت لا يسمح بانتظار جيش حبيب بن أبي عبيدة ، فقد أسرع ابن الحبحاب بارسال خالد بن حبيب الفهري ، على رأس جيش ضم اشراف العرب وحماتهم ، للقضاء على الثورة(١٧٣) .

تقدم جيش حبيب نحو مركز الثورة « ... من فوره حتى لقي ميسرة دون طنجة ، فأقتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله ، ثم أنصرف ميسرة الى طنجة ، وانكرت البربر عليه سوء سيرته ، وتغيره ، عما كانوا بايعوه عليه . وقد بويع بالخلافة فقتلوه(١٧٤) .

ويرى الأستاذ مؤنس أن معركة قد دارت قبل هذه بين العرب والبربر ، قرب طنجة انتصر فيها البربر ، بقيادة ميسرة وقد أفقده النصر صوابه ، فأساء

---

(١٧٠) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٣ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٢ ، ويسميه ابن جريج وابن خلدون ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٢٤٠ويسميه ابن خديج ، وابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٦٨ .

(١٧١) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٣ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٢ .

(١٧٢) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٣ ، القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١٠٩ .

(١٧٣) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٣ ، والقيرواني ، المصدر نفسه ، ص١٠٩ ، وابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، صص٢٩٣-٢٩٤ .

(١٧٤) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١١٠ ، وابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٤ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٣ .

السيرة ، فقتله أتباعه[١٧٥] ، ولا يذكر مؤنس اسم قائد الجيش العربي في المعركة ، المشار اليها ، لكن أمير علي يذكر أنه خالد بن حبيب[١٧٦] .

وربما أراد الاستاذ ان مؤنس وأمير علي ان يتخلصا من اللبس ، في تحديد مواقع المعارك التالية التي سنشير اليها ، وربما لبس الأمر عليهما أيضا ، نتيجة لأضطراب الروايات في بعض المصادر ، فان المعركة التي وقعت قرب طنجة بقيادة ميسرة وقتل على اثرها ، كان قائد الجيش العربي فيها خالد بن حبيب الفهري ، على ما أسلفنا .

أما الأستاذ عبدالحميد ، فيرى ان المعركة وقعت ، قرب وادى شلف (نهر الشليف) ، وأنسحب ميسرة على أثرها في ظروف لا نعرفها تماما . وحصل انشقاق بين ميسرة وأتباعه . الذين أخذوا عليه انسحابه من المعركة ، وانتهى الأمر بمقتله[١٧٧] .

وربما أراد الأستاذ عبدالحميد أيضا ان يتخلص من اللبس حول تحديد امكنة بعض المعارك التالية ، فاستنتج أن المعركة السالفة وقعت قرب وادى شلف ليوضح ان المعركة التي وقعت بعد معركة وادى شلف ، حسب رأيه ، والتي لا تشير المصادر الى موقعها ، هي التي وقعت قرب طنجة ، خلاف ما تذكره المصادر ، من ان المعركة التي قادها ميسرة هي التي وقعت قرب طنجة ، على ما أسلفنا .

وعلى ما يبدو فان الجيش العربي تقدم مسرعا نحو طنجة . قال القيرواني : « ... ومضى خالد ... من فوره حتى لقي ميسرة دون طنجة[١٧٨] » .

ولم تكن المعركة في صالح أحد الجيشين ، ويذكر السلاوي أن الجيشين

---

(١٧٥) فجر الاندلس ، ص١٦٦ .
(١٧٦) مختصر تاريخ العرب ، ص١٤٣ .
(١٧٧) تاريخ المغرب العربي ، صص٢٥٨-٢٥٩ ، ويذكر الاستاذ فروخ (تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية ، صص١٨٤-١٨٥) أن المعركتين وقعتا قرب وادي شلف (الشليف) .
(١٧٨) تاريخ أفريقية والمغرب ، ص١١٠ .

قد تحاجزا ، فانصرف ميسرة الى طنجة[179] • وربما تحصن بها ، ولم يرضَ أتباعه عما حصل ، فقتلوه « ••• وولوا أمرهـم خالد بن حميد الزناتي[180] ، أما الجيش العربي ، وقد شعر قائـده بقوة البربر ، فربمـا انسحب نحو وادي شلف وعسكر هناك ، لانتظار جيش حبيب بن ابي عبيدة ، وهو يعلم أنه سيتبعه •

اما البربر فبعد ان قتلوا ميسرة ، وبايعوا خالد بن حميد الزناتي ، توجهوا للحاق بالجيش العربي ، وربما كان ميسرة معارضا لذلك فقتلوه ، فلما وليهـم الزناتي لحقوا بالعرب فادركوهم عند وادي شلف « ••• فـكان بينهـم قتـال شديد ، فبينما هم كذلك اذ غشيهم ابن حميد الزناتي بعسكر عظيم ، فتـكاثرت عليهم البربر وانهزموا ، فـكره خالد أن ينهزم فالقى بنفسـه هو وأصحابه الى الموت ، فقتل خالد بن أبي حبيب وجميع من معه حتى لم يبقَ من أصحابه رجل واحد ، وقتل فيهـا جماعـة من العرب وفرسـانهم فسـميت تلك الوقعـة غزوة الأشراف[181] » •

وكان ذلك في أواخر عام ١٢٢هـ ، او في محرم عام ١٢٣هـ[182] • وربما كان خالد الزناتي ، قد أعد كمينا ، وربما قسم جيشه قسمين قبل المعركة وعنـد بدئها ، فاجأ خالد العرب من الخلف بالقسم الذي يقوده ، فانهزمت عامة الجيش، وثبت خالد ومن معه من رؤوساء العرب وأشرافهم فقتلوا جميعا ، لذا سميت هذه المعركة ، بغزوة الاشراف •

ويذكر فلهاوزن وغيره من المؤرخين أن ابن الحبحاب ، قد طلب من واليه على الأندلس عقبة بن الحجـاج السلولي ، أن يقضي عـلى الثورة ، فعبر الى أفريقية ، وقاتل البربر ، لكنه لم ينجح في اخماد الثورة فقد ثار عليه اتباعـه

---

(١٧٩) كتاب الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ج١ ، ص٤٩ •
(١٨٠) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١١٠ •
(١٨١) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص‌ص١١٠-١١١ ، وابن عذارى ، المصدر نفسـه ، ج١ ، ص‌ص٥٣-٥٤ ، وابن عبدالحكم ، المصدر نفسـه ، ص‌ص ٢٩٣-٢٩٤ •
(١٨٢) ابن خياط ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٦٨ •

فخلعوه ، واختاروا عبدالملك بن قطن الفهري[183] .

ونرى من المناسب ، ان نذكر ان الاستاذ عبدالحميد اعتمـــد على روايات بعض المؤرخين المسلمين[184] ، وربما كانت بعض نصوص الروايات الواردة ، بهذا الشأن ، والتي اعتمد عليها عبدالحميد ، لا تؤيد ما ذهب اليـــه ، كما يبدو بعضها الآخر مرتبكا .

أما ما ذهب اليـه كل من الأسـتاذين فلهـاوزن[185] ، ومؤنس[186] في تأكيدهما على الرواية السالفة ، فقد اعتمدا على رواية المؤرخ الأسباني ايزيدور ، التي لا تؤيدها أغلب المصادر الأسـلامية ، وليس هنـاك ما يدعو لاغفـال حدث كالذي سبق[187] .

وربما ثار البربر في الأندلس ، ويحتمل ايضا ان طائفة من العرب ، بقيادة عبدالملك بن قطن الـذي ظل ينشـد الزعـامة حتى آخر رمق من حيـــاته ، قد أيدوا الثورة .

---

(١٨٣) تاريخ الدولة العربية وسقوطها ، صص٣٣٠-٣٣١ ، ومؤنس ، المصدر نفسه ، صص ١٦٦-١٦٧ ، وعبدالحميد ، المصدر نفسه ، ص٢٥٧ .

(١٨٤) تاريخ المغرب العربي ، ص٢٥٧ ، حاشية رقم (٣) .

(١٨٥) تاريخ الدولة العربية وسقوطها ، ص٣٣٠ .

(١٨٦) فجر الاندلس ، ص١٦٧ ، حاشية رقم (١) .

(١٨٧) قال صاحب اخبار مجموعة (ص ٢٩) « ... وثب كل اقوم من البربر على من يليهم فقتلوا وطردوا فلما شغل صاحب افريقية بشر بن صفوان بما حدث عليه وثب عبدالملك بن قطن المحـــاربي ، محارب فهر على عقبة بن الحجاج فخلعـــه ولا ادرى اقتله ام أخرجـــه فملكها بقيـة احدى وعشرين » .

اما ما ورد عند ابن الاثير (ج٥ ، ص١٩٣) فبعد كلامـــه عن معركـة الاشراف يقول « ... وبلغ اهل الاندلس الخبر [غزوة الاشراف] فثاروا بأميرهم عقبة بن الحجاج فعزلوه وولوا عبدالملك بن قطن » ويرد نفس النص تقريبا عند ابن عذارى (ج١ ، ص٥٤) . وربما كان نصا ، ابن الاثير ، وابن عذارى منقولان عن القيرواني والـذي لم يتيـسر للاستاذ عبدالحميد رؤيته فقد حقق ونشر بعد طبع كتابه .

قال القيرواني (تاريخ افريقية والمغرب ، ص١١٠) « ... وبلغ اهـل الأندلس ثورة البربر فوثبوا على أميرهم عقبة بن الحجاج السلوى فقتلوه وولوا عبدالملك بن قطن الفهري » .

وقد سبقت الأشارة الى ذلك ، عند كلامنا عن ولاة الأندلس . وربما قاتل عقبة البربر الثائرين ، وقتل بعضهم ، وربما أرسل الى ابن الحبحاب ، طلبا لمساعدته فأجابه ان يعتمد على نفسه ويقضي على الثورة ، فأوقع ذلك بعض مؤرخينا في اللبس فاعتقدوا أن ابن الحبحاب هو الذي طلب المساعدة وان عقبة عبر الى أفريقية ولما فشل في القضاء على ثورتها رجع الى الأندلس فثار عليه أتباعه وخلعوه .

وصل جيش حبيب بن أبي عبيدة ، من صقلية ، فأرسله ابن الحبحاب مباشرة في اثر جيش خالد ، لكن حبيباً عسكر عند وادى شلف ولم يتقدم[188]. ويرى الأستاذ عبدالحميد[189] ، ان وصول حبيب من صقلية ، كان بعد وصول نبأ غزوة الأشراف ولا يبدو أن ذلك رأيا مقنعا فرواية ابن عبدالحكم التي اعتمد عليها الأستاذ عبدالحميد تبدو مضطربة[190] . وتؤكد الأحداث التالية ، ان ابن الحبحاب ، لم يبق لديه جيش بعد ارسال جيش عبيدة ، فبعد وصول خبر غزوة الأشراف « ... اختلفت الأمور على عبيدالله بن الحبحاب ، واجتمع الناس وعزلوه عن أنفسهم[191] » ، ويبدو أنه ، فقد السيطرة ، على البلاد ، تماماً ، وفي حالة كهذه ، ربما يكون من الأفضل ان يُبقي ابن الحبحاب جيش حبيب في القيروان ، ومن المستبعد ان يجازف بارساله ، وعلى الأرجح فان ابن الحبحاب أرسل جيش حبيب في اثر جيش خالد قبل وصول خبر موقعة الأشراف ، لكن حبيباً لم يشأ ان يُسرع بجيشه للحاق بجيش خالد ، فقد فضّل ان يعسكر عند وادي شلف[192] ، عندما سمع بأنباء وقعة الأشراف ، وتوجه بعدها الى تلمسين

(188) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص110 ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج1 ، ص53 .
(189) تاريخ المغرب العربي ، ص260 .
(190) فتوح مصر والمغرب ، ص294 .
(191) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص111 ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج1 ، ص54 .
(192) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج1 ، ص53 .

(تلمسان)[193] وتحصن بها على الأرجح و « ... أخذ موسى بن أبي خالد مولى لمعاوية بن حديج ، وكان على تلمسين ، وقد اجتمع اليه من تمسك بالطاعة ، فأتهمه حبيب أن يكون له هوى ، أوقد دس للفتنة فقطع يده ورجلـه ، وكان مقيما بتلمسين في جيشه[194] » .

ويبدو أن تلك الأخبار السيئة وصلت الى هشام ، فلما سمع بها قـال « ... أقتل أولئك الرجال الذين كانوا يفدون علينا من المغرب أصحاب الغنائم ؟ قيل : نعم يا أمير المؤمنين ، قـال : والله لاغضبن لهم غضبـة عربيـة ، ولأبعثن اليهم جيشا أوله عندهم وآخره عندي ، ثم لا تركت حصن بربري ، الا جعلت الى جانبه خيمة قيسي او تميمي ، ثم كتب الى ابن الحبحاب بقدومه عليه ، فخرج في جمادي الاولى سنة ثلاث وعشرين ومائة[195] » .

ويذكر القيرواني ان حبيبا كان موافقا للبربر على وادي شلف ، عند وصول جيش دمشق على ما سيأتي[196] .

ولما كانت تلمسان غير بعيدة عن وادي شلف فمن المرجح أن يدخلهـا حبيب ويتحصن بأسوارها ، بانتظار جيوش الخلافة[197] .

وفعلا فقد بـرّ هشام بقسمه ، وأرسل جيشاً عرباً عظيماً ، وان لم يكن قادته من المضرية ، فقد أسند قيادة جيشه لكلثوم بن عياض القسري « ... وجعل ولي عهده ان هلك ، وكان شيخا كبيرا ، ابن أخيه بلج بن بشر[198] ، فـان هلك بلج فثعلبة بن سلمة[199] . العاملي ، ... وندب [هشام] من أجنـاد

---

(193) يسميها ابن الاثير (ج٥ ، ص١٩٢) تلمسان كما يُطلق عليها حاليا .

(194) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٤ .

(195) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١١١ .

(196) تاريخ أفريقية والمغرب ، ص١١٣ .

(197) يذكر ابن الاثير (ج٥ ، ص١٩٢) ان حبيب بن أبي عبيدة كان بتلمسان مواقف للبربر عندما وصلت جيوش الخلافة الى افريقية .

(198) يذكر ابن عذارى (البيان المغرب ، ج١ ، ص٥٤) ان بلجا ابن عم كلثوم وليس ابن أخيه .

(199) ايضا (ج١ ، ص٥٦) ويسمية ثعلبة بن سلامة العاملي ، وكذلـك ابن القوطية (تاريخ افتتاح الاندلس ، ص٤١) .

الشام من كل جند ستة الاف ومن أهل قنسرين ثلثه الاف ، فأخرجه من الشام في سبعة وعشرين الفا ... ثم أقبل الى مصر فأخرج [كلثوم] من أهلها ثلثه الاف فتم بعثه ثلثين الفا من أهل الديوان سوى من تبعهم من الناس[٢٠٠] » ، وتشير بقية رواية صاحب أخبار مجموعة أن هشاماً أخرج مع كلثوم هارون القرني مولى معاوية بن هشام ، ومغيثا مولى الوليد بن عبدالملك وأمره أن يستشيرهما ، كما أعطاه الأمرة على جميع أفريقية[٢٠١] ، فسار مع كلثوم « ... عمال مصر وبرقة وطرابلس حتى قدم افريقية في رمضان ١٢٣[٢٠٢] ».

ويظهر ان اعداد جيش كلثوم ووصوله الى القيروان كان في منتهى السرعة حيث انه تحرك من الشام في شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٣هـ[٢٠٣] ، ووصل القيروان في شهر رمضان من السنة نفسها[٢٠٤] ، مما يترك في النفس اعتقادا بأن المشرفين على اعداد هذا الجيش ارادوا سرعة القضاء على الثورة قبل استفحال أمرها وتوسعها .

اختلفت الروايات في عدد جيش كلثوم ، فصاحب أخبار مجموعة ، يذكر اضافة الى ما سبق ان العرب الفارين من البربر وغيرهم من أهل أفريقية ، إنضموا الى جيش كلثوم ، فقد « ... خرج اليه منها [أفريقية] فيما يقال بشرا كثيرا من أهل أفريقية ومن كان معه من أهل طنجة من العرب حتى تم بعثه سبعين الفا[٢٠٥] » .

اما روايتا القيرواني وابن عذارى فلا تشيران الى العدد الكامل للجيش ،

---

(٢٠٠) أخبار مجموعة ، صص٣٠-٣١ .
(٢٠١) أخبار مجموعة ، ص٣١ .
(٢٠٢) ابن عذاري ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٤ ، والقيرواني ، المصدر نفسه ، ص١١٣ .
(٢٠٣) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٤ .
(٢٠٤) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١١٣ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٤ .
(٢٠٥) أخبار مجموعة ، ص٣١ .

وانما تذكران ان كلثوماً خرج من الشام بأثنى عشر الف جندي فقط[٢٠٦] ، وعلى رواية أخرى لابن عذارى ان عدد جيش كلثوم كان ثلاثين الفا ، عند وصوله الى وادي سبو[٢٠٧] . واني أميل الى ترجيح رواية صاحب أخبار مجموعة وأرى أنها أوثق الروايات لانه يقدم لنا وصفا تفصيليا لجيش كلثوم ، كما ان الأعداد التي يقدمها غيره ، تبدو قليلة خاصة وأن كلثوماً كان يأخذ جندا ، ومتطوعة ، من الأقاليم التي يمر بها كمصر واطرابلس (طرابلس) والقيروان ، اضافة الى جيش حبيب بن أبي عبيدة في تلمسان[٢٠٨] . ومن غير المحتمل ان يرسل هشام جيشا ، قليل العدد في ظروف كالتي سبقت .

وصل جيش كلثوم الى القيروان فعدل عنها ، ونزل على مسيرة يوم منها ، عند مدينة سبيبة ، ويبدو أن وفداً من رؤوساء عرب أفريقية استقبل جيش كلثوم «...وكان على طلائعه بلج بن بشر القيسي[٢٠٩] ، فلما وصل بلج الى القيروان، قال : يا أهل أفريقية لا تغلقوا أبوابكم حتى يعرف أهل الشام منازلهم[٢١٠] مع كلام يغيظهم به ، فكتب عرب أفريقية الى حبيب بن ابي عبيدة ، وهو مواقف للبربر : انك تواقف عدوا ، وهذا عدو قد نزل بنا يريد نزول ديارنا علينا وعرفوه بما قال . فكتب حبيب بن أبي عبيدة الى كلثوم : ان ابن عمك السفيه[٢١١] ، قال لاهل بلدنا كذا او كذا . فأرحل بعسكرك عنهم والا حولنا

---

(٢٠٦) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١١٣ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٤ .

(٢٠٧) ايضا ، ج١ ، ص٥٥ ، وسبو : بضم أوله وثانيه ، نهر بالمغرب قرب طنجة من أرض البربر (ياقوت ، معجم البلدان مادة سبو ، ج٣ ، ص١٨٦) .

(٢٠٨) عبدالحميد ، المصدر نفسه ، ص٢٦٢ .

(٢٠٩) كذا والصحيح القسري ، كما ورد عند الطبري (ج٧ ، ص٢٥٥) وهو ابن عم خالد القسري ، والي العراق . وكان واليا على دمشق قبل ارساله الى أفريقية .

(٢١٠) كذا والصحيح منازلكم ، كما ورد عند ابن عذارى (البيان المغرب ، ج١ ، ص٥٤) .

(٢١١) هو ابن أخيه على ما أسلفنا .

اعنة الخيل اليك ، فكتب كلثوم الى حبيب يعتذر اليـه ، ويأمره أن يقيم بشلف ولا يجاوزه حتى يقدم عليه[٢١٢] » .

ويرى الأستاذ مؤنس ان سبب الخلاف بين جيش كلثوم وأهل القيروان ، شتم بلج لهم وتهديده أياهم ، بأن أهل الشام جاءوا للاستقرار بأفريقية[٢١٣] . وعلى ما يبدو فان الأستاذ مؤنس حمل النص اكثر مما يفسر به ، فربما قال بلج ذلك استهزاءا بعرب القيروان لاغاضتهم ، وربما كانت الحوادث التالية تؤيد ما ذهبنا اليه ، فقد شتم بلج حبيبا عندما التقيا على وادي شلف ، وكان بلج شاباً غراً لم تحنكه تجارب السنين ، ومن المحتمل ايضا أن قادة جيش الخلافة كانوا يرون أن عرب أفريقية ، قصروا بواجبهم ولم يتمكنوا من اخضـــاع البربر ، وكـان تصرف بلج أثناء المعركة مع البربر يدل أيضا على استخفافه بهم .

ونرى من المناسب ان نشير الى أن كلثوما ، بعد أن رأى تقهقر جيشـــه أمام البربر ، على ما سيأتي ، أخبر حبيبا ان هشاماً أوصاه أن يعطي القيادة لـــه ، فأعتذر حبيب عن قبولها ، محتجا بتأخر قول كلثوم والعرب في موقف حرج[٢١٤] ، وربما توضح لنا الرواية أيضا ، ان تصرف بلج مع عرب القـيروان وحبيب ، كان مجرد صراع على السلطة ورغبة بلج بالانفراد بها .

سار كلثوم بجيشه الى الغرب ، بعد أن استخلف على القيروان عبدالرحمن ابن عقبة الغفاري ، قاضي أفريقية ، على الصلاة ، ومسلمة بن ســـوادة القرشي على الحرب[٢١٥] .

ومما يلاحظ ان عبيدالله بن الحبحاب ، ترك القيروان في جمادى الاولى من عام ١٢٣هـ ، على ما اسلفنا ، كما ان كلثوما وصل القيروان في شهر رمضان ،

---

(٢١٢) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١١٣ ، وابن عذاري ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٤ .
(٢١٣) فجر الاندلس ، ص١٧٢ .
(٢١٤) ابن عبدالكم ، المصدر نفسه ، ص ص٢٩٥-٢٩٦ .
(٢١٥) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٤ ، والقيروني ، المصدر نفسه ، ص١١٣ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص٥٤-٥٥ .

ونزل قريبا منها في سبيبة وأفطر فيها[٢١٦] ، ولا تشير المصادر الى خلف لعبدالله ابن الحبحاب بعد تركه للقيروان ، الى وصول كلثوم ، فمن كان يليها اذا خلال تلك الفترة ؟ ويظهر أن رؤوساء عرب أفريقيـة الذين طردوا ابن الحبحاب ، على ما أسلفنا ، استمروا على ادارة شؤون الولاية ، الى ان وصلها كلثوم ، ومعه أمر التفويض من هشام[٢١٧] ، لكن المصادر لا تشير الى أسماء أولئك الرؤوساء ، ولا الى كيفية إختيارهم ، وهذا ربما يوضح لنا جانبا آخر من جوانب سياسة ابن الحبحاب ، تلك السياسة التي ادت الى ثورات البربر في افريقيـة ، فقد قسى على الجميع ، ولم يقتصر تعسفه على البربر وحدهم ، بل شمل عرب أفريقية أيضا ، واذا قيل ان عدم الرضا جاء بعد فشل ابن الحبحاب في السيطرة على الثورة ، فلن يكون ذلك عذرا مقنعا ، فربما كانوا يتحينون الفرصة لعزله ، وقد هيأتها لهم الظروف ، فانتهزوها وعزلوه .

وصل جيش كلثوم الى وادي شلف ، وربما الى تلمسان ، فلما وصل بلج الى « عسكر حبيب رفضه ، واستهان به ، وتنقصه ، وقال : هذا الذي يحول أعنة الخيل الينا ، فقام اليه عبدالرحمن بن حبيب ، وهو اذ ذاك حدث السن وقال : يا ابن أم بلج ، هذا حبيب فاعرض له للمقابلة ، اذا شئت ، وصاح بالناس السلاح السلاح ، فمال أهل أفريقية الى ناحية ومعهم أهل مصر ، ومال أهل الشام الى ناحية ، ثم سعى بينهم بالصلح[٢١٨] .

ويضيف ابن عبدالحكم أن كلثوماً شتم حبيباً وأهل بيته[٢١٩] . أيضا ، لكن ذلك لايبدو أمراً مؤكداً ، فان الفريقين شهر السلاح على بعضهما ، بعد

---

(٢١٦) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٥ .
(٢١٧) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١١٣ .
(٢١٨) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١١٣ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٥ .
(٢١٩) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٥ .

كلام بلج ، ومن المرجح ان كلثوماً لم يتصرف بما يغضب حبيب ، ومن معه من عرب أفريقية ، والا لكانت الحرب قد نشبت بينهما ، وما يذكره ابن عبدالحكم على أنه وقع ، عند لقاء الجيشين قرب تلمسان ربما وقع قُبيل المعركة مع البربر عند وادي سبو على ما سيأتي .

توجه الجيش العربي بأجمعه نحو طنجـــة . فالتقى بالبربر على حوض وادي سبو ، وكان يقودهم خالد بن حُميد الزناني[٢٢٠] ، عند موضع لم يحدده المؤرخون بالضبط يسمي نقدورة او بقدورة[٢٢١] .

نظم كلثوم صفوف جيشه ، فجعل مغيثاً على رجاله أفريقية وعلى خيلهـا هارون القرني[٢٢٢] ، وكان بلج بن بشر على خيل أهل الشام ويبدو أن عـدد البربر كان عظيماً ، لذا أشار كل من هارون القرني ومغيث على كلثوم ان يخندق على جيشه[٢٢٣] ، وقد أيدهما بهذا الرأي حبيب بن أبي عبيدة ، وقال لكلثوم قاتلهم الرجاله بالرجاله والخيل بالخيل[٢٢٤] .

ويبدو أن كلثوماً لم يأخذ برأي حبيب وأجابه « ما أغنانا عن رأيك يا ابن أم حبيب[٢٢٥] ، كما لم يوافق كلثوم على رأي مغيث وهارون ، القائـل ، بان يخندق على جيشه ويرسل الخيل الى قرى البربر[٢٢٦] ، ويشير صاحب أخبار مجموعة أن سبب رفض كلثوم لاراء قواده ، يرجع الى عدم موافقة بلج « ... وكان [كلثوم] لايعصيه[٢٢٧] ، وكان من رأي بلج ان يصدم البربر بالخيـل

---

(٢٢٠) أيضا ، ص٢٩٥ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٥ .

(٢٢١) يسميها صاحب أخبار مجموعة (ص٣٢) بقدورة ، ويسميها ايضا (ص٣٩) نقدورة ، أما ابن القوطية (تاريخ افتتاح الاندلس ، ص٤١) فيسميهـا نقدورة بالفاء .

(٢٢٢) أخبار مجموعة ، ص٣١ .

(٢٢٣) ايضا ، ص٣٢ .

(٢٢٤ ، ٢٢٥) ابن عبدالحكم المصدر نفسه ، ص٢٩٥ .

(٢٢٦ ، ٢٢٧) أخبار مجموعة ، ص٣٢ .

« ... ليدوسهم بها وكانت الخيل أوثق في نفس كلثوم من الرجالة ، وان بلجاً أسرى ليلة حتى واقعهم [البربر] عند الصبح ، فاستقبلوه عـراة متجردين ، وضاحوا بالخيل »(٢٢٨) . ويضيف صاحب أخبار مجموعة أيضا ، ان البربر وضعوا الحجارة في الجلود اليابسة وعلقوها بأذناب خيولهم ، فنفرت خيل العرب منها(٢٢٩) ، فأنهزم بلج « ... وتساقطت الخيول على كلثوم »(٢٣٠) ، فشعر أنه خسر المعركة أو كاد ، لذا أرسل الى « ... حبيب بن أبي عبيدة ، فقال : أن أمير المؤمنين أمرني أن اوليك القتال وأعقد لك عـلى الناس ، فقال حبيب : قد فات الأمر وزحف رجالة البربر على أثر الخيل حتى خالطوا كلثوما واصحابه، فأقسم حبيب على أبنه عبدالرحمن الا ينزل راجلا وان يلـزم بلجاً»(٢٣١) ، ويوضح لنا صاحب أخبار مجموعة موقف بلج ، فقد خالطه البربر « ... ولم تجد الخيل موضعا تشد فيه ، فلما رأى بلج شدة اقحامهم شد شدة اشتعال ، حتى شق جميعهم [البربر] كله ، فذهب يكر فاستقبلوه بالقتال ، فصـارت طائفة تقاتل كلثوماً ، وطائفة تقاتل بلجاً ، فحالوا بينه وبين الرجوع الى عسكره، وصار في دبر عسكر البربر يقاتله طوائف منهم ، وقد كاثروه(٢٣٢) ، واتجهت القوات الرئيسة للبربر الى كلثوم ، واكثروا في جيشه القتل وجرح كلثوم ، لكنه ثبت حتى قتل ، وهو يقرأ القرآن(٢٣٣) ، وقتل معه حبيب بن أبي عبيدة ، وسليمان بن المهاجر ، وقتل مغيث وهارون(٢٣٤) ، وانهـزم جيش كلثوم

---

(٢٢٨) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٥ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه، ج١ ، ص٥٥ .

(٢٢٩) أخبار مجموعة ، ص٣٣ .

(٢٣٠ ، ٢٣١) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٦ .

(٢٣٢) أخبار مجموعة ، ص ص٣١-٣٢ .

(٢٣٣) أيضا ، ص٣٢ .

(٢٣٤) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٦ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه، ج١ ، ص٥٥ ، واخبار مجموعة ، ص٣٢ .

والبربر ، ... يقتلونهم ويأسرونهم ف ⅓ أهل الجيش مقتول و ⅓ مهـــزوم و ⅓ مأسور »[٢٣٥] .

واستدار البربر نحو بلج ، فلم يستطع مقاومتهم فهرب نحـــو طنجة ، وكانت محصنة فلم يستطع دخولها فاتجه نحو سبته فدخلها وتحصن بها[٢٣٦] . ولحقه البربر بقيادة أبي يوسف الهواري ، أحد طواغيت البربر ، فقاتلهم بلج وهزمهم اكثر من خمس مرات[٢٣٧] . ثم اتجه الى الاندلس للمساعدة ، على اخضاع البربر الثائرين فيها ، وبقي هناك ، ثم قامت حروب بينه وبين عبدالملك ابن قطن الفهري ، وقد أتينا على بعضها ، في بحثنا السابق عن ولاة الأندلس .

ونرى من المناسب ان نذكر أن العامل الرئيس في خسارة العرب للمعركة، كان الانقسام بين صفوفهم أضافة الى قيادة كلثوم غير الحكيمة ، فأنه لم يأخذ بآراء مستشاريه كما رفض رأي حبيب بن ابي عبيدة ، على ما أسلفنا ، وأطاع بلجاً، وكان معتداً بنفسه ، غير مترو ولا بعيـــد النظـــر ليعطي الأمور ما تستحق من الأهتمـــام .

ويلخص ابن عذارى سبب خسارة العرب للمعركة بقوله « ... كان ... الاختلاف سبب هلاكهم ، مع سوء رأي كلثوم وبلج »[٢٣٨] .

ومما يلاحظ ان المؤرخين اختلفوا ايضا في تحديد وقت وقوع المعـركة ، فيورد ابن عبدالحكم روايتين يقول في احداهما أن المعركة وقعت عام ١٢٣هـ[٢٣٩]،

---

(٢٣٥) أخبار مجموعة ، ص٣٢ .
(٢٣٦) أخبار مجموعة ، صص ٣٤-٣٥ ، ويذكر الاستاذان عبدالحميد (صص ٢٦٤-٢٦٨) ومؤنس (صص١٧٢-١٧٦) ، وصفا مفصلا للمعركة المشار اليهـــا .
(٢٣٧) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٦ .
(٢٣٨) البيان المغرب ، ج١ ، ص٥٥ ، وأمير علي ، المصدر نفسه ، ص١٤٤ .
(٢٣٩) فتوح مصر والمغرب ، ص٢٩٦ ، ويؤيد الاستاذ عبدالحميد (ص٢٩٧) الرواية القائلة ان المعـــركة حصلت في عام ١٢٣هـ وان كان لا يحـــدد الشهر الذي وقعت فيه .

ويذكر في الثانية أنها وقعت عام ١٢٤هـ[٢٤٠] ، وعلى ما أسلفنا ، فان وصول جيش كلثوم الى القيروان كان في شهر رمضان من عام ١٢٣هـ ، وكان اعداد الجيش سريعاً ، فمن المستبعد أن يتأخر كلثوم في مسيرة نحو البربر ولما كانت المعركة عند وادي سبو ، قرب فاس على الأرجح كما سبق وان ذكرنا ، فيمكن التوفيق بين روايتي ابن عبدالحكم السالفتين • ذلك ان ابن خرداذبة يذكر ، ان المسافة بين « أفريقية [القيروان] وبين تاهرت مسيره شهر على الأبل »[٢٤١] ويذكر أيضا ، أن تاهرت تبعد عن فاس ، مسيرة أربع وعشرين ليلة[٢٤٢] • ولما كان جيش كلثوم قد ترك القيروان في شهر رمضان ، فربما أستغرق مسيرة اكثر من شهرين للالتقاء بالبربر قرب فاس حيث دارت المعركة بين الجيشين في نهاية عام ١٢٣هـ ، ولم يصل خبر تلك المعركة الى دمشق الا في أوائل عام ١٢٤هـ ، على الأرجح ، ويؤيد ذلك ان حنظلة بن صفوان الكلبي ، الوالي الذي حل مكان كلثوم بعد مقتله ، وصل القيروان في ربيع الآخر عام ١٢٤هـ[٢٤٣] •

ويظهر ان بربر المغرب ، لم يتجهوا بقيادة ، خالد بن حميد الزناتي نحو القيروان ، وكل ما يذكره ابن عذارى « ••• أن الصفرية رجعت الى مدينة القيروان لنهبها واستباحتها في ثلاث مائة ألف من البربر مع أمير منهم ••• وكان طريفاً من جملة قواد هذا العسكر »[٢٤٤] • وكان طريف ، كما ذكرنا من أوائل الثوار ، الذين نشروا مبادىء الخوارج الصفرية بين البربر • وكان طريف رئيساً لقبيلة برغواطة ومن أتباع ميسرة ، ومن المحتمل أنه كان على

---

(٢٤٠) فتوح مصر والمغرب ، ص٢٩٦ ، ويؤيد الاستاذ مؤنس (ص١٧٥) الرواية القائلة ان المعركة وقعت في عام ١٢٤هـ • ويذكر صاحب اخبار مجموعة (ص٣٦) ان المعركة وقعت ١٢٢هـ •

(٢٤١) المسالك والممالك ، ص٨٨ •

(٢٤٢) أيضا ، ص٨٩ •

(٢٤٣) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١١٥ •

(٢٤٤) البيان المغرب ، ج١ ، ص ص٥٦–٥٧ •

رأس أتباعه ، عندما اشترك في مهاجمة القيروان ، لكن ابن عذارى لا يشير الى اشتراك بربر طنجة في الهجوم على القيروان • وربما التحق طريف مع نفر يسير من اتباعه بالجماعات التي هاجمت القيروان قبله ، لأن « ••• البربر أقتسموا بلاد أفريقية وحربها وأموالها ، فهزمهم الله بأهل القيروان ••• وخبرهم طويل يمنع من ايراده هنا خيفة التطويل[٢٤٥] •

وربما كان اقتسام البربر لأفريقية وغنائمها سببا منع الجيش البربري من التوغل نحو المشرق • وتمر المصادر مراً سريعاً فلا تشير الى ما حصل للعرب الفارين من معركة وادي سبو وكل ما تذكره يتعلق بما حصل حول القيروان والمناطق المجاورة لها •

وصل خبر مقتل كلثوم الى هشام ، في أوائل عام ١٢٤هـ ، فأقسم «••• لئن بقي ليخرجن اليهم مائة الف كلهم يأخذ العطاء ، ثم ليخرجن مائة الف ، ثم ليخرجن حتى اذا لم يبق غير نفسه وغير بنيه (بينهم[٢٤٦] كذا) أقرع بينه وبينهم ثم أخرج نفسه ان وقعت عليه القرعة »[٢٤٧] •

وأرسل هشام الى حنظلة بن صفوان ، والي مصر ، أن يُسرع بالمسير الى القيروان ، خونا عليها من البربر ، والا يبرحها الا بأمره ، فسار اليها حنظلة في ثلاثين ألفا[٢٤٨] •

وصل حنظلة الى القيروان في ربيع الآخر عام ١٢٤هـ[٢٤٩] ، وأمده هشام بعد ذلك بجيش عدده ، عشرين الف جندي[٢٥٠] •

---

(٢٤٥) البيان المغرب ، ج١ ، ص٥٧ •
(٢٤٦) هكذا وردت مكررة ولعلها زائدة •
(٢٤٧) أخبار مجموعة ، ص٣٧ •
(٢٤٨) أيضا ، ص٣٦ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٨ •
(٢٤٩) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١١٥ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١، ص٥٨ •
(٢٥٠) أخبار مجموعة ، ص٣٦ •

ويبدو أن الرقمين اللذين يذكرهما صاحب أخبار مجموعة ، عن جيش حنظلة ، مبالغ فيها ، ومع احتمال عجز الخلافة عن ارسال خمسين الف جندي[٢٥١] ، خلال المدة ما بين وصول خبر مقتل كلثوم ، وقبيل معركة القيروان ، فأن حنظلة كان يشعر بقلة جيشه ، قبيل المعركة مع البربر ، فهمّ بطلب المساعدة من هشام ، على ما سيأتي • ويحسن بنا أن نذكر أيضا انه كانت في القيروان ، قبل وصول حنظلة اليها وفضلا عن فلول جيش كلثوم والعرب الملتجئين اليها ، حامية قوية[٢٥٢] •

أما ما يذكره ابن عذارى ، من أن عدد جيش حنظلة الذي دحر البربر كان أثنى عشر الف جندي[٢٥٣] ، فربما كان الرقم يمثل الجيش الذي قاده حنظلة من مصر ، ولا يبدو أن الرقمين يمثلان الحقيقة ، وربما كان الأرجح أن حنظلة استصحب معه اثنى عشر الف جندي من مصر وأمده الخليفة بعشرين الفاً ، اضافة الى حامية القيروان والجنود العرب الملتجئين اليها فكان عدد الجيش خمسين الفاً فلبس الأمر على صاحب أخبار مجموعة فتوهم أن هذا العدد جاء من مصر والشام فقط ، ويؤيد الأستاذ عبدالحميد ان العدد النهائي لجيش حنظلة كان خمسين الفا[٢٥٤] ، اعتمادا على روايتي صاحب أخبار مجموعة السالفتين ، ولا يشير الى جيش القيروان ، وكان كبيرا العدد على ما سيأتي •

كانت ثورة البربر ، قد عمت جميع أفريقية[٢٥٥] ، و « وثب كل قوم من البربر على ما يليهم »[٢٥٦] ، فلما ترك كلثوم القيروان متجها الى طنجة استخلف

---

(٢٥١) سبق أن اشرنا الى الكيفية التي تم بها جمع جيش كلثوم • وكان عظيماً، ومع ذلك لم يتجاوز سبعين الف جندي •

(٢٥٢) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٩٣ •

(٢٥٣) البيان المغرب ، ج١ ، ص٥٧ •

(٢٥٤) تاريخ المغرب العربي ، ص٢٧٢ •

(٢٥٥) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٢ •

(٢٥٦) أخبار مجموعة ، ص٢٩ •

عليها مسلمة بن سوادة القرشي على الحرب وعبدالرحمن بن عقبة الغفاري على الصلاة ، على ما أسلفنا .

ثار عكاشة بن أيوب الفزاري من ناحية قابس جنوب القيروان ، وأرسل أخاه فجمع زناتة ، وحصر أهل سوق سبرت[٢٥٧] ، في مسجدهم ، وكان عليهم حبيب بن ميمون ، وبلغ الخبر ، صفوان بن أبي مالك أمير أطرابلس [طرابلس]، فتوجه الى سبرت ، وهزم البربر وهرب الفزاري الى أخيه بقابس[٢٥٨] .

كما خرج مسلمة بن سوادة ، في أهل القيروان الى عكاشة بقابس ، فقاتل البربر ، عند قابس ، لكن العرب خسروا المعركة ، فأنسحب الجيش العربي الى القيروان ، وتحصن العرب بها ، بقيادة سعيد بن بجرة الغساني[٢٥٩] ، ويعلل الأستاذ عبدالحميد اختفاء مسلمة بانه جرح في المعركة ، وتوفي في القيروان[٢٦٠]. ويستطرد الى القول ، أن اتفاقاً قد تم بين نائبي طرابلس والقيروان ، بعد مقتل مسلمة بن سوادة ، على مهاجمة قابس[٢٦١] ، لكن الفزاري تنحى عنها بعد أن أحس بالخطر ، الى نهر يقال له الجمة ، على بعد اثنى عشر ميلا عن قابس[٢٦٢] ويذهب الأستاذ عبدالحميد الى القول ان نائب طرابلس رجع اليها ، بعد أن سمع بمقتل كلثوم ، فخاف سعيد بن بجرة على جيشه ، ودخل قابس وتحصن بها ، لكن عبدالرحمن بن عقبة الغفاري ، نائب كلثوم أنقذ الموقف وخرج بمن بقي من أهل القيروان ، وهزم عكاشة فيما بين قابس والقيروان[٢٦٣] .

---

(٢٥٧) يذكر ابن خرداذبة (المسالك والممالك ، ص٨٦) أنها تقع الى الغرب من طرابلس وتبعد عنها أربعة وعشرون ميلا ، ويكتبها بالتاء المدورة .

(٢٥٨) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٤ .

(٢٥٩) ابن عبدالحكم ، ص٢٩٥ .

(٢٦٠) تاريخ المغرب العربي ، ص٢٧١ .

(٢٦١) أيضا ، ص٢٧١ .

(٢٦٢) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٨ .

(٢٦٣) أيضا ، ص٢٩٨ . وتاريخ المغرب العربي ، صص٢٧١ـ٢٧٢ .

ولا يؤيد الاستاذ عبدالحميد[٢٦٤] ، رواية ابن عبدالحكم ، القـائلة ان صفوان بن أبي مالك ، ترك طرابلس بناءاً على أمر تلقـاه من كلثوم يطلب مساعدته ، فلما سمع بمقتله رجع الى طرابلس[٢٦٥] .

سبق أن اشرنا ان مسلمة بن سوادة القرشي جرح وخسر المعـركة أمام عكاشة الفزاري وربما مات مسلمة اثناء انسحابه او بعد وصوله الى القيروان على ما استنتجه الأستاذ عبدالحميد .

ويظهر أن عكاشة تبع أثر المنسحبين ، فلما قرب من القيروان ، خـرج اليه نائب الصلاة عبدالرحمن بن عقبة الغفاري ، بأهل القيروان فهزمه ، عنـد حدود تهودة مما يلي سبيبة[٢٦٦] . ويحسن بنا أن نذكر أن ولاية الصـلاة والحرب ، صارتا للغفاري ، بعد مقتل سوادة ، فاستخلف الغفاري سعيد بن بجرة الغساني ، على القيروان ، وتوجه هو الى الفزاري فهزمه ، ورجع الى القيروان ، على الأرجح .

وعلى ما يبدو ، فان أمير طرابلس ، صفوان بن أبي مالك توجه الى قابس ، بعد أن دحر البربر في سبرت ، على ما أسلفنا ، وربما سمع الغفاري بان صفوان توجه بجيشه الى قابس وربما كتب أحدهما للآخر بان يتوجها بجيشهما الىقابس للقضاء على عكاشة[٢٦٧] ، فارسل الغفاري جيشا من القيروان بقيـادة سعيد بن بجرة الغساني[٢٦٨] . الى قابس ، فلما أحس عكاشة باقتراب الجيشين تنحى عن قابس ونزل على نهر الحمة على بعد اثنى عشر ميلا منها[٢٦٩] ، وفي هـذه الأثناء وصل خبر مقتل كلثوم فرجع صفوان الى طرابلس خشية عليها وعلى

---

(٢٦٤) تاريخ المغرب العربي ، ص٢٧١ .
(٢٦٥) فتوح مصر والمغرب ، ص٢٩٨ .
(٢٦٦) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١١٤ .
(٢٦٧) عبدالحميد ، المصدر نفسه ، ص٢٧١ .
(٢٦٨ ، ٢٦٩) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٨ .

جيشه أيضا وبادر سعيد الغساني ، فدخل قابس واحتمى بأسوارها ، خشية من الفزاري ، وكتب ال القيروان يطلب المساعدة ، وربما سمع أهل القيروان بحصار اخوانهم فأسرعوا اليهم بقيادة عبدالرحمن الغفاري ، فالتقوا بالفزاري «.... فيما بين قابس وبين القيروان ، فأنهزم الفزاري وقتل عامة أصحابه[٢٧٠] . وانقـذ عرب القيروان اخوانهم المحاصرين في قابس .

توجه حنظلة من مصر الى القيروان في صفر عام ١٢٤هـ[٢٧١] ، على رواية ابن عبدالحكم . ويشير الكندي ، ان حنظلة ترك مصر لسبع ليال خلون من ربيع الآخر عام ١٢٤هـ[٢٧٢] ، ولما كان حنظلة قد وصل القيروان في ربيع الآخـر عام ١٢٤هـ[٢٧٣] ، على ما أسلفنا ، فمن المستبعد أن يتمكن من قطع المسافة بين الفسطاط والقيروان خلال المدة الباقية من ربيع الآخر[٢٧٤] ، على رواية الكندي السالفة ، وربما كان الأرجح انه تركها في صفر من عام ١٢٤هـ ، ووصـل القيروان في ربيع الآخرة من نفس العام .

وبعد وصول حنظلة الى القيروان ، « ... أخرج عبدالرحمن بن عقبـة الغفاري الى عكاشة بن أيوب الفزاري ، وقد جمع جمعا ، بعد انهزامه قرب قابس فلقيه بمن معه فانهزم الفزاري وقتل عامة أصحابه »[٢٧٥] ويشير ابن عبدالحكم ان الغفاري استطاع ايضا هزيمة عكاشة ثانية[٢٧٦] ، لكنه قتل في المعركة التالية

---

(٢٧٠) ايضا ، ص٢٩٨ .

(٢٧١) ايضا ، ص٢٩٨ .

(٢٧٢) كتاب الولاة ، وكتاب القضاة ، ج١ ، ص٨٢ ، ويؤيد الاستاذ عبدالحميد (ص٢٧١) رواية الكندي السالفة .

(٢٧٣) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص ١١٥ ، وابن عذارى ، المصـدر نفسه ، ج١ ، ص٥٨ .

(٢٧٤) يذكر ابن خرداذبة (المسالك والممالك ، ص‌ص٨٤ـ٨٧) ، ان الطـريق بين الفسطاط ، والقيروان يبلغ اكثر من ١٥٠٠ ميل .

(٢٧٥ ، ٢٧٦) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٨ .

بعد انضمام عبدالواحد[٢٧٧] بن يزيد الهواري الى عكاشة[٢٧٨] . ويبدو ان عكاشة كان يقترب من القيروان المرة تلو الاخرى ، فيضطر عربها لابعاده عنها ، لكنهم فشلوا بعد ان أنضم عبدالواحد الهواري بجموعه الى عكاشة . ويذكر ابن الأثير ان جيشاً خرج من القيروان نحو عبدالواحد بعد هزيمة عكاشة ، ثم رجع الجيش ، لكنه لا يشير الى نتيجة المعركة ولا الى اسم قائد العرب فيها[٢٧٩] . ولعلها كانت المعركة التي قادها عبدالرحمن الغفاري وقتل فيها .

تقدمت جموع البربر بقيادة عكاشة وعبدالواحد نحو القيروان ، بعد مقتل الغفاري لكنهما اختلفا على الرئاسة ، فافترقا عند الزاب[٢٨٠] ، وربما طمع عبدالواحد بان تكون له الرئاسة ، خاصة وان عكاشة لم يستطع هزيمة عرب القيروان ، الا بعد انضمام عبدالواحد اليه .

تقدم عبدالواحد بن يزيد الهواري فاحتل تونس بعد ان بايعه أصحابه « ... بالخلافة ، ثم تقدم الى القيروان ، وانتبذ الفزاري بعسكره ناحية وكلاهما يريد القيروان يتبادران اليها أيهما يسبق صاحبه فيغنم »[٢٨١] ، فاتخذ عكاشة طريق مجانة من الحدود التونسية الجزائرية وعسكر قريباً من القيروان

---

(٢٧٧) يسميه ابن عبدالحكم (ص٢٩٨) عبدالرحمن ولعله تصحيف .

(٢٧٨) أيضا ، ص٢٩٨ .

(٢٧٩) الكامل ، ج٥ ، ص١٩٣، وعبدالحميد، المصدر نفسه ، حاشية ص٢٧٤ . ويذكر القيرواني (ص١١٨) ان المعركة كانت مع عبدالواحد وقادها رجل من لخم وانهزم العرب وقتل منهم عشرين الف فارس .

(٢٨٠) القيرواني ، المصدر نفسه ، صص١١٥-١١٦ .
الزاب : نهر جرار بأرض المغرب على البر الاعظم عليه بلاد واسعة وقرى مستوطنة بين تلمسان وسجلماسة . (ياقوت ، معجم البلدان ، مادة الزاب ، ج٣ ، ص١٢٤) .

(٢٨١) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، صص ٢٩٨-٢٩٩ ، والقيرواني ، المصدر نفسه ، صص١١٥-١١٦ .

« ... على بعد ستة أميال »[٢٨٢] ، في موضع يسمى بالقرن[٢٨٣] .

اما عبدالواحد فنزل على بعد مرحلة من القيروان « ... بمكان يُقال له الأصنام ... وكان عكاشة أقرب الى حنظلة »[٢٨٤] . وكان على مقدمة جيش عبدالواحد أبو قرة العقيلي[٢٨٥] . وكتب عبدالواحد الى حنظلة يطلب منه اخلاء القيروان[٢٨٦] .

فلما رأى حنظلة ما دهمه من جموع البربر ، حتى قيل ان جيش عبدالواحد كان ثلاثمائة الف جندي[٢٨٧] ، خندق حول القيروان وكتب الى عُكاشة « ... يرغبه فيه ويمنيه رجاء الا يجتمعا عليه فلا يقوى عليهما[٢٨٨] ، ويبدو أن عكاشة لم يجب على كتاب حنظلة ، فأستشار أصحابه فيما يفعل ؟ وكان من رأيه ان يحتمي بالقيروان ويرسل الى هشام طلبا للمساعدة لكن عمرو بن عثمان القرشي وكان حدثاً جميل الوجه ، قال « الله الله ياحنظلة اتستمد أمير المؤمنين والكرائم محصورات يمتن هزلا ، بل نخرج الى عدونا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، فعزم حنظلة وعزم الناس »[٢٨٩] .

خرج حنظلة بأهل القيروان الى عكاشة ، لأنه أقرب الى القيروان من

---

(٢٨٢) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٩ .
(٢٨٣) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١١٦ .
(٢٨٤) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٩ ، والقيرواني ، المصدر نفسه ، ص ص١١٥-١١٦ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٨ .
(٢٨٥) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٩ ، ويسميه ابن عذارى (ج١ ، ص٥٨) أبو قرة المغيلي اما القيرواني (ص١١٦) فيسميه ابو عمرة المغيلي .
(٢٨٦) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٩ .
(٢٨٧) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١١٨ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ص١٩٤ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص ٥٦-٥٧ .
يبدو ان الرقم مبالغ فيه لكن المصادر تكاد تجمع على الرقم المذكور .
(٢٨٨) ابن عبدالحكم ، المصدر نفسه ، ص٢٩٩ .
(٢٨٩) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١١٦ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٨ .

عبدالواحد[290] ، ويصف ابن عبدالحكم أهل القيروان بقوله : « ... خرج قوم أيسون من الحياة ، للذي كانوا يكرهون من سبي الذراري وذهاب النساء والأموال»[291] . والتقى حنظلة بعكاشة وبعد قتال شديد « ... هزم الله عكاشة وأصحابه »[292] ، فاسرع حنظلة بعد هزيمة عكاشة بالرجوع الى القيروان خوفاً عليها من عبدالواحد ، وأمضى ليلته بالأستعداد للمعركة القادمة مع عبدالواحد[293] ، فسار اليه والتقى الجيشان عند الصباح وبجميع ما حمله النصر على عكاشة ، من الحماس ، هاجم العرب البربر فهزموهم ، وقُتل عبدالواحد ، وكانت المعركة يوم الثلاثاء ولم يعرفوا بمقتله الا يوم الخميس[294] . أما عكاشة فجيء به اسيرا وكان قد هرب من المعركة ، فقتله حنظلة[295] .

ويرى الأستاذ عبدالحميد ان حنظلة بدأ المعركة مع عبدالواحد ، فلما قضى على جيشه ، اتجه لحرب عكاشة[296] . معتمداً على رواية ابن عبدالحكم التي تبدو مضطربة في نصها[297] .

أما الأستاذ مؤنس فيذكر أن حنظلة اتجه الى القرن وهزم عكاشة ، ثم اتجه الى عبدالواحد بعد أن استعد لذلك استعدادا كبيرا[298] .

ونرى من المناسب ان نذكر ، أن النصوص ، التي تتحدث عن معركتي القرن والأصنام تبدو مضطربة ، وربما كان السبب في ذلك ان المعركتين وقعتا

(٢٩٠ ، ٢٩١) فتوح مصر والمغرب ، ص٢٩٩ .
(٢٩٢ ، ٢٩٣) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١١٦ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٩٣ .
(٢٩٤) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١٢٢ .
(٢٩٥) ايضا ، ص١٢٢ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٩ .
(٢٩٦) تاريخ المغرب العربي ، ص ص٢٧٥-٢٧٦ .
(٢٩٧) فتوح مصر والمغرب ، ص٢٩٩ .
(٢٩٨) فجر الاندلس ، ص١٧٧ .

في وقت متقارب ، كما أن عكاشة قتل بعد هزيمة عبدالواحد ، فأوقع ذلك بعض المؤرخين في اللبس السالف على الأرجح ، ويظهر ان حنظلة اتجه الى أقرب عدويه ، وهو عكاشة ، فلما هزمه اتجه الى عبدالواحد ، ودارت المعركة فتمكن العرب من دحر البربر ، وبعد ان وجد عبدالواحد قتيلا ، بعد يومين من المعركة، على ما أسلفنا ، أسر عكاشة وجيء به الى حنظلة فقتله فكان ذلك مدعاة للخلط بين المعركتين على الأرجح[٢٩٩] .

ومما يجدر ذكره ، ان أغلب المصادر ، لا تحدد الوقت الذي وقعت فيه معركتا القرن والأصنام ، لكن بعضها يذكر ان أخبار النصر وصلت الى هشام وهو على فراش الموت[٣٠٠] .

ولما كانت وفاة هشام في بداية شهر ربيع الآخرة عام ١٢٥هـ . على ما أسلفنا، فان خبر النصر ، وصل الى الشام في مطلع عام ١٢٥هـ على الأرجح ، وكان هشام مريضاً .

ويذكر صاحب أخبار مجموعة ان معركتي القرن والأصنام قد انتهتا « ... في عقب سنة أربع وعشرين ومائة »[٣٠١] ، ولا يحدد الشهر الذي انتهتا فيه .

ولما كان حنظلة قد وصل القيروان في ربيع الآخر عام ١٢٤هـ ، فان روايه

---

(٢٩٩) يذكر المؤرخون وصفا لمعركتي القرن والاصنام ، القيرواني ، المصدر نفسه ، ص‌ص١١٥-١٢٢ ، وابن عذارى المصدر نفسه ، ص‌ص ٥٨-٥٩، وابن عبدالحكم المصدر نفسه ، ص٢٩٩ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ص‌ص١٩٣-١٩٤ ، واخبار مجموعة ، ص٣٦ ، وعبدالحميد ، المصدر نفسه ، ص‌ص٢٧٤-٢٧٦ ، ومؤنس، المصدر نفسه ، ص‌ص ١٧٦-١٧٧ .

(٣٠٠) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٩٤ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه، ج١ ، ص٥٩ ، واخبار مجموعة ، ص٣٧ ، وعبدالحميد ، المصدر نفسه ، ص٢٧٧ .

(٣٠١) أخبار مجموعة ، ص٣٧ .

Ency. Of Islam, Art, Hisham, P. 494

صاحب أخبار مجموعة ، القائلة ، أن النصر قد تم لحنظلة في أواخر عام ١٢٤هـ ، تبدو مقبولة ، وان كانت قد أخطأت في تحديد وقت وفاة هشام[٣٠٢] .

كانت معركتي القرن والأصنام ، من معارك المسلمين المهمة ، فيذكر ابن عذارى أن الليث بن سعد ، قاضي أفريقية قال عنها « ... ما من غزوة كنت أحب أن أشهدها ، بعد غزوة بدر ، أحب الي من غزوة القرن والأصنام[٣٠٣] .

ويبدو أن متاعب حنظلة لم تنته بهزيمة البربر حول أسوار القيروان . فيذكر ابن عبدالحكم ان حنظلة كتب الى أمير طرابلس ، معاوية بن صفوان ، قبل انتصاره على البربر « .... يأمره بالخروج اليه بأهل اطرابلس ، فخرج اليه حتى انتهى الى قابس فبلغه ، ما كان من هزيمة عبدالواحد ، وعكاشة ، فكتب اليه حنظلة في بربر خرجوا بنفزاوة[٣٠٤] ، وسبوا أهل ذمتها ، أن امضي اليهم »[٣٠٥] . فسار معاوية اليهم وقاتلهم فانتصر عليهم ، لكنه قتل في المعركة فأرسل حنظلة ، زيد بن عمر الكلبي ، ليحل محله[٣٠٦] .

اما بربر طنجة والمغرب ، فلا تشير أغلب المصادر الى موقف حنظلة منهم ، ويرجح الأستاذ عبدالحميد انهم أخلدوا الى الهدوء ، بعد أن أرسل اليهم حنظلة رسائل يدعوهم فيها الى الطاعة ولزوم الجماعة ، لكنه يستدرك بعد ذلك فيذكر ان الرسالة ربما أرسلت الى عكاشة ، وقد أشرنا اليها في معرض كلامنا عن حصار القيروان[٣٠٧] .

---

(٣٠٢) يقول صاحب أخبار مجموعة (ص٣٧) ان وفاة هشام كانت في شعبان عام ١٢٥هـ .

(٣٠٣) البيان المغرب ، ج١ ، ص٥٩ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٩٤ .

(٣٠٤) نفزاوة : مدينة في شمال افريقية تبعد مسيرة ستة أيام عن القيروان نحو الغرب ، وتبعد مسيرة ثلاثة ايام عن قابس » ياقوت ، معجم البلدان ، مادة ـ نفزاوة ج٥ ، ص٢٩٦ .

(٣٠٥ ، ٣٠٦) فتوح مصر والمغرب ، ص٣٠٠ .

(٣٠٧) تاريخ المغرب العربي ، ص ص٢٢٧ـ٢٧٨ .

ويذكر ابن عذارى أن طريفاً رئيس قبيلة برغواطـــة وقائدها في ثورة ميسرة ، الذي بث الخارجية فيهم ، كان من جملة القواد الذين هاجموا القيروان. فلما خسر البربر المعركة هرب الى الجبال ، وأنشأ وأولاده من بعده دينا جديدا أقرب الى الوثنية[٣٠٨] . وذلك يُعطي احتمالاً ان بعض قادة ثورات البربر لم يثوروا فقط من أجل تطبيق مبادىء الأسلام وانما لأسباب اخرى ليست واضحة تماماً ، ونعترف بعجزنا عن تفسيرها الى حين ظهور مصادر جديدة تؤكد او تنفي تلك الجوانب الغامضة من العوامل التي حفزت بعض طوائف من البربر عـلى الثـــورة .

ويبدو أن بربر طنجة ، لم يتجهوا الى المشرق ، لأسباب نجهلها ، ويشير صاحب أخبار مجموعة ، أن حنظلة ، بعد انتصاره على البربر « ... كتب الى هشام بالفتوح واستشاره في الأقدام على بلد البربر ، فأتى كتابه هشاماً وهـــو يجود بأنفاسه الأخيرة[٣٠٩] .

وربما قصد صاحب أخبار مجموعة ، بربر طنجة ، وربما قصد غيرهم ، وعلى رواية ابن عبدالحكم التي أشرنا اليها ، فان حنظلة سيطر على المنطقة الممتدة من طرابلس والى المغرب من القيروان ، فربما كان قصد حنظلة أذا بربر طنجة وان كانت رواية صاحب أخبار مجموعة لا تشير الى ذلك صراحة .

وفي ختام حديثنا عن ثورات البربر ، وانتفاضاتهم نرى ان نذكر ان نتائجها كانت بعيدة الأثر على الأمويين ، وعلى عرب أفريقية فقد كانت بداية لانفصـال بعض أجزاء أفريقية عن المشرق ، كما حصل بعد ذلك .

ويبدو أن جماعات كثيرة مختلفة الأتجاهات ، والأهـــداف ، اشتركت بالثورة ، وربما كان قرب دخول البربر الى الأسلام ، وسوء أوضاعهم العامة ،

---

(٣٠٨) البيان المغرب ، ج١ ، ص ص٥٦-٥٧ .
(٣٠٩) أخبار مجموعة ، ص٣٧ .

جعلهم يتقبلون الدعوات الخارجية ، وغيرها ، حتى أن برغواطة تحـولت عن الاسلام كلية بعد فشل الثورة ، التي كانت قد أشتركت بها باسم الأسلام ، الى دين أشبه بالوثنية على رواية إبن عذارى السالفة .

٣ - ثورات الخوارج وحركاتهم في مناطق متعددة من الدولة :

قام الخوارج بعدة ثورات في اليمن والمشرق في عهد هشام . فقـد ثـار عباد الرعيني في اليمن فقتله يوسف بن عمر ، والي اليمن ، مع ثلثمائة ثائرا من أصحابه[٣١٠] .

كما قام الخوارج بثورتين في شرق خراسان ، قامت اولاهما في منطقـة هراة[٣١١] ، بقيادة صبيح الخارجي ، وكان عدد أصحابه أربعمائة رجل ، فقاتل عامل الجنيد بن عبدالرحمن على هراة ، ثم أُسر وأرسل بعد ذلك الى خالـد القسري في العراق حيث قتل بأمر الخليفة[٣١٢]. كما ثار خالد الخارجي بنواحي بوشنج[٣١٣] وهراة « ... وانضم اليه جمع عظيم ... « وهاجم مرو الروذ[٣١٤] وقتل عاملها وعامة أصحابه ، لكنه جرح في المعركة ومات ، وتفرق أصحابه بعد ذلك »[٣١٥] .

---

(٣١٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٤٠ ، ويسميه المؤلف المجهول لكتاب (العيون والحدائق ، ص١٠٩) باسم عباد المعافري .

(٣١١) هراة : مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان (ياقوت ، معجم البلدان مادة هراة ، ج١ ، ص‌ص٣٩٦-٣٩٧) .

(٣١٢) العيون والحدائق ، ص١٠٨ ، ويذكر أيضا ان صبيح قتل أحد العـرب لانه لم يصل ، واعلن الثورة .

(٣١٣) بوشنج : ناحية من نواحي هراة (ياقوت ، معجم البلدان ، مادة بوشنج ، ج١ ، ص‌ص ٥٠٨-٥٠٩) .

(٣١٤) مروالروذ : مدينة قرب مرو قصبة خراسان (ياقوت ، معجم البلدان ، مادة مرو ، ج٥ ، ص‌ص١١٤-١٠٥) .

(٣١٥) العيون والحدائق ، ص‌ص١٠٨-١٠٩ .

كما قام الخوارج بعدة ثورات في العراق ، كانت أحداهما في قرية من قرى الموصل ، قادها بهلول بن بشر الشيباني[316] • الملقب كثارة[317] • وعلى مايذكره الطبري فقد كان بهلول « ••• مشهورا بالبأس عند هشام »[318] • ويرى بعض المؤرخين ان سبب ثورة بهلول انه أرسل غلامه ليشتري له خلا فاعطاه البائع خمراً ، ولما أراد ارجاع الخمر واسترداد درهمه رفض البائع ، فشكاه بهلول الى عامل القرية الذي شتم بهلولا وقال له « ••• الخمر خير منك ومن قومك »[319]••• فغضب بهلول لكنه مضى في سبيله ، وكان متجها للحج ، وعزم على الثورة ، بعد الحج ، « ••• فلقي بمكة من كان على مثل رأيه ، فأتعدوا قرية من قرى الموصل »[320] •

ولما انتهت مناسك الحج أجتمع أربعون شخصاً في تلك القرية وأمروا عليهم بهلولا • ويحدثنا الطبري ان بهلولاً وأصحابه كانوا ناقمين على والي العراق ، خالد القسري واتهموه بأنه « ••• يبني البيع والكنائس ويولي المجوس على المسلمين وينكح أهل الذمة المسلمات »[321] ، وقد سبقت الاشارة الى طائفة من تصرفات خالد تجاه أهل الذمة وما نقمة الناس منه بسبب ذلك في بحثنا عن ولاة العراق •

اتجه الثوار من جنوب الموصل الى واسط ، وهم متخفون وكلما مروا بقرية ادعوا أن الخليفة أرسلهم في بعض المهام وان وجهتهم خالدا ، « ••• لينفذهم في أعمالهم »[322] ، فلما وصلوا الى القرية التي شتم عاملها البهلول ، أراد قتله ،

(٣١٦) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٠٩، العيون والحدائق ، ص١٠٩ •
(٣١٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٣٠ ، العيون والحدائق ، ص١٠٩ •
(٣١٨) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٣٠ ، العيون والحدائق ، ص١٠٩ •
(٣١٩ ، ٣٢٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٣٠ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢١٠ والعيون والحدائق ، ص ص١٠٩ـ١١٠ •
(٣٢١) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٣١ •
(٣٢٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٣٠ •

فمنعه أصحابه ، لكنه أصر على رأيه وقتل العامل ، عندها عرف الناس أنهم خوارج « ... وخرجت البرد الى خالد فأخبروه ان خارجة قد خرجت »[٣٢٣].

وأرسل خالد لقتالهم جيشا صغيرا من أهل الشام كان متجها الى الهند لمساعدة عاملها ، وكان عددهم ستمائة جندي ، فأضاف اليهم خالد مائتين من شرطة الكوفة ، لكن بهلولا وأصحابه هزموهم جميعا[٣٢٤] .

ولما أرسل خالد جيشاً آخر هزمهم البهلول ما بين الكوفة والموصل[٣٢٥] .

ويبدو أن بهلولاً غَيّر رأيه فيما بعد فقال لاصحابه « ... انا والله مانصنع بابن النصرانية شيئاً ، يعني خالداً ، وما خرجت الا لله فلم لا نطلب الرأس الذي يسلط خالدا وذوي خالد ، فتوجه يريد هشاماً بالشام »[٣٢٦] .

ولما سمع العمال بان بهلولا توجه الى الشام خشوا على أنفسهم من غضب هشام فوجهوا الجيوش الى بهلول والتقوا بدير يقع بين الجزيرة والموصل[٣٢٧] ، وعلى رواية ثانية فانهم التقوا « ... بالكحيل دون الموصل »[٣٢٨] .

وكان النصر في جانب بهلول وأصحابه في بداية المعركة ، لكن وصول الأمدادات الكثيرة الى جيش السلطة رجّح كفتهم ، فَقُتل بهلول وبعض أصحابه ، فأوصى الى دعامة الشيباني ، لكن الاخير هرب من القتال ، فقال أحد شعرائهم :

---

(٣٢٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٣١ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه، ج٥ ، ص٢١٠ ، والعيون والحدائق ، ص١١٠ .

(٣٢٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص ١٣١-١٣٢ .

(٣٢٥ ، ٣٢٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٣٢ .

(٣٢٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص١٣٢-١٣٣ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢١١ ، والعيون والحدائق ، ص١١٠ .

(٣٢٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٣٣ ، واليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٢٢ ، فلها وزن ، الخوارج والشيعة ، ص١٣٠ .

لبئس أمير المؤمنين دعامة   دعامة في الهيجاء شر الدعائم

وقد استمرت المعركة بعد ذلك فقتل الباقون من أصحاب البهلول[٣٢٩] .
ولم تنته ثورات الخوارج بعد مقتل بهلول ، فقد ثار العنزي صاحب الاشهب[٣٣٠]، في نواحي الفرات قرب الكوفة .

وكان عدد أتباعه ستين رجلا ، فأرسل اليهم خالد جيشا من أربعة آلاف مقاتل فقتلوا طائفة من الخوارج وهرب الباقون « ... فتلقاهم عبيد أهل الكوفة وسفلتهم فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم »[٣٣١] .

ثم خرج وزير السختياني ، في ناحية الحيرة ، فوجه اليه خالد بعض الجند والشرط فقتلوا أكثر أصحابه ، وأُسر جريحاً ، مع نفر قليل من أتباعه ، فأتي به خالد ، فأقبل وزير عليه ووعظه وتلا عليه القرآن ، فأعجب به وأمسك عن قتله ، وحبسه عنده[٣٣٢] .

ولما وصل الخبر الى هشام ، كتب الى خالد يشتمه ويعنفه بسبب ابقائه على السختياني ، لكن خالداً لم يقتله وقال : « ... اني أنفس به عن الموت ، لما كان يسمع من بيانه وفصاحته »[٣٣٣] ، وحاول خالد أن يأخذ له العفو من هشام وكتب اليه بذلك ، لكنه كتب الى خالد يعنفه ويأمره بقتل السختياني وأصحابه . فأمر بهم خالد فاحرقوا بالنار ، ومات السختياني وهو يتلو القرآن[٣٣٤] .

---

(٣٢٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٣٣ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص‌ص٢١١–٢١٢ ، والعيون والحدائق ، ص١١١ .

(٣٣٠) يسميه ابن الاثير ، ج٥ ، ص٢١٢ ، البختري ، ويذكر الطبري (ج٧ ، ص١٣٣) ان عمرو اليشكري الخارجي ثار بعد مقتل بهلول فقتل ايضا .

(٣٣١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٣٤ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢١٢ ، لكن مؤلف (العيون والحدائق ، ١٠٩) يسميه الاشهب العنزي ويقول ان جيوش الوالي لم تقتله فقد مات موتاً طبيعياً .

(٣٣٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٣٤ .

(٣٣٣ ، ٣٣٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٣٤ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢١٢ .

وكذلك خرج الصحاري بن شبيب على خالد القسري ، وكان معه ثلاثون رجلا ، فأرسل اليهم جيشاً فالتقوا بناحية المناذر[٣٣٥] ، حيث قُتل الصحاري وأصحابه[٣٣٦] .

ويشير المؤلف المجهول لكتاب العيون والحدائق ان خوارجاً « ... خرجوا بموقوع المرأة ، وموقوع ناحية البصرة[٣٣٧] ، وكانوا تسعة عشر رجلا وأمرأة فقتلوا وأُسرت المرأة ... » وأرسلت الى يوسف بن عمر فقتلها[٣٣٨] . ويظهر أن أغلب ثورات الخوارج في المشرق في عهد هشام ، كان يقوم بها عدد قليل لا يمكن أن يصمد أمام جيوش الخلافة مهما أوتى الثوار من عزيمة صادقة ، او صفات شخصية ممتازة في القتال .

ومما يبعث على التساؤل أن أغلب ثورات الخوارج السالفة قامت في العراق في أواخر عهد خالد القسري أي في حدود عام ١١٩هـ ، وربما يقوم ذلك دليلا على تذمر جماعات كبيرة من الناس ، خاصةً المتدينين منهم ، من تصرفات خالد وعماله ، وقد اوردنا أمثلة على التذمر المذكور في الفصل الثالث عند كلامنا عن ولاة العراق .

٤ - ثورة الحارث بن سُريج :-

قام الحارث بثورته في خراسان وبلاد ما وراء النهر ، ولا تحدد المصادر وقت الثورة ، لكن الطبري ، يذكر في أحداث عام ١١٦هـ ، ان الحارث بن سريج خلع طاعة الخليفة الأموي ، و « ... لما قدم عاصم خراسان والياً ، أقبل الحارث

(٣٣٥) يذكر ابن خرداذبة (المسالك والممالك ، ص٥٩) انها تقع شمال واسط .
(٣٣٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ص ١٣٧-١٣٨ .
(٣٣٧) هكذا وردت وربما كان الاصح انها ناحية بالبصرة .
(٣٣٨) العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، ص١٠٩ .

ابن سريج من النخذ الى الفارياب [٣٣٩] .

ويرى فان فلوتن أن الثورة بدأت عام ١١٦هـ[٣٤٠] . ولما كان الحارث قد تمكن من احتلال بلخ وطرد عاملها في العام نفسه فمن المستبعد ان يتمكن بهذه السرعة من احتلال بعض المدن خلال الفترة القصيرة من بداية عام ١١٦هـ ، وربما كانت الثورة ، قد بدأت ، في وقت سابق للتاريخ الذي حدده فان فلوتن .

ويرى فلها وزن ، ان الثورة بدأت في السنين الاخيرة ، من ولاية الجنيد (١١١ ـ ١١٦هـ) ، لكنه لا يحدد سنة معينة لبدايتها[٣٤١] .

ويوضح فلها وزن رأيه السالف بان الطبري لا يذكر شيئاً عن خراسان في أحداث عامي ١١٣هـ[٣٤٢] ، ١١٤هـ[٣٤٣] ، ويشير اشارة بسيطة الى احداث خراسان عام ١١٥هـ ، ذاكراً ارتفاع اسعار المواد الغذائية بسبب القحط في منطقة مرو[٣٤٤] .

ويذكر الطبري أيضا ان الناس شكوا ، ما يعانوه من الغلاء ، فأرسل الجنيد غلامه فأشترى رغيف الخبز بدرهم[٣٤٥] ، وكان ذلك من أسباب تذمر الناس وسخطهم فاذا صح ما ذهب اليه فلها وزن ، من أن الثورة بدأت في السنين الأخيرة

---

(٣٣٩) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٩٤ ، وابن الاثير ، المصدر ، ج٥ ، ص١٨٣ . النخذ : ناحية بخراسان ، وهي احدى نواحي الفارياب (ياقوت : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٧٦) .
الفارياب : مدينة مشهورة بخراسان من اعمال جوزجان قرب بلخ غربي نهر جيحون وبينها وبين بلخ ست مراحل (يوقوت معجم البلدان ، ج٤، ص٢٢٩) .

(٣٤٠) السيادة العربية ، ص١٢٦ .

(٣٤١) تاريخ الدولة العربية ، ص٤٤٢ .

(٣٤٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص٨٨ـ٨٩ .

(٣٤٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص ٩٠ـ٩١ .

(٣٤٤ ، ٣٤٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٢ .

لولاية الجنيد ، فلم تماهل الجنيد عن قتال الحارث ؟ .

يبدو أن الثورة بدأت في حدود عام ١١٥هـ ، ذلك أن الطبري يذكر في حوادث عام ١١٦هـ ، أن الحارث أحتل النخذ وتوجه نحو الفارياب ، واحتل بلخ أيضا عند مقدم عاصم(٣٤٦) ، ولما كان الأخير قد وصل خراسان في مطلع عام ١١٦هـ ، فمن المرجح أن الثورة ، كانت قد قامت قبل وصول عاصم ، وكان الجنيد مريضا ، فعجز عن قتال الحارث ، ولم يشأ عمارة بن حريم ، خليفة الجنيد ان يقوم بعمل ما ، منتظراً قدوم الوالي الجديد .

كما لا تحدثنا المصادر عن شخص الحارث بن سُريج ، وكل ما يذكره الطبري في أحداث عام ١١٠هـ ، أن الحارث كان في جيش خراسان ، وأنه أبلى بلاءاً حسناً ، في قتال الترك(٣٤٧) .

ولما كان الطبري يذكر أن الحارث اتجه من النخذ نحو الفارياب ، ثم احتل بلخ(٣٤٨) . فمن المحتمل أنه أستولى على قيادة أحدى الحاميات العربية وتوجه من بلاد ما وراء النهر الى خراسان ، واعلن الخلع عندما رأى تذمر السكان وضجر الجند وسخطهم اضافة الى ضعف الولاة . ولم يشأ قادة الجيش معارضة ذلك ، لخشيتهم منه .

وتشير احدى روايات الطبري ان عدد جيش الحارث ، عندما فتح بلخ ، كان أربعة آلاف مقاتل(٣٤٩) ، وتذكر ثانية ، ان عدد جيش الحارث كان ستين الفاً لما هاجم مرو بعد ذلك . وكان معه « ... فرسان الازد وتميم ، منهم محمد بن

---

(٣٤٦) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٩٤ .

(٣٤٧) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٥٨ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥، ص١٥٠ ، ويذكر فان فلوتن (السيادة العربية ، ص٦٢) نسب الحارث فيقول : هو الحارث بن سريج بن ورد بن سفيان بن مجاشي .

(٣٤٨) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٩٤ .

(٣٤٩) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٩٥ .

المثنى وحماد بن عامر بن مالك الحماني ٠٠٠ ومن الدهاقين الجوزجان وترسل دهقـــان الفارياب وسـهرب ملك الطالقـــان ، وقرياقس دهقـــان مرو ، في أشباهم »[٣٥٠] ٠

فاذا صح ذلك ، فان جيش الحارث تضخم كثيراً ، خـــلال فترة وجيزة ، وعلى ما أسلفنا ، فانه فتح بلخ بأربعة آلاف مقاتل فقط ، ويتضح أيضا من النص ان أغلب الذين انضموا اليه بعد ذلك كانوا من غير العرب[٣٥١] ، وربمــا كان انضمام هؤلاء ، سببا لانسحاب عامة العرب من جيش الحارث ، وربما انتظـروا قربهم من جيش خراسان ، فلمــا تقابلوا للقتـــال « ٠٠٠ مال محمد بن المثنى الفراهيدي برايته الى عاصم فأمالهــا في الفين فأتى الأزد ، ومال حماد بن عامـــر ابن مالك الحماني الى عاصم ، وأتى بني تميم »[٣٥٢] ٠

وبدأت المعركة « ٠٠٠ فانهزم أصحاب الحارث ، فغرق بشـــر كثير من أصحاب الحارث في أنهار مرو والنهر الأعظم ، ومضت الدهاقين الى بلادهم»[٣٥٣] وبقي مع الحارث ثلاثة آلاف مقاتل فقط ٠ و « ٠٠٠ وكف عنه عاصم ، ولو ألح عليه لأهلكه »[٣٥٤] ٠

ويتضح من النصين السالفين ، أن أصحاب الحارث تركوه ، عند أول فشل، وان للظروف السائدة في خراسان وقوة الوالي أثر في كثرة أتباع الحـــارث ومؤيديه ، او انفضاضهم عنه ٠

---

(٣٥٠) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٩٦ ٠
الطالقان : مدينة بخراسان تقع بين مرو الروذ ، وبلخ ، (ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ص٦-٧ ٠

(٣٥١) يذكر الطبري ، (ج٧ ، ص١١٠) على لسان علي الكرماني الازدي ، أن غالبية مؤيدي الحارث كانوا من العجم ٠

(٣٥٢ ، ٣٥٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٧ ٠

(٣٥٤) ايضا ، ج٧ ، ص٩٨ ٠

ويشير الطبري الى أن الحارث كان يلبس السواد ، عندما قام بثورته[355] .
ويرى فان فلوتن ، ان لبس السواد يدل على محاربة الضلالة ، ومن ثم كان لزاماً على من يبشر بالمهدي الأمام الحق ، أو الأمام الذي يزول على يديه سلطان بني أمية ان يتخذ تلك الألوية السود شعاراً له ، منوها الى بيت للشاعر الكميت ، من القصيدة التي أرسلها الشاعر الى الحارث بن سُريج[356] .

والا فارفعوا الرايات ســـودا   على أهل الضلالة والتعدي[357]

ويظهر أن هناك نبؤات كثيرة حـول الرايات الســود وأن أصحابهــا سينتصرون[358] ، وقيل عن الرسول (ص) أنه حض المسلمين على تأيد حملة الرايات السود المقبلين من خراسان اذا ظهروا[359] .

وقد اوصى ابراهيم الأمام ، أبا هاشـم ، بكير بن ماهان ، رئيس الـدعاة العباسيين في الكوفة فقال : « ... السواد يا أبا هاشم لباسنا ، ولباس أنصارنا وفيه عزنا وهو جند أيدنا الله به ، وسأخبرك عن ذلك . كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء وكانت راية علي بن أبي طالب سوداء ، فعليكم بالسواد فليكن لباسكم وليكن شعاركم : يامحمد يامنصور . قال : وأمر أبا هاشم بالانصراف ، والمضي الى خراسان وأمره أن يأمر الشيعة بتسويد الثياب والرايات السـود ، ويعدوها الى وقت خروجهم »[360] .

ويبدو أن الوصية تحاول ان تسند حق العباسيين بالخلافة الى الرسول (ص)، والى علي بن أبي طالب (رض) ، وسنوضح ذلك ، في موضعه من رسالتنا ، عنـد الكلام عن الدعوة العباسية . وفيما يتعلق الأمر بموضوع الرايات السود فلا يبدو

(٣٥٥) تاريخ لرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٠٠ .
(٣٥٦) السيادة العربية ، صص ١٢٦-١٢٧ .
(٣٥٧) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٠٠ .
(٣٥٨) أخبار الدولة العباسية ، ص٢٠٧ .
(٣٥٩) أيضا ، ص١٩٩ .
(٣٦٠) أيضا ، ص٢٤٥ .

أن الحارث اتخذها اقتداءاً بالرسول (ص)[٣٦١] . ولو صح ذلك ، فان الحارث قد حارب المسلمين تحت لواء خاقان الترك ، وكان مشركا .

وربما كان للنبوئات التي أشرنا الى بعضها أثر في اتخاذ الحارث لذلك الشعار قال أصحاب الحارث له « ... ألم تزعم أنه لا يرد لك راية ... »[٣٦٢] .

أما قصيدة الكميت الشاعر ، فلا يبدو أنها مؤيدة لوجهة نظر فان فلوتن ، فالكميت كان شاعراً علوي النزعة كارهاً لحكم بني أمية مؤيداً لمن يعلن الثـورة عليهم ولا يشترط أن يكون من العلويين .

ومن غير المشكوك فيه أيضا ان الكميت ، كان قد سمع بتلك النبوئات ، وهو شاعر ، فأراد أن يشارك بتأييد ثورة معادية للأمويين ، وان كان لا يمثل وجهـة نظر القائمين بها[٣٦٣] .

وللباحث ن يتساءل عن العوامل التي دفعت الحارث بن سُريج الى اعلان ثورته . ويرى فان فلوتن ان ولاة الأمويين أعادوا فرض الجزية على الموالي بعد اعفائهم منها[٣٦٤] ، ومطالبة هؤلاء بالمساواة والعدل بينهم وبين العرب ، كان من عوامل ثورة الموالي[٣٦٥] ، وقد أيدهم بعض العرب في مطالبهم[٣٦٦] .

ويرى فلهاوزن ان العرب أيدوا الموالي في مطالبهم ، كما لم يكونوا راضين عن سيرة ولادة بني أمية في خراسان . وهكذا قاد العرب ، مرة أخـــرى ثورة لأنصاف الموالي بعد فشل ثورة أبي الصيداء[٣٦٧] .

---

(٣٦١) فان فلوتن ، المصدر نفسه ، ص١٢٦ .
(٣٦٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٨ .
(٣٦٣) اشرنا في الفصل ، من رسالتنا الى بعض من ســـيرة الكميت الشاعر ، وذهابه مختفياً الى الشام ، ومدح هشاماً فعفا عنه .
(٣٦٤) السيادة العربية ، ص٧٣ ، وفلها وزن ، تاريخ الدولة العربية وسقوطها، ص٤٤١ .
(٣٦٥) السيادة العربية ، ص٩٥ .
(٣٦٦) أيضا ، ص‌ص٦٢ـ٦٣ .
(٣٦٧) تاريخ الدولة العربية وسقوطها ، ص٤٤٢ .

ويبدو أن علاقة الحارث لم تكن حسنة بالسلطة فتشير أحـــدى روايات الطبري أن الحارث ضُرب في ولاية الجنيد أربعين سوطاً ، وقد قام بذلك والي بلخ[٣٦٨] ، لكنها لا تشير الى سبب الضرب ، وربما كان الحارث يدعو الى انصاف الموالي ، وهذا ما دعا السلطة الى معاقبته ، وتشير رواية ثانية للطبري أيضـــا أن الحارث كان يرى رأي المرجئة[٣٦٩] ، وأنه كان يدعـــو الى العمـــل بالكتاب والســـنة[٣٧٠] .

ونرى من المناسب أن نذكر أن عوامل كثيرة ، دفعت الحارث للقيام بثورته، من بينها عدم تطبيق ولاة الأمويين للكتاب والسنة وانصاف الموالي[٣٧١] ، وضجر الجند العرب وتذمرهم من القتال . فيذكر الطبري أن ابن هبيرة والي العـــراق والمشرق(١٠٢–١٠٥هـ) طالب أشراف خراسان ببعض الأموال ، فجاء وفد منهم الى العراق وقابل ابن هبيرة وقال المقدم فيهم « ... أن أحدنا ليلبس الحديد حتى يخلص صدوءه الى جلده ، حتى أن الخادم التي تخدم الرجل لتصرف وجههـا عن مولاها وعن الرجل الذي تخدمه لريح الحديد ، وأنتم في بلادكم متفضلون في الرقاق وفي المعصفرة »[٣٧٢] .

وقال أحد الجند الذين يقاتلون الحارث بن سريج :

---

(٣٦٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٥ .
(٣٦٩) ايضا ، ج٧ ، ص١٠٠ .
(٣٧٠) ايضا ، ج٧ ، ص٩٥ .
(٣٧١) يذكر الطبري (ج٦ ، ص٥٥٩) أن أحد الموالي (أبا الصيداء) شكا الى عمر بن عبدالعزيز من معاملة الموالي ، فقال : عشرون الفا يغزون بلا عطاء ولا رزق ومثلهم يؤخذون بالجزية ، فرفعها عمر عنهم ، فلما ولي يزيد بعده خالف سيرة عمر ، واعاد فرض الجزية على الموالي ، على ما أسلفنا في الفصل الاول .
(٣٧٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠ .

تولت قريش لذة العيش وأتقت بنا كل فج من خراسان أغبر
فليت قريشا أصبحوا ذات ليلة يعومون في لج من البحر أخضر(٣٧٣)

ومما تقدم نرى مبلغ تذمر جند خراسان من حالتهم تلك ، لذا أيد بعضهم ثورة الحارث ، ومع ان قسماً منهم قد انسحبوا من جيشه ، لكن التذمر كان موجوداً بين الجند ، وما ذكرناه ، يوضح ان ذلك التذمر كان يسود أوساط الجند والقادة معا •

ونرى من المناسب ان نشير أن ثورة الحارث لم تكن من القوة بحيث كانت تصمد لمقاومة جند خراسان ، لكن أنشغال ولاة خراسان بحروب الترك ، حيث انضم الحارث اليهم وساعدوه بعدئذ ، كان من بين العوامل التي أدت الى قوةالثورة واستمرارها • ويرى فلها وزن أن الثورة ، لم تكن بوجه من الوجوه مقصورة على المرجئة ، لأن الحارث كان يقبل كل من يؤيده(٣٧٤) • ويبدو ان ضعف الثورة ألجأها الى قبول كثير من الفئات الخارجة على النظام ، والتي لا تربطها صلة بالثورة ، فلجأت اليها لحمايتها من السلطة ، فقد كان بين صفوف الحارث بعض اللصوص(٣٧٥) ، وبعض المعادين للسلطة لسبب او آخر كأهل السغد وغيرهم(٣٧٦) • كما ضمت بعض المتدينين(٣٧٧) •

ويظهر مما تقدم أن ثورة الحارث ، ضمت الى صفوفها جماعات متعددة الاهداف والغايات ، فهي وان طالبت بالسير على الكتاب والسنة ، لكن الحارث قاتل ، تحت لواء خاقان الترك ، وكان مشركا •

ويبدو أن سوء الأحوال العامة في خراسان وجوار المنطقة لبلاد أعداء أقوياء

(٣٧٣) أيضا ، ج٧ ، ص١٠٤ •
(٣٧٤) تاريخ الدولة العربية وسقوطها ، ص٤٤٢ •
(٣٧٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٢٢ •
(٣٧٦) ايضا ، ج٧ ، ص١٢٣ •
(٣٧٧) ايضا ، ج٧ ، ص١٠٦ •

كالترك أضافة لتذمر جند خراسان ، كانت من بين العوامل التي أدت الى قيام الثورات في خراسان بين آن وآخر وأن اختلفت شعاراتها والاسباب المباشرة لقيامها، فهي تتفق في خطها العام مع أغلب الثورات التي قامت ضد الأمويين ، في أنها جعلت شعارها المطالبة بالسير على كتاب الله وسنة نبيه . ويعني السير على الكتاب والسنة ، في نظر الثائرين تطبيق العدالة الاجتماعية ورفع الحيف الاقتصادي عن كاهل دافعي الضرائب وما له علاقة بوجود مجتمع فاضل يسير طبق قواعد الاسلام .

قام الحارث بثورته في بلاد ما وراء النهر ، وعبر النهر (نهر جيحون) ، فوجه اليه عاصم بن عبدالله ، بعض العرب ليردوه الى الجماعة ، لكن الحارث سجنهم ، فهربوا من السجن ولحقوا بمرو وأخبروا الناس بغدر الحارث[٣٧٨] .

وتوجه الحارث الى بلخ ، فقاتله واليها ، لكن الحارث هزمه واحتلها ، وولي عليها أحد انصاره[٣٧٩] ، وبعد احتلاله لبعض المدن الأخرى كالجوزجان والفارياب والطالقان ومرو الروذ ، توجه الحارث الى مرو ، خلاف نصيحة مستشاريه[٣٨٠] .

أراد عاصم أن يترك مرو ، بعد توجه الحارث اليها ، وكان قد بلغه أن أهلها كاتبوا الحارث ، لكن المقاتلة العرب منعوه ، وأقسموا له بالطلاق ، على الأخلاص ، والقتال بجانبه[٣٨١] . فلما أقبل الحارث ، جرت مناظرة بين الفريقين لم تسفر عن نتيجة ، ترك على أثرها ، كثير من فرسان الأزد ، وتميم جيش الحارث وانضموا الى قبائلهم في جيش خراسان ، وحمل بعدها أصحاب الحارث

---

(٣٧٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ص٩٤-٩٥ .
(٣٧٩) ايضا ، ج٧ ، ص٩٥ .
(٣٨٠) ايضا ، ج٧ ، ص ص٩٥-٩٦ .
مرو الروذ : مدينة قرب مرو قصبة خراسان (ياقوت معجم البلدان ، ج٥ ، ص ص١١٢-١١٣) .
(٣٨١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٦ .

لكنهم هزموا وغرق كثير منهم في أنهار مرو(٣٨٢) .

وبعد تلك المعركة ترك الدهاقين جيش الحارث ورجعوا الى بلادهم ، وجرت مفاوضات ثانية بين جماعة الحارث والمسلمين لم تسفر عن نتيجة هي الأخـرى ، وعاد القتال ثانية بين الفريقين ، وانسحب على اثره الحارث(٣٨٣) . قال الطبري « ... فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فحمل يحيى بن حضين ـ وهو رأس بكر بن وائل، وعلى بكر بن وائل زياد بن الحارث بن سريج فقتلوا قتلاً ذريعاً ، فقطع الحارث، وادي مرو ... وكف عنه عاصم ... ولو ألح عليه لاهلكه » .. وأرسل عاصم الى الحارث ، يؤمنه على أن يرتحل ، فأرتحل الحارث(٣٨٤) .

وأرسل عاصم بن عبدالله كتاباً الى هشام يقول فيه « ... أن خراسـان لا تصلح الا ان تضم الى صاحب العراق ، فتكون موادها ومنافعها ، ومعونتها في الأحداث والنوائب من قريب لتباعد أمير المؤمنين عنها وتباطؤ غياثه عنها »(٣٨٥) .

فلما وصل الكتاب الى هشام كتب الى خالد القسري « ... أرسـل أخاك يصلح ما أفسده ... »(٣٨٦) ، كما أرسل الشاعر الكميت بن زيد الأسدي ، قصيدة الى أهل مرو منها :

الا أبلغ جماعة أهل مـــرو	على ما كان من نأي وبعـــدي
رسالة ناصح يهـــدي سلاما	ويأمر في الـذي ركبوا بجـد
وأبلغ حارثا عنـــا اعتـــذارا	اليه بأن من قبـــلي بجهـــدي
ولولا ذاك قـد زارتك خيـــل	من المصرين بالفرسـان تردى
فلا تهنوا ولا ترضوا بخسـف	ولا يغرركم أسـد بعهـد

---

(٣٨٢) ايضا ج٧ ، ص٩٧ .
(٣٨٣) ايضا ، ج٧ ، ص‌ص٩٧ـ٩٨ .
(٣٨٤) ايضا ، ج٧ ، ص٩٨ .
(٣٨٥) ايضا ، ج٧ ، ص٩٩ .

وكونوا كالبغايا ان خُدعتم   وان أقررتم ضيما لوغد
والا فأرفعوا الرايات سودا   على أهل الضلالة والتعدي[387]

وعلى ما يبدو فان ثورة الحارث كانت مؤيدة من بعض الفئات المعارضة للحكم الأموي خارج خراسان ، ولو تأييداً معنوياً في الأقل ، وقد سبق أن ناقشنا رأي فان فلوتن حول البيت الأخير ، من الأبيات السالفة من قصيدة الكميت .

ولما سمع عاصم بقدوم أسد ، واليا على خراسان ، حاول ان يتفاهم مع الحارث ، لكن يحيى بن حضين ، وكان المقدم على قبائل بكر بن وائل ، على ما أسلفنا ، رفض الأتفاق ومزق الصحيفة ، وعات الحرب بين عاصم والحارث ، فهزمه عاصم ، وقتل الأسرى وكان جلهم من تميم[388] ، ومع ذلك فان عاصماً لم يكن يسيطر الا على مرو وابرشهر ، ونيسابور ، عند قدوم أسد الى خراسان[389] . وذلك يُعطي انطباعاً بان قسماً من سكنة خراسان لم تكن مؤيدة للسلطة . قال عاصم عندما بلغه « ... أن أهل مرو يكاتبون الحارث ... يا أهل خراسان ، قد بايعتم الحارث بن سُريج لا يقصد مدينة الا أخليتموها له »[390].

ولما وصل أسد الى خراسان ، قسّم جيشه الى قسمين أعطى قيادة القسم الأول الى عبدالرحمن بن نعيم الغامدي ، ووجهه لقتال الحارث في مرو الروذ ، وسار هو الى آمل ، فصالحه أهلها[391] ، وعبر نهر جيحون الى الترمذ ، دون

---

(٣٨٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٠٠ ، سبقت الاشارة الى البيت الاخير ، حول النبوآت التي تتحدث عن حملة الرايات السود .

(٣٨٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ص١٠١-١٠٣ ، وابن الاير ، ج٥ ، ص١٨٧ .

(٣٨٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٠٥ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه، ج٥ ، ص١٨٨ .

(٣٩٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٩٦ .

(٣٩١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٠٥ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٨٨ .

ان يخضع بلخ ، لأنقاذ الترمذ ، ذلك ان الحارث ترك مرو الروذ واتجه لحصار الترمذ ، لكن أهلها قاتلوه وتمكنوا من ابعاده عن مدينتهم[٣٩٢] ، فرجع أسد الى بلخ فلما أحكم سيطرته على أغلب مدن خراسان المهمة ، توجه الى سمرقند وأعطى الجند عطاءين وسكر الماء عنها ، ورجع الى بلخ[٣٩٣] .

ويبدوا أن بعض القلاع قاومت أسدا ، فلما احتل احداها ، عامل أهلها معاملة المشركين ، فقتل المقاتلة « ... وسبى عامة أهلها من العرب والموالي والذراري ، وباعهم فيمن يزيد في سوق بلخ »[٣٩٤] .

كما فارق الحارث بعض أصحابه وكانوا يقدرون بأربعمائة وخمسين مقاتلاً ، وكان جرير بن ميمون قاضي الحارث من بينهم وطلبوا الأمان من أسد ، لكن أسدا قتل بعضهم وقطع أيدي وأرجل البعض الآخر وباع متاعهم في سوق بلخ »[٣٩٥] .

واتخذ أسد في عام ١١٨هـ ، مدينة بلخ دارا له ونقل اليها الدواوين[٣٩٦] ، وذلك يعطينا دليلاً ، أن أسدا أصبح مسيطراً تماماً على خراسان .

ولما قامت الحرب بين العرب والترك بقيادة خاقان في العام التالي أعني عام ١١٩هـ ، انضم الحارث الى الترك وقاتل تحت لواء خاقان[٣٩٧] ، وحمى الحارث

---

(٣٩٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ص‌ص١٠٥-١٠٦ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص‌ص١٨٨-١٨٩ .

(٣٩٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص١٠٦-١٠٧ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٨٩ .

(٣٩٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص١٠٩-١١٠ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٩٧ .

(٣٩٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص١١٠-١١١ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص‌ص١٩٧-١٩٨ .

(٣٩٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١١١ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٩٨ .

(٣٩٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١١٩ ، ص١٢٢ ، ص١٢٣ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٠٣ .

خاقان عندما هاجمه المسلمون وتفرق جنده عنه[398] .

ويبدو أن أصحاب الحارث لم يكونوا قلة حينئذ ، فيذكر الطبري أن خاقان حمل الحارث واصحابه على خمسة آلاف برذون[399] . وقد عاود الحارث قتال المسلمين مع الترك بقيادة أحد ملوكهم – كورصول – وكان الاخير قد قتل خاقان لأسباب شخصية ، لكن المسلمين هزموهم وقتلوا كورصول[400] .

وكتب يوسف بن عمر الى نصر بن سيار يطلب اليه التوجه الى الشاش لقتال الحارث ، فتوجه نصر الى الشاش وهزم الحارث ومن معــه من الترك[401] . وصالح نصر ملك الشاش « ... واشترط عليه اخراج الحارث بن سريج من بلده ، فأخرجه »[402] .

ولا تحدثنا المصادر عن الحارث بن سُريج طيلة السنوات التالية ، من خلافة هشام .

وفي ختام حديثنا عن ثورة الحارث ، في عهد هشام ، نرى من المناسب أن نذكر أن أغلب مؤيدي الثورة كانوا من غير العرب اي من الطبقات الاجتماعيــة المرهقة بكثرة الضرائب ، والتي تطمح الى المساواة بالعرب .

كما كانت الثورة تضم عناصر عربية ناقمة على الأمويين لم يلبث اكثرها أن

---

(398) الطبري ، المصدر نفسه ، ج7 ، ص123 .
وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج5 ، ص205 .

(399) الطبري ، المصدر نفسه ، ج7 ، ص125 ، وابن الأثير ، المصدر نفســه ، ج5 ، ص205 .

(400) الطبري ، المصدر نفسه ، ج7 ، ص ص174–175 ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج5 ، ص ص236–237 .

(401) لطبري ، المصدر نفسه ، ج7 ، ص ص175–176 ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج5 ، ص238 .

(402) الطبري ، المصدر نفسه ، ج7 ، ص177 ، وابن الأثير ، المصدر نفسه ، ج5 ، ص238 .

ترك الحارث وانضم الى جيش خراسان ، أو طلبت الأمان من أسد ، على ما أسلفنا، وربما كان ذلك من بين العوامل التي جعلت الثورة ، على سعة انتشارها ، لاتتمكن من مقاومة جيش خراسان ، لأن أغلب مؤيديها من الموالي • ولم تحض الثورة بتأييد أغلب العرب ، حملة السلاح ، مما أضطر قائدها في النهاية الى الألتجاء الى الترك وطلب حمايتهم •

٥ ـ ثورة السغد فيما وراء النهر :

يولي بعض المؤرخين للثورات التي قامت في خراسان أهمية كبيرة ، باعتبار أنها كانت النواة التي إستفادت منها الدعوة العباسية في بث مبادئها واعلان ثورتها بعدئذ ، وكانت ثورات السغد من بين تلك الثورات[٤٠٣] •

فقد كان للأجراء الذي اتخذه عمر بن عبدالعزيز (رض) بأسقاط الجزية عمن أسلم من أهل الذمة[٤٠٤] ، استجابة مباشرة ، فقد أدى ذلك الاجراء الى دخول جماعات منهم في الاسلام ، فلما جاء يزيد بن عبدالملك ، خالف سيرة عمر، على ما أسلفنا ، ويبدو أن تلك المخالفة شملت ، مجال الضرائب ، فأعيدت الجزية على الموالي ، فكان ذلك سبب تمردهم ، وعلى ما يرويه الطبري ، فقد قامت الحرب، في حدود عام ١٠٢هـ ، بين العرب والترك[٤٠٥] • وكان السغد قد التجأوا اليهم لمساعدتهم ضد العرب ، واستمرت الحرب بين الطرفين •

---

(٤٠٣) فان فلوتن ، المصدر نفسه ، ص‌ص٦٠ـ٦١ ، وفلها وزن ، تأريخ الدولة العربية ، وسقوطها ، ص٤٦٣ •

السغد : ناحية كثيرة المياه ، والأشجار ، واسعة ، وفيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند وقصبتها سمرقند • وربما قيلت بالصاد ، وهي اثنى عشر رستاقا •

ويذكر بارتولد (تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، القاهرة ، ١٩٥٨م ، ص ٣٥) تعريفا للسغد سكنة البلاد المسماة باسمهم •

(٤٠٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٥٩ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٥١ •

(٤٠٥) تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٦٠٦ ، وابن الأثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٩٥ ، ص١٠٤ •

فلما وصل أشرس بن عبدالله السلمي ، والياً على خراسان أراد أن يُهدأ الأوضاع المضطربة ، في بلاد ما وراء النهر ، فقال لأصحابه « ... أبغوني رجلا له ورع وفضل أوجهه الى من وراء النهر يدعوهم الى الأسلام . فأشاروا عليه بأبي الصيداء صالح بن طريف ، مولى بني ضبة ، فقال : لست بالماهر بالفارسية ، فضموا معه الربيع بن عمران التميمي ، فقال أبو الصيداء : أخرج على شريطة أن من أسلم لم يؤخذ منه الجزية ، فانما خراج خراسان على رؤوس الرجال ، قال أشرس : نعم ، قال أبو الصيداء لأصحابه فاني أخرج فان لم يفِ العمال أعنتموني عليهم ، قالوا نعم »[406] .

ويرى فان فلوتن ، أن ذلك الأجراء كان بمبادرة من أشرس[407] . وربما يوضح نص الطبري السالف ، أن أشرس استشار مساعديه عما يفعل اتجاه الوضع المضطرب في بلاد ما وراء النهر ، فأشاروا عليه بالرجوع الى اجـراء عمر بن عبدالعزيز باسقاط الجزية عمن أسلم وجلب السغد الى حضيرة الأسلام ، كما أشاروا على أشرس ان يُرسل أبا الصيداء صالح بن طريف ، ذلك الرجل الذي قابل عمر بن عبدالعزيز وشكا اليه الجراح الحكمي ، والي خراسان ، فعزله عمر وأخذ برأي صالح ، فأسقط الجزية عمن أسلم[408] .

كما ويوضح النص أيضا أن صالح أخذ معه بعض المسلمين ، وقال لهم « ... فأني أخرج فان لم يفِ العمال اعنتموني عليهم ، قالوا : نعم »[409] .

ويبدو أن الوفد كان يضم أكثر من اثنين ، فقد كان يضم جماعة على رأسهم صالح بن طريف ، وربما كان هؤلاء ، هم أصحاب الرأي السالف ، بدعـوة

---

(٤٠٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٥٤ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٤٧ .

(٤٠٧) السيادة العربية ، ص٥٢ ، وفلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية وسقوطها ، ص٤٣٤ .

(٤٠٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٥٩ ، وابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ص٥١ .

(٤٠٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٥٤ ، وابن الأثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٤٧ .

السغد الى الأسلام ، فالأجراء ربما لم يكن يمثل وجهة نظر أشرس فقط ، بل كان يمثل رأي جماعة من الرؤوساء العرب والمسلمين ، لذا أخذ به أشرس وهو يعلم أنه يؤدي الى نقص الضريبة المفروضة على السكان .

فشخص ابو الصيداء وأصحابه الى سمرقند ، وكان الحسن بن أبي العمرطه الكندي ، على حربها وخراجها ، فدعا أبو الصيداء أهل سمرقند ومن حولها الى الأسلام ، على ان توضع الجزية عمن يُسلم منهم ، فسارع الناس ، الى الدخول في الأسلام « ... فكتب غوزك[410] ، الى أشرس : ان الخراج قد انكسر ، فكتب أشرس الى ابن أبي العمرطه : أن في الخراج قوة للمسلمين[411] ، وقد بلغني أن أهل السغد وأشباههم لم يسلموا رغبة ، وانما دخلوا في الأسلام تعوذا من الجزية ، فانظر من أختتن وأقام الفرائض وحسن اسلامه وقرأ سورة من القرآن ، فارفع عنه خراجه . ثم عزل أشرس أبن أبي العمر طه عن الخراج ، وصيره الى هانيء بن هانيء ، وضم اليه الاشيحذ ، فقال ابن أبي العمر طه لابي الصيداء : لست من الخراج الآن في شيء ، فدونك هانئا والاشيحذ ، فقام أبو الصيداء يمنعهم من أخذ الجزية ممن أسلم ، فكتب أشرس الى هانيء : ان الناس قد أسلموا وبنو المساجد فجاء دهاقين بخارى الى أشرس فقالوا : ممن تأخذ الخراج ، وقد صار الناس كلهم عربا ؟ فكتب أشرس الى هانيء والى العمال: خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه ، فأعادوا الجزية على من أسلم فامتنعوا ، واعتزل من أهل السغد سبعة آلاف ، فنزلوا على سبعة فراسخ من سمرقند ... »[412] .

ويبدو ان الدعوة الى الأسلام لم تقتصر على سمرقند ونواحيها ، وانما شملت، بخارى ، وبعض مدن بلاد ما وراء النهر ، وان أعضاء الوفد المرافقين لأبي الصيداء،

---

(٤١٠) الامير المحلي لسمرقند .

(٤١١) ستوضح المعنى المراد بكلمتي جزية وخراج ، والواردة في النص المشار اليه ، في موضع لاحق من رسالتنا هذه .

(٤١٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٥٥ ، وابن الأثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، صص١٤٧ــ١٤٨ .

كانوا قد انتشروا في بلاد السغد ، لبث دعوتهم ، فأسلم معظم السغد ، وربما كتب غوزك ، وهو المسؤول عن خراج سمرقند ، الى دهاقين بخارى يطلب منهم مقابلة أشرس واقناعه باعادة فرض الخراج ثانية على جميع الموالي ، فأعاده أشـــرس و « ... كتب الى هانيء والى العمال : خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه ، فاعادوا الجزية على من أسلم ، فأمتنعوا ، واعتزل من أهل السغد سبعة آلاف ، فنزلوا على سبعة فراسخ من سمرقند »(٤١٣) .

ولما رأى أبو الصيداء وأصحابه ذلك ، خرجوا الى أهل السغد وانضمـوا اليهم ، وكان ممن أيـدهم اضـافة الى أبي الصيداء والربيـع بن عمران التميمي « ... القاسم الشيباني ، وأبو فاطمـة الأزدي وبشر بن جرموز الضبي وخالـد ابن عبدالله النحوي وبشر بن زنبور الأزدي وعامر بن قشـيـر ـ أو بشـيـر ، الخجندي ، وبيان العنبري وأسماعيل بن عقبة »(٤١٤) .

ثم عزل أشرس ابن أبي العمر طه عن الحرب ، وولى حرب سمرقنـد للمجشر بن مزاحم السلمي وعين عميرة بن سعد الشيباني لمعاونته(٤١٥) .

فلما وصل المجشر « ... كتب الى أبي الصيداء يسأله أن يقدم عليه هـو وأصحابه فقدم أبو الصيداء وثابت قُطنة ، فحبسهما ... وحمل أبا الصيداء الى الأشرس ، وحبس ثابت قطنة عنده ... فلما حمل أبو الصيداء أجتمع أصحابه وولوا أمرهم أبا فاطمة ، ليقاتلوا هانئاً ، فقال لهم : كفوا حتى أكتب الى أشرس فيأتينا رأيه فنعمل بأمره . فكتبوا الى أشرس ، فكتب أشرس : ضعوا عليهـم الخراج ، فرجع أصحاب ابي الصيداء ، فضعف أمرهم ، فتُتُبع الرؤساء منهـم فأُخذوا ، وحملو الى مرو ، وبقي ثابت محبوسا وأشرك أشرس مع هانيء بن هانيء سليمان بن أبي السري مولى بني عوافة في الخراج ، فالح هانيء والعمـال

(٤١٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٥٥ ، وابن الأثير ، المصدر نفسـه ، ج٥ ، ص١٤٨ .

(٤١٤ ، ٤١٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٥٥

في جباية الخراج ، واستخفوا بعظماء العجم ، وسلط المجشر عُميرة بن سعد على الدهاقين ، فأقيموا وخُرقت ثيابهم ، وأُلقيت مناطقهم في أعناقهم ، وأخذوا الجزية ممن أسلم من الضعفاء ، فكفرت السغد وبخارى ، واستجاشوا الترك »[٤١٦] ، وبذلك تحولت ثورة السغد من ثورة داخلية الى حرب بين العرب والترك ، كان السغد فيها جانبا ضعيفاً في صفوف الترك .

ونرى من المناسب ان نذكر ان موقف الدهاقين ، لم يكن وديا اتجاهالداخلين في الأسلام ، ويعلل فلهاوزن ذلك ، بأنهم (الدهاقين) كانوا مسؤولين عن اداءالمبلغ المتفق عليه في شروط الصلح ، فاسقاط الجزية عن الداخلين في الأسلام يُؤدي الى نقصان ما يستلمه الدهاقين من الخاضعين للضريبة ، ولم يكن الوالي ليقبل منهم أقل من المبلغ المتفق عليه ، لذا كان موقفهم غير ودي من الداخلين في الأسلام[٤١٧] .

ويبدو أن الموقف السابق للدهاقين له أسبابا دينية وسياسية وعنصرية أضافة للأسباب الأقتصادية ، فقد كان يعني قلة اتباعهم بالتدريج وبالتالي زوال نفوذهم[٤١٨] ، ويوضح لنا موقف غوزك المتشدد من الداخلين في الأسلام ذلك توضيحاً جلياً ، فقد حاول جهده أن يثني أشرس عن عزمه باعفاء الداخلين في الأسلام من بعض الضرائب ولما نجح بذلك وثار السغد وطلبوا معونة الترك ، لم يتردد غوزك من الأنضمام الى الترك مع ان مركزه لم يتأثر برجوع أشرس عن قراره السالف .

ويرى فان فلوتن ، ان الدعوة الى الأسلام والعمل على نشره انفصلت عن سياسة الأمويين الأقتصادية ، على أثر ما ظهر بينهما من التعارض ، ذلك ان انتشار

---

(٤١٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ص٥٥–٥٦ ، وابن الأثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٤٨ .
(٤١٧) تاريخ الدولة العربية ، ص٤٣٥ .
(٤١٨) الدوري ، عبدالعزيز ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، نظام الضرائب في خراسان في صدر الاسلام ، العدد ، ١١ ، سنة ١٩٦٤م ، ص٨٥ .

الأسلام يعني أعفاء الداخلين فيه من الجزية وبالتالي يعني نقصاً في وارد بيت المال، ولم يكن ذلك من سياسة الأمويين ، ويستشهد بثورة الحارث بن سُريج لتأييد رأيه[٤١٩] .

ويرجح دينيت أن اجراء أشرس كان يقصد به تهدئة السغد لا رغبة في نشر الاسلام[٤٢٠] .

ويبدو أن أشرس أراد من أجرائه السالف ، الحصول على نتيجة مزدوجة، نشر الاسلام وتهدئة السغد ، لكن الموقف الذي وقفه الدهاقين ، من أجرائه وخشيته من نقصان وارد بيت المال وعدم تفهمه لطبيعة الأمور في ولايته ، دعته الى النكوص عن اجرائه السالف . فأصبح الوضع فيما وراء النهر أسوأ بكثير مما كان عليه قبل قدومه الى خراسان .

وللباحث ان يتساءل ، عما جعل الخراسانيين يخلدون الى الهدوء ، ولم يثوروا ضد أشرس كما فعل السغد ؟ .

ويعلل فلهاوزن ذلك بان الخراسانيين قد تعودوا التبعية السياسية للعرب ، كما أن دخولهم الى الأسلام كان قبل السغد بكثير ، فوحدت رابطة الاسلام بينهم وبين العرب ، ويستطرد الى القول ، أن العرب كانوا من القوة بحيث كان الخراسانيين عاجزين عن القيام باي حركة ضدهم ، وذلك ينطبق على بعض المدن أيضا مثل بخارى وسمرقند ، وكانت قد توطدت فيهما قواعد السيادة العربية ، أما الثوار فكانوا من السغد أعني السكان خارج المدن الكبيرة[٤٢١] . ولا يسع الباحث أن يوافق على أراء فلهاوزن السالفة جميعها ، ولنا أن نرجع الى قول أبي الصيداء « ... انما خراج خراسان على رؤوس الرجال »[٤٢٢] . فأن ذلك يعني أن الخراسانيين كانوا يدفعوا ضريبة واحدة عن رؤوسهم وعن أعمالهم

---

(٤١٩) السيادة العربية ، ص٧٣ .
(٤٢٠) دانيل دينيت ، الجزية والاسلام ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص١٩١ .
(٤٢١) تاريخ الدولة العربية ، ص٤٤٠ .
(٤٢٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٥٤ .

(ضريبة مهنة) وان ضريبة الرأس (الجزية) أسقطت عن أغلبهم منذ زمن عمر ابن عبدالعزيز (رض) وكان أبو الصيداء نفسه هو الذي طالب بذلك[٤٢٣] .

وسنوضح ذلك تفصيلا في الفصل الخامس في موضوع الضرائب في خراسان، كما ان اسقاط الجزية عن معظم الخراسانيين واشتراكهم في الحروب ضد الترك، أعدائهم التقليديين ، أضافة الى دخول معظمهم في الأسلام كان من عوامل الأستقرار في خراسان . ومما تقدم فان تفسير فلهاوزن فيما يخص الوضع المستقر يحتاج الى ايضاحات أخرى غير ما ذكر .

وعلى ما يبدو فان أبا الصيداء أراد ان يأخذ بعض الامتيازات لأهل السغد وان يعاملوا معاملة أهل العهد وذلك بأن ترفع عنهم الجزية ، ويُخفف من ضريبة مهنهم (خراجهم) .

ومع ان أشرس وافق على رفع الجزية لكنه رفض رفع الخراج او التخفيف منه الا بعد التأكد من حسن إسلام الفرد .

وربما فهم السّغديين أن أسلامهم يعفيهم من ضريبة المهنة (الخـــراج)، اضافة لضريبة الرأس (الجزية) فدخلوا الاسلام . فلما طالبهم العمال بالخراج (ضريبة المهنة) رفضوا اعطاءه ، فكانت الحرب بين الطرفين ، وربما لم يتراجع أشرس عن قراره برفع الجزية ، وسنوضح ذلك تفصيلا في الفصل الخامس عند بحثنا موضوع الضرائب في خراسان .

ومن المرجح ان الأختلاف في وجهات النظر حول الضرائب الملغاة او المتبقية هو الذي أدى الى قيام الحرب بين المسلمين والسغديين ، ولم تكن أعادة الجزية وحدها سببا وجيها لاعلان الحرب بين الطرفين كما استنتج دينيت[٤٢٤] . خاصة وقد كان السغديون يدفعونها قبل ذلك .

---

(٤٢٣) أيضا ، ج٦ ، ص٥٥٩ .
(٤٢٤) الجزية والاسلام ، مرمر ١٩٠-١٩١ .

كما يرجح أن هنــاك عوامل أخـرى لعبت دورها ، في ثورة أهـل السغد ، بالتظافر مع العامل الأقتصادي ، منها وجود الترك الأقوياء المستعدون لمســاعدة السغديين عند الحاجة في الفترة المبحوث فيها • كما ان تأييد بعض المتدينين من العرب للسغد لعب دورا هاما في تشجيعهم على الثورة ، وقد أشرنا الى طائفة من أسماء اولئك العرب ، الذين أيدوا السغديين في ثورتهم ، أضافة الى ما سبق ، فقد كان موقف بعض الدهاقين والأمراء المحليين مشجعاً لأهل السغد على الارتداد عن الأسلام ، وقد أوضحنا بعضا من مما قام به دهاقين بخارى وغوزك ، أمـــير سمرقند ، وعرقلتهم دخول أهل السغد في الأسلام ، وانضمام غـــوزك بعدئذ الى جانب الترك ، ومحاربته للعرب[٤٢٥] •

ونرى ان نختم كلامنا عن ثورة السغد بالقول أنها كانت ثورة الســـكان المحليين على السيادة العربية ولم يكن العامل الأقتصادي لوحده ، هو الدافع لقيامها، بل أن هناك عوامل كثيرة شجعت السغديين على الثورة منها جوارهم لبلاد أعـداء أقوياء للمسلمين كالترك الذين كانوا على استعداد دائم لنصرة السغديين عنـــد طلبهم لذلك •

كما كان من عوامل ثورتهم أيضا عدم تغلل الاسلام بينهم • أضافة الى قلة العنصر العربي المستقر في بلادهم ، وتأييد طائفة من المتدينين العرب لهم •

٦ ـ حركات التمرد في مصر :

قامت في مصر حركات وانتفاضات صغيرة محدودة الأثر • فقد تمر القبط في عام ١٠٧هـ في ولاية الحر بن يوسف ، وكان السبب في ذلك أن عبيدالله بن الحبحاب ، متولي الخراج ، أخبر الخليفة « أن أرض مصر تحتمل الزيادة فزاد على كل دينار قيراطا فأنتفضت ••• عامة الحوف الشرقي فبعث اليهم الحر بأهل

(٤٢٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٥٩ •

الديوان[٤٢٦] فحاربوهم فقتل منهم بشر كثير ... »[٤٢٧] .

ويرى الأستاذ الريس ان القبط تمردوا بسبب الزيادة التي فرضها ابن الحبحاب عليهم[٤٢٨] ، ونتيجة للمعاملة القاسية التي عومل بها بعض المسيحيين الذين ادعوا الرهبنة[٤٢٩] ، تخلصا من الجزية فعوملوا تلك المعاملة القاسية[٤٣٠] .

كما تمرد القبط في الصعيد عام ١٢١هـ ، وحاربوا عمالهم ، في ولاية حنظلة ابن صفوان الكلبي ، « ... فبعث حنظلة بأهل الديوان فقتلوا من القبط ناساً كثيراً وظفر بهم »[٤٣١] .

ونرى من المناسب أن نذكر ان الحركتين المذكورتين كانتا محدودتي النطاق كما يصعب تصور نجاحهما . وقد قضي عليهما بيسر وسهولة ، ويرجع ذلك الى ان الأقباط لا يحسنون استعمال السلاح ، ولم يكن بمقدورهم ان يقاتلوا رجالاً على زعم بتشر لم يتعلموا شيئاً في حياتهم غير القتال وسفك الدماء[٤٣٢] .

---

(٤٢٦) أهل الديوان : هم جند الدولة الذين يتسلمون العطاء السنوي .

(٤٢٧) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص ص٧٣-٧٤ ، والمقريزي، أحمد بن علي، الخطط ، طبعة بولاق،القاهرة ، ١٢٩٤هـ ، ومصورة بالاوفست ، بغداد ، ١٩٧٠م ، ج١ ، ص٧٩ . وابن تغرى بردى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٥٩ .

الحوف الشرقي : بمصر حوفان الشرقي والغربي وهما متصلان أولهما الشرقي من جهة الشام والآخر الغربي قرب دمياط يشتملان على بلدان وقرى كثيرة (ياقوت ، معجم البلدان ، مادة الحوف ، ج٢ ، ص٣٢٢) .

(٤٢٨) الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، ص ص٢٥٢-٢٥٣ .

(٤٢٩) ايضا ، ص٢٤٨ ، وبتشر . أ . ل . تاريخ الامة القبطية وكنيستها ، القاهرة ، ١٩٠٠م ج٢ ، ص١٧٩ .

(٤٣٠) دينيت ، المصدر نفسه ، ص ص١٣٠-١٣١ .

(٤٣١) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٨١ ، والمقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٧٩ ، وابن تغرى بردى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٨١ .

(٤٣٢) تاريخ الأمة القبطية ، ج٢ ، ص١٧٩ .

ومما يجدر ذكره ان جند الدولة مسؤولون عن حفظ النظام وتنفيذ أوامر الرؤوساء ، لانهم جيش محترف ، لكن اراء بتشر ينقصها الكثير من الدقـــة والحياد • كما لم يكن لتمردي القبط من نتائج ذات بال في الفتـــرة الثانيـــة لاخمادها •

وفي امرة الوليد بن رفاعة في سنة ١١٧هـ ، أراد وهيب اليحصبي أن يقتل الوليد فقُتل « ••• وذلك ان الوليد بن رفاعة أذن للنصارى في ابتناء كنيسة ••• فخرج وهيب غضباً لذلك »[٤٣٣] • فلما قُتل قامت زوجته تحرض القراء على الأخذ بثأره ، فثار القراء على الوليد بالفسطاط ، وقاتلوه ، فهزمهم ثم عفـــا عنهـــم[٤٣٤] •

ويبدو أن العرب لم يقوموا بحركات في مصر ، عدا ما أسلفنا من حركـة القراء ، فأغلب العرب فيها من اليمن وكان القيسيون فيها قلة • فيذكر الكندي أن عددهم كان ١٥٠٠ عائلة عند وفاة هشام[٤٣٥] ، وذلك لا يدعـــو الى اثارة العصبية بينهم ، كما كان العرب قلة بالنسبة للسكان المحليين ، وكان أغلبهـــم جنداً للدولة ، لم يشتغلوا بالزراعة وغيرها من المهن[٤٣٦] ، ولم ترهق غالبيتهم الضرائب • فربما كان ذلك من بين الأسباب التي دعت العرب الى عدم القيـــام بثورات أو حركات ضد الدولة في مصر •

وكان الولاة مدركين للوضع ، فلم يعاقبوا من تصدى من العرب الى مخالفة بعض أوامر الخليفة[٤٣٧] •

---

(٤٣٣) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٧ ، وابن تغرى بردى ، المصـــدر نفسه ، ج١ ، ص٢٦٥ •

(٤٣٤) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٨ •

(٤٣٥) كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ج١ ، ص٧٧ •

(٤٣٦) يذكر الكندي ، (ج١ ، ص‌ص٧٤ ، ٨١) ان حركتي القبط قضى عليهما اهل الديوان أي جند الدولة •

(٤٣٧) يذكر الكندي (ج١ ، ص‌ص٧٨–٧٩) أن هشاماً أرسل مدى وهو مكيال للحبوب يستعمل في مصر فكسره أحدهم وافتخر بذلك ولم يعاقبه الوالي الوليد بن رفاعة •

٧ ـ حركة المغيرة بن سعيد :

قام بضعة أشخاص بحركة في الكوفة يقودهم رجلان ، أحداهما المغيرة ابن سعيد الذي كان متهماً بالسحر[٤٣٨] ، وثانيهما بيان[٤٣٩] . وقد قال المغيرة بالتجسيم ، أي ان الله تعالى على صورة رجل ، وقال ان عدد أعضائه على عدد حروف الهجاء ، وكان يقول بالوهية علي بن أبي طالب ، وتكفير أبي بكر وعمر وسائر الصحابة عدا المؤيدون منهم لعلي[٤٤٠] .

ويقول المغيرة : « ... لو أردت ان أحيي عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً لاحييتهم ... وكان المغيرة يخرج الى المقبرة فيتكلم فيُرى مثل الجراد على القبور »[٤٤١] .

ويذكر أيضا أن المغيرة قال لمحمد الباقر « ... أقرر أنك تعلم الغيب حتى أجبي لك العراق ، فنهره وطرده ، وجاء الى أبنه ، جعفر بن محمد الصادق فقال له مثل ذلك ، فقال أعوذ بالله »[٤٤٢]

ويظهر مما تقدم أن المغيرة كان من الغلاة الذين ينسبون الى الائمة العلويين صفات الهية[٤٤٣] .

أما بيان فيتفق مع المغيرة في قوله بالوهية الأمام علي بن أبي طالب ، ويقول أيضا بالوهية محمد بن الحنفية وابنه ، أبي هاشم ، وكان يرى انتقال الصفات الالهية بنوع من التناسخ ، كما كان يقول أن الله تعالى يفنى جميعه الا وجهه ،

---

(٤٣٨) يذكر الكشي (الرجال ، ص٢٢٥) ان المغيرة كان يختلف الى يهودية ساحرة ، وكان يأخذ عنها السحر .

(٤٣٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ص١٢٨ .

(٤٤٠) ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٠٨ .

(٤٤١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٢٨ ، وابن الأثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، صص٢٠٧ـ٢٠٩ .

(٤٤٢) ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٠٩ .

(٤٤٣) يذكر الكشي في (الرجال ، ص٢٢٣ ، ص٣٠٢) ان جعفر الصادق قال « ... لعن الله المغيرة بن سعيد انه كان يكذب على أبي (محمد الباقر) ... (و) لعن الله من قال فينا ما لانقوله في أنفسنا ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا واليه مآبنا ومعادنا وبيده نواصينا » .

مستندا الى قوله تعالى « ... ويبقى وجه ربك ذو الجلال والأكرام »[٤٤٤] ، كما أدعى النبوة ، وقال انه المقصود بقوله تعالى « ... هذا بيان للناس »[٤٤٥].

ويتضح مما سبق أن بياناً كان من القائلين بتأويل القرآن الكريم . وقد شارك بيان المغيرة في قوله بقدسية الرقم سبعة وأعلنا تمردها بالكوفة على هذا الأساس[٤٤٦] .

وللباحث ان يتساءل عما دعا المغيرة وبيان الى القيام بحركة صغيرة لا يتوقع لها النجاح .

وربما كان يأس المغيرة من وجود انصار له ، دفعه لأعلان تمرده ، خاصة وقد انكشف أمره للناس وانصرفوا عنه[٤٤٧] ، أضافة الى ذلك ان الباقر وابنه الصادق طلبا من أتباعهما التخلي عن المغيرة وبيان وعدم سماع أقوالهما لأنهما يكذبان على الأئمة[٤٤٨] . فكان المغيرة يدس الغلو في كتب محمد الباقر وأحاديثه[٤٤٩] ، ودس أيضا في كتب أصحاب الباقر[٤٥٠] .

اما بيان فكان يكذب على علي بن الحسين[٤٥١] . وقد أعلن المغيرة وبيان تمردهما في الكوفة ، ضد السلطة الأموية المغتصبة للخلافة في نظرهما مدعيان أنهما من أنصار العلويين[٤٥٢] . ولا تحدثنا المصادر عن أسماء النفر الذين أيدوا

(٤٤٤ ، ٤٤٥) أبن الأثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٠٩ .

(٤٤٦) يذكر الاستاذ كامل مصطفى الشيبي في كتابه (الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري ، بغداد ١٩٦٦ م ص‌ص ٢٥-٢٦) ان أبا هاشم بن محمد بن الحنفية هو أول من قال بقدسية الارقام وقد تبعه بذلك المغيرة الذي قال بقدسية الرقم سبعة وايده بذلك بيان .

(٤٤٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص١٢٨-١٢٩ .

(٤٤٨) الكشي ، المصدر نفسه ، ص٢٢٣ ، ص٢٢٤ ، ص٢٩٠ ، ص٣٠٢ .

(٤٤٩) الكشي ، المصدر نفسه ، ص٢٢٥ .

(٤٥٠) أيضا ، ص٢٢٤ .

(٤٥١) الكشي ، المصدر نفسه ، ص ٣٠٢ .

(٤٥٢) فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص٣١٧ .

المغيرة وبيان في حركتهما عدا تسميتها لهم بالوصفاء[٤٥٣] ٠

أما عن وقت الحركة ، فلا اختلاف في تحديده ، فقد قامت في أواخر ولاية خالد القسري للعراق ، عام ١١٩هـ[٤٥٤] ٠

ويصف فلها وزن حركة المغيرة وبيان بقوله أنها ثورة شيعية ، قتل فيها ثمانية من الفرس[٤٥٥] ٠ ولم تكن لحركة المغيرة من نتائج مهمة ، عدا ما وصف به خالد القسري من الجبن وشتم بسبب ذلك ، فقد قال خالد لما سمع بحركة « ٠٠٠ المغيرة بن سعيد ٠٠٠ اطعموني ماء »[٤٥٦] ٠ فعيّره ابن نوفل الشاعر فقال :

أخالد لا جزاك الله خيرا	وأير في حرأُمك من أمير
وكنت لدى المغيرة عبد سوء	تبول من المخافة للزئير
وقلت لما أصابك أطعموني	شرابا ثم بلت على السرير
لأعلاج ثمانية وشيخ	كبير السن ليس بذى نصير[٤٥٧]

ولم يجد الوالي الأموي صعوبة في القضاء على حركة المغيرة التي كان من مظاهرها التعرض لوحدانية الله من جهة ، وخلق الشك في العقائد الاسلامية من جهة أخرى ٠

---

(٤٥٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٢٩ ، ويذكر فلهاوزن (تاريخ الدولة لعربية ص٣١٧) ان جميع القائمين بها كانوا من الفرس ٠

(٤٥٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ص١٢٨-١٢٩ ٠ وابن الأثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص ص٢٠٧-٢٠٩ ٠

(٤٥٥) تاريخ الدولة العربية ، ص٣١٧ ، ويعلق المترجمان الاستاذان عبدالهادي ابو ريدة وحسين مؤنس في الهامش على رأي فلهاوزن المشار اليه بالمتن ، ان حركة المغيرة ربما كانت لها علاقة بالعباسيين ٠
ومن المرجح ان حركة المغيرة كانت حركة غالية لا علاقة لها بالعباسيين ، اللهم الا اذا اعتبرنا ادعاء بيان بأن أبي هاشم بن محمد بن الحنفية هو الأمام المهدي القائم وسيرجع وانه خليفته (برنارد لوس ، أصول الاسماعيلية ، القاهرة ، ١٩٤٧م ص ص٩١-٩٢) ٠

(٤٥٦ ، ٤٥٧) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ص١٢٩-١٣٠ ، وابن الأثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٠٨ ٠

وربما كان للشتم الذي تعرض له خالد بسبب حركة المغيرة وبيان ، أثر في تشديد العقوبة عليهما وعلى اتباعهما ، فقد أحرقهم خالد بساحة مسجد الكوفة بعد أن ضربهم ضربا مبرحا[458] .

ونرى من المناسب ان نختم كلامنا عن حركة المغيرة وبيان ، بأنها حركة غالية ، نسب القائمون بها الى طائفة من الأئمة ، صفات قدسية ، تتصف بالغلو ، كما لم تكن أهدافها واضحة للناس ، وكانت تفتقر الى مقومات النجاح ، قام بها نفر من اليائسين ، كان المقدم عليهم المغيرة بن سعيد الساحر ، ويليه بيان المتنبيء .

وقد عاقبت السلطة المتمردين بقسوة ، حيث أحرقهم والي العراق ، في ساحة مسجد الكوفة ، أمام الناس . فهم لم يكونوا متمردين ضد سلطة زمنية ، فحسب ، بل خالفوا معتقدات الجماعة ، وخرجوا على مألوف السنة .

٨ـ الدعوة العباسية :

ينتمي العباسيون الى العباس بن عبدالمطلب عم النبي (ص) . وقد بدأت دعوتهم متأخرة بالقياس الى ما قام به العلويون وغيرهم من ثورات ودعوات لاسقاط الحكم الأموي .

لكن الدعوة العباسية استفادت من بعض الفرق الغالية السابقة لها زمنيا كالكيسانية القائلة بامامة محمد بن الحنفية ، فيذكر مؤلف أخبار الدولة العباسية أن « ... تشيّع العباسية أصله من قبل محمد بن الحنفية والى ذلك دعا أبو مسلم حتى كان زمان المهدي ، فردهم المهدي الى اثبات الامامة للعباس بن عبدالمطلب ، وقال لهم ان الامامة كانت للعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنه كان أولى الناس به ... » ثم انتقلت الى اولاد العباس واستمرت فيهم[459] .

ويذكر المؤلف المجهول لاخبار الدولة العباسية أيضا ، ان الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب أعطيا لاخيهما محمد بن الحنفية « ... صحيفة صفراء فيها علم رايات خراسان السود متى تكون ، وكيف تكون ، ومتى زمانها وعلاماتها

(٤٥٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٢٩ .

(٤٥٩) أخبار الدولة العباسية ، ص١٦٥ ، ص١٨٦ .

وآياتها ، وأي أحياء العرب أنصارهم ، وأسماء رجال يقومون بذلك ، وكيف صفتهم ... فكانت تلك الصحيفة عند محمد بن علي بن الحنفية ، حتى اذا حضره الموت دفعها الى ابنه عبدالله بن محمد وهو الذي يُكنى أبا هاشم فكانت عنده ، حتى اذا حضره الموت ، ... ومات بالحميمة عند محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، دفع الصحيفة اليه ، وأوصاه بما أحب ، فكانت عند محمد بن علي حتى اذا حضره الموت أوصى بها الى ابراهيم بن محمد بن علي»[٤٦٠] ، وعلى ذلك فأن أبا هاشم بن محمد بن الحنفية أعطى الصحيفة الصفراء ، وهي جزء من ميراثه من جده علي بن أبي طالب (رض) الى العباسيين على رواية المؤلف المجهول .

وعلى ما في الرواية من هنات ، وادعاءها بان الامام علي بن أبي طالب (رض) وابنيه الحسن والحسين (رض) ، لهم معرفة بعلم الغيب ، لكن ذلك لا يقلل من قيمتها ، في الأدعاء بان بعض ميراث الأمام علي بن أبي طالب ، أنتقل الى العباسيين عن طريق محمد بن الحنفية .

وينقل المسعودي رأي الكيسانية ، فيقول « ... ان محمد بن الحنفية ، هو الأمام بعد علي بن أبي طالب وان محمداً اوصى الى ابنه ابي هاشم وان ابا هاشم اوصى الى علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب ، وان علي بن عبدالله أوصى الى ابنه محمد بن علي وان محمد أوصى الى ابنه ابراهيم الأمام المقتول بحران ، وان ابراهيم أوصى الى أخيه أبي العباس بن عبدالله بن الحارثة»[٤٦١] .

وعلى ما أسلفنا فأن التنازل ، كان لمحمد بن علي العباسي وليس لابيه علي ، على رواية المؤلف المجهول ، ذلك أن محمد بن علي كان تلميذاً وصديقاً لابي هاشم ، ولم يكن أبو هاشم ميالاً لعلي بن عبدالله[٤٦٢] ، فمن المرجح

---

(٤٦٠) أخبار الدولة العباسية ، ص١٨٥ .

(٤٦١) مروج الذهب ، ج٣ ، ص٢٥٤ ، والدوري ، عبدالعزيز ، العصر العباسي الاول ، بغداد ، ١٩٤٥ ، ص٢٠ .

(٤٦٢) أخبار الدولة العباسية ، ص١٧٣ ، والعيون والحدائق ، صص١٨٠-١٨١

أن يكون التنازل لمحمد لا لأبيه ٠

وعلى ما يبدو ، فهناك روايتان تقول احداهما أن الدعوة العباسية أخذت عن أبي هاشم ، والثانية تقول أن الدعوة عن العباس عم النبي (ص)[٤٦٣] ٠

ويرى الأستاذ عمر أن محمد بن الحنفية استغل الكيسانية أوهم الذين استغلوه ، وبعد وفاته التفوا حول ابنه أبي هاشم ، وكان محمد بن علي العباسي، تلميذا لأبي هاشم وصديقاً له ، فسلمه مقاليد الدعوة السرية الهاشمية واعطاه الصحيفة الصفراء ، عند وفاته بالحميمة[٤٦٤] ٠ وعلى ذلك فان الاستاذ عمر يؤيد تنازل أبي هاشم عن الامامة لمحمد بن علي العباسي ٠

ويرى فلهاوزن ، أن التنازل ما هو الا رواية أسطورية وان كانت لها شواهد قوية ولولا ذلك لحذر العباسيون أن يقيموا حقهم على مثل ذلك الأساس ، ويؤكد أن التنازل كان لمحمد بن علي العباسي[٤٦٥] ٠

ويرى فان فلوتن صحة التنازل ، واستخلاف أبي هاشم لمحمد بن علي العباسي[٤٦٦] ٠ ويرى عمر أن علي بن عبدالله العباسي ، كان أول شخصية عباسية طمحت الى الخلافة ، فنفاه الوليد بن عبدالملك الى الحميمة ، ولما توفي عام ١١٨هـ ، ظهرت شخصية ابنه محمد ، وكان صديقاً لابي هاشم ، ويستطرد الى القول أن محمد بن علي العباسي كان أول منظم للدعوة[٤٦٧] ٠

ولما لم يكن لأبي هاشم ولد ذكر ، فقد كان نسله من البنات[٤٦٨] ، فربما

---

(٤٦٣) أيضا ، ص١٦٥ ، والعيون والحدائق ، ص١٨٠ ٠

(٤٦٤) عمر ، فاروق ، العباسيون الاوائل ، بيروت ، ١٩٧٠م ، ج١ ، ص‌ص ٣٨ـ٣٩ ٠

(٤٦٥) تأريخ الدولة العربية وسقوطها ، ص‌ص٤٧٦ـ٤٧٧ ٠

(٤٦٦) السيادة العربية ، ص‌ص٩٣ـ٩٤ ، وأمير علي ، المصدر نفسه ، ص١٣٦ ، والدوري العصر العباسي الاول ، ص٢١ ٠

(٤٦٧) العباسيون الأوائل ، ج١ ، ص‌ص٤٠ـ٤١ ، وفان فلوتن ، المصدر نفسه، ص٩٤ ، وأمير علي ، المصدر نفسه ، ص١٣٦ ٠ والدوري ، العصرالعباسي الاول ، ص‌ص٢١ـ٢٢ ٠

(٤٦٨) أخبار الدولة العباسية ، ص١٧٧ ٠

دعاه ذلك الى التنازل عن الأمامة لمحمد بن علي العباسي ، ويذكر صاحب أخبار الدولة العباسية ، أن محمد العباسي لم يتسم بالأمامة ، الا بعد موت أبي هاشم[469] ، وربما أعطانا ذلك دليلا بان التنازل كان لمحمد وليس لابيه ، وربما كان طموح علي العباسي لنيل الخلافة ليس له علاقة مباشرة بالتنازل ، وربما أتخذ بعدئذ كحجة للعباسيين بان دعوتهم تسبق تنازل أبي هاشم ، قال صاحب أخبار الدولة العباسية ، أن « ... تشيع العباسية أصله من قبل محمد ابن الحنفية ، والى ذلك دعا ابو مسلم ، حتى كان زمان المهدي »[470] .

اما لماذا تنازل أبو هاشم لمحمد بن علي العباسي دون غيره من بني هاشم ، ولم يكن هو أقربهم اليه ، فيعلل عمر ذلك بان بني هاشم كانوا متحدين ضد الأمويين ، كما كان محمد تلميذاً وصديقاً لأبي هاشم[441] .

ويبدو ان للظروف أثرها في ذلك التنازل ، فعند وفاة أبي هاشم لم يكن بقربه الا أولاد العباس ، وربما تنازل لمحمد بن علي العباسي ، أو أخبره أن يعطيها لغيره ، وكان محمد طموحاً فأخذها لنفسه ، وبقدر ما يتعلق الأمر بمحمد فأنه عرف الدعاة واسماءهم وسأل عنهم من أبي هاشم ، قبيل تنازله ، وكان الدعاة قد سألوا عنه ، فيذكر صاحب أخبار الدولة العباسية . « ... قال الخراسانيون الذين أرادوا القيام في الدعوة : لا يصلح هذا الأمر الا لرجل من هؤلاء القوم يجتمع لنا فيه ثلاث خصال يكون أعظمهم شرفاً ، وأفضلهم في نفسه دينا ، وأسخاهم كفا ... ، فقدموا المدينة ، فاتفق لهم عبدالله بن الحسن ابن الحسن فأنسلو اليه متنكرين فقالوا له : انا قوم من شيعتك ، وانا خرجنا من خراسان وبعث معنا بأموال نشتري بها لمن خلفنا حوائج فقطع علينا فذهبت الاموال ... وقد احتجنا الى قرض وسموا له المال : فقال لهم عبدالله بن الحسن ادلكم على نظيري في الشرف والمذهب وفي الدين ، وهو أجمل لما تريدون مني ،

---

(469) ايضا ، ص167 .

(370) ايضا ، ص165 ، ص186 .

(471) العباسيون الاوائل ، ج1 ، ص ص40-41 .

محمد بن علي بن عبدالله بن عباس فجاؤه فقالوا له مثل ما قالوا لعبدالله فحمل اليهم المال وهو لا يعرفهم ٠٠٠ وكان سبب قيامهم »[٤٧٢] ٠

ويتضح من الرواية السالفة ، أن الدعاة ، كانوا يجهلون لمن أوصى ابو هاشم من بعده بالأمامة ، فهو لم يخلف ولداً ذكراً ، لذا ذهبوا الى أولاد ابن عمه الحسن بن علي (رض) وهم أقرب اليه نسبا من أولاد العباس بن عبدالمطلب، كما لم يذهبوا الى اولاد الحسين بن علي (رض) لعلم الدعاة ان علي زين العابدين (رض) المتوفى عام ٩٥هـ[٤٧٣] ٠ واولاده ، وكان المقدم عليهم محمد الباقر (رض) المتوفى عام ١١٤هـ[٤٧٤] ، لم يكونوا ميالين للثورة في ذلك الوقت بل كانا منصرفين للعبادة والتدين[٤٧٥] ٠ وان الخروج بالسيف له وقت وميعاد حسب رأيهما[٤٧٦] ٠

كما تشير روايتنا السالفة أيضا ان محمد العباسي ، لم يكن يعرف الدعاة لكنه أكرمهم وأعطاهم من ماله ما شاؤا من الاموال ، ولا يبدو ذلك أمراً منطقياً وربما عرفهم ، ولم يشأ أن يفاتحهم بذلك منتظراً منهم ان يفصحوا عن أنفسهم وقد فعلوا ٠

وللباحث أن يتساءل عن الدافع الذي حدا بأبي هاشم الى التنازل لمحمدالعباسي، ولم يتنازل لابيه علي العباسي ، وهو لازال حياً ، فربما كان ذلك لأن محمدا كان صديقاً وتلميذاً لابي هاشم[٤٧٧] ، وان للوراثة الروحية أثر في ذلك التنازل ،

(٤٧٢) أخبار الدولة العباسية ، صص١٧٠-١٧١ ، والعيون والحدائق ، صص ١٧٩-١٨٠ ٠

(٤٧٣) السعودي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٦٩ ، ويذكر اليعقوبي (التاريخ ، ج٢ ، ص٣٠٢) أنه توفي عام ٩٩ أو ١٠٠ للهجرة ٠

(٤٧٤) ابن الاثير ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٨٠ ، ويذكر اليعقوبي (التاريخ ، ج٢ ، ص٣٠٣) أن وفاة محمد الباقر كانت عام ١١٧هـ ٠

(٤٧٥) أخبار الدولة العباسية ، ص٢٠٤ ، واليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ ، ص٣٠٣، صص٣٢٠-٣٢١ ، وأمير علي ، المصدر نفسه ، ص١٣٥ ٠

(٤٧٦) المجلسي ، المصدر نفسه ، ج١١ ، ص١٩٦ ٠

(٤٧٧) أخبار الدولة العباسية ، ص١٧٣ ، وعمر ، العباسيون الأوائل ، ج١ ، ص٣٩ ٠

ومن المحتمل أيضا ان علي العباسي ، لم يشأ أن يورط نفسه ، وهو رجل كبير السن ، بأمور كالتي سبقت .

وعلى رواية ثانية ، فقد « ... كان قوم من أهل خراسان يختلفون الى أبي هاشم فمرض مرضه الذي مات فيه ، فقال له قوم من أهل خراسان ، من تأمرنا نأتي بعدك ؟ قال هذا وهو عنده قالوا : من هذا ؟ قال : محمد بن علي بن عبدالله بن عباس فقالوا مالنا ولهذا ؟ قال : لا أعلم أحد أعلم منه ولا خيراً منه ، فاختلفوا اليه ، قال عيسى ، فذاك سببنا بخراسان[٤٧٨] .

ويبدو أن الرواية السالفة ليست دقيقة ، وربما كانت الرواية التي تتحدث عن مجيء الدعاة الى عبدالله بن الحسن وان عبدالله أرسلهم الى محمد بن علي العباسي ، أرجح منها ، فقد كان العلويون ، على علم بدعوة أبي هاشم ، وربما وشى به بعضهم الى الوليد بن عبدالملك[٤٧٩] ، فلما مات أبو هاشم بالحميمة من أرض الشراة ، عند محمد بن علي العباسي ، وجاء دعاة خراسان الى عبدالله بن حسن تركوه ، ومع أن الرواية تقول أنهم طلبوا بعض المال فأرشدهم عبدالله بن حسن الى محمد العباسي ، لكن المرجح أنهم لم يجدوا العلامات التي يعرفونها عند امامهم أبي هاشم كالخاتم الذي كان يختم به كتبه اليهم أو كتاباً منه يوصي به بالامامة الى أحد أبناء الحسن بن علي (رض) لذا تركوه ، وقد وجدوا تلك العلامات عند محمد بن علي العباسي فأقروا بامامته[٤٨٠] ، ولم يرسلهم عبدالله بن حسن العلوي كما تشير الرواية السالفة على الارجح .

كما لا تحدد المصادر سنة وفاة أبي هاشم ، لكنها تذكر ، أن وفاته كانت في عهد سليمان بن عبدالملك[٤٨١] ، ٩٦-٩٩هـ ، وعلى رواية ثانية ، فقد مات أبو

---

(٤٧٨) أخبار الدولة العباسية ، ص١٧٣ .
(٤٧٩) أخبار الدولة العباسية ، صص١٧٤-١٧٥ .
(٤٨٠) العيون والحدائق ، ص١٨١ .
(٤٨١) اليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٩٧ ، وابن قتيبة ، المنسوب ، الامامة والسياسة ، ج٢ ، ص١٣١ .

هاشم مسموماً في عهد الوليد ٨٦–٩٦هـ[٤٨٢] ، وفي غيرها فأن الذي سمه هشام ابن عبدالملك[٤٨٣] .

ويبدوا أن وفاة ابي هاشم كانت في عهد سليمان ، يدلنا على ذلك اتصال الدعاة ، بمحمد العباسي في حدود عام ١٠٠هـ ، على ما سيأتي أي في السنة التالية لوفاة سليمان .

وبعد وفاة أبي هاشم ، وفد الدعاة من أهل خراسان على محمد بن علي العباسي[٤٨٤] ، ومع أن مؤلف أخبار الدولة العباسية لا يذكر أسماء النفر الذين وفدوا أول مرة على محمد العباسي ، كما أسلفنا ، كذلك لا يحدد زمان وفودهم، لكن المرجح أن ذلك كان بعد وفاة أبي هاشم ، ولما كانت وفاة أبي هاشم في عهد سليمان ، على ما أسلفنا ، فربما وصل الوفد الى الحميمة بعد وفاة سليمان ، أي في خلافة عمر بن عبدالعزيز (رض) ٩٩–١٠٢هـ على الأرجح ، وربما كان الوفد قد وصل في حدود عام ١٠٠هـ ، على روايتي الطبري ، وابن الأثير[٤٨٥] .

ومع أن الدينوري ، يضع ذلك في عام ١٠١هـ ، فلا يبدو ذلك ذو أهمية ، خاصة وهو يتفق مع الطبري ، وابن الأثير في ذكر أسماء النفر الذين وفدوا الى محمد العباسي ، ويذكر الدينوري أيضا ، أن أعضاء الوفد بايعوا محمداً العباسي بالأمامة ، فكانت أول مبايعة له على ذلك ، « ... أبسط يدك لنبايعك على طلب هذا السلطان ، لعل الله يحي بك العدل »[٤٨٦] .

ويضع الطبري أسماء النفر تحت عنوان « اول الدعوة »[٤٨٧] وربما كان

---

(٤٨٢) أخبار الدولة العباسية ، صص١٨٨–١٨٩ ، والعيون والحدائق ، ص١٨١ .

(٤٨٣) ابن الطقطقي ، المصدر نفسه ، ص١٤١ .

(٤٨٤) أخبار الدولة العباسية ، صص١٧٠–١٧١ ، والعيون والحدائق صص ١٧٩–١٨٠ .

(٤٨٥) تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٥٦٢ ، والكامل ، ج٥ ، ص٥٣ ، وفلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، صص٤٧٨–٤٧٩ .

(٤٨٦) الاخبار الطوال ، ص٣٣٢ .

(٤٨٧ ، ٤٨٨) تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ص٥٦٢ .

ذلك ، لأنها اول دعوة للعباسيين ، ويحدد ذلك في عام ١٠٠هـ ، في خلافة عمر ابن عبدالعزيز[٤٨٨] ، ولما كانت بقية الرواية تشير الى ان أعضاء الوفد رجعوا الى خراسان واختاروا أثني عشر نقيباً من بين أنصارهم ، وأرسلوا بأسمائهم الى محمد بن علي العباسي[٤٨٩] ، فان ذلك يوضح أن لهم أتباعاً قبل هذا التاريخ وكان عددهم كبيراً ، كما يذكر أنهم اختاروا سبعين آخرين مساعدين لهم[٤٩٠] . ويضيف المؤلف المجهول أنهم اختاروا أيضا اثنى عشر آخرين وهم نضراء للنقباء بعضهم من السبعين ، ويذكر أيضا ، أن عددهم ربما كان عشرين أو واحدا وعشرين[٤٩١] .

ويذكر مؤلف أخبار الدولة العباسية ، أن الأمام أوصى الدعاة ، الا يكثروا من أهل الكوفة[٤٩٢] ، فانقضت سنة ١٠٠هـ ، ولم يبلغ عدد المنضمين للدعوة ، من أهل الكوفة ، ثلاثين شخصا[٤٩٣] ، وكان الأمام قد اوصى الدعاة « ... الا يقبلوا منهم الا أهل النيات الصحيحة »[٤٩٤] مع ان الكوفة كانت مركز الدعاة

---

(٤٨٩) ويذكر الطبري (ج٦ ، ص٥٦٢) ، أن محمد العباسي ، أرسل لهم « ... كتاباً ليكون مثالاً وسيرة يسيرون بها » ولا يذكر نص الرسالة ، وسنشير بعد قليل ، في المتن الى أهم ما أحتوته رسالة الأمام ، نقلاً عن المؤلف المجهول لأخبار الدولة العباسية .

(٤٩٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٦٢ .

(٤٩١) يذكر مؤلف (أخبار الدولة العباسية ، صص ٢١٦ـ٢١٧) أسماء النقباء . وفي (صص ٢١٩ـ٢٢٠) أسماء نضراء النقباء ، ويذكر في (صص ٢١٧ـ٢١٩) أسماء السبعين ، ثم يذكرهم أيضا في (صص٢٢١ـ٢٢٢) ، ثم يذكر في (ص٢٢٢) أسماء دعاة الدعاة .

(٤٩٢) أخبار الدولة العباسية ، ص١٩٣ .

(٤٩٣) ايضا ، ص١٩٤ ، ص١٩٦ .

(٤٩٤) أيضا ، ص١٩٤ ، ويشير تنظيم الدعوة أنها كانت على شكل هرم يكون الامام قمته ثم يأتي بعده النقباء وعددهم (١٢) ثم نضراء النقباء وعددهم (٢٠) والدعاة ، وعددهم (٧٠) ودعاة الدعاة وعددهم (٣٧) ويعلل فاروق عمر ، (طبيعة الدعوة العباسية ، بيروت ١٩٧٠م ، ص١٥٩) وجود دعاة الدعاة ، بانهم الدعاة الذين ارسلوا الى القرى ، **أما النضراء فيخلفوا النقباء** اذا حصل لهم مكروه ، (اخبار الدولة العباسية ، ص٢١٩) وكان بعضهم من السبعين .

الذي يربط بين أتباعها في خراسان ، وبين الامام في الحميمة[495] •

كما أوصى محمد بن علي : « ••• رجال الدعوة حين أراد توجيههم : أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي وولده ، وأما البصرة وسوادها فعثمانية ••• وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى ، وأما أهل الشام فليس يعرفون الا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان ، وعداوة لنا راسخة ، وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهم ابو بكر وعمر ، ولكن عليكم بخراسان ، فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ، وهناك صدور سالمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء ، ولم تتوزعها النحل ••• وما يزالون يُدالون ويُمتهنون ويُظلمون ويكظمون ويتمنون الفرج ويؤملون »[496] •

وللباحث أن يتساءل عن الدافع الرئيس الذي حدا بمحمد العباسي الىاختيار خراسان مركزا لنشر الدعوة العباسية •

فيذكر بعض المؤرخين المحدثين أن ذلك يرجع الى سوء حالة الموالي الأقتصادية والاجتماعية[497] • ويذكر الأستاذ عمر ، أن سياسة الأمويين الاقتصادية في الاستيلاء على ريع خراسان ، وسياسة ابقاء القوات العربية على حدود العدو وعدم فسح المجال لهؤلاء لقضاء مدة كافية مع عوائلهم ومجيء قوات أموية من الشام والعراق ، وحذف أسماء طائفة من المقاتلة العرب من ديوان الجند ، مع ما رافق ذلك من اختلاط العرب بالسكان المحليين فشعر الجميع بنفس الأخطاء السياسية وبعين المساوىء الأقتصادية ، وكان مصدر تذمرهم واحد، هو سوء سياسة الأمير الأموي وجشع الدهقان الفارسي كل ذلك أدى الى تذمر

(٤٩٥) العيون والحدائق ، صص ١٨٠ـ١٨١ •

(٤٩٦) أخبار الدولة العباسية ، صص٢٠٦ـ٢٠٧ •

(٤٩٧) فان فلوتن ، المصدر نفسه ، صص ٩٤ـ٩٥ ، وبندلي جوزي ، من تاريخ الحركات الفكرية في الأسلام ، بيروت ، لا • ت ، صص٦٢ـ٦٤ ، وحتي، تاريخ العرب ، ج٢ ، ص ٣٥٤ • والدوري ، العصر العباسي الاول ، ص٦ •

السكان عربا وموال • ولم تقتصر الحالة السيئة على الموالي وحدهم[٤٩٨] •

ويرى دينيت أن من الخطأ الكبير أن نفترض تفسيرا اقتصاديا للثـــورة العباسية ، فاذا قيل أن الموالي كانوا يستغلون فان مستغليهم كانوا من أبناء جلدتهم وليس من العرب[٤٩٩] •

كما يرى الأستاذ الدوري أن الدعوة العلوية لم تكن قوية بخراسان لـذا فان أرضها كانت تربة صالحة لغرس بذور الدعوة العباسية[٥٠٠] ومع أن المصادر تشير الى أن الدعوة العباسية كانت وارثة للهاشمية والتي كان لهـــا أنصارها في خراسان قبل الدعوة العباسية ، على ما أسلفنا ، فأن الأخيرة ركزت جهودها على خراسان ، أما ما قيل عن وصية الأمام محمد بن علي العباسي لدعاته ، التي أشرنا اليها فيما سبق ،فربما وضحت جانباً مهماً من أراء عامة المسلمين في بعض أقاليـم الدولة الأموية الرئيسة وربما كانت من وضع جماعة من المؤرخين الرواد للتدليل على ما للأمام العباسي من عقل راجح مدرك للأمور ، وربمـــا وضعت في وقت لاحق ، ولكن يبدو من غير المستبعد أن يدرك شخص لا يشترط فيـه الذكاء المفرط ، أن أقاليم الدولة الأموية لم تكن اكثرها ، حينذاك صالحة لغرس بذور دعوة جديدة ، كالدعوة العباسية فأغلب أهل الكوفة كانوا مؤيدين للعلويين من آل الحسين[٥٠١] • وكانت البصرة قد نُكبت في واقعة الجمل ، ومع أن ثورات قامت بعدها ، أيدها طائفة من سكان البصرة ، لـكن أغلبهم لم يكن على استعداد لتكرار المأساة ، كما لم يكن عامة العراقيين مستعدون للتضحية وقد أضاعوا الخلافة منذ أيام صفين •

ولم يكن الأمام العباسي يرجو نفعاً من أعلاج الجزيرة ، حسب تعبيره ، وكان سكان الحجاز منصرفين الى أمور غير أمور السياسة ، أضافة الى فقـــر

---

(٤٩٨) عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ، صص١٣٩ـ١٤٠ •
(٤٩٩) الجزية والأسلام ، ص١٩٦ •
(٥٠٠) العصر العباسي الاول ، ص١٦ •
(٥٠١) راجع بحثنا عن ثورة زيد بن علي وتأييد أهل الكوفة للحسينيين •

الحجاز .

كما خسر القيسيون الشام منذ أيام معركة مرج راهط . واصبحت القيادة لقبائل اليمن ، وان كانت الرئاسة للامويين ، ولم يكن الأمام العباسي يرجو أفضل من خراسان التي تقع على حدود الأعداء ، وكانت السلطة فيها مشغولة ، في أغلب الأحيان ، بحروبها مع الترك ، كما كان عربها منقسمين على أنفسهم بسبب العصبية القبلية[٥٠٢] . أضافة لغنى خراسان وانتشار الدعوة لآل محمد فيها قبل الدعوة العباسية[٥٠٣] ، كل ذلك ربما كان من العوامل المهمة لتوجيه الدعاة الى خراسان، ولا يشترط أن يكون ذلك بوصية من الأمام في بداية الدعوة .

ويذكر مؤلف أخبار الدولة العباسية ، أن الدعاة كانوا يجمعون الخمس من مؤيدي الدعوة ، وكان للنساء دورهن في تأييد الدعوة[٥٠٤] ، حتى بلغ الحماس بعضهن فتبرعن بحليهن[٥٠٥] .

وكان أبو هاشم بكير بن ماهان ، يحمل تلك الأموال والهدايا من الحلي والثياب الى الامام[٥٠٦] .

وتشير بعض المصادر الى وصيـــة محمد بن علي العباسي لبعض دعاته أن يستتروا وأن يتزيوا بزي التجار ويدعوا « ... الى الرضا من آل محمد »[٥٠٧]. كما أوصى محمد بن علي أحد دعاته أبا عكرمة ، زياد بن درهم ، لما وجهـــه الى خراسان « ... اكتن بابي محمد ... وليكن اسمي مستورا ... فان سئلتم

---

(٥٠٢) حتي ، تأريخ العرب ، ج٢ ، ص٣٥٦ .

(٥٠٣) قال المؤلف المجهول للعيون والحدائق (ص١٨١) : « ... انتشر بخراسان دعاة من الشيعة وقد انقسموا قسمين قسم منهم يدعو الى آل محمد على الأطلاق والقسم الثاني يدعو الى أبي هاشـــم بن محمد بن الحنفيـــة ... » .

(٥٠٤) أخبار الدولة العباسية ، ص٢٠٣ .

(٥٠٥) ايضا ، ص‌ص٢٢٣ـ٢٢٤ .

(٥٠٦) ايضا ، ص٢٣٧ .

(٥٠٧) ايضا ، ص‌ص٢٠٣ـ٢٠٤ .

عن اسمي فقولوا : نحن في تقية ، وقد أمرنا بكتمان اسم امامنا ، واذا قدمت مرو فاحلل في أهل اليمن ، وتألف ربيعة ، وتوقَّ مضر وخذ بنصيبك من شُقاتهم ، واستكثر من الأعاجم فانهم أهل دعوتنا ، وبهم يؤيدها الله وأحذر غالباً ووهيطاً قد ظاهروه ••• وكانوا غالب وأصحابه ، فاطميين دانوا بامامة محمد بن علي بن الحسين ••• وقال : انه محرم عليكم أن تشهروا سيفا على عدوكم ، كفوا أيديكم حتى يؤذن لكم ، وبهذا سميت : الكفية ، لأنهم كفوا أيديهم فلم يشهروا سيفاً »[٥٠٨] •

ويبدو أن الدعوة العباسية ، وجدت لها كثيرا من الأتباع ، فيذكر الطبري أن زياداً الملقب بابي محمد ، والذي أشرنا اليه ، كان المسؤول عن الدعوة في منطقة مرو ، وكان يقدم الطعام لأصحابه ويشير أن أحد أنصار الفاطميين قد وفد عليه ، فجرى بينهما نقاشاً في أحقية أولاد فاطمة (رض) أو أولاد العباس بالخلافة[٥٠٩] وربما وضحت لنا رواية الطبري هذه سعة الدعوة وانتشارها ومن المحتمل أن السلطة الأموية شعرت بها ، لما كان يقوم به زياد بن درهم من نشاط، فاخبر المسؤول عن خراج مرو ، أسدا القسري ، والي خراسان ، عنه • فاستدعاه وأمره بالرحيل فاحتج زياد بأن له تجارة ، ولما عاود أمره ، استدعاه أسد ثانية ، وأمر باعدامه مع عشرة رجال وصبيين عفا عن أحدهما ، وأعدم الآخر[٥١٠] •

ويبدو أن الدعوة أصيبت بانتكاسة مؤقتة ، بعد أعدام زياد وجماعته ، فارسل محمد العباسي رجلا يقال له كثير لأعادة تنظيم الدعوة ، ولا يشير الطبري الى بقية أسمه لكنه يذكر أنه من أهل الكوفة ، وكان أميا « ••• فقدم عليه خداش ، ••• فقلب كثيرا على أمره •

ويقال : كان اسمه عمارة فسمى خداشا لأنه خدش الدين »[٥١١] •

---

(٥٠٨) أخبار الدولة العباسية ، ص‌ص٢٠٣ـ٢٠٥ ، والطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٤٩ •

(٥٠٩) تأريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٥٠ •

(٥١٠) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص‌ص٥٠ـ٥١ •

(٥١١) ايضا ، ج٧ ، ص٥١ •

ويبحث الطبري ذلك في أحداث عام ١٠٩هـ .

وعلى رواية ثانية للطبري ، فان خداش هو عمارة بن يزيد وجهه بُكير بن ماهان الى شيعة بني العباس بخراسان لكنه « ... غيّر اسمه وتسمى بخداش ، ودعا الى محمد بن علي فسارع اليه الناس وقبلوا ما جاءهم به وسمعوا اليه وأطاعوا ثم غير ما دعاهم اليه ، وتكذب وأظهر دين الخرمية ودعا اليه ورخص لبعضهم في نساء بعض ، وأخبرهم ان ذلك عن أمر محمد بن علي ، فبلغ أسد بن عبدالله خبره ، فوضع عليه العيون حتى ظفر به فأتي به ... فأمر به فقطعت يده وقلع لسانه وسملت عينيه »[٥١٢] . ويبحث الطبري ذلك في أحداث عام ١١٨هـ .

ويشير المؤلف المجهول لأخبار الدولة العباسية ، أن الأمام محمد العباسي أرسل أبا هاشم بكير بن ماهان ، الى خراسان فأستقبلته الشيعة وكان أمرهم قد قوى فدفع كتاب الأمام الى سليمان بن كثير ، وفيه يأمرهم بتقوى الله[٥١٣] ، ومعه كتاب آخر صغير يتبرأ فيه من خداش[٥١٤] .

وكان الأمام ، قد أرسل قبل ذلك كتابا مع قُحطبة بن شبيب الطائي ، ولم يصل في وقته ، فقد مرض قحطبة ووصل بعد وصول بكير بن ماهان ، فقرأوا كتاب قحطبة وفيه اشارة لارسال بكير بن ماهان لتنظيم الدعوة[٥١٥] .

ولا يذكر المؤلف المجهول متى أُرسل خداش ، وسبق ان أشرنا الى وجود روايتين حول الموضوع : اولاهما تقول ان خداشا أرسل عام ١٠٩هـ[٥١٦] ، والثانية تقول أنه أرسل عام ١١٨هـ[٥١٧] . ويرى الأستاذ عمر أن خداشا أرسل عام ١١٨هـ[٥١٨] ، لكن الحوادث التي سنذكرها لا تؤكد ما ذهب اليه الأستاذ

---

(٥١٢) تأريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٠٩ .
(٥١٣) اخبار الدولة العباسية ، ص٢٠٨ .
(٥١٤) ايضا ، ص٢١٢ .
(٥١٥) أخبار الدولة العباسية ، ص٢١٣ .
(٥١٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٥١ .
(٥١٧) أيضا ، ج٧ ، ص١٠٩ .
(٥١٨) طبيعة الدعوة العباسية ، ص١٥٦ .

عمر ، فان محمد بن علي العباسي ، لم يكتب لشيعته بعد أعدام خداش وغضب منهم ، فاجتمعوا وارسلوا اليه سليمـــان بن كثير ، فكتب اليهـــم كتاباً مختوماً ... ففضلوا خاتمه فلم يجدوا فيه شيئا ، الا : « بسم الله الرحمن الرحيم » فغلظ ذلك عليهم وعلموا ان ما كان خداش أتاهم به لأمره مخالف »[519] .

« وفي هذه السنة [١٢٠] وجه محمد بن علي بكر[520] بن ماهان الى شيعته بخراسان بعد منصرف سليمان بن كثير من عنده اليهم ، وكتب معه اليهم بكتابه فلم يصدقوه واستخفوا به ، فانصرف بكير الى محمد بن علي ، فبعث معه بعصي مضببة ... فقدم بها بكير وجمع النقباء والشيعة ودفع الى كل رجل منهم عصا ، فعلموا أنهم مخالفون لسيرته ، فرجعوا وتابوا »[521] .

ويبحث الطبري كل ذلك في أحداث عام ١٢٠هـ . ولما كان خداش قـــد أرسل عام ١١٨هـ ، على رأي الأستاذ عمر ، فمن المستبعد أن تبلغ دعوته تلـك السعة خلال سنتين ، وربما كان الارجح ، أن خداشا قدم بعد ارسال كُثير بسنة أو سنتين[522] ، وكان كثير قد أرسل عام ١٠٩هـ على رواية الطبري[523] ، فأن ترأس خداش للدعوة كان بعد عام ١٠٩هـ ، أي بعد أعدام زياد وجماعته في ولاية أسد القسري الاولى على خراسان وذلك يعني أن خداشاً ، قد ترأس الدعوة بين عامي ١١٠هـ ، أو ١١١هـ ، واستمــــر على ذلك الى عـــام ١١٨هـ ، حيث أعدم[524] ، وربما وضح ذلك أيضا أن الدعوة انتشرت وكثر أتباعها ، على يد خداش ، بعد انتكاستها ، عند أعدام زياد بن درهم ، وجماعته من الدعاة[525] .

ونرى من المناسب ان نوضح ان ترأس أحد الدعاة للدعـــوة العباسية في

---

(٥١٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٢ .
(٥٢٠) كذا والصحيح بُكير .
(٥٢١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٢ .
(٥٢٢ ، ٥٢٣) تأريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٥١ .
(٥٢٤) فان فلوتن ، المصدر نفسه ، ص٩٩ ، ص١٠٦ . وفلهاوزن ، تأريخ الدولة العربية ، ص٤٨٧ .
(٥٢٥) عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص١٥٦ .

خراسان ، ومجيء آخر بعده ، وتحديد وقت معين لذلك ، يبدو أمرا صعبا : للطبيعة السرية للدعوة العباسية .

وللباحث أن يتساءل عن دافع تبرأ الأمام محمد بن علي من خداش بعد افتضاح أمره ، ولم يتبرأ منه قبل ذلك ؟ ، ويرى فلها وزن ان العباسيين استفادوا من جماعات كثيرة غير خداش ، ولم ينبذوهم الا فيما بعد ، فالعباسيون لم يظهروا بمظهر المتمسك بمذهب الجماعة الا بعد أن وصلوا الى غايتهم[٥٢٦] .

ويرى الأستاذ عمر ، ان خداشا لم يكن يمثل وجهة نظره فقط ويستطرد أثر كبير في نجاح الدعوة العباسية[٥٢٧] .

ويرى فان فلوتن أن العقائد الشيعية ، كالتي دعا اليها خداش ، لم يكن لها الى القول أن الدعوة العباسية ، التي ترجع في اصولها الى الدعـوة الهاشمية ، استغلت المبادىء الدينية الاسلامية . ولكنها لم تتورع من ادخال آراء غير اسلامية متطرفة فظهرت بواجهة اسلامية للبعض ، وبواجهة متطرفة خرمية للبعض الآخر، مما اكسبها مرونة وجلب لها الأتباع[٥٢٨] .

ونرى من المناسب أن نذكر ان الأمام العباسي يهمه أمران أولهما انتشـار الدعوة وسريتها وثانيهما خضوع الدعاة لتوجيهاته والالتزام بأوامره والاعتراف بامامته ، ولنا ان نذكر أيضا ان محمد بن علي العباسي ، لم يكن له دور كبير في اختيار الدعاة او الاطلاع على طبيعة ما يقولونه .

وفيما يتعلق بخداش ، فأنه أظهر نشاطاً كبيراً وقد أعدمه أسد القسـري لما يُقال من اتباعه للخرمية ولم تجر له محاكمة علنية ، كما تبرأ منـه الامام العباسي ، ولا يشترط ان يكون خداش قد أمر اتباعه باتباع الخرمية ليعدمه أسد ، ويتبرأ منه الامام العباسي ، فقد دعا الى الثورة على الامويين . وأقـل من ذلك

---

(٥٢٦) تاريخ الدولة العربية ، ص٤٨٩ .

(٥٢٧) السيادة العربية ، ص١٠٤ .

(٥٢٨) طبيعة الدعوة العباسية ، ص١٢٨ .

يكفي لاعدامه من وجهة نظر الوالي الاموي ، كما دعا الى نفسه فتبرأ منه الامـام العباسي •

وربما دعا خداش الى مبادىء غير اسلامية ، فكيف تقبل منه الناس ذلك ، وعملوا به ؟ ، فاذا قيل ان الجهل بمبادىء الأسلام ، ربما دعاهم الى تقبل دعــوة خداش ، فلا يقدم ذلك دليلا كافيا على اتباعهم له ، كما لايقدم برهانا مقنعا أن الأمام لم يكن على علم به ، ولا يشير المؤلف المجهول لأخبار الدولة العباسية الى خداش ،رغما عما قام به في سبيل الدعوة ، الا في موضعين ، أحدهما يذكر فيه أن الأمام تبرأ منه في احدى رسائله الى الدعاة[٥٢٩] ، وثانيهما يذكر فيه ان اتباع خداش ثاروا على ابي مسلم اي بعد اعلان الثورة العباسية فتتبعهم أبو مسلم وقتل كثيرا منهم[٥٣٠] •

وعلى مايبدو فان المؤلف المجهول لأخبار الدولة العباسية يعترف ضمنا بان خداش كان من اتباع الدعوة العباسية فيقول « ••• كان قوم في دعوة بني العباس من أصحاب خداش يسمون الخالدية »[٥٣١] • ويظهر من الرواية أيضا أن أبا مسلم لم يكن راض عن اتباع خداش ، وان طائفة من أنصار العباسيين لم يكونوا راضين عن دعوة خداش فربما تبرأ منه الأمام العباسي لذلك أضافة لخشـــية الأمام من أن يفلت زمام الدعوة من يده •

ونرى ان نختم كلامنا عن خداش ودعوته الغالية ، بان العباسيين كانوايريدون الوصول الى الهدف وهو اسقاط الدولة الأموية وأقامة دولة عباسية ، ولم تكن لتهمهم الوسائل التي يصلون بها الى هدفهم ، لكنهم كانوا ملزمين بارضاء عامــة المسلمين قبل الثورة ، خاصة العرب حملة السلاح ، كما كانوا يدركون أيضا ان الدعوة لآل البيت والسير على كتاب الله وسنة نبيه ، من الأمور المهمة لجلب الأتباع أثناء الدعوة ، ولرضا الناس بعد قيام الدولة ، فلم يشاءوا أن يخالف بعض دعاتهم

---

(٥٢٩) أخبار الدولة العباسية ، ص٢١٢ •
(٥٣٠) أيضا ، ص٤٠٣ •
(٥٣١) أخبار الدولة العباسية ، ص٤٠٣ •

ذلك علنا وأمام الناس ، لذا كان الأمام العباسي او الخليفة بعدئذ حريصا على الظهور ، أمام عامة الناس ، بمظهر المسلم المتمسك بالشريعة ، وان لم يكن كذلك في تصرفاته مع أتباعه المقربين ، او في سلوكه للوصول الى أهدافه التي يسعى لتحقيقها، وربما كان ذلك ينطبق ايضا على بعض المسؤولين عن الدعوة في خراسان .

استمر الدعاة في دعوتهم ، وتركزت الدعوة في خراسان منذ البداية ، فيذكر الطبري في حوادث عام ١٠٢هـ ، أن أحد رجال تميم وشى بدعاة العباسيين ، عند سعيد خذينة ، والي خراسان ، فضمنهم أناس من ربيعة واليمن فاطلق سعيد سراحهم . ولا يذكر الطبري عددهم ، لكنه يذكر ان ميسرة وجههم من الكوفة(٥٣٢) . أما الدينوري فيشير الى ان ميسرة العبدي وجه اثنين من الدعاة هما أبا عكرمة ، وحيان العطار فقبض عليهما سعيد فاحتجا بأنهما من التجار ، فأطلق سراحهما(٥٣٣) .

وقد استمرت الدعوة ، وقويت وكثر أتباعها في عهد هشام (١٠٥-١٢٥هـ)، وكان يقودها وينظمها محمد بن علي العباسي الى ان توفي في أواخر عام ١٢٤هـ(٥٣٤) ، وقد قيل أنه توفي قبل ذلك ، لكن الراجح أن التاريخ الذي حددناه يبدو أقرب الى الواقع من غيره ، فيذكر مؤلف أخبار الدولة العباسية ، ان محمد العباسي كان في مرضه الأخير ، عندما زاره بكير بن ماهان ، بالشام من أرض الشراة ، فعرفه محمد ، بابنه ابراهيم وقال « ... هذا ابراهيم صاحبكم »(٥٣٥) ، وبقي بكير بن ماهان ، أياما ، بعد وفاة محمد بن علي العباسي ثم سافر الى خراسان ، وفي طريقه مر بالكوفة ، وأقام بها أياما ، ولما وصل الى

---

(٥٣٢) تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص ص٦١٦-٦١٧ .
(٥٣٣) الاخبار الطوال ، ص٣٣٣ .
(٥٣٤) يذكر صاحب أخبار الدولة العباسية (ص٢٣٩) ان محمد بن علي العباسي توفي عام ١٢٤هـ ، وقيل عام ١٢٢هـ ، وقيل عام ١٢٥هـ ، أما الطبري (ج٧ ، ص١٩٩) فيحدد وفاة محمد في عام ١٢٤هـ في احدى رواياته . وفي الثانية (ج٧ ، ص٢٢٧) يحدد الوفاة في ذى القعدة عام ١٢٥هـ ويتفق معه ابن الأثير في الروايتين (ج٥ ، ص٢٥٩ ، ص٢٧٥) على التوالي .
(٥٣٥) اخبار الدولة العباسية ، ص٢٣٨ .

خراسان نعى الى الشيعة فيها وفاة محمد ، وأخبرهم بامامة ابراهيم وقرأ عليهم كتاب الأمام الجديد وأقام شهرين بجرجان وأمر الشيعة أن يتوجهوا الى ابراهيم ليتعرفوا عليه ، ويعرفهم ، فلما وصلوا الى الكوفة قابلتهم وفاة هشام(٥٣٦) .

يتضح مما سبق أن وفاة محمد بن علي العباسي كانت في أواخر عام ١٢٤هـ، على ما أسلفنا ، ذلك أن وفاة هشام كانت في ربيع الآخر من عام ١٢٥هـ ، ويبدو أن الحوادث التي أشرنا اليها ، ربما استغرقت عدة أشهر من عام ١٢٤هـ ، او أوائل عام ١٢٥هـ(٥٣٧) .

ثم توجه وفد خراسان الى مكة ، وتعرفوا على ابراهيم الأمام ، وقدموا له الأموال ، وفاتحوه بالثورة ، فلم يقرهم على ذلك وطلب منهم التريث .

وجاء مع الوفد صبي اسمه عبدالرحمن الخراساني وكنيته أبو مسلم(٥٣٨)، وتختلف الروايات في كيفية دخول أبي مسلم في الدعوة العباسية(٥٣٩) ، كما تختلف في نسبه(٥٤٠) . ويبدو ان الدعاة قد تعرفوا عليه في سجن الكوفة(٥٤١)، وسافر معهم الى مكة ، كما أسلفنا ، لمقابلة ابراهيم الأمام ، فاذا صح ذلك فان دخول ابي مسلم في الدعوة كان في أواخر عام ١٢٤هـ اي قبيل الحج ، كما لم يتسن

---

(٥٣٦) أخبار الدولة العباسية ، ص٢٤٠ .

(٥٣٧) يحدد الأستاذ الدوري (العصر العباسي الاول ، ص٢٤) وفاة محمد بن علي العباسي في اليوم الاول من ذى القعدة من عام ١٢٥هـ ، مرجحا أحدى روايات الطبري السالفة .

(٥٣٨) أخبار الدولة العباسية ، صص٢٤٠-٢٤١ ، والطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٩٨ .

(٥٣٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٩٨ ، المسعودي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٥٤ ، واليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٢٧ .

(٥٤٠) أخبار الدولة العباسية ، ص٢٥٧ ، والعيون والحدائق ، صص١٨٢-١٨٣، واليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ص٣٢٧ .

(٥٤١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٩٨ ، واخبار الدولة العباسية ، ص٢٥٥ ، واليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٢٧ ، والمسعودي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٥٤ .

لابي مسلم رؤية محمد العباسي[٥٤٢] ، وانما وصل بعد وفاته ، وتعرف بابراهيم الأمام ، فلمس منه الأخلاص وتوسم فيه الذكاء فأبقاه عنده فترة ، وربما كان ذلك لأختباره ، وربما كان لتلقينه مبادىء الدعوة وأهدافها ، ثم أرسله الى خراسان لتولي قيادة الدعوة بعد أن رفض قادة الدعوة هناك أن يتولى أحدهم الأمر في خراسان[٥٤٣] ، فلما وصلها ابو مسلم شمر عن ساعد الجد والعمل ، وأظهر قوة وبراعة ، وأعلن الثورة وسيطر على خراسان في وقت لاحق لعهد هشام .

ونرى من المناسب أن نذكر في ختام حديثنا عن الدعوة العباسية ، ان الدعوة ابتدأت في أواخر القرن الاول الهجري ، ولم يظهر أمر الدعاة للسلطة الا في بداية القرن الثاني للهجرة ، في حدود عام ١٠٢هـ ، على ما أسلفنا .

واستمرت الدعوة وكثر أتباعها في عهد هشام ومع ما كانت عليه الدعوة من القوة ، فانها لم تكن قادرة على الظهور ، واشهار السلاح ، الا بعد ان حصل الأختلاف في دمشق وأفسدت العصبية القبلية قلوب أجناد الشام[٥٤٤] .

كما تناحر الأمويون او بالأحرى المروانيون على العرش وانتشرت بين أمرائهم الأفكار القدرية[٥٤٥] ، كل ذلك كان من بين العوامل المهمة التي مهدت

---

(٥٤٢) يذكر اليعقوبي (التاريخ ، ج٢ ، ص٣٢٧) ان أبا مسلم قابل محمدالعباسي ورأى فيه العلامات ، وعلى رواية ثانية « ... ان أبا مسلم لم يلق محمد ابن علي ، انما لقي ابنه ابراهيم ... » .

(٥٤٣) اخبار الدولة العباسية ، ص٢٥٦ .

(٥٤٤) قال المسعودي (مروج الذهب ، ج٣ ، ص٢٤٥) « .. وثارت العصبية في البدو والحضر فنتج بذلك أمر مروان بن محمد الجعدي وتعصبه لقومه من نزار على اليمن وانحراف اليمن عنه الى الدعوة العباسية » .

(٥٤٥) يذكر المؤلف المجهول (لتاريخ الخلفاء ، ص٤٥٢) أن أحد رؤوساء القدرية حاور يزيد بن الوليد ، الذي تولى الخلافة عام ١٢٦هـ ، بعد مقتل الوليد ابن يزيد ، فقال له ان الفقهاء والعلماء كلهم معتزلة مثل محمد بن شهاب الزهري ومكحول الدمشقي وغيرهما فاقتنع يزيد وانضم اليهم وكان ذلك في عهد هشام .

القدرية : هم المعتزلة وسموا قدرية لأنهم يذهبون الى أن الناس يقدرون أعمالهم وان الله تعالى ليس له فيها صنع ولا تقدير ، وعلى رأي آخر أن للانسان قدراً اي قوة اي افعال : جارالله ، زهدي حسن ، المعتزلة ، القاهرة ، ١٣٦٦هـ ، ١٩٤٧م ، ص٦ .

الطريق للدعوة العباسية لاعلان ثورتها في خراسان ، والانتصار على الأمويين في العراق ، والقضاء عليهم في الشام .

وفي ختام حديثنا عن حركات المعارضة في عهد هشام نرى ان نذكر :

١ ـ عندما توفي هشام عام ١٢٥هـ ، كانت أقاليم الدولة ، المجاورة لبلاد الأعداء تتمتع بهدوء نسبي ، فقد أبعد المسلمون خطر الترك والخزر ، ومع أنهم خسروا معركتي أفيون قرة حصار (اكرونيون) عام ١١٣هـ ، في آسيا الصغرى ، وبلاط الشهداء عام ١١٤هـ/٧٣٢م ، في جنوب فرنسا ، لكن حدود الدولة مع البيزنطيين والفرنجة لم تكن معرضة لخطر حقيقي في نهاية عهد هشام .

٢ ـ لم يكن الاسطول البيزنطي من القوة بحيث يفرض سيطرته على بحر الروم (المتوسط) وكان الأسطول الأسلامي قادرا على حماية سواحل الدولة الاسلامية واحتلال ، او اعادة احتلال ، طائفة من الجزر المهمة في بحر الروم ، مثل قبرص وصقلية وغيرها ، ويظهر أن المسلمين كانوا يفرضون سيطرتهم على الجزء الغربي من بحر الروم لكنهم بدأوا يفقدون سيطرتهم على حوضه الشرقي تدريجيا بعد فشل حصار القسطنطينية عام ٩٩هـ/٧١٧م .

٣ ـ تمكنت الدولة من القضاء على الثورات التي قامت في عهد هشام ، وقبيل وفاته كانت أقاليم الدولة تنعم بهدوء نسبي ، فقد وصلت أنباء النصر على بربر أفريقية ، قبيل وفاة هشام . كما عقد نصر بن سيار الصلح مع السغد ورجع أغلبهم الى بلادهم بعد تركهم لها .

٤ ـ ومع كل ما تقدم فأن الدولة عجزت عن مقاومة الدعوات السرية فقد انتشرت الدعوة القدرية بين أمراء الأمويين ، كما انتشرت الدعوة العباسية في خراسان وقوي أمرها ، ومع ذلك فلم تكن المعارضة لتشكل خطرا حقيقيا على الدولة في نهاية عهد هشام[1] .

---

(1) Ency. Of Islam, Vol. III. P. 493.

الفصل الخامس

واردات الدولة ونفقاتها

أ - الواردات

١ - واردات السـواد .

٢ - الضرائب وحصيلتها في خراسان .

أ - أجزاء اشرس بن عبدالله السلمي .

ب - اجراء نصر بن سيار .

٣ - الضرائب وحصيلتها في الجزيرة الفراتية .

٤ - واردات بلاد الشام .

٥ - واردات مصـر .

٦ - واردات متفرقة .

ب - النفقـات

١ - الانفاق على المشاريع العامة .

٢ - العطـاء .

٣ - نفقات منزل الخلافة (البلاط) .



أ ـ الواردات

تعدّ الضرائب وخاصة الزراعية منها ، المصدر الرئيس والمهم لواردات بيت المال[1] ، وفي بحثنا عن الضرائب في عهد هشام ، نرى من المناسب ان نذكر :ـ

اولا : ان المصادر لم تتحدث عن الضرائب في عهد هشام بالذات ، سوى ما أوردته من اشارات حول انكسار خراج العراق أثناء ولاية خالد القسري له (١٠٥ ـ ١٢٠هـ) •

او زيادة الخراج في مصر على كل دينار قيراطا ، في عهد متولي الخراج عبدالله بن الحبحاب • ويحدثنا المؤرخون الرواد ، ان هشاما كان جديا في تحصيل الضرائب ، وجبايتها بمقاديرها السابقة ، وان لم يذكروا تلك المقادير •

ثانيا : ان مقادير الضرائب خلال الفترة الأسلامية التي سبقت عهد هشام تحددت ويصعب على الحاكم ان يزيد مقاديرها ، واذا حصلت زيادة ـ ولو كانت طفيفة ـ فان ذلك يعرض الأمن والأستقرار للخطر ، في الولايات التي تفرض فيها تلك الزيادة كما حصل في مصر •

ثالثا : ان الضرائب لم تنقص في عهد هشام ولو حصل ذلك لذكره المؤرخون الرواد ، لأن انقاصها يقوم دليلا على العدل في نظر غالبية الكتاب المسلمين ، لذلك نجدهم يُطنبون في ذكر الأعفاءات التي قام بها عمر بن عبدالعزيز (رض) خاصة الضرائب غير الشرعية كهدايا النوروز والمهرجان والسخر ، والجزية عن الموالي• ومع ان الجزية قد أسقطت عن الموالي في خراسان وبلاد ما وراء النهر ، لكن ذلك الأجراء جاء متأخرا ولم ينتج ما توقعه المسؤولين من رضا السكان وخلودهم الى الهدوء والأستقرار ، خاصة ، وكان شرق الأمبراطورية يجتاز ظروفاً عصيبة آنذاك •

رابعا : ان المؤرخين الرواد لم يتحدثوا عن الضرائب ، في عهد هشام ، في

---

(١) بارتولد ، تأريخ الحضارة الأسلامية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، لا • ت ، ص٨٥ •

شمال افريقية والأندلس ، ولا ترد عندهم سوى أثارات بسيطة عما طالب به الولاة سكان شمال افريقية من الهدايا والتحف وغير ذلك مما أشرنا اليه في حديثنا عن ثورات البربر ، في شمال افريقية .

خامسا : لم يجر أي تعديل متكامل لنظام الضرائب في عهد هشام وكل ما حصل أجراءات محلية قام بها طائفة من الولاة في بعض اقاليم الدولة كاجرائي أشرس السلمي ونصر بن سيار في خراسان واجراء عبيدالله بن الحبحاب في مصر[٢] .

١ ـ واردات السواد :

يمتد السواد « ... طولا من حديثه الموصل الى عبادان وعرضه من عذيب القادسية الى حلوان ... اما العراق فهو في العرض مستوعب لارض السواد عرفا ويقصر عن طوله في العرف ... (و) يكون ذلك ... عشرة آلاف فرسخ »[٣] .

ولما كان السودا قد فتح عنوة[٤] ، فان سكانه يدفعون الجزية عن رؤوسهم والخراج عن ارضهم ، حسبما يقتضي بذلك الشرع[٥] .

ويقول ابو يوسف أن مقدار الجزية كان « ... على كل جمجمة دينار » مع قليل من القمح والزيت[٦] .

---

(٢) Ency. Of Islam, Vol. III. P. 494.

(٣) الماوردي ، المصدر نفسه ، ص١٧٣ ، ويقدم قدامة بن جعفر (نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، المنشور مع كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة، ليدن ، ١٨٨٩م ، صص ٢٣٤ـ٢٤٢) ، مقدار الخراج لكل منطقة منمناطق السواد ويشير الى ان ذلك هو خراج العراق .
ويذكر الاصطخري (المسالك والممالك ، ص٥٦) ان حدود العراق الشمالية تبدأ من تكريت على دجلة والانبار على الفرات .

(٤) ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم ، كتاب الخراج ، القاهرة ، ١٣٠٢هـ ، ص٢٨ ، والماوردي ، المصدر نفسه ، ص١٧٤ .

(٥) ابو يوسف ، المصدر نفسه ، ص٢٨ ، والبلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٦٨ .

(٦) الخراج ، ص٤١ ، والبلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٦٨ .

ثم قام عمر بن الخطاب (رض) بمسح السواد[7] . وقد أصبحت ملكية الاراضي التي هرب أصحابها او قتلوا ، من العائلة المالكة والدهاقين او غيرهم ، ملكا للدولة (صوافي)[8] .

ويرى دينيت ، أنه من المستحيل طلب أتاوة محدودة من المغلوبين لسبب بسيط ، هو أنهم لم يكونوا ليدفعوها ، فهم أما قتلوا ، او تركوا البلاد هاربين ، ومع ان الفلاحين بقوا على الارض في غياب أصحابها الشرعيين ، فلم يكن لينتظر منهم ان يوقعوا على معاهدات او يقوموا بجمع أتاوات بأنفسهم ، وهكذا استوجب الأمر ان يقوم العرب أنفسهم بالأمور[9] .

وقد جبي من العراق في ولاية ابن هبيرة له (١٠٢-١٠٥ هـ) « ٠٠٠ مائة الف الف سوى طعام لجند وأرزاق المقاتلة ، وكان يوسف بن عمر[10] يحصل منه في كل سنة من ستين الف الف الى سبعين الف الف ، ويحتسب بعطاء من قبله من أهل الشام ستة عشر الف الف ، وفي نفقة البريد اربعة الاف الف درهم ، وفي الطوارق الف الف ، ويبقى في بيوت الاحداث والعوانق عشرة الاف الف درهم »[11] .

ويتضح مما سبق ان الماوردي لم يتطرق الى مقدار الاموال التي جُبيت من العراق في ولاية خالد القسري (١٠٥-١٢٠هـ) ، وربما كان السبب في ذلك أن

---

(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٦ ، والماوردي ، المصدر نفسه ، صص ١٧٤-١٧٥ .

(٨) ابو يوسف ، المصدر نفسه ، ص٥٧ .

(٩) الجزية والأسلام ، ص٥١ .

(١٠) تولى يوسف العراق بعد عزل خالد القسري عنه عام ١٢٠هـ ، واستمر على ولايته للعراق الى مقتل الوليد بن يزيد عام ١٢٦هـ .

(١١) الماوردي ، المصدر نفسه ، صص ١٧٥-١٧٦ .
الأحداث : الحدث الأمر المنكر ، والاحداث ايضا : نوازل الدهر ومصائبه (لسان العراب مادة : حدث) .
العوائق : الأعناق أي الحرب (لسان العرب ، مادة عنق) .
وربما عنت الكلمتان ما يحصل من أحداث كثورات او كوارث طبيعية او ما اليهما .

خالدا كان يرسل مبالغ أقل مما ارسله أبن هبيرة[١٢] ، ولم يكن مقدارها ثابتا في كل سنة . وتشير احدى روايات الطبري الى ان المجموع الكلي لما أنكسر من أموال الخراج بلغ مئة مليون درهم خلال ولاية خالد له[١٣] . ومع ذلك فلا يبدو ان الرقم حقيقي ، لأن خالدا القسري قد صرف أموالا كثيرة في اطعام الأعراب في بعض سنوات الجفاف ، أثناء ولايته على العراق . وبلغ مقدار تلك الأموال حوالي (٩٠) مليون درهم[١٤] . كما قام خالد بحفر النهر المبارك الذي بلغت كلفته (١٢) مليون درهم[١٥] . كما كانت أملاك خالد القسري التي يبلغ واردها السنوي حوالي (٢٠) مليون درهم[١٦] ، معفاة من الضرائب[١٧] ، ومن المرجح أن أملاك ابنه أيضا كانت معفاة من الضرائب ويقدر واردها السنوي بحوالي عشرة ملايين درهم[١٨] . ونرجح ان تكون واردات ضياع هشام معفاة من الضرائب ايضا ، اذا كان واليه لا يدفع ضرائب عن وارداته ، ومع ان المصادر لا تحدثنا عن مقادير واردات ضياع هشام فمن المرجح أنها لم تكن أقل من واردات خالد القسري .

وقد سبق ان أشرنا في بحثنا عن ولاة العراق ان بيت المال لم يستفد من ازدهار الزراعة[١٩] ، لأن واردات اراضي خالد وابنه والخليفة هشام ايضا كانت معفاة من الضرائب ، كما لم يجن السكان من ازدهار الزراعة ايضا الا غلاء الاسعار بسبب الاحتكار[٢٠] .

فاذا اخذنا برواية الطبري ، التي تذكر ان مقدار انكسار الخراج ، خلال

---

(١٢) المبرد ، الكامل ، ج٨ ، ص٢٩٣ .
(١٣) تأريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٤٩ .
(١٤) البلاذري ، أنساب الأشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٧ .
(١٥) المبرد ، الكامل ، ج٨ ، ص٢٩٢ .
(١٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٥٢ .
(١٧) البلاذري ، أنساب الأشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٧٩ .
(١٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٧ ، والاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١٩ ، ص٦٢ .
(١٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٩ .
(٢٠) ايضا ، ج٧ ، ص١٥٤ .

ولاية خالد القسري له البالغة خمسة عشر سنة ، كان مائة مليون درهم[٢١] ، ثم احتسبنا المعدل السنوي للنقص ، فأنه يبلغ اكثر من ستة ملايين درهم ، وذلك أقل مما جباه ابن هبيرة .

وعلى ذلك فان المبلغ الذي كان يجبى في زمن القسري كان أقل من ٩٥ مليون درهم ، وذلك كان مقارنا للرقم الذي يذكره الماوردي ، عن مقدار الخراج الذي جباه يوسف بن عمر[٢٢] .

كما فرض يوسف بن عمر ، على خالد وعماله مبلغ (٩٠) مليون درهم بمثابة غرامات[٢٣] . وقد صادر يوسف ايضا متاع خالد بعد اطلاق سراحه[٢٤]. كما صادر حلي احدى جواريه[٢٥] ، فمن المرجح ان يوسف قد صادر املاك خالد وابنه يزيد التي تبلغ وارداتها على أقل تقدير ، اكثر من عشرين مليون درهم سنويا[٢٦] ، على ما اسلفنا .

يتضح مما سبق ان يوسف بن عمر حصل من أموال المصادرات وواردات أملاك خالد وابنه على مبالغ تقدر بحوالي ٢٠٠ مليون درهم ، خلال ولايته على

---

(٢١) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص١٤٩ ، ويذكر الجهشياري (الوزراء والكتاب ، ص٦٣) ان مبلغ المئة مليون درهم كان واردا للضياع التي بثق عليها النبطي البثوق ليكيد لخالد ومن المرجح ان واردات ضياع هشام لم تكن بذلك المقدار وان المبلغ المشار اليه ربما يمثل مقدار انكسار الخراج زمن خالد على رواية الطبري او اثمان ضياع هشام نفسها .

(٢٢) الاحكام السلطانية ، ص‌ص ١٧٥-١٧٦ .

(٢٣) الجهيشاري ، المصدر نفسه ، ص٦٤ .

(٢٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص٢٥٤-٢٥٥ .

(٢٥) ايضا ، ج٧ ، ص‌ص٢٠٧-٢٠٨ .

(٢٦) ايضا ، ج٧ ، ص١٤٧ ، ص‌ص١٥١-١٥٢ ، ويذكر ابن كثير (ج٩ ، ص٣٢٦) ان يوسف بن عمر ، صادر خالدا بمائة الف درهم ٠٠٠ وذهب جميع ما كان اقتناه وحصله خالد من العقار والاملاك وهلة واحدة » وتوضح الرواية ان لخالد املاك كثيرة ولعل الرقم كان مائة الف الف وسقطت منه الالف الثانية .

العراق[٢٧] ، هذا اذا استثنينا أملاك عمال خالد المصادرة التي لا تشير المصادر الى أثمانها[٢٨] .

وبناء على ما تقدم فان يوسف حصل ، من مصادر متعددة[٢٩] ، على مبالغ طائلة اضافة للوارد السنوي لبيت المال ، فكيف اذاً نوفق بين ما يذكره الماوردي عما كان يأخذه يوسف من أموال وبين ما سبق ان ذكرناه من قلة الخراج في زمنه عنه في عهد ابن هبيرة .

وربما كان يوسف بن عمر يأخذ من أموال المصادرات وغيرها لنفسه ويرسل بعضها لهشام فيذكر الطبري ان يوسف أرسل لهشام هدايا كان من بينها ياقوتة حمراء صادرها يوسف من جارية خالد القسري ، وكانت قد اشترتها بثلاثة وسبعين الف درهم[٣٠] .

كما كان يوسف بن عمر يقدم هدايا من الأموال وغيرها للخليفة والنافذين في منزل الخلافة (البلاط) الأموي للمحافظة على مركزه[٣١] . ومع أن الطبري يشير الى أن ذلك كان في بداية حكم الوليد بن يزيد عام ١٢٦هـ ، لكن ذلك يقدم دليلا على أن يوسف كان يسلك طرقاً ملتوية للبقاء في منصبه كوال للعراق ، وذلك بتقديمه الأموال والهدايا في سبيل ذلك . كما وعد يوسف الوليد بن يزيد بدفع مبلغ خمسين مليون درهم في مقابل اطلاق يده في تعذيب خالد القسري[٣٢] .

---

(٢٧) اذا احتسبنا المدة التي كان يوسف يلي فيها العراق ، خلال خلافة هشام وهي خمس سنوات ، يكون الوارد الكلي لأملاك خالد وابنه اكثر من مئة مليون درهم خلالها ، على فرض ان أقل تقدير لواردات املاكهما السنوي عشرين مليون درهم ، اضافة لتسعين مليون درهم او اكثر ، اغرمها يوسف خالداً بعد عزله .

(٢٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٥٣ .

(٢٩) يذكر الجهشياري (كتاب الوزراء والكتاب ، ص٦٥) ان يوسف اغرم أحد كتابه مبلغ (١٥٠) الف درهم .

(٣٠) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص ص٢٠٧-٢٠٨ .

(٣١) يقول الطبري ، ج٧ ، ص٢٣٣ ، عنها « ... وحمل [يوسف] من الاموال والامتعة ما لم يحمل من العراق مثله » .

(٣٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٣٤ .

ومن المؤكد ان المبلغ المذكور ليس من أموال الخراج المسجلة في الديوان ، فكيف يتسنى ليوسف اذاً الحصول على مثل تلك الأموال .

وعلى ما يبدو فان مبالغ اضافية كانت تفرض على السكان ، او تحتجن تلك المبالغ من اموال الخراج بطريقة او بأخرى . ذلك ان المصادر لا تشير الى املاك او اراض كانت ليوسف بن عمر يستغل وارداتها في صرفياته . كما لا تشير المصادر أيضا الى هدايا قُدمت ليوسف في بعض المواسم كالنيروز والمهرجان وعلى فرض وجود مثل تلك الهدايا فانها لا تفي بالمبالغ التي كان يوسف قد وعد بدفعها للحكام . ومما تقدم يتضح ان يوسف بن عمر كان يحتجن جزء من أموال الخراج ويعتل « .. بتخريب ابن النصرانية [خالد القسري] البلاد »[٣٣] . كما كان شديدا على عماله في جمع الضرائب ، فيذكر البلاذري ان بعضهم اشار الى الشاعر اسماعيل بن يسار ، أن يلي عملا ليوسف بن عمر ، فقال اسماعيل : « ... أنظر كيف معاملة يوسف عند رأس السنة وفعله بالعمال ، فلما راه يعذبهم قال :

رايت صبيحة النوروز امرا قطيعا عن امارتكم نهاني
برئت من الولاية بعد يحيى وبعد النهشلي أبي أبان
أُحاذر ان أُقصّر في خراج وفي النوروز او في المهرجان[٣٤]

ومع ان الرواية لا تذكر لنا المبالغ التي كانت تجمع في النوروز والمهرجان، لكنها توضح مدى الحيف الذي كان يتعرض له السكان من عمال يوسف بن عمر، وشدتهم في جمع الضرائب الشرعية وغير الشرعية ، بأمر من يوسف نفسه .

وربما وضح النص أيضا ان الخراج كان يعطى أحيانا بالتقبل (الضمان) ، وذلك يضيف أعباءاً ضريبية أخرى على السكان ، فان المتقبل يريد ان يربح على حساب دافع الضريبة . ومع ان تضمين الخراج لا يتفق وأحكام الشريعة

(٣٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٣٣ .
(٣٤) انساب الاشراف ، المخطوطة ، ج٧ ، ص٥٨١ ، يحيى وابو ابان لعلهما من عمال الخراج وقد توليانه عن طريق التقبل (الضمان) .

الأسلامية[٣٥] ، لكن الواضح من الرواية ، ان جباية الخراج كانت توكل أحيانا الى متقبلين لها بالضمان .

ونرى من الجدير بالذكر أن نوضح ان الضرائب في العــراق كانت من مسؤولية ولاته فهم المسؤولون عن جمعها[٣٦] . كما انهم مسؤولين أيضا عــن صرف حاجات البلاد من اعطيات للجند ونفقات للبريد وغيرها ، وارسال المتبقي الى بيت المال في دمشق ، ومن الواضح ان بيت المال كان يتلقى مبالغ يتراوح مقدارها ما بين (٦٠-٧٠) مليون درهم سنويا خلال فترة يوسف بن عمر[٣٧] ، كما أوضحنا ان المبالغ التي كان يرسلها خالد القسري لم تكن أكثر من المبالغ المشار اليها ، وكما أسلفنا فان العراق كان في طليعة ولايات الدولة ، التي تقدم مبالغ ضخمـة لبيت المال العام سنويا .

ويبدو أن الأستقرار النسبي في العراق ، خلال حكم هشام ، وعدم وقوعـه على حدود الأعداء ، كان من بين العوامل التي جعلت العراق يرسل تلك المبالغ الى دمشق . فاذا أضفنا الى ما تقدم ، ما كان يتمتع به العراق من الميزات الطبيعية التي كانت تساعد على تقدم الزراعة لاحظنا ان تلك المبالغ كانت قليلة نسبيا بمـا للعراق من امكانات ضخمة في هذا المجال .

وللباحث ان يتساءل عن السبب الذي دعا كلا من خالد القسري ويوسف ابن عمر ان يرسلا مبالغ أقل مما كان يرسله ابن هبيرة .

فيبدو أن لتصرفات الرجلين أثر في تبذير كثير من الأموال ، وقد أشرنا الى طائفة من تصرفاتهما بذلك الصدد . وأدت تلك التصرفات الى نقصان المبالغ المرسلة الى دمشق ، ولم يكن عامل التساهل مع السكان في جمع الضرائب من بينها .

ويرجح ان صرفيات خالد وهباته الكثيرة وتسامحه مع عمال الخراج كانت من عوامل قلة المبالغ المرسلة الى الشام ، اضافة لاعفاء واردات الخليفة وواردات

---

(٣٥) الماوردي ، المصدر نفسه ، ص١٧٦ .
(٣٦) دينيت ، المصدر نفسه ، ص٥١ .
(٣٧) الماوردي ، المصدر نفسه ، ص‌ص١٧٥-١٧٦ .

خالد القسري وابنه من لضرائب .

اما يوسف بن عمر ففي أحدى سفراته الى الشام « ... حمل من الأموال والامتعة والآنية ما لم يحمل من العراق مثله »[٣٨] ، وذلك أدى به ، على الأرجح ، الى التلاعب بأموال الخراج لتقديم مثل تلك الأموال والهدايا الى خلفاء دمشق والمتنفذين في منزل الخلافة الأموي .

٢ - الضرائب وحصيلتها في خراسان :

بحث طائفة من المؤرخين المحدثين نظام الضرائب في خراسان ، ويظهر أن الاهتمام بخراسان ناشىء عن نجاح العباسيين باعلان ثورتهم فيه ، كما وانه أصبح يحتل مركزا مهما في دولتهم بعدئذ . ويرجح اولئك المؤرخون ان مبعث تذمر السكان كان اقتصاديا[٣٩] ، لذا كان أهتمامهم كبيرا بالضرائب ، بوصفها عامل الاحتكاك بين السكان والسلطة . وكان السبب السالف دافعاً لطائفة أخرى من المؤرخين حاولت ان تفند الدافع الأقتصادي للثورة العباسية ، فبحثت عن الضرائب في خراسان ومن بين اولئك المؤرخين فلهاوزن ، الذي أشار الى أن كل منطقة من خراسان كانت تدفع مبلغاً معيناً محدداً باتفاقات الصلح . ويوزع ذلك المبلغ على السكان بشكل ضريبة واحدة تسمى مرة خراجاً ومرة جـزية وتعنيان معنـاً واحداً[٤٠] . وعندما جاء نصر بن سيار فصل بينهما ووضع الخراج على الارض واعفى المسلمين من ضريبة الرأس (الجزية) وفرضها على غير المسلمين . وكان الأجراء السالف خلاف النظام المعمول به سابقاً والذي يعفي المسلم من الخـراج وفقاً للشريعة الأسلامية[٤١] .

وقد بحث دينيت أيضا نظام الضرائب في خراسان ، ورأى انها فتحت صلحا يؤدي أهلها أتاوة محددة بشروط الصلح يقومون بجمعهـا بأنفسهم . وكان

---

(٣٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٣٣ .
(٣٩) فان فلوتن ، المصدر نفسه ، ص‌ص٩٤ـ٩٥ ، وبندلي جوزي ، المصـدر نفسه ، ص‌ص٦٢ـ٦٤ ، وحتي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٥٤ .
(٤٠) أشار فان فلوتن في (السيادة العربية ، ص٥٠) الى الرأي السالف ايضا .
(٤١) تاريخ الدولة العربية وسقوطها ، ص‌ص٤٥٣ـ٤٥٦ .

الرؤساء المحليون مسؤولين عن جمعها بالطريقة التي يرونها ، كما كانوا يحتفظون لأنفسهم بما يشاؤون من تلك الاموال ولا يعطون للعرب الا المبالغ التي صولحوا عليهـــا •

ورأى دينيت ان نظام الضرائب ، بقي كما كان في العصر الساساني ، من وجهة نظر الفرد ، فهو يدفع ضريبة أرض أو تجارة او غيرهما ، كما يدفـــع ضريبة رأسه[٤٢] • ورأى دينيت أيضا ان الجزية تعني ضريبة الرأس كما يقصد بكلمة خراج بمعناها العام المبلغ المتفق عليه في شروط الصلح او ضريبة الرأس (خراج على الرأس)[٤٣] • واستنتج دينيت أن نصر بن سيار لم يكن منظمـاً او مصلحاً او مبتدعاً لنظام جديد ، وكل ما قام به هو تصحيح للاخطاء ، والقضاء على سوء استعمال السلطة في النظام القديم[٤٤] •

ويرى الأستاذ الدوري ان دراستي دينيت وفلهاوزن على قيمتهما الكبيرة ، تمركان ثغرات واضحة في تفسيرهما لنظام الضرائب في خراسان • كما انه يذكر أن العرب استندوا الى نظم الضرائب الساسانية السابقة ولم يحدثوا فيها تغييرات أساسية ، كما ان المصطلحات التي يوردها الطبري عن الجزية والخراج ، استعملها حسب مدلولاتها الأدارية في المنطقة ، ويتفق الدوري مع دينيت وفلهاوزن بان خراسان فتحت صلحا لكنه يذكر ان الأدارة المالية في صدر الأسلام ليست واضحة والمعلومات المتوافرة عنها قليلة ، لأن أغلب اتفاقات الصلح لا تحوي الا اشارات غامضة عن نظام الضرائب[٤٥] • ويوضح الأستاذ الدوري كلمة جزية بأنها تعني ضريبة الرأس في بعض اتفاقات الصلح ، كما ان كلمة الخراج (الوظيفة) تعني الجزية المشتركة اي التي تجبى من الأفراد ، والمفروضة على رؤوسهم حســـب

---

(٤٢) الجزية والاسلام ، ص١٨٥ •
(٤٣) ايضا ، ص١٩٠ •
(٤٤) ايضا ، صص١٩٤ـ١٩٥ •
(٤٥) الدوري ، عبدالعزيز ، نظام الضرائب في خراسان ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، سنة ١٩٦٤م العدد ١١ ، ص٧٧ •

الاتفاقات الاولى للصلح[٤٦] ، وعلى ذلك يفسر ما أورده الطبري من ان كلمة خراج تعني الجزية المشتركة وانها لا تعني ضريبة الأرض التي هي من مسؤولية العرب ويضرب أمثلة على ذلك[٤٧] ، ويلخص الاستاذ الدوري رأيه السالف ، بأن الجزية المشتركة هي التي سميت ، في الأتفاقات خراجا او وظيفة او أتاوة ، وان الدهاقين كانوا مسؤولين عن جبايتها ، وكانت توزع على رؤوس الأفراد ، اما الضرائب الاخرى التي كانت تؤخذ زمن الساسانيين ، مثل ضريبة الأرض والصناعات فهي من مسؤولية العرب تولاها عمال منهم او استعانوا بالسكان المحليين[٤٨] ، ويستدل على ذلك من أن الشكاوي كانت من الجزية المشتركة أي الخراج بمفهوم الاتفاقات[٤٩] .

ويوضح الدوري ايضا معنى الخراج بانه يعني احيانا الجزية (ضريبة الرأس) فقط ، كما وردت في شكوى ابي الصيداء لدى عمر بن عبدالعزيز[٥٠]، أو اجراء أشرس ، والي خراسان ، في بلاد ما وراء النهر في عهد هشام[٥١] .

ثم يستطرد الى القول ان الخراج جاء بمعنيين أحدهما هو الجزية أي ضريبة الرأس للفرد ، وثانيهما هو الجزية المشتركة او الوظيفة بالنسبة للمنطقة ، وكان

---

(٤٦) أيضا ، ص‌ص٧٧ــ٧٩ .

(٤٧) أيضا ، ص‌ص٨١ــ٨٢ ، كتب الاستاذ الدوري ملاحظات عن الضرائب في خراسان (مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، بغداد ، ١٩٤٧م ، ص٨٥) وفيها آراء لا تتفق مع مقاله السالف ملخصها ان هناك ضريبة واحدة في خراسان كان الدهاقين مسؤولين عن جمعها فاعطاهم ذلك بعض الامتيازات لذا وقفوا ضد انتشار الاسلام . ويبدو انه غير بعض آرائه فيما يخص الضرائب في خراسان .

(٤٨) الضرائب في خراسان، مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٤م ، العدد١١ ، ص‌ص٨٢ــ٨٣ .

(٤٩) الضرائب في خراسان ، مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٤م ، العدد١١، ص٨٣ .

(٥٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٥٩ ، الضرائب في خراسان ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، سنة ١٩٦٤م ، العدد ١١ ، ص٨٤ .

(٥١) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص٥٤ــ٥٦ ، الضرائب في خراسان ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، سنة ١٩٦٤م ، العدد١١ ، ص٨٥ .

انتشار الأسلام يعني نقص عدد الذين يدفعون الوظيفة ، ولهذا رعب الدهاقين من اجراء أشرس بدعوة أهل الذمة فيما وراء النهر الى الأسلام ، لأن ذلك يـؤدي الى نقص في الخراج (الجزية المشتركة) المطلوبة منهم في اتفاقات الصلح ، وكانت النتيجة أن أعاد أشرس الجزية الى من اعفوا منها[٥٢] .

ويوضح الدوري اجراء نصر بن سيار فيقول انه اوضح ان مقدار الخراج او الوظيفة محدد من قبل بشروط الصلح وان ذلك يلزم استيفاؤه كاملا وان ضريبة الارض لم تكن داخلة في هذه الوظيفة بل هي فوق ذلك ، وانها (ضريبة الارض) كانت تؤخذ طيلة الفترة الأموية[٥] .

ويرى ايضا ان نصر بن سيار اسقط الجزية (ضريبة الرأس) عمن أسلم واخذها من الذميين ، كما يوضح قول نصر بن سيار « من ثقل عليه في خراجه » وخفف مثل ذلك عن المشركين فليرجع الى منصور بن عمر (ممثل الامير) يحوله عن المسلم الى المشرك[٥٤] . لايمكن ان تعني كلمة (الخراج) ضريبة الارض كما افترض دينيت[٥٥] لان وارد الارض لم يكن محددا برقم ثابت كالجزيـة المشتركة ، ولابد انه يعني الزيادة في الجزية المفروضة على المسلمين وتخفيف جزية المشركين[٥٦] .

ويرى الدوري ايضا ان نصر بن سيار قام باصلاح تنظيمي عادل بان اعفى المسلمين من الجزية ، وفرضها على الذميين الذين اعفاهم الدهاقين منها ، كما نظم نصر ضريبة الارض وفرضها بشكل عادل على أصحاب الاراضي[٥٧] .

وفيما تقدم نرى ان الاستاذ الدوري ، يوضح كل اتفاقية او اجراء ضريبي

---

(٥٢) ايضا ، ص٨٥ .
(٥٣) ايضا ، ص٨٧ .
(٥٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٧٣ .
(٥٥) الجزية والاسلام ، ص١٩٤ .
(٥٦) الضرائب في خراسان ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، العدد١١ ، سـنة ١٩٦٤م ، صص٨٦-٨٧ .
(٥٧) ايضا ، ص٨٧ .

يتخذ لوحده ، في تفسيره لمصطلحات الجزية والخراج ، والوظيفة ، ولا يقدم لكل مصطلح منها تعريفاً محدداً • كما لا يختلف الدوري مع دينيت في تفسيره لكلمة الخراج بمعناها العام ، عدا تسميته لها بالجزية المشتركة (الخراج بمفهوم الاتفاقات) تفريقا لها عن الجزية (ضريبة الرأس) التي يسميها دينيت الجزية بمعناها الخاص ، على ما أسلفنا •

ويرى الدوري ان الجباية كانت من مسؤولية الدهاقين • وخلال الفترة الأموية بدأ الولاة يعينون عمالاً مسؤولين عن الجباية ، وأستنتج ان جباية خراج الارض وضرائب الصناعات وغيرها كانت مسؤولية الولاة ، وأنها منفصلة عن ضريبة الجزية المشتركة (الخراج بمفهوم الاتفاقات) التي هي من مسؤولية الدهاقين[٥٨] •

ويذكر الطبري ان عمر بن عبدالعزيز كتب الى الجراح الحكمي ان يتوجه الى دمشق ، فتوجه الجراح « ••• وخلف على حرب خراسان عبدالرحمن بن نعيم الغامدي وعلى جزيتها عبيدالله ، أو عبدالله ، بن حبيب »[٥٩] ويظهر من نص الطبري السابق ان الدوري لم يكن على صواب تفسيره لمعنى الجزية • ذلك انها تعني ضريبة الرأس وانها لم تكن من مسؤولية الدهاقين لوحدهم وان الوالي الأموي يشرف عليها ويعين عاملا لذلك •

كما ان استنتاج الاستاذ الدوري السالف والقائل بوجود عمال من العرب يجبون خراج الأرض وضرائب الصناعات وغيرها الى جانب الدهاقين الذين يجبون الجزية المشتركة في الفترة الأموية ، يبدو أمرا غير مؤكداً أيضا ، فالاستاذ الدوري لا يقدم لنا دليلا على ذلك في القرن الاول الهجري ، ويضرب أمثلة

---

(٥٨) الضرائب في خراسان ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، سنة ١٩٦٤م ، العدد ١١ ، ص٨٣ •

(٥٩) تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٥٦٠ ، ويذكر الطبري النص المشار اليه في احداث عام ١٠٠هـ ، بمناسبة اسقاط الجزية ، عن الموالي في عهد عمر الثاني • وربما وضح ذلك الاشراف ، ان الولاة كانوا مسؤولين عمن يعفون من الجزية •

تعود الى تأريخ لاحق[٦٠] .

وربما كان الأرجح ان الولاة الأمويين بدأوا يعينون عمالا لجباية الضرائب التي لم تكن من مسؤولية الدهاقين ، كضريبة التجارة والمعادن وعشور زرع الأراضي التي اشتراها العرب او استصلحوها او أُقطعت لهم ، وضرائب المهن التي امتهنتها طائفة من العرب بعد الجيل الأول من الفتح الأسلامي[٦١] .

وربما عين الولاة أيضا عمالا للاشراف على عمل الدهاقين بعد ازدياد تذمر الناس منهم ، فأورد الطبري بعض النصوص عن تعيينهم ولا يشترط انهم كانوا يقومون لوحدهم بجباية الخراج (ضريبة الأرض) كما استنتج الأستاذ الدوري .

كما ان تفسيره لكلمة الخراج بمعنى الجزية (ضريبة الرأس)[٦٢] . لايبدو أمرا مؤكدا أيضا فقد قال أبو الصيداء لعمر بن عبدالعزيز « ... عشرون الفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق وعشـــرون الفاً مثلهم يؤخـــذون بالخراج ... »[٦٣] فكتب عمر الى واليه على خراسان « ... أنظر من صلى قبلك الى القبلة فضع عنه الجزية ... »[٦٤] .

ويوضح النص السالف ان أبا الصيداء طلب من عمر بن عبدالعزيز معاملة الخراسانيين معاملة أهل العهد ، كما يقضي الشرع ، واسقاط خراجهم (ضريبة مهنتهم) بعد اسلامهم فرفض عمر اسقاط الخراج ووافق على اسقاط الجـــزية

---

(٦٠) يذكر الاستاذ الدوري (الضرائب في خراسان ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، سنة ١٩٦٤م العدد ١١ ، صص٨١-٨٢) ثلاثة امثلة عن الطبري اولها ، (ج٦ ، ص٦٠٧) في احداث عام ١٠٢هـ ، والمثلين الآخرين بعد ذلك التاريخ الطبري (ج٧ ، صص١٩-٢٠) ، (ج٧ ، ص٣٥) .

(٦١) عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ، صص١٤١-١٤٢ .

(٦٢) مجلة المجمع العلمي العراقي ، سنة ١٩٣٦م ، العدد١١ ، ص٨٤ .

(٦٣) ، (٦٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٥٩ ، ويذكر الاستاذ الريس (الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، ص٢٣٦) ان المقصود بكلمة خراج هنا ضريبة الرأس (الجزية) .

(ضريبة الرأس)[٦٥] ، وكتب الى والي خراسان بذلك ، وهذا ينسجم مع سياسة عمر الرامية الى منع تحول الاراضي الخراجية الى عشرية حفظا لواردات الخزينة[٦٦] ، ويوضح النص التالي المعنى الذي أشرنا اليه ، قال الطبري : « ... قيل للجراح [امير خراسان] : ان الناس قد سارعوا الى الأسلام ، وانما ذلك نفورا من الجزية ... »[٦٧] .

مما تقدم يتضح ان الأستاذ الدوري لم يكن محقا في تعريفه لكلمة الخراج بمعنى الجزية المشتركة ، كما ان استنتاجه بان الجزية المشتركة من اختصاص الدهاقين فقط ، وان عمال الخراج المعينين من قبل الخليفة او الولاة كانوا عمالا مسؤولين عن خراج الأرض التي تدفع ضريبة منفصلة عن الجزية المشتركة ، لا يبدو هو الآخر امراً مؤكداً ، وان الاستاذ الدوري ايضا ترك ثغرات في بحثه عن الضرائب في خراسان ولم يلتفت الى ما أستجد من ضرائب بعد استقرار العرب واشتغالهم بالمهن ، او ما تغير من الضرائب المفروضة على سكان مدن العهد واراضيهم بعد اسلامهم .

ولما كان بحثنا يقتصر على عهد هشام (١٠٥-١٢٥هـ) فلا نرى ضرورة لبحث نظام الضرائب في خراسان منذ الفتح الاسلامي ، ونكتفي بالبحث عن الفترة التي نحن بصددها ، وسنقتصر على اجرائي أشرس بن عبدالله السلمي ، فيما وراء النهر ، واجراء نصر بن سيار في خراسان .

أ - اجراء أشرس بن عبدالله السلمي :

قال الطبري « ... ذكر ان أشرس قال في عمله بخراسان ابغوني رجلا له ورع وفضل اوجهه الى من وراء النهر فيدعوهم الى الأسلام فاشاروا عليه بأبي الصيداء صالح بن طريف مولى بني ضبة ، فقال : لست بالماهر بالفارسية ،

(٦٥) يذكر الماوردي (الاحكام السلطانية ، ص١٤٧) ان الأرض التي يتركها المسلمون بيد اصحابها « ... ويصالحوا عنها بخراج يوضع عليها ، فهذا الخراج جزية تؤخذ منهم ما اقاموا على شركهم وتسقط عنهم باسلامهم ... » .
(٦٦) ابن عساكر ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٨٧ .
(٦٧) تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٥٥٩ .

فضموا معه الربيع بن عمران التميمي ، فقال أبو الصيداء : أخرج على شريطة ان من اسلم لم يؤخذ منه الجزية ، فانما خراج خراسان على رؤس الرجال ، قال أشرس : نعم ، قال أبو الصيداء لأصحابه : فاني اخرج فان لم يف العمـــال اعتمونى عليهم ، قالوا : نعم »(٦٨) .

فاذا أخذنا بتوضيحنا السانف لكلمة الجزية التي تعني ضريبة الرأس ، كما استقرت في الاصطلاح بعدئذ ، ولكلمة الخراج بمعنى ضريبة المهنة التي تؤخذ عن عمل الفرد ، فيمكننا أن نوضح عبارة الطبري السالفة، « ... فانما خـراج خراسان على رؤس الرجال »(٦٩) . وهي أن ابا الصيداء طلب من أشرس ان يرفع الخراج (ضريبة المهنة) عمن يُسلم ، لكن أشرس وافق على رفع الجزية (ضريبة الرأس) ، ولم يلتفت لما عناه أبو الصيداء ، وذلك يذكرنا بتصرف عمر ابن عبدالعزيز عندما طلب منه أبو الصيداء أيضا ان يرفع خراج الموالي ، وقال له « ... عشرون الفا من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق ، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج ... [ف] كتب عمر الى الجراح [أمـير خراسان] . أنظر من صلى قبلك فضع عنه الجزية »(٧٠) .

وعلى ما يبدو من النص ، فان عمر وافق على رفع ضريبة الجزية (ضريبة الرأس) ورفض اقتراح أبي الصيداء برفع ضريبة الخراج (ضريبة المهنـة) ، وربما أراد ابو الصيداء ان يعيد مع أشرس ما سبق ان قاله لعمر بن عبدالعزيز .

ولما كان الفرد يدفع ضريبة واحدة فقط عن رأسه (الجزية) وعن عمله (الخراج)(٧١) ، سواء أكان فلاحا او غير ذلك ، لذا قال ابو الصيداء ، انمـا خراج خراسان على رؤس الرجال .

ثم « ... شخص (ابو الصيداء) الى سمرقند وعليها الحسن بن ابي العمر

(٦٨ ، ٦٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٥٤ .
(٧٠) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٥٥٩ .
(٧١) فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص٤٥٥ .

طه الكندي على حربها وخراجها ، فدعا أبو الصيداء أهل سمرقند ومن حولها الى الأسلام ، على ان توضع عنهم الجزية ، فسارع الناس ، فكتب غوزك [الامير المحلي] الى أشرس : ان الخراج قد أنكسر »[٧٢] .

ويوضح النص ان ابا الصيداء دعاهم الى الأسلام على ان تسقط الجزية (ضريبة الرأس) عمن يسلم ، فسارع الناس الى اعتناق الأسلام .

ولما كانت خراسان قد فتحت صلحاً ، فان اسلام أهلها يعني تخفيف الاعباء الضريبية المفروضة عليهم ، أضافة لاسقاط الجزية ، كما تقضي بذلك الشريعة[٧٣] ، لأن الضريبة مفروضة على الفرد وما يحترف من مهنة سواء أكانت فلاحة للأرض او غير ذلك . وذلك يوضح قول أبي الصيداء ـ انما خراج خراسان على رؤس الرجال ـ كما يوضح قول غوزك بانكسار الخراج ، أي ضريبة المهنة ، أضافة لرفع الجزية عنهم ، ومع ان لغوزك اسبابا أخرى سبقت الأشارة اليها في الفصل الرابع دعته الى القول بانكسار الخراج فانه كان مصيبا فيما ذهب اليه من قلة الوارد الضريبي المسؤول هو عن جمعه ، « ... فكتب أشرس الى ابن ابي العمر طه : ان في الخراج قوة للمسلمين ، وقد بلغني ان أهل السغد واشباههم لم يسلموا رغبة ، وانما دخلوا في الاسلام تعوذا من الجزية ، فانظر من اختتن واقام الفرائض وحسن اسلامه فارفع عنه خراجه ... »[٧٤] .

ويبدو ان أشرس أقتنع برأي غوزك فكتب الى والي سمرقند ان في الخراج قوة للمسلمين وان اهل السغد لم يسلموا رغبة وانما اسلموا تهربا من الجزية (ضريبة الرأس) فأنظر من حسن اسلامه ، فأرفع عنه خراجه ، أي تبدل نوع الضريبة المفروضة على مهنته فالفلاح ، مثلا ، تحول ارضه الى أرض عشرية ، اما الجزية فانها سقطت باسلامه ، حسب الاتفاق مع ابي الصيداء ، لذا لم يذكرها أشرس في رسالته الى والي سمرقند . ويبدو ايضا ان أشرس اراد ان يرفع

---

(٧٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٥٥ .
(٧٣) الماوردي ، المصدر نفسه ، ص١٤٧ .
(٧٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٥٥ .

ضريبة المهنة عمن حسن اسلامه فقط ، حسبما تقضي بذلك الشريعة[٧٥] .

« ... ثم عزل أشرس ابن أبي العمر طه عن الخراج ، وصيره الى هانىء بن هانىء وضم اليه الأشيحذ ، فقال ابن ابي العمر طه لابي الصيداء : لست من الخراج الآن في شيء ، فدونك هانئا والاشيحذ ، فقام أبو الصيداء يمنعهم من أخذ الجزية ممن أسلم ... »[٧٦] .

ويبدو ان هانئا والاشيحذ ، فهما من رسالة أشرس وعزل الوالي ، أعادة الضرائب القديمة ، فقام ابو الصيداء يمنعهم من اخذ الجزية (ضريبة الرأس) ممن أسلم ، ولما جابهتهما مقاومة قوية « ... كتب هانىء [الى أشرس] : ان الناس قد أسلموا وبنو المساجد فجاء دهاقين بخارى الى أشرس فقالوا : ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عربا ؟ فكتب أشرس الى هانىء والي العمال : خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه ، فاعادوا الجزية على من اسلم ، فامتنعوا ، واعتزل من أهل السغد سبعة الاف فنزلوا على سبعة فراسخ من سمرقند ، وخرج اليهم ابو الصيداء ... » . وجماعة من العرب[٧٧] .

ولما عرف الدهاقين بما كتب به هانىء الى اشرس توجه وفد من دهاقين بخارى الى أشرس وقابلوه ليوضحوا له انهم لن يتمكنوا من اخذ الخراج (ضريبة المهنة) أضافة للجزية التي اسقطها أشرس ، فان الناس كلهم صاروا عربا ، وربما قصدوا انه لا يمكن اخذ ضريبة المهنة على مقدارها السابق لان الناس صاروا عربا ولم يقولوا مسلمين لأن السكان المحليين قد فهموا ، أن اسلامهم يعني انهم يدفعون ضرائب كما يدفع العرب أي تسقط او تخفف عنهم ضريبة الخراج (المهنة) ، ولم يقصدوا انهم تحولوا الى الاسلام فقط كما استنتج ذلك الاستاذ الدوري[٧٨] .

---

(٧٥) الماوردي ، المصدر نفسه ، ص١٤٧ .
(٧٦ ، ٧٧) الطبري ، ج٧ ، ص٥٥ .
(٧٨) مجلة المجمع العلمي العراقي ، سنة ١٩٦٤م ، العدد ١١ ، ص٨٥ .

ويعبر دينيت عن استغرابه من قولهم عربا ، وان كان لا يوضح سبب قولهم عربا بدل مسلمين[79] . وبعد مقابلة دهاقين بخارى لأشرس ، كتب الى العمال خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه ، ولم يتطرق الى الجزية باعتبار انها رفعت باتفاقه مع ابي الصيداء ، لكن العمال اخذوا الجزية (ضريبة الرأس) ممن اسلم، ولا يوضح النص ان ذلك كان بأمر من أشرس كما استنتج الأستاذ الدوري[80].

ويبدو ان لغوزك والدهاقين اسبابا خاصة ، لمقاومة الداخلين في الأسلام ، منها رغبتهم بالانفصال ومحافظتهم على مراكزهم التي ستتأثر حتما بانتشار الأسلام، ولم يكن نقص الخراج الا سببا تذرعوا به لمقاومة انتشار الأسلام[81] . «.... فعزل أشرس ابن ابي العمر طه عن الحرب واستعمل مكانه المجشر بن مزاحم السلمي وضم اليه عميرة بن سعد الشيباني .

قال : فلما قدم المجشر كتب الى ابي الصيداء يسأله ان يقدم عليه هو وأصحابه فقدم ابو الصيداء وثابت قطنة فحبسهما ... وحمل ابا الصيداء الى الأشرس ... فلما حمل ابو الصيداء اجتمع اصحابه وولوا امرهم ابا فاطمة ليقاتلوا هانئا ، فقال لهم : كفوا حتى اكتب الى اشرس ... فكتبوا الى أشرس ، فكتب أشرس . ضعوا عليهم الخراج ، فرجع اصحاب أبي الصيداء ، فضعف امرهم ، فتتبع الرؤساء منهم فاخذوا وحملوا الى مرو ، واشرك اشرس مع هانىء بن هانىء سليمان بن أبي السري مولي بني عوافة في الخراج ، فالح هانىء والعمال في جباية الخراج واستخفوا بعظماء العجم وسلط المجشر عميرة بن سعد على الدهاقين فاقيموا وخرقت شيابهم والقيت مناقطهم في اعناقهم واخذوا الجزية ممن اسلم من الضعفاء ، فكفرت السغد وبخارى واستجاشوا الترك[82] .

وتوضيح النص ان اشرس عزل ابن ابي العمر طه وعين محله المجشر بن

---

(٧٩) الجزية والاسلام ، ص١٩١ .
(٨٠) مجلة المجمع العلمي العراقي ، سنة ١٩٦٤م ، العدد١١ ، ص٨٥ .
(٨١) دينيت ، المصدر نفسه ، ص١٩١ .
(٨٢) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ص٥٥ـ٥٦ .

مزاحم السلمي ، فلما قدم المجشر استدعى ابا الصيداء وثابت قطنة ، فلما وصلا اليه حبسهما فاجتمع اصحاب ابي الصيداء وولوا امرهم أبا فاطمة ليقاتلوا هانئا فطلب منهم ان يكتبوا الى أشرس وكتبوا اليه فجاء جوابه باعادة فرض الخراج عليهم (ضريبة المهنة) ولم يتطرق الى الجزية باعتبار انها رفعت حسب اتفاقه مع أبي الصيداء •

وأشرك أشرس بن ابي السري مع هانىء لمعاونته ايضا ، في جمع الخراج (ضريبة المهنة) ، فالح هانىء والعمال في جمعها ، واستخفوا بعظماء العجم •

ويبدو ان الدهاقين طولبوا بما تراكم عليهم من ضرائب ولم تفرض عليهم ضرائب ثقيلة ، كما استنتج ذلك الأستاذ الدوري[٨٣] ، فامتنع الدهاقين عن اعطاء المبالغ المطلوبة فاقيموا وخرقت ثيابهم استهانة بهم • وكم يكتف العمال بذلك ، فقد اخذوا الجزية ممن اسلم من الضعفاء اما الأقوياء فامتنعوا عن دفعها لان أشرس لم يكتب بذلك ، ولم يتمكن العمال من اجبارهم على دفع الجزية التي لم يأمرهم أشرس بأخذها ، والا فما المانع من اجبارهم على دفعها كما فعلوا مع الدهاقين في أخذ الخراج •

ب ـ اجزاء نصر بن سيار :

قال الطبري في احداث عام ١٢١هـ « ••• ان نصرا غزا من بلخ ما وراء النهر ••• ثم قفل الى مرو ، فخطب الناس ، فقال : الا ان بهرامسيس كان مانح المجوس ، يمنحهم ويدفع عنهم ، ويحمل اثقالهم على المسلمين ، الا ان اشبداد ابن جريجور كان مانع لنصارى ، الا ان عقيبة اليهودي ، كان مانح اليهود يفعل ذلك الا اني مانح المسلمين ، امنحهم وادفع عنهم ، واحمل اثقالهم على

(٨٣) مجلة المجمع العلمي العراقي ، سنة ١٩٦٤م ، العدد ١١ ، ص٨٣ •
ويذكر البلاذري (فتوح البلدان ، ص٤١٧) ان أشرس « ••• زاد ••• وظائف خراسان » • ويبدو ان البلاذري فسر مطالبة الدهاقين بالاموال المتراكمة هو زيادة للضرائب في خراسان • وقد استنتج الاستاذ الدوري ان أشرس زاد الضرائب في خراسان استنادا الى نص الطبري السالف • وان لم يشر الى نص البلاذري الذي اوردناه •

المشركين ، الا انه لا يقبل مني الا توفي الخراج على ما كتب ورفع . وقد استعملت عليكم منصور بن‌عمر بن ابي الخرقاء وامرته بالعدل عليكم ، فايما رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه ، او ثقل عليه في خراجه وخفف مثل ذلك عن المشركين ، فليرجع ذلك الى المنصور بن عمر ، يحوله عن المسلم الى المشرك . قال : فما كانت الجمعة الثانية ، حتى أتاه ثلاثون الف مسلم ، كانوا يؤدون الجزية عن رؤسهم وثمانون الف رجل من المشركين قد القيت عنهم جزيتهم ، فحول ذلك عليهم والقاه عن المسلمين . ثم صنف الخراج حتى وضعه مواضعه ، ثم وظف الوظيفة التي جرى عليها الصلح . قال : فكانت مرو يؤخذ منها مائة الف سوى الخراج أيام بني أمية(٨٤) .

وعلى ضوء ما سلف من تعريفنا للجزية بانها ضريبة الرأس والخراج ضريبة المهنة يمكن تفسير نص الطبري السالف .

فايما رجل كان يؤخذ منه جزية رأسه او ثقل عليه في خراجه (ضريبة مهنته) وخفف مثل ذلك عن المشركين فليراجع منصور بن عمر (نائب الامير) يحوله عن المسلم الى المشرك وهذا يعني ان المسلمين اعفوا من الجزية ضريبة الرأس . فان نصر خاطب المسلمين بانه ولي امرهم وينظر في مصالحهم ، كما يفعل رؤساء الطوائف الآخرون من المجوس والنصارى واليهود .

ولم يمضي اسبوع واحد حتى جاء ثلاثون الف مسلم يدفعون الجزية (ضريبة الرأس) وثمانون الف مشرك كانوا قد أعفوا منها ، فحولت عن‌المسلمين الى المشركين .

« ... ثم صنف الخراج (ضريبة المهنة) ، حتى وضعه مواضعه »(٨٥) . اي فرق بين ضريبة الارض وضريبة الحرفة من صناعة وتجارة وغيرهما ، وهنا

---

(٨٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص‌ص ١٧٣-١٧٤ .

(٨٥ ، ٨٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٧٣ ، يوضح اليعقوبي (التاريخ ، ج٢ ، ص٣٢٣) معنى وَظّف فيقول « ... وخوف يوسف خالد وعماله ، ووظف عليهم الأموال » وبملاحظة النص يظهر أن وظف تعني فرض .

ترد كلمة الخراج بمعناها الأصطلاحي الذي استقرت عليه بعدئذ لتعني ضريبة الارض فقط .

« ... ثم وظف الوظيفة التي جرى عليها الصلح ... »[٨٦] وذلك يعني ان نصرا فرض ضريبة على المهن التجارية والحرفية وغيرها والتي كانت قبلا تسمى خراجا (ضريبة المهنة) فلما وضع الخراج على الأرض ، كان لابد له ان يفرض المبالغ المتبقية عليه ، والمعينة في شروط الصلح ، على المهن ، أضافة لما يأخذه من أموال الجزية (ضريبة الرأس) ليفي بالتزاماته المالية للدولة ، حسب شروط الصلح المتفق عليها سابقا .

وربما يوضح نص الطبري ان مقدار تلك المبالغ في منطقة مرو ، كان مائة الف درهم ، ليكمل المبلغ المتفق عليه في شروط الصلح ، أضافة الى خراج الأرض . ولايبدو ان الخراج لم يكن محتسبا مع المبالغ التي صولحوا عليها ، على ما أستنتج الأستاذ الدوري[٨٧] .

كما لا يبدو ان كلمة خراج الواردة عند الطبري « ... او ثقل عليه في خراجه »[٨٨] تعني ضريبة الأرض ، كما استنتج دينيت[٨٩] ، وربما كان الارجح انها تعني ضريبة المهنة على ما أسلفنا .

ونستنتج مما سبق ان الضرائب في خراسان كانت على نوعين ضريبة مهنة (خراج) وضريبة رأس (جزية) وكان الشخص يدفعهما معا ، ولما بدأ التحول الى الاسلام ، على الاخص في الجيلين الثاني ، والثالث ، كان لابد من أجراء تعديل ضريبي ليتلائم مع الاوضاع المستجدة .

ولما كان الولاة مسؤولين عن تقديم مبالغ معينة وثابتة فأن ذلك أوقعهم في بعض الأخطاء التي نتج عنها اضطرابات وثورات ، على ما أسلفنا في الفصل الرابع .

---

(٨٧) مجلة المجمع العلمي العراقي ، سنة ١٩٦٤م ، العدد ١١ ، ص٨٧ .
(٨٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٧٣ .
(٨٩) لجزية والأسلام ، ص١٩٤ .

واستمر الوضع المرتبك وغير المستقر للضرائب في خراسان الى ان جاء نصر بن سيار فميز بين ضريبة الارض وضريبة الحرفة وضريبة الرأس التي أعفى منها المسلمين ، ومع ان اجراءه جاء متأخرا[٩٠] ، لكنه خفف من طائفة من الاوضاع الضريبية الثقيلة على السكان ، خاصة المسلمين منهم •

وربما يعني اجراء نصر بن سيار أيضا ، ان الدهاقين أعفوا من مسؤولية جمع الضرائب نهائيا ، وان جمعها أصبح من مسؤولية الوالي الذي يعين عمالا لذلك ومن المحتمل ان ما ذكره الجهشياري يوضح بعض ما كان يجري في خراسان بذلك الصدد • قال الجهشياري : « ••• وكان اكثر كتاب خراسان اذ ذاك مجوس ، وكانت الحسبانات بالفارسية ، فكتب يوسف بن عمر ، وكان يتقلد العراق في سنة أربع وعشرين ومئة ، الى نصر بن سيار كتابا ••• يأمره الا يستعين بأحد من أهل الشرك في أعماله وكتابته »[٩١] • وربما يتضح أيضا ان أجراء نصر باشرافه المباشر على الضرائب اتبعه باجراء آخر فاقصى جميع العمال غير المسلمين ، وجعل كتاب سجلات الضرائب من المسلمين ، ولم يكن ليتسنى له ذلك لو كان جمع بعض الضرائب من مسؤولية الدهاقين •

ونرى من المناسب ان نذكر أن المؤلف المجهول لتأريخ الخلفاء يقدم لنا رواية عن واردات خراسان في عهد هشام • فيذكر ان أشرس بن عبدالله السلمي، لما وصل خراسان والياً عام ١١٠ هـ سأل « ••• مرزبان مرو ، كم خراج خراسان، قال عشرون الف الف درهم منها الفا ألف لنفقات الوالي ومؤونته وثمانية عشر الف الف ما يكتب به الى امير المؤمنين فقال أشرس إجعل الألفي الف أيضا لأمير المؤمنين فقال له الملوك ومن حضره ان هذا ليس بوظيفة علينا وانما هو شيء تطيب به أنفسنا للولاة فان صيرته لأمير المؤمنين وعففت عنها جاءنا بعدك من يأخذ

(٩٠) يذكر الطبري (ج٧ ، ص‌ص١٧٣ـ١٧٤) اجراء نصر في احداث عام ١٢١هـ •
(٩١) كتاب الوزراء والكتاب ، ص٦٧ ، والمؤلف المجهول ، تاريخ الخلفاء ، ص‌ص٤٢٩ـ٤٣٠ •

بالعشرين الف الفا وظيفة ويطالبنا بالالفي الف لمؤونته فأما ان تأخذها واما ان تكف فلا تذكر عنها ، فأبى وكتب بذلك الى هشام فأمر بأن يؤخذ منهم »[٩٢] .

ولم تكن الضرائب مقتصرة على المبالغ المسجلة في الديوان فكان الافراد يدفعون ضرائب النوروز والمهرجان وغيرها ، فيذكر الطبري ان دهقان هراة قدم على أسد بن عبدالله القسري مع عامل أسد على هراة في يوم المهرجان ومعهما هدية « ... قومت بالف الف ، ... » وكانت عبارة عن تماثيل من ذهب وفضة وبعض الاقمشة الحريرية ، وقد فرقها أسد بين الحاضرين[٩٣] .

ومما يجدر ذكره ان تولية نصر بن سيار لخراسان في أواخر عهد هشام كان مهما فقد « ... عمرت خراسان عمارة لم تعمر قبل ذلك مثلها ووضع [نصر] الخراج ، وأحسن الولاية والجباية ... »[٩٤] . لكن اجراء نصر جاء متأخرا ، وكانت الدعوة العباسية قد انتشرت وكثر اتباعها ، فلم يثمر النتاج المطلوب[٩٥] .

وفي ختام حديثنا عن الضرائب في خراسان نقرر هنا أنا مدينون للطبري بالكثير فيما يخص أخبار الفترة التي نحن بصدد بحثها . ورغم قلة ما أورده الطبري عن الادارة المالية للدولة الاسلامية للفترة نفسها ، فلا يسعنا الا ان نوليها عناية كبيرة ونجعلها مركز اهتمامنا ، خاصة ما ذكره عن خراسان .

وبالرغم من احتمالات تصحيف النساخ وما الى ذلك من أمور ، فلا يسعنا الا الاعتماد على ما ورد عند الطبري من مصطلحات عن الادارة المالية . لحين ظهور مصادر جديدة توضح تلك المصطلحات ، حسب مدلولاتها الادارية انذاك ، او تبين خطأ بعض ما اورده منها .

٣ ـ الضرائب وحصيلتها في الجزيرة الفراتية :

تشمل الجزيرة الفراتية المناطق المحصورة بين غربي دجلة وشرقي الفرات ويرى الاصطخري انها تمتد على الفرات من شمال ملطية بمسيرة يومين شمالا

---

(٩٢) تأريخ الخلفاء ، ص٤٢٦ .
(٩٣) تأريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، صص١٣٩ـ١٤٠ .
(٩٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٥٨ .
(٩٥) الدوري ، مقدمة في تأريخ صدر الاسلام ، ص٨٦ .

الى الأنبار جنوبا ، وعلى دجلة من أرمينية شمالا الى تكريت جنوبا[٩٦] . وقام عياض بن غنم بفتح الجزيرة ، ويبدو ان صلحها ان يختلف عن غيره ببعض الاختلاف فيذكر البلاذري ان عياضا حاصر الرها فعرض سكانها الصلح فقال لهم عياض : « ... الأرض لنا قد وطئناها واحرزناها ، فاقرها في ايديهم على الخراج ودفع منها ما لم يرده أهل الذمة فرفضوه الى المسلمين على العشر ، ووضع الجزية على رقابهم فالزم كل رجل منهم دينارا في كل سنة واخرج النساء والصبيان ... »[٩٧] ، كما فرض على كل رجل منهم ايضا ، مقدارا معينا من القمح والزيت والخل والعسل[٩٨] . ويضيف ابو يوسف ان عياضا « ... جعلهم جميعا طبقة واحدة »[٩٩] . اي متساوين في دفع الضريبة .

وصار صلح الرها انموذجا احتذته بقية مدن الجزيرة مثل حران وسمسياط والرقة وغيرها[١٠٠] . ويلخص البلاذري ذلك بقوله « ... ان عياضا افتتح الجزيرة ومدائنها صلحا وأرضها عنوة »[١٠١] . ثم عُدِل النظام الضريبي ففرضت الضريبة النقدية على سكان المدن ، والمواد الزراعية على سكان الأرياف ونحن نجهل متى كان ذلك التعديل وما مقدار الضريبة المفروضة على الفرد[١٠٢] .

فلما جاء عبدالملك الى الخلافة أرسل الضحاك بن عبدالرحمن الأشعري ، لاصلاح النظام الضريبي المتبع في الجزيرة ، فأحتسب عبدالرحمن معدل مايكسبه الرجل من عمله لمدة عام ، واسقط من ذلك نفقاته للطعام ، والشراب ، والكسوة ، ونفقات الأعياد وغيرها ، فرأى انه يفضل أربعة دنانير .

فأحتسب عبدالرحمن ضريبة الرأس على الرجال القادرين على العمل

---

(٩٦) المسالك والممالك ، ص٥٢ .
(٩٧) فتوح البلدان ، ص١٧٧ .
(٩٨) ايضا ، صص١٧٧–١٧٨ .
(٩٩) الخراج ، ص٤١ .
(١٠٠) البلاذري ، فتوح البلدان ، صص١٧٩–١٨٠ .
(١٠١) أيضا ، ص١٧٩ .
(١٠٢) ابو يوسف ، المصدر نفسه ، صص٤٠–٤١ ، دينيت ، المصدر نفسه ، ص٨٩ .

أربعة دنانير(١٠٣) .

اما المزارعون في الأرياف ، ففرض عليهم خراج الأرض ، وأحتسب عبدالرحمن ذلك نسبة الى قرب المنطقة او بعدها عن سوق المدينة ، فمثلاً أحتسب دينارا واحدا على كل مئة شجرة زيتون ، اذا كانت قريبة من سوق المدينة ، ودينارا واحدا على كل مائتين اذا كانت بعيدة عن سوق المدينة ، وكانت المنطقة التي تبعد مسيرة يوم واحد عن سوق المدينة تعتبر قريبة ، وما زاد عن ذلك تعد بعيدة ، ويحتسب مقدار الضريبة على ذلك الأساس(١٠٤) .

ولما كان الأفراد متساوين في دفع الضريبة النقدية (ضريبة الرأس) فان ذلك أضرَّ بالفقراء ومتوسطي الحال الى حد ما(١٠٥) .

ومما تقدم نرى ان نظام الضرائب في الجزيرة مر بثلاث مراحل ، في المرحلة الاولى كانت الضريبة دينارا واحدا مع مقدار من المواد العينية ، وفي المرحلة الثانية ، عدل نظام الضرائب بحيث فرض على سكان الريف كل مواد الطعام وعلى سكان المدن كل المال ، وفي المرحلة الثالثة كان الاصلاح الشامل الذي أدخله عبدالملك(١٠٦) .

وبما ان أرض الجزيرة فتحت عنوة ، فمن حق الأمام (الخليفة) ان يغير النظام الضريبي المفروض عليها(١٠٧) ، ومع ان الخلفاء الأمويين ، اذا أستثنينا عمر بن عبدالعزيز ، لم يلتزموا بما تفرضه الشريعة ، فيما يخص نظام الضرائب ، فلا يبدو ان الاجراء الذي اتخذه عبدالملك ، كان لأسباب تتعلق بالشرع ، وربما كان للاعتبارات السياسية والأقتصادية أثر في اتخاذه لذلك الأجراء ، فقد كانت الجزيرة محادة لاعداء أقوياء كالخزر والبيزنطيين وكان الجيش بحاجة الى المواد

(١٠٣ ، ١٠٤) ابو يوسف ، المصدر نفسه ، ص٤١ .
(١٠٥) دينيت ، المصدر نفسه ، ص٨٦ .
(١٠٦) ابو يوسف ، المصدر نفسه ، ص ص٤٠ـ٤١ ، ودينيت ، المصدر نفسه ، ص٨٩ .
(١٠٧) الماوردي ، المصدر نفسه ، ص ص١٣٧ـ١٣٨ .

الغذائية ، ولما كان أخذ المواد العينية ، بدل النقد كضريبة من السكان يؤدي الى تذمرهم(١٠٨) ، فيرجع ان عبدالملك قام باجرائه السالف لتخفيف عبأ المواد العينية المفروضة عليهم •

ويرى دينيت ان الأمويين لم يميزوا كثيرا بين أرض الصلح وأرض الخراج ، لكن أرض الصلح كانت لها ادارتها الخاصة من أهل البلاد كالجزيرة(١٠٩) •

ولا يبدو ان استنتاج دينيت السالف كان مقنعا ، فان اجراء عبدالملك فيما يخص النظام الضريبي يوضح ان مسؤولية الأشراف على جمع الضرائب كانت على عاتق العرب •

فيذكر أبو يوسف ان نقاشا دار بين طائفة من أهل الجزيرة وجماعة من مسؤولي الخراج العرب ، فقال أهل الجزيرة ، « ••• ان حقنا في أيدينا حملنا عليه من كان قبلكم وهو ثابت في دواوينكم وقد جهلتم وجهلنا كيف كان أول الأمر ، فكيف تستجيزون ان تحدثوا علينا ما لم يكن مما ليس لكم به ثبت وتنقضون هذا الأمر الثابت في أيديكم الذي لم نزل عليه(١١٠) • ويذكر ابو يوسف ان ذلك النقاش دار عندما حاول المسلمون توزيع الضريبة بين المدن والارياف بحيث يدفع سكان المدن النقود ، ويدفع سكان الأرياف عيناً من الحاصل كضريبة ، وكان ذلك لتغطية حاجات الجيش للطعام(١١١) •

ونرى من المناسب ان نذكر ، ان العرب قد استوطنوا مناطق من الاراضي التي تركها أصحابها بعد الفتح ، وفُرض عليهم العشر ، ويبدو أن الدولة شجعت استيطان العرب لأسباب سياسية ، فأقطعتهم أراضي عين الوردة ، التي تركها أصحابها ، على العشر(١١٢) ، وكذلك الاراضي التي لم يستغلها السكان ،

---

(١٠٨) ابو يوسف ، المصدر نفسه ، ص ص٤٠ـ٤١ •
(١٠٩) الجزية والاسلام ، ص٩٠ •
(١١٠) الخراج ، ص٤١ •
(١١١) ايضا ، ص ص٤٠ـ٤١ •
(١١٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٨١ •

واستغنوا عنهو عند الفتح الاول[113] .

ومما تقدم ، يتضح ان مدن الجزيرة فتحت صلحا ، لكنه لم يفرض عليها مبلغ معين في شروط الصلح ، وان الضريبة فرضت على رؤوس الرجال ، واعفي منها الصبيان والنساء ، حسب القاعدة الاسلامية ، وكان مقدارها دينارا واحدا مع قليل من القمح والزيت والخل والعسل ثم أسقطت المواد العينية عن سكان المدن ، وفرضت عليهم النقود .

وفي عهد عبدالملك ، أصبحت ضريبة سكان المدن أربعة دنانير على رؤوس الرجال القادرين على العمل . اما سكان الارياف فكانوا يدفعون الخراج عن أرضهم حسب شروط الصلح التي عدت فيها الارض للعرب .

اما الاراضي التي استصلحت او تنازل عنها أصحابها او هاجروا وتركوها، فقد أقطعت للعرب على العشر .

ويبدو أن الخراج كان يؤخذ عينا لحاجة الجيش ، وعلى ما يظهر من النقاش الذي دار بين طائفة من مزارعي سكان الجزيرة والمسلمين ، فأنهم لم يكونوا راضين عن التوزيع السالف للضريبة وجعل ضريبتهم عينية فقط ، وقد بينوا أن ذلك لم يكن موجودا في شروط الصلح الاولى التي يجهلونها جميعا .

لكن عبدالملك قام باصلاحه المهم فانقص مقدار الضريبة عن المزارع والحقول البعيدة عن المدن ، فجعلها تدفع نصف المقدار المفروض على المزارع والحقول القريبة من الحلال كما سبق وان أشرنا .

ومما يجدر ذكره ان المصادر لا تشير الى تغييرات في نظام الضرائب في الجزيرة بعد عبدالملك . وليس هناك مايدعونا الى افتراض تبدلها زمن هشام ، ومع ما عُرِفَ عنه من حرص على جمع المال ، فلا يبدو ان مقدارها قل في عهده .

---

(١١٣) ايضا ، ص١٧٧ .

ولا يفوتنا ان نذكر ان المصادر لا تشير الى مجموع أخرجه الجزيرة في الفترة التي نحن بصددها • ويذكر الجهشياري ان مجموعها كان أربعة وثلاثين مليون درهم في أواخر القرن الثاني الهجري اي في عهد هارون الرشيد[١١٤] •

وليس هناك ما يدعونا الى افتراض قلتها زمن الأمويين ، خاصة وكانت المناطق التي يحتلها المسلمون في العهد الأموي اوسع مما كانت عليه زمن العباسيين، كما انه لا يعد خراج الموصل من ضمن أخرجه مدن الجزيرة ، فاذا أضفنا خراج الموصل وقدره أربعة وعشرون مليون درهم ، عدا العسل الابيض[١١٥] ، يكون المجموع ثمانية وخمسين مليون درهم[١١٦] •

ونرى من المناسب ان نذكر ختام حديثنا عن واردات الجزيرة ، ان الموصل ايضا كان لها ديوانها الخاص في عهد هشام[١١٧] ، على ما أسلفنا في الفصل الثالث، وكان الخليفة يعين ولاتها (الموصل) ، كما لم يكن للجزيرة وال ـ في عهد هشام ـ فقد كان الخليفة يعين الولاة لادارة بعض مدنها ، ويرسل الحملات لحماية شغورها • وقد كان والي أرمينية وأذربيجان مسؤولا عن القسم الآخر من مدن الجزيرة القريبة من ولايته • وعلى ذلك فمن المرجح ان مقدار وارد الجزيرة لم يذكر للسبب السالف ، في أغلب المصادر خلال الفترة التي نحن بصددها •

٤ ـ واردات بلاد الشام :

تشمل بلاد الشام ، أنذاك ، الأردن وفلسطين وحمص وقنسرين والعواصم

(١١٤ ، ١١٥) الوزراء الكتاب ، ص٢٨٥ •

(١١٦) ويذكر الجهشياري أيضا ان سعر الدينار محسوبا على اثنين وعشرين درهما • ويرجح الاستاذ الريس (الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية، ص٥٢٠) ان سعر الصرف للدينار في عهد الرشيد ، كما يذكره الجهشياري، غير مؤكد ، ويقترح ان يكون سعر الصرف (١٥) درهما للدينار الواحد •

(١١٧) يذكر الأزدي (تاريخ الموصل ، ص٤٣) ان ما صرف على حفر النهر المكشوف بلغ (٨) ملايين درهم وهي مجموع أخرجه الموصل للاعوام (١٠٨ـ ١٢١هـ) • ويبدو ان الرقم يمثل خراج المدينة والمناطق المحيطة بها فقط ولا يشمل كافة مناطق الأقليم •

والثغور[١١٨] . وبعد فتح الشام وانسحاب البيزنطيين ، عقد العرب عدة معاهدات للصلح مع مدن بلاد الشام الرئيسة .

ويذكر لنا البلاذري شروط الصلح مع تلك المدن فقد صالح سكان دمشق المسلمين على دفع دينار عن كل رجل وقليل من الحنطة والخل كقوت للمسلمين[١١٩] .

كما صالح المسلمون أهل بعلبك على الجزية والخراج[١٢٠] . وقد صولح عامة سكان مدن فلسطين على ان يؤدوا « ... الجزية على رقابهم والخراج على أرضهم »[١٢١] .

اما سكان القدس فصولحوا « ... على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام من اداء الجزية والخراج والدخول فيما دخل فيه نظراؤهم »[١٢٢] .

ولا تذكر النصوص السابقة المبالغ الأجمالية للضريبة المفروضة على المدن ، ومع ذلك نجد البلاذري يذكر بان مدينة حمص صولحت على مبلغ قدره مائة الف وسبعين دينارا[١٢٣] . وفي رواية اخرى يذكر ان ابا عبيدة ، « ... اشترط الخراج على من أقام منهم »[١٢٤] . كما صالح المسلمون أهل قنسرين « ... على مثل صلح حمص »[١٢٥] .

لكن البلاذري لا يذكر قدراً معيناً من المال وربما كان مبلغ الجزية الأجمالي هو عين المبلغ الذي فرض على حمص .

---

(١١٨) الاصطخري ، المصدر نفسه ، ص٤٣ .
(١١٩) فتوح البلدان ، ص١٣١ .
(١٢٠) فتوح البلدان ، ص١٣٦ .
(١٢١ ، ١٢٢) ايضا ، ص١٤٤ .
(١٢٣) أيضا ، ص١٣٦ ، ويذكر اليعقوبي (التاريخ ، ج٢ ، ص١٤١) ان المبلغ كان مائة وسبعين الف دينار .
(١٢٤) فتوح البلدان ، ص١٣٦ .
(١٢٥) ايضا ، ص١٥٠ .

كما يذكر البلاذري في صلح اللاذقية أن أهلها « ... قوطعوا على خراج يؤدونه قلوا أو كثروا »[126] . لكنه لايذكر مقداره الكلي .

ويرى دينيت ان العرب عقدوا معاهدات الصلح مع مدن بلاد الشام كلا على حدة ، لان لكل مدينة حكومتها الخاصة التي عقدت شروط صلح مع العرب الفاتحين[127] .

وربما كان دينيت محقا في رأيه السالف ، ومع ذلك فان النصوص السابقة توضح أن المدن التي قاتلت المسلمين كانت شروط صلحها أقل تسامحاً من التي فتحت بغير قتال . فيشير البلاذري الى ان مدينة حمص قاتل أهلها المسلمين[128]، وكذلك فعل سكان اللاذقية[129] ، وربما وضح موقف السكان في المدينتين السبب الذي دفع المسلمين الى عدم التسامح مع سكانهما في شروط الصلح .

كما يوضح نص صلح اللاذقية ، ان بعض الناس كانوا يتركون أراضيهم ، وربما منع ذلك السكان من الاتفاق على مبالغ اجمالية معينة بشروط الصلح ، واذا استثنينا صلح حمص ، التي فتحت عنوة لن نجد مبالغ اجمالية في شروط الصلح، وذلك يستوجب اجراء مسح كاف للسكان بعد استقرار الأمور في بلاد الشام .

وقد قام عمر بن الخطاب (رض) بذلك المسح ، قال البلاذري « ... ان عمر كتب الى أمراء الأجناد يأمرهم ان يضربوا الجزية على كل من جرت عليه الموسى ، وان يجعلوها على أهل الورق (الفضة) على كل رجل أربعين درهما ، وعلى أهل الذهب أربعة دنانير ... » ، كما فرض عليهم مواد عينية يدفعونها في كل شهر رزقا للمسلمين[130] .

وعلى رواية أخرى للبلاذري أيضا ان الجزية التي أمر عمر بوضعها على

---

(١٢٦) ايضا ، ص١٣٩ .
(١٢٧) الجزية والاسلام ، ص٩٦ .
(١٢٨) فتوح البلدان ، ص١٣٦ .
(١٢٩) أيضا ، ص١٣٨ .
(١٣٠) أيضا ، ص١٣١ ، ١٥٧ .

أهل الشام كانت دينارا واحدا مع قليل من القمح ، ثم صارت بعدئذ أربعة دنانير ذهبا او أربعين درهماً من الفضة ، وتؤخذ حسب حالة الفرد المالية . وقد عومل اليهود بمثل ذلك[١٣١] .

ومما تقدم يتضح ان المسح جرى بعد استتباب الأمور وانسحاب البيزنطيين نهائيا من بلاد الشام .

وقد طبق المسلمون في هذه البلاد القواعد التي أتبعوها في جميع البلدان المفتوحة فيما يخص ضريبة الجزية .

ويذكر دينيت استناداً الى رواية مغايرة لميخائيل السرياني ان الأصلاح السالف كان زمن معاوية بن أبي سفيان ، فقد قام باصلاح شامل للضريبة فيجميع أجزاء الأمبراطورية[١٣٢] .

ولدينار رواية ثالثة ذكرها ابو يوسف ، مفادها ان عبدالملك ارسل الضحاك ابن عبدالرحمن لاصلاح النظام الضريبي في الجزيرة ، وقد أشرنا اليها في بحثنا عن الضرائب في الجزيرة الفراتية .

قال ابو يوسف في ختام كلامه عن اجراء الضحاك السالف « ... وحملت الشام على مثل ذلك وحملت الموصل على مثل ذلك »[١٣٣] .

ومما تقدم يتضح ان التعديل الضريبي لبلاد الشام كان زمن عمر بن الخطاب (رض) وكان التعديل الاخير في عهد عبدالملك .

كما يوضح نص صلح بصرى عند فتحها ان القائد العربي « ... فرض عليهم الجزية على الطبقات والخراج على الارض »[١٣٤] .

وللباحث ان يتساءل عما منع القادة المسلمين ان يعقدوا شروطا للصلح

(١٣١) أيضا ، ص١٣١ .
(١٣٢) الجزية والاسلام ، ص١٠٩ .
(١٣٣) الخراج ، ص٤١ .
(١٣٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٥٧ .

مشابهة لشروط الصلح مع بصرى • فاذا استثنينا كون أغلب سكانها من العرب[١٣٥] ، فيمكن تفسير تصرف القادة المسلمين ، أنهم عقدوا شروطا للصلح مع بعض المدن قبل معركة اليرموك •

فلما تقدم الجيش البيزنطي ، أضطر المسلمون الى الأنسحاب من تلك المدن، فلما أعادوا فتحها ثانية لم يشاءوا تغيير شروط الصلح الاولى •

اما المدن التي قاومتهم كاللاذقية وحمص ، فقد فُرضت عليها شروط للصلح أقل تسامحاً من تلك لم تقاومهم •

ثم قام عمر بن الخطاب (رض) باصلاحه الضريبي الاول ، وفي عهد عبدالملك جرى الاصلاح الشامل للضرائب في بلاد الشام والجزيرة والموصل •

ونرجح استنادا لقصر الفترة بين حكم هشام وعهد عبدالملك ، وصعوبة تبديل نظام الضرائب الذي الفه الناس ونظموا حياتهم الأقتصادية طبقا له ، أن تغييرات مهمة لم تحصل في نظام دفع الضرائب في عهد هشام في الأقاليم المشار اليها •

كما أقطعت طائفة من المسلمين بعض الأراضي التي تركها أصحابها[١٣٦] ، خاصة في المدن القريبة من الحدود البيزنطية ، كأنطاكية[١٣٧] وانطرسوس (طرسوس) وبعض المدن المجاورة لها على الساحل السوري[١٣٨] • وحسب ما يقضي به الشرع فقد كانت الضريبة المفروضة على تلك الأراضي عشر الحاصل •

كما لا تشير المصادر الى المقدار الكلي لمجموع الضرائب التي كان السكان

(١٣٥) ويذكر اليعقوبي (التاريخ ، ج٢ ، ص١٤٢) ان جبلة بن الايهم ، ملك غسان ، آنف من دفع لجزية وقال « ••• انما يؤدي الجزية العلوج وانا رجل من لعرب » •

(١٣٦) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص‌ص ١٣٤–١٣٥ •

(١٣٧) أيضا ، ص١٥٣ •

(١٣٨) أيضا ، ص١٣٩ •

يدفعونها في عهد هشام ، لكن بعضها تقدم لنا قوائم بمبالغ الضرائب لمدن بـــلاد الشام قبل عهد هشام أو بعده ، فمثلا يقدم لنا البلاذري أخـــرجة مدن بـــلاد الشام زمن عبدالملك بن مروان[١٣٩] ، كما يأتي :

الاردن	١٨٠/٠٠٠ دينار
فلسطين	٣٥٠/٠٠٠ دينار
دمشق	٤٠٠/٠٠٠ دينار
حمص وقنسرين والعواصم	٨٠٠/٠٠٠ دينار وقيل انها ٧٠٠/٠٠٠ دينار

فاذا أخذنا برواية البلاذري يكون مجموع المقدار ١/٧٣٠/٠٠٠ مليـــون دينارا ، أو ١/٦٣٠/٠٠٠ مليون دينارا ، فاذا احتسبنا متوسط المبلغين كان مجموع المقدار ١/٦٨٠/٠٠٠ مليون دينارا ٠

اما سكان قبرص فقد صولحوا زمن معاوية على مبلغ مقداره « ٠٠٠ سبعة الاف ومائتي يؤدونها كل عام »[١٤٠] ٠ وقد زاد ذلك المبلغ عليهم عبدالملك ، الف دينار ، ولما ولي عمر بن عبدالعزيز ردهم الى صلح معاوية ، فلما ولي هشام أرجع الزيادة التي فرضها أبوه عليهم[١٤١] ٠ وعلى ذلك يكون مقدار المبلـــغ الذي تدفعه قبرص ثمانية الاف ومائتي دينار ، ويكون مجموع المبلغ الذي يدفعه سكان قبرص مع سكان بلاد الشام في حدود ١/٦٨٨/٢٠٠ مليون دينار ٠ ومن المرجح ان مبالغ الخراج والجزية التي كان يدفعها السكان في زمن عبدالملك ، لم تتغير ، كثيرا ، في عهد هشام ، قال المؤلف المجهول لتأريخ الخلفاء « ٠٠٠ لما استخلف هشام ٠٠٠ جبى الخراج على رسم الوليد وعبدالملك »[١٤٢] ٠

---

(١٣٩) فتوح البلدان ، ص١٩٧ ٠ وقدم لنا الجهشياري (كتاب الوزراء والكتاب، ص ص٢٨٦-٢٨٧) قائمة بخراج بلاد الشام في عهد هارون الرشيد ٠ وكذلك فعل قدامة بن جعفر (نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، المنشور مع كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة ، ص٢٥١ ، ويذكر ان القائمة تمثل مجموع الأخرجة لعام ٢٠٤هـ) ٠

(١٤٠) البلاذري ، فتاح البلدان ، ص١٥٨ ٠

(١٤١) أيضا ، ص١٥٩ ٠

(١٤٢) تاريخ الخلفاء ، ص٣٩٩ ٠

ومما تقدم نجد ان مدن بلاد الشام لم تصالح المسلمين على شروط موحدة، مما أضطر الخليفة عمر بن الخطاب (رض) الى توحيد تلك الشروط . وقد أُجري الاصلاح الضريبي الشامل في عهد عبدالملك بن مروان . وشمل اصلاحه الجزيرة الفراتية ، والموصل ، وبلاد الشام ، وكانت تلك البلدان تتشابه الى حد ما في طريقة فتحها .

وليس هناك ما يدعونا الى افتراض تبدل في النظام الضريبي في عهد هشام عنه في عهد أبيه . كما يُرجح ان المبالغ التي أوردها البلاذري كأخرجة نهائية لاقليم بلاد الشام في عهد عبدالملك لا تختلف كثيرا عنها في عهد هشام ، ويوضح لنا صلح قبرص السالف ، ذلك خير توضيح .

٥ - واردات مصر :

فتحت مصر في عهد عمر بن الخطاب (رض) ، ويناقش البلاذري ما دار بين المؤرخين من خلاف عن فتح مصر ، هل كان ذلك صلحا او عنوة فيقول : « ... اشتبه على الناس أمر مصر ، فقال قوم : فتحت عنوة وقال آخرون : فتحت صلحاً ... »(١٤٣) .

وعندما طلب اهل مصر من عمرو بن العاص ان يعاملهم معاملة اهل الشام وافق على ذلك « ... فوضع على كل حالم دينارين جزية الا ان يكون فقيرا ، والزم كل ذي ارض مع الدينارين بعض المواد العينية ، من حاصلات وملابس ، وكتب بذلك الى عمر بن الخطاب (رض) ، « ... فاجازه وصارت الارض ارض خراج ، الا أنه لما وقع هذا الشرط والكتاب ظن بعض الناس انها فتحت صلحا ، قال : ولما فرغ ملك اليونة (بابليون) من امر نفسه ومن معه في مدينته صالح عن جميع اهل مصر على مثل صلح اليونه فرضوا به ... ووضع [عمرو] الخراج على ارض مصر ... وعلى رأس كل حالم دينارين وكتب بذلك الى عمر بن

(١٤٣) فتوح البلدان ، ص ٢١٦ .

الخطاب ... »[١٤٤] .

ووردت عند المؤرخين مبالغات بصدد عدد من شملهم دفع الجزية ، ويذهب ابن عبدالحكم الى ان عددهم بلغ ستة او ثمانية مليون رجل[١٤٥] .

ويبدو من الرواية السالفة ان عدد دافعي الجزية من المصريين كان غير معروف على وجه التدقيق ، ويظهر ذلك من الفارق الكبير بين العددين اللذين اوردهما ابن عبدالحكم .

~~ثم فتحت الأسكندرية وصالح المقوقس المسلمين عنها على صلح أهل مصر ،~~

وبعد أن فتحت ثانية ، بعد نقض أهلها للصلح « وضع عمرو على أرض الأسكندرية الخراج وعلى أهلها الجزية »[١٤٦] .

وبعد اخضاع الأسكندرية أرسل عمرو حملات الى جنوب مصر فأخضعها « ... فاستجمع عمرو بن العاص فتح مصر فصارت أرضها أرض خراج »[١٤٧] .

اما « ... برقة وهي انطابلس فصالح [عمرو] أهلها على الجزية وهي ثلاثة عشر الف دينار ... »[١٤٨] .

ويبدو ان تعديلا جرى على الضرائب بعد الصلح الاول ، فصولح أهل مصر على تأدية دينارين بدل المواد العينية ، فأصبح ما يدفعه الفرد بعد التعديل الجديد

---

(١٤٤) ايضا ، صص ٢١٦ـ٢١٧ ، ويذكر عبدالرحمن بن عبدالحكم (فتوح مصر واخبارها ، ليدن ، ١٩٢٠م ، صص١٥٤ـ١٥٥) ان عمر بن عبدالعزيز وضح وضعية مصر فاعتبرها خراجية واسقط الجزية عمن اسلم من القبط . ويرجح دينيت (الجزية والاسلام ، ص ١٢٣) ان ملك اليونة الذي يطلق عليه العرب اسم المقوقس هو البطريرك القبطي بنيامين .

(١٤٥) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، صص٦٩ـ٧٠ .

(١٤٦) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٢٣ ، وابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، صص ٨٢ـ٨٣ .

(١٤٧) البلاذري ، فتوي البلدان ، ص٢١٨ .

(١٤٨) أيضا ، ص٢٢٥ .

أربعة دنانير[١٤٩] .

ويذكر ابن عبدالحكم روايتين متعارضتين يقول في أحداهما « ... كانت مصر صلحا كلها بفريضة دينارين دينارين على كل رجل لا يزاد على أحد منهم في جزية رأسه اكثر من دينارين الا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيـــه من الزرع والارض »[١٥٠] . ويقول في الثانية « ... ان عمر كتب الى امراء الاجناد الا يضربوا الجزية الا على من جرت عليه المواسي وجزيتهم أربعين درهما على أهل الورق منهم وأربعة دنانير على أهل الذهب وعليهـــم من ارزاق المسلمين ...» شيئا من الطعام والكسوة أيضا[١٥١] .

وربما لبس الأمر على ابن عبدالحكم ، فالديناران الاضافية كانت بدل المواد العينية ، على رواية البلاذري السالفة ، ولم تزاد ديناران أضافة الى المواد العينيـــة كما اشار الى ذلك ابن عبدالحكم في روايته الاولى .

ويميز دينيت بين أربعة نظم ضريبية في مصر اولها اتفاق العرب مع الجماعات القبطية على ضريبة نقدية اساسها ديناران لكل رجل بالغ صحيح البدن ، ودينار على كل فدان ، والى جانب هذا كانت هناك ضريبة على نتاج الارض، أضافـــة لالتزامات اخرى من الطعام والملابس وضيافة المسلمين ، ولم تكن هذه الاتاوة مبلغا مسمى يؤدونه جملة وانما كان هناك سعر ضريبي لكل ضريبة عند تقديرها.

اما النظام الضريبي الثاني فيخص الاسكندرية التي فتحت عنوة وخضعت ارضها للخراج ، ويرى الفاتحون ما يشاءون بشأنها[١٥٢] .

اما النظام الثالث فيخص اقليم برقة وانطابلس (طرابلس) وكانت تؤدي كل عام مبلغا محددا لا يزيد ولا ينقص .

---

(١٤٩) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢١٨ .

(١٥٠) فتوح مصر وأخبارها ، ليدن ، ص‌ص٨٢ـ٨٣ .

(١٥١) أيضا ، ص١٥٢ .

(١٥٢) يقول ابن عبدالحكم (فتوح مصر واخبارها ، ص‌ص ٨٢ـ٨٣) في حديثه عن سكان الاسكندرية « ... انهم يؤدون الخراج والجزية على قـــدر ما يرى من وليهم لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد .

اما النظام الرابع فيخص الاراضي الحكومية السابقة والتي لم يتفاوض الاقباط بشأنها لانها ليست لهم فقد استصفاها العرب ومنها كانت القطائع بعدئذ • ويستطرد دينيت الى القول ان ذلك اوقع التضارب بين المصادر الاسلامية حول فتح مصر هل كان صلحا او عنوة • ويستنتج دينيت ان مصر فتحت صلحا وعنوة، فقد كانت مصر وانطابلس صلحا ، اما الاسكندرية والضياع الحكومية فكانت عنوة بلا عقد ولا عهد(١٥٣) •

ويوضح ابن عبدالحكم طريقة جباية الضرائب ، ويبين فيها ان المسلمين اتبعوا النظام الروماني وان الضريبة لم تكن ثابتة وانها كانت نسبية تزيد بعمارة الارض وتنقص بنقصانها(١٥٤) •

ومن الواضح ان ذلك يشمل الأرض فقط ولا يشمل ضريبة الرأس (الجزية) كما يشمل أصحاب الحرف ، وان التقدير لها يجري على أساس مايتمكن الفرد من دفعه عن أرضه ، او عمله ، اضافة لجزية رأسه(١٥٥) •

اما الجزية (ضريبة الرأس) فكانت ترفع عمن يسلم حتى كانت ولاية عبدالعزيز بن مروان على مصر ، وقد أراد فرضها على من يسلم من أهل الذمة ، لكنه تراجع عن ذلك(١٥٦) •

ثم فرضت الجزية على من أسلم من ذمة مصر ورفعها عنهم عمر بن عبدالعزيز(١٥٧) ، وليس هناك ما يدعونا الى افتراض استمرار رفعها عن موالي مصر زمن يزيد بن عبدالملك ، أو أخيه هشام ، لاسيما وانهما تركا سيرة عمر وسار على سيرة أبيهما عبدالملك وأخيهما الوليد ، كما اسبق وأن أسلفنا •

---

(١٥٣) الجزية والاسلام ، صص ١٢٤_١٢٥ •
(١٥٤) فتوح مصر واخبارها ، ليدن ، صص١٥٤_١٥٥ •
(١٥٥) دينيت ، المصدر نفسه ، صص١٤٣_١٤٤ •
(١٥٦ ، ١٥٧) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، ليدن ، ص١٥٦ •

ونرى من المناسب ان نذكر ، ان ابن رفاعه[158] ، لما ولي مصر خرج لاحصاء أهلها فأحصى اكثر من عشرة آلاف قرية ، وكان في أصغرها ما لا يقل عن خمسمائة رجل قادر على اداء الجزية[159] .

فاذا أخذنا بالمعدل الوسط لكل قرية يكون فيها من النساء والصبيان والشيوخ وغيرهم ممن يعفون من الجزية ، ما يقارب أربعة أفراد لكل رجل قادر على دفعها ، يكون مجموع سكان القرية بالمعدل الوسط حوالي ٢٥٠٠ نسمة مضروبة بعشرة الاف يكون العدد خمسة وعشرين مليونا ، وهو عدد الأقباط في مصر آنذاك .

ويبدو ان الرقم المذكور مبالغ فيه ، كما لا تقدم لنا أغلب المصادر مقدار ضريبة الجزية وحدها ، والرواية السالفة عنها لاتبدو أنها تمثل الواقع ، وعلى فرض أحتساب جميع القبط مسلمهم وذميهم ، فان العدد يبدو كبيرا بالنسبة لسكان مصر في عهد هشام .

كما سبق وان أشرنا الى أن المسلمين صالحوا برقة على مبلغ قدره ثلاثة عشر الف دنار سنويا[160] . ولما كان الفتح الأسلامي قد شمل أفريقية والأندلس قبل عهد هشام وان المنطقة قد ضمت الى والي القيروان فلا نرى أنها تمثل واردا لمصر خلال الفترة المبحوث فيها[161] .

اما الأسكندرية فقد بلغت جزية سكانها في عهد هشام « ... ستة وثلاثين الف دينار »[162] .

---

(١٥٨) من المرجح انه الوليد بن رفاعة ، فقد ولي مصر من ١٠٩-١١٧هـ ذلك ان أخاه عبدالملك مات بعد وصوله مصر بفترة قصيرة .
(١٥٩) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ليدن ، ص١٥٦ .
(١٦٠) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ليدن ، ص١٧٠ ، والبلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٢٥ .
(١٦١) يضع المقدسي (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ليدن ، ١٩٠٦ ، ص١٦٥) برقة مع اقليم شمال أفريقية .
(١٦٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٢٥ .

ويذكر المقريزي ان ابن الحبحاب والي هشام على مصر ، جباها أربعة ملايين دينار[163] ، ويبدو ان ذلك يمثل المبلغ الأجمالي الذي جباه الولاة في عهد هشام عن خراج أرض مصر وجزية قبطها ، بعد أن أضاف ابن الحبحاب قيراطاً على كل دينار يؤخذ كخراج من أرضها[164] .

وعلى رواية ثانية لابن خرداذبة ، ان عبيدالله بن الحبحاب جبى مصر مليوني وسبعمائة وثلاثة وعشرين الفا وثمانمائة وسبعة وثلاثين دينارا[165] ، ويوضح المقريزي أن المبلغ السالف يمثل ما يُرسل فقط الى بيت المال في الشام بعد صرف نفقات ولاية مصر[166] .

ونرى من المناسب ان نذكر ان العرب انتهجوا نهج المركزية الى درجة فائقة في استحصال الضرائب حتى ان التقسيم الفعلي للحصص الضريبية المفروضة على المقاطعات لم يكن يقوم به المسؤول عن القرية ، وانما موظفوا الديوان في الفسطاط ، ويقدرون ذلك استنادا الى قوائم محلية لتقويم الثروة[167] .

ويذكر الكندي أن توبة بن نمر ، قاضي مصر في عهد هشام ، وضع يده على الاحباس (الاوقاف) عام ١١٨هـ ، وأنشأ لها ديوانا خاصا ، وكانت قبل ذلك تصرف من قبل أصحابها والقائمين عليها ، على الفقراء ، لكن الكندي لا يشير الى المبلغ الاجمالي الذي سجل في ديوان الأحباس بمصر[168] .

كما فرض المسلمون الجزية على الرهبان في مصر وكان مقدارها دينارا واحدا ، ويبدو ان طائفة كبيرة من أقباط مصر اتجهت للرهبنة بسبب الضائقة

---

(١٦٣) الخطط ، ج١ ، ص٩٩ .
(١٦٤) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٣ ، والمقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٧٩ .
(١٦٥) المسالك والممالك ، ص٨٣ .
(١٦٦) الخطط ، ج١ ، ص٩٩ .
(١٦٧) الجزية والأسلام ، ص‌ص ١٢٥-١٢٦ .
(١٦٨) كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ج٢ ، ص٣٤٦ .

الأقتصادية ، ويُرجح ان المسلمين منعوا الترهب وفرضوا الجزية على الرهبان ، لأسباب اقتصادية أيضا[١٦٩] .

وفي ختام حديثنا عن مصر نود أن نشير الى ان هناك ضريبتين أولهما ضريبة الرأس او الجزية وكانت تؤخذ من أهل الذمة ، وتسقط عنهم حال اسلامهم ، ومع أن المتحولين الى الاسلام كانوا قلة لترابط القبط فيما بينهم ووجود كنيسة او كنائس موحدة لهم تقاوم تحولهم الى الاسلام[١٧٠] ، لكن الجزية أعيدت على من أسلم منهم ، ثم جاء عمر بن عبدالعزيز فاسقطها عنهم . ومن المرجح ان الجزية أعيدت على الموالي من المصريين بعد عمر بن عبدالعزيز واستمروا على دفعها زمن هشام ، ومع ان المصادر لا تشير الى المبالغ الأجمالية لها لكن الراجح انها كانت مبالغ لا بأس بها .

ويشير الاستاذ الدوري الى ان الخزينة تأثرت من اعفاء الموالي من الجزية في عهد عمر بن عبدالعزيز ، فاذا اضفنا الى ذلك المبالغ التي تؤخذ ممن بقي من القبط على دينه ، كان مقدار المبالغ المستحصلة من الجزية كبيرا[١٧١] .

اما ضريبة الخراج فكانت تؤخذ من ثلاثة مصادر أولها من الأراضي التي فتحت عنوة كاراضي الأسكندرية والقرى المحيطة بها . وثانيهما الاراضي التي فتحها المسلمون صلحا كأراضي برقة وقد فرض عليها مبلغ اجمالي وعوملت كمدن العهد ليس هناك تفريق بين ضريبة الأرض والجزية ، يدفعها أهل المنطقة سواءا قلوا أم كثروا أخصبوا أم أجدبوا .

---

(١٦٩) دينيت ، المصدر نفسه ، ص١٣١ ، ويذكر ابن البطريق (سعيد ، التاريخ المجموع ، بيروت ١٩٠٩ ، صص ٤٥ـ٤٦) ان هشاما كان يتدخل في شؤون الكنائس في مصر . ويذكر تريتون (اهل الذمة في الاسلام ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، صص ٨٣ـ٨٤ ، ص٨٧ ، ص١١٢ ، ص١١٣ ، ص١١٥ ، صص ٢٠٦ـ٢٠٧ ، ص٢١٦) أمثلة على تدخل المسلمين في شؤون الكنيسة واضطهادهم لعامة المسيحيين في مصر .

(١٧٠) دينيت ، المصدر نفسه ، صص ١٣٩ـ١٤٠ .

(١٧١) الدوري ، مقدمة في تأريخ صدر الاسلام ، ص٨٥ .

اما المصدر الثالث فهو بقية أرض مصر وكانت أرض خراج تقدر ضريبتها من قبل مسؤولي القرى الزراعية وترسل الى الفسطاط لتدقيقها والأمر بجبايتها ولم يكن هناك تفريق حقيقي بين ضريبتي الارض (الخراج) والرأس (الجزية) من المصدر الأخير للضريبة • ولما كانت الأراضي السالفة هي اكثر أراضي مصر فان المبلغ الأجمالي ذكرته لنا المصادر ولم تشر الى المبالغ الضريبية المحصلة من الجزية او من الخراج كلا على حده ، وانما ذكرت مجتمعة •

وقدرت واردات الدولة عن جميع الضرائب في مصر حوالي أربعة ملايين دينار في عهد هشام ، بعد الزيادة التي فرضها ابن الحبحاب ومقدارها ١/٢٠ من الدينار على كل دينار من الضريبة المقدرة سلفا ، اما ما يرسل الى دمشق من المال فقد بلغ مليونين وسبعمائة وثلاثة وعشرين وثمانمائة وسبعة وثلاثين دينارا[١٧٢] •

٦ - **واردات متفرقة :**

ونرى من المناسب ان نذكر في ختام حديثنا عن واردات الدولة ، ان المصادر لا تشير الى واردات بعض الأقاليم في عهد هشام كاليمن والحجاز وشمال أفريقيه وغيرها •

ويبدو ان واردات بعض الأقاليم كانت قليلة في عهد هشام كالحجاز وغيره لذا لم يهتم بها المؤرخون الرواد[١٧٣] ز

اما واردات بعضها الآخر فكانت تصرف داخل الاقاليم لمسؤولية الولادة في

---

(١٧٢) الريس ، المصدر نفسه ، صص٢٥٢-٢٥٤ •

(١٧٣) يذكر الجهشياري (كتاب الوزراء والكتاب ، صص ٢٨١-٢٢٨) مقدار ما يستحصل من أقاليم الدولة المختلفة من مبالغ نقدية ومواد عينية ، مستحصلة كوارد لبيت المال ، في عهد هارون الرشيد • (١٧٠-١٩٣هـ) •
وكذلك قدم لنا قدامة (الخراج وصنعة الكتاب ، صص ٢٤٩-٢٥٢) قائمة كقائمة الجهشياري عن أخرجه ٢٠٤هـ • ويذكر المقري (نفح الطيب ، ج١ ، صص١٤٠-١٤١ ، ج١ ، ص١٩٦ ، ج١ ، ص٣٢٥ ، ج١ ص٣٢٩) مقدار ما يستحصل من الاندلس في القرن الثالث الهجري •

حماية ولا ياتهم او القيام بواجب الجهاد ، في الولايات المحادة لبلاد الاعداء كأرمينية وشمال أفريقية والأندلس وغيرها[١٧٤] .

كما كانت هناك واردات الغنائم وهي الأموال المنقولة التي تحصل عليها الجيوش الأسلامية من الأعداء ، وكان أغلب تلك الواردات من المواد العينية كأدوات الحرب ، او الخيول او الماشية وغيرها[١٧٥] .

وتسجل تلك الواردات او اثمانها ، بعد بيعها في ديوان الولاية . وتحدثنا المصادر ان ولاة شمال افريقية مثلا كانوا يرسلون بعض الهدايا من الجواري السبيات وبعض التحف وغير ذلك ، مما يرد من الغنائم وغيرها ، لكن ذلك لا يسجل كوارد لبيت المال العام ، وانما يرسل للخليفة يتصرف به كيف شاء[١٧٦] .

كما كانت هناك واردات لبيت المال تأتي عن طرق كثيرة لا يسمح بها

---

(١٧٤) يذكر صاحب أخبار مجموعة (ص٦٢) ان خراج الاندلس أصبح قليلا بسبب الفتنة بين العرب والبربر في أواخر عهد هشام . ويشير مؤنس (فجر الاندلس ، ص٣٦٠ الى ان الاندلس لم ترسل أي أموال الى بيت المال العام، لأن وارداتها كانت تنفق على شؤونها الداخلية كأعطيات للجند او لشؤون الجهاد فيما وراء البرت . ويذكر قدامة بن جعفر (الخراج وصنعة الكتابة، ص٢٥٣) ان خراج الثغور الجزرية (ثغور الجزيرة) بلغ مائة الف دينار ونفقاتها اكثر من مائتي الف دينار . ويذكر ايضا (ص٢٥٤) ان وارد الثغور الشامية بلغ مائة وسبعون الف دينار ونفقاتها بلغت مائة وسبعون الف دينار . والاحصاء يمثل عام ٢٠٤هـ .

(١٧٥) فمثلا يذكر الطبري (ج٧ ، ص١٢٤) ان المسلمين استولوا على معسكر خاقان فوجدوه « ... مشحونا من كل شيء من آنية الفضة وصناجات الترك » ، كما استاق المسلمون من اغنام الترك عددا كبيرا قدره الطبري (ج٧ ، ص‌ص١٢٣-١٢٤) ، على سبيل المبالغة ، بحوالي مائة وخمس وخمسون الف شاة ، كما حصل المسلمون أيضا على اربعة الاف درع .

(١٧٦) يذكر ابن عبدالحكم (فتوح مصر واخبارها ، ليدن ، ص٢١٧) ان والي افريقية اهدى لهشام « ... من العبيد والاماء والجواري المتخيرة سبع مائة جارية وغير ذلك من الخصيان والخيل والدواب والذهب والآنية » . ويذكر ابن عذاري (البيان المغرب ، ج١ ، ص٥٦) ان عبيدالله بن الحبحاب ارسل احد ولاته الى ارض السودان فاصاب « ... من السبي امرا عظيما » .

الشرع كضرائب النيروز والمهرجان والهدايا وغيرها من الضرائب غير الشرعية[177] .

وكان اغلب الواردات ، كما هو معلوم ، يأتي عن طريق الجزية التي اخذت تقل تدريجيا بانتشار الاسلام . ومن الخراج الذي اخذ يقل هو الآخر بتحول الاراضي الخراجية الى عشرية بامتلاك العرب لها عن طريق الشراء او اقطاعها لهم من قبل الخلفاء او تحول اصحاب الاراضي الخراجية الى الاسلام ، وكان اجراء عمر بن عبدالعزيز (رض) عام ١٠٠هـ بمنع تحول الأراضي الخراجية الى عشرية[178] ، له ما يبرره أقتصاديا . وقد استمر ذلك المنع في عهدي يزيد ابن عبدالملك وأخيه هشام[179] .

فتحدثنا المصادر ان هشاما عاقب والي دمشق عندما سمح لوكيل خالد القسري ان يشتري ارضاً لخالد من اراضي الغوطة قرب دمشق ، وكانت أرضا خراجية[180] .

ب ـ نفقات الدولة :

١ ـ المشاريع العامة :

كان الصرف على المشاريع العامة أحدى وجوه الانفاق في الدولة الاسلامية. وكان بناء المساجد او ترميمها من بين تلك المشاريع ، فقد أمر هشام ببناء مسجد في فلسطين في منطقة اللد سمي بالابيض ، وأخذ هشام رخام أعمدته من نصارى المنطقة بالقوة[181] . كما جدد ابن الحجحاب بناء مسجد تونس وهو المسمى

---

(١٧٧) يذكر الطبري (ج٧ ، ص١٣٩) ان هدايا قدمت لاسد القسري قدرت بمليون درهم ، ويذكر صاحب تاريخ الخلفاء لمؤلف مجهول ص ٣٨١ ان عمر بن هبيرة اعاد رسوم النوروز والمهرجان في العراق . ويذكر المبرد (الكامل ، ج٨ ، ص٢٩٣) ان الدهاقين كانت تجمع لخالد ضرائب النوروز والمهرجان وكان يرسل بعضها الى هشام ويحتفظ لنفسه بالباقي .

(١٧٨) ابن عساكر ، المصدر نفسه ، ج٦ ص٥٨٧ ، ص٥٩٦ .

(١٧٩ ، ١٨٠) أيضا ، ج١ ، ص٥٩٦ .

(١٨١) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٦٥ .

الآن بجامع الزيتونة[١٨٢] . وقد بنى يوسف بن عمر حائط مسجد الكوفة عندما سقط اثناء امرته على العراق[١٨٣] .

وقام بعض الولاة بناء مدن او تجديد أسوار مدن قديمة لاتخاذها مقرات لهم ، وحصونا يلجأون اليها وقت الحاجة ، فقد بنى والي السند مدينة المحفوظة ليتخذها قاعدة لجيشه[١٨٤] .

وقد جدد أسد القسري ، والي خراسان ، بناء مدينة بلخ في ولايته الأولى[١٨٥] ، ونقل اليها الدواوين في ولايته الثانية[١٨٦] .

وبنى الحر بن يوسف قيسارية هشام في مصر[١٨٧] ، كما اتخذ هشام مدينة الرصافة قرب الرقة مصيفا وجدد بعض ابنيتها وسورها[١٨٨] .

كما جدد هشام سور مدينة ملطية ، بعد ان فكّ الحصار البيزنطي عنها[١٨٩] وأمر بناء عدة حصون على حدود بلاد الشام مع البيزنطيين وشحنها بالمقاتلة[١٩٠] .

وقد اهتم والي مصر وشمال افريقية عبيدالله بن الحبحاب بالغزوات البحرية في بحر الروم (المتوسط) فجدد ووسع قاعدة بناء السفن الحربية في تونس للغرض السالف[١٩١] .

وقد نقل هشام قاعدة بناء السفن الحربية في بلاد الشام من عكا الى صور ،

---

(١٨٢) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥١ ، وعبدالحميد ، المصدر نفسه ، ص٢٥٠ .
(٨٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٢٦ .
(١٨٤) اليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٢٤ .
(١٨٥) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٤٤ .
(١٨٦) أيضا ، ج٧ ، ص١١١ .
(١٨٧) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٤ .
(١٨٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٧٨٤ .
(١٨٩) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٩٠ .
(١٩٠) ايضا ، ص١٧١ .
(١٩١) ابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥١ ، عبدالحميد ، المصدر نفسه ، ص٢٥٠ .

وبنى فيها فندقا[١٩٢] ، ويبدو ان سبب ذلك كان الحصول على المال•وكانت اغلب الحملات البحرية في بحر الروم (المتوسط) يرسلها والي افريقية[١٩٣] •

كما قام قسم من الولاة ببعض مشاريع للري ، فقد حفر والي الموصل النهر المكشوف ليتمكن سكان المدينة من اخذ الماء منه لبعد النهر عنهم ، « ••• وجعل عليه ثمانية عشر حجرا تطحن ••• وذكروا ان هشاما وقف هذه الأرحاء على نفقة هذا النهر وما يحدث فيه ، واكمل العمل في النهر عام ١٢١هـ وكان مقدار ماصرف على حفره (٨) ملايين درهم هي خراج الموصل للمدة المحصورة بين عام ١٠٨-١٢١هـ وكله صرف على حفر النهر وعمل الأرحاء عليه[١٩٤] وربما كان المبلغ يمثل فقط خراج المدينة والقرى الزراعية المجاورة لها وقد سبقت الاشارة الى خراج الموصل في عهد الرشيد وكان يمثل مبلغا اكثر بكثير مما اورده الازدي•

وقام خالد القسري بحفر نهر المبارك قرب البصرة[١٩٥] ، وصرف على حفره مبلغ ١٢ مليون درهم[١٩٦] ، لكنه اندثر بعد ذلك ، فقال الشاعر :

كأنك بالمبارك بعـــد شـــهر تخوض غموره بقع الكلاب[١٩٧]

كما حفر عامل يوسف بن عمر على البصرة نهر آخر فيها سمي نهر كثير نسبة الى العامل الذي حفره[١٩٨] •

---

(١٩٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٢٥ ، وياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٠٢ ، ج٤ ، ص٣٢٦ •

(١٩٣) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، ليدن ، ص٢١٦ ، والقيرواني ، المصدر نفسه ، ص١٠٢ ، ص١٠٩ •

(١٩٤) الازدي ، المصدر نفسه ، ص٤٣ •

(١٩٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٨٩ ، وياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص‌ص٤٠٨-٤٠٩ •

(١٩٦) المبرد ، المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢٩٢ •

(١٩٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٨٩ ، وياقوت معجم البلـــدان ، ج٤ ، ص‌ص٤٠٨-٤٠٩ ، وترد عنده كلمة غماره بدل غموره السالفة •

(١٩٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص‌ص٨٤٣-٨٤٤ •

وقد جُففت أراضي واسعة من أرض البطائح في العراق وحفرت لها الأنهار ، فكانت أنهار خالد القسري كثيرة فيها ، ذكرها طائفة من المؤرخين باسمائها[199] ، كما استخرجت أراض واسعة من البطائح لهشام أيضا[200] .

ويبدو أن حركة عمرانية رافقت استصلاح الأراضي في العراق في عهد خالد القسري[201] ، قام هو ببعضها . كما بنى أخوه أسد بالكوفة سوقا سمي باسمه[202] ، ولما جاء يوسف بن عمر صادر تلك الأراضي والعقارات التي كانت لخالد أو لأحد من أفراد أسرته[203] .

وبنى يوسف بن عمر أثناء ولايته للعراق أيضا (١٢٠-١٢٦هـ) سوقا بالحيرة سمي بأسمه[204] .

وأمر هشام بكري ترع دمشق لما شكا الناس اليه قلة الماء[205] .

وقد قام بعض الولاة بعمل القناطر على الأنهار ، فيشير البلاذري الى ان خالدا القسري أصلح قنطرة الكوفة[206] ، وعمل قنطرة على دجلة واعظم عليها النفقة ، لكن الماء جرفها بعدئذ[207] .

كما قام ابن الحبحاب ، والي مصر ، باسكان طائفة من قبائل قيس استدعاهم

---

(١٩٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٥٢ ، والمبرد ، المصدر نفسه ، ج٧، ص٢٢٠ .

(٢٠٠) الماوردي ، المصدر نفسه ، ١٧٩ ، والبلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٩١ .

(٢٠١) يذكر ياقوت (معجم البلدان ، ج١ ، ص٧٩٦) ان خالد القسري بنى بيعة لامه النصرانية حولها حوانيت معقودة سقوفها بالآجر والجص .

(٢٠٢) ابن الفقيه : احمد بن محمد الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، ليدن، ١٨٨٥م ص١٨٣ .

(٢٠٣) ابن كثير ، المصدر نفسه ، ج٩ ، ص٣٢٦ .

(٢٠٤) ابن الفقيه ، المصدر نفسه ، ص١٨١ .

(٢٠٥) ابن شداد ، عزالدين ، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، دمشق ، ١٩٦٢م ، ص ص١٥-١٦ .

(٢٠٦ ، ٢٠٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٨٩ .

من الحجاز وصرف لهم مبالغ من صدقات العشور[٢٠٨] .

وكان لهشام ديوان للطراز[٢٠٩] ، وفي أيامه « ... عمل الخز والقطف الخز ، فسلك الناس جميعا ... مذهبه ومنعوا ما في ايديهم فقل الافضال وانقطع الرفد ، ولم يمر زمان أصعب من زمانه »[٢١٠] . وذلك يوضح ان صناعةالحرير انتشرت في عهد هشام وراجت سوقه ، وقد مر معنا في الفصل الثاني اهتمام هشام بملابسه ، ولما كان الحرير غالي الثمن فقد بخل به الناس ولم يهبوه للفقراء ، اقتداء بهشام الذي كان حريصا على ممتلكاته الخاصة ولذا صعب الزمان على الفقراء لقلة هبات الاغنياء لهم .

ونرى من المناسب ان نشير في ختام كلامنا الى ان المشاريع العامة ، كانت قليلة وان الخدمات التي تقدمها الدولة كانت بسيطة لا تتجاوز حفر ترعة او عمل قنطرة او ما شابه ذلك .

كما لا يحدثنا المؤرخون الرواد الا عن تلك المشاريع التي تصرف عليها أموال يعدونها كثيرة ، على تفاهتها ، ومن المؤكد ان ما يصرف من نفقات على المشاريع العامة كان قليلا بالقياس الى نفقات الحملات الحربية او اعطيات الجند وغيرها .

٢ ـ العطاء :

كانت الدولة الأسلامية ، قد بلغت أقصى اتساعها في عهد هشام ، كما قامت في عهده ثورات قوية أيضا ، كنا قد أشرنا اليها في الفصل الرابع من هذه الرسالة.

لذا كانت الحاجة ماسة الى جيش قوي كثير العدد ، ومن الطبيعي ان ذلك الجيش يحتاج الى سلاح ومال يصرف على أفراده .

---

(٢٠٨) الكندي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٧ ، والازدي ، المصدر نفسه ، ص‌ص٣٠ـ٣١ .

(٢٠٩) الجهشياري ، المصدر نفسه ، ص٦٠ .

(٢١٠) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص٢١٧ .

وكانت الدولة تقدم لجندها مبالغ سنوية كأعطيات تصرف لهم في مطلع شهر محرم من كل عام[٢١١] .

وكان بيت المال في دمشق او في مقر الولاية يجهز الخليفة او الولاة بما يحتاجونه من الاموال لصرفها بمثابة أعطيات للجند وغير ذلك من النفقات ، وكانت تلك الأموال يجمعها العمال المتخصصون ، وتأتي عن ضرائب مختلفة كان أهمها الخراج .

وكان أغلب العطاء يمنح للعرب في أقاليم الدولة المختلفة ، باعتبارهم عماد الجيش الأموي كما كانت طائفة من الموالي تأخذ العطاء وقد زاد هشام في عطائهم، في بعض مناطق بلاد الشام ، خمسة دنانير . فاصبح عطاء الموالي من أهل بعلبك وانطاكية في زمنه ثلاثين دينارا[٢١٢] .

ولم يكن مقدار العطاء واحدا ، فقد كان عطاء بني مروان مائتي دينار ، وكان « ... عطاء هشام (الخليفة) مائتي دينار ودينار يفضل بدينار ... »[٢١٣].

ويذكر صاحب تأريخ الخلفاء ان هشاما « ... اول من شرف الأعطية فجعل الشرف الاعلى مائتي دينار والشرف الادنى مائة وسبعين ... »[٢١٤] . ومع ان هناك روايات كثيرة تقول ان شرف العطاء كان قبل عهد هشام[٢١٥] ، لكن المرجح ان المروانيين كانوا في الشرف الأعلى للأعطية وكان مقداره مائتي دينار ، على رواية الطبري السالفة .

كما لا تحدثنا المصادر اذا كان الشرف الأعلى للأعطية يشمل غير المروانيين

---

(٢١١) تاريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف ، ص٣٨١ .
(٢١٢) ابن عبد ربه ، المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٣٩ ، تاريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف ، ص٣٩٩ .
(٢١٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٢ .
(٢١٤) تاريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف ، ص٣٩٩ .
(٢١٥) اليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٠٦ ، والعلي ، صالح احمد، العطاء في الحجاز مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد سنة ١٣٩٠هـ ، ١٩٧٠م ، العدد ١١ ، صص٦٢-٦٣ .

ام لا ولا عن الميزات اللازم توفرها فيمن يؤهلون لشرف الأعطية من غيرالمراونيين في عهد هشام .

وعلى رواية المؤلف المجهول لتأريخ الخلفاء فقد كان هناك من يأخذ الشرف الادنى للعطاء ، وان كانت المصادر لا تحدثنا عنهم .

وتشير احدى روايات الطبري الى ان يحيى بن حضين ، احد المقاتلة بخراسان ، قام بتمزيق الكتاب الذي أراد عاصم الهلالي ، والي خراسان ، والحارث بن سريج ارساله الى الخليفة يطالبانه فيه السير على كتاب الله وسنة نبيه، معدا ذلك خلع للخليفة[٢١٦] . فكافأة على تمزيقه للكتاب ، قال نصر بن سيار ليحيى، « ... يايحيى تكلمت ليالي عاصم بكلمة فبلغت الخليفة فحظيت بها ، وزيد في عطائك ، وفرض لأهل بيتك وبلغت الدرجة الرفيعة ... »[٢١٧] ، وربما كانت الدرجة الرفيعة تعني شرف الأعطية .

ولدينا رواية تشير الى ان عطاء المقاتلة بخراسان كان ثلثمائة او ستمائة درهم، فيذكر الطبري ان خاقان ، ملك الترك ، بعد أن يئس من استسلام احدى القلاع في خراسان ، أرسل رسولا الى مقاتلتها فقال لهم : « ... ان خاقان ارسلني اليكم، وهو يقول لكم : اني أجعل من كان عطاؤه منكم ستمائة الفا ، ومن كان عطاؤه ثلثمائة ستمائة »[٢١٨] .

---

(٢١٦) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص ص١٠١–١٠٢هـ .

(٢١٧) ايضا ، ج٧ ، ص١٧٥ .

(٢١٨) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٦١ ، ويذكر البلاذري (فتوح البلدان ص١٣١ ، ص١٥٧) ان سعر صرف الدينار كان عشرة دراهم في عهد عمر ابن الخطاب (رض) ، ويقدم لنا الاستاذ النقشبندي (ناصر محمود ، الدينار الاسلامي في المتحف العراقي ، ج١ ، بغداد ، ١٩٥٣م ، ص٢٨ ، ص٣٠) معلومات وافية عن اوزان الدينار في مختلف اقاليم الدولة في عهد هشام . ويرجح الاستاذ الريس (الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، ص٥٢٠) حسب تحقيقه ، ان سعر الصرف للدينار الواحد خمسة عشر درهما في عهد هارون الرشيد (١٧٠–١٩٣هـ) ومن المرجح ان سعر الصرف للدينار لم يتغير كثيرا في عهد الرشيد عنه في عهد هشام .

ومن المحتمل ان النص السالف يوضح ان طائفة من المقاتلة كان عطاؤها ستمائة درهما وان طائفة اخرى كان عطاؤها ثلثمائة درهما ، وربما كانت الثلثمائة درهما عطاء الموالي ، ومن المرجح ان رسول خاقان لم يخاطب النساء والصبيان .

وكان فرض العطاء من اختصاص الخليفة فاذا احتاج احد الولاة الى جند فانه يكتب الى الخليفة بارسال جندا ، فيرسل اليه الجند من مكان آخر لتعزيز جيشه او الموافقة على قيام الوالي بفرض جديد وضم اعداد جديدة للجيش .

ويبدو ان خراسان كانت لها تلك الميزة لكثرة العرب فيها . ويرى الاستاذ عمر أن كثيراً من المقاتلة العرب في خراسان ، كانوا مترددين في القتال ، فاراد هشام اسقاطهم من ديوان العطاء . ولما كان الجنيد ، والي خراسان ، بحاجة الى جند جدد ، كتب الى هشام بذلك ، فكتب هشام اليه « ... افرض فلا غاية لك في الفريضة لخمسة عشر الفا »(٢١٩) .

ويفسر ذلك ان الخليفة وافق على ارسال العدد السالف الى الجبهة وانهم لم يكونوا ممن يتسلمون العطاء ، او ممن كانوا مترددين في القتال ، كما لم يكونوا من الموالي ، لان عدد المسلمين من الفرس كان قليلا في خراسان حتى ذلك الوقت(٢٢٠) . وبخصوص الفرض لخمسة عشر الفا ، يبدو ان الاستاذ عمر حمل النص اكثر مما يحتمل ، فمن المعلوم ان العرب فتحوا خراسان واستقروا فيها وكانت اسماء المقاتلة مسجلة في ديوان العطاء وبعد موت الرعيل الاول من الفاتحين فمن المرجح ان ابناءهم يحلون محلهم في ديوان العطاء ، ولكن أي الابناء يرث محل ابيه ؟ .

يوضح الاستاذ العلي ذلك ، فيرجح ان الأبن الاكبر كان يحل محل أبيه في ديوان العطاء ، فلما جاء عمر بن عبدالعزيز (رض) جعل ذلك قرعة بين الأبناء(٢٢١) ولعله قصد بالابناء المؤهلين للحرب منهم .

---

(٢١٩) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٨٠ .
(٢٢٠) عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص١٤١ .
(٢٢١) العلي ، صالح احمد ، العطاء في الحجاز ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، سنة ١٩٧٠م العدد ، ٢٠ ، ص ص٤٧-٤٨ .

ومما يجدر ذكره ان الكثيرين من المقاتلة العرب استوطنوا خراسان وتناسلوا وكان لهم اكثر من ابن واحد ، فيرجح ان الجنيد فرض لخمسة عشر الفا آخرين من العرب من غير المسجلين بديوان العطاء • ومن ابناء المقاتلة الذين لم يرثوا عطاء آبائهم واجدادهم أما القول بان العدد يمثل من أراد هشام ان يرسلهم الجنيد الى الجبهة ، من غير المترددين في القتال ، كما يرى الاستاذ عمر[٢٢٢] ، فلا يبدو امرا مؤكدا ، خاصة وان خراسان محادة لاعداء أقوياء كالترك وبحاجة الى أعداد كبيرة من الجند •

وكان العطاء يفرض ايضا لمؤيدي الدولة ، فقد كتب هشام الى والي المدينة عبدالواحد النضري ، ان يفرض لقوم نصيب الشاعر ، وقد فعل النضري لكنه رفض ان يفرض لاربعة منهم اعتقد انهم ما زالوا صغارا ، ولم يوافق الا بعد ان اقتنع بانهم قد بلغوا الحلم[٢٢٣] •

كما كان هشام يفرض لبعض الشعراء خشية من السنتهم[٢٢٤] ، او يزيد في عطائهم اذا اعجبه مدحهم ، فيذكر الطبري ان احدهم مدح هشاما وطلب منه المساعدة فقال له : « ••• هذا الذي كنت تحاول ، وقد احسنت المسألة ، فأمر له بخمسمائة درهم والحق له عيلا في العطاء[٢٢٥] •

كما لا يزاد في عطاء الأفراد الا اذا قاموا بعمل مفيد للدولة ، فقد رفض هشام ان يضيف عشرة دنانير الى عطاء ابن أحد مواليه[٢٢٦]» • وقد رفض أيضا ان يزيد في عطاء احدهم وقال له « ••• الضبادة أحدثتها فنعينك عليها ام لبلاء حسن أبليته عند أمير المؤمنين ، اذا يكثر السؤال ولا يحتمل بيت المال ذلك[٢٢٧]•

---

(٢٢٢) طبيعة الدعوة العباسية ، ص١٤١ •
(٢٢٣) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٧٣ •
(٢٢٤) ايضا ، ج١٨ ، ص٣٢٥ •
(٢٢٥) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٠٦ •
(٢٢٦) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٢٠٣ •
(٢٢٧) المرتضى ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص‌ص٢٦١-٢٦٢ •

كما كان يفرض العطاء أحيانا لبعض الفقراء والمعوزين فيذكر الاصفهاني، ان أحد الانصار كان « ... مملقا ليس في ديوان ولا عطاء ... »[228]، فطلب من هشام ان يفرض له فقال : « ... يا أمير المؤمنين انا أمرء من الأنصار وقد بلغت هذه السن ولست في ديوان فان رأى أمير المؤمنين ان يفرض لي فعل ... فأقبل هشام فقال : والله لا أفرض لك حتى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة ... » وكان هشام غاضبا لأنه خسر السباق[229] .

ويرى الأستاذ العلي ان كلمة « مملقا » ربما كانت تصحيف والأرجح أنها « محلقا » أي حول اسمه حلقة تعني أنه شطب من الديوان[230] . ومن الواضح ان النص يشير الى كبر سن الرجل وفقره ، وانه لم يكن في الديوان والا لاحتج على هشام بذلك وانما طلب ان يسجل بالديوان لفقره وكبر سنه .

ومما سبق يتضح ان العطاء يفرض للجند او للشعراء المؤيدين للدولة او لعشائرهم ، وقد يفرض ، أحيانا ، للحاجة بأمر من الخليفة .

وكانت قريش في العطاء ، وكان بنوا أمية يأخذون العطاء في الحجاز ، قبل غيرهم من بطون قريش .

وكان الغزو يفرض على من يأخذون العطاء قال الطبري : « ... ولم يكن أحد من بني مروان يأخذ العطاء الا عليه الغزو ، فمنهم من يغزو ومنهم من يخرج بديلا ... وكانوا يصيرون أنفسهم في أعوان الديوان ، وفي بعض ما يجوز لهم المقام به ويوضع به الغزو عنهم »[231] .

ويحدثنا الطبري أيضا ان هشاما لما رأى كثرة الناس عند حجه عام ١٠٦هـ ، ضرب عليهم البعث ، فخرجوا مع أهل الشام « ... فقدموا في سنة

---

(٢٢٨) الاغاني ، ج١١ ، ص ص١٩٣-١٩٤ .
(٢٢٩) العطاء في الحجاز ، مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٧٠م ، العدد ، ٢٠ ، ص٦٥ .
(٢٣٠) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١٧ ، ص٣٢٥ .
(٢٣١) تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٠٢ .

سبع [ومائة] على الجعائل »[٢٣٢] • وذلك يوضح ان الذين يضرب عليهم البعث يحق لهم ان يرسلوا عنهم بدلاء يتفقون معهم على أجر معين[٢٣٣] •

ولدينا روايات كثيرة تشير الى ان الجند كانوا يعطون مبالغ أضافية غير العطاء السنوي ، أحياناً ، اذا خرجوا للقتال ، حثا لهم ورفعا لمعنوياتهم ، وقد يكون المبلغ الاضافي اكثر من العطاء السنوي •

فيحدثنا الطبري ان الجنيد أعطى لكل مقاتل تركه لحماية سمرقند الف درهم وفرسا ، عندما توجه لفك حصار بخارى وأنقاذها من الترك[٢٣٤] •

وتذكر المصادر ان حنظلة بن صفوان ، والي أفريقية ، أعطى الجند مبالغ أضافية ، قبيل معركته مع البربر حول أسوار القيروان ، فقد أعطى كل واحد منهم خمسين دينارا « ••• حتى كثر الناس عليه فرد العطاء الى أربعين ثم الى ثلاثين ••• »[٢٣٥] •

وكان هشام يمنع العطاء أحيانا لاسباب تتعلق بمعارضة سياسته او لعدم رضاه عن سلوك بعض الأفراد ، فيذكر الاصفهاني ان الوليد بن يزيد لما حج أظهر الفسق طلب منه هشام ان يتنازل عن ولاية العهد لكنه رفض وانصرف الى الاردن فحرمه هشام من « ••• العطاء وسائر مواليه وأسبابه »[٢٣٦] •

كما حرم هشام أيضا أهل المدينة أعطياتهم سنة لتأييدهم لثورة زيد بن علي[٢٣٧] • وقد حرم يوسف بن عمر والي العراق ، أهل الكوفة أعطياتهم

---

(٢٣٢) ايضا ، ج٧ ، ص٤٠ •

(٢٣٣) العلي ، صالح احمد ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص١٦١ •

(٢٣٤) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٨٢ • ويذكر الطبري أيضا أمثلة لولاة أعطوا جندهم مبالغ اضافية غير ما يتقاضونه من عطاء سنوي ، ج٧ ، ص٨٣، ص٩٧ ، ص١٠٤ ، ص١٢٠ •

(٢٣٥) القيرواني ، المصدر نفسه ، ص١١٩ ، وابن عذارى ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٥٨ •

(٢٣٦) الاغاني ، ج٧ ، ص٣ •

(٢٣٧) الاغاني ، ج٧ ، ص٢٢ •

للسبب السالف أيضا(٢٣٨) .

ومما يجدر ذكره ان العطاء لم يكن واحدا بالنسبة لجميع العرب ، كما لم تساوِ فيه العرب والموالي ، ولا يُعطي الا لمن يؤدي خدمة للدولة ، وكان أغلبه للجند ، فاذا تخلى احدهم عن واجبه او أيّد أحدى الحركات المعادية للسلطة يُشطب أسمه من ديوان العطاء . وكان الخليفة وحده يستطيع ان يفرض العطاء او يمنعه ، وحتى تصرف يوسف بن عمر مع أهل الكوفة بمنع أعطياتهم بعد ثورة زيد بن علي ، ربما كان بأمر من هشام ، فمن المرجح ان يوسف لا يجرؤ على منعهم أعطياتهم بدون رضا هشام وموافقته .

وكان العطاء يعطى في بداية شهر محرم من كل عام ، ويوزعه الولاة على عرفاء الجند(٢٣٩) ، وهم في العادة من المقدمين في قبائلهم ، فيوزعه هؤلاء على اتباعهم من الجند .

ولما كانت الدولة لا تقدم كثيرا من الخدمات للأفراد فقد كان العطاء مهما بالنسبة لعامة الناس ، ولما كانت الدولة هي التي تعطيه او تمنعه ، فقد كان ذلك يشد اليها أغلب الناس ممن يستلمونه .

ولا تقدم لنا المصادر الا نتفا عن العطاء لا يمكن ان تكون لدينا احصاءات دقيقة عن المبالغ التي توزع على الناس او عمن يستلم العطاء من غير الجند المسجلين في ديوان العطاء .

٣ ـ نفقات منزل الخلافة (البلاط) :

لا تحدثنا المصادر عن نفقات البلاط الأموي خلال عهد هشام ، وكل ما وجدناه لا يتعدى اشارات بسيطة عما يقدمه الخليفة من أموال على شكل هبات للناس ولأفراد أسرته وللبيت المالك جميعه .

---

(٢٣٨) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٩١ .

(٢٣٩) يذكر الكندي (ج٢ ، ص٣٤١) ان قاضي مصر أعطى الوصاية على أحد ابناء الجنود الايتام الى عريف قومه .

وسبق ان بينا أن هشاما كان يكره الأسراف حتى عدّ بخيلا ، فمن المرجح ان نفقات البلاط في عهده كانت أقل من نفقات من سبقه من خلفاء الأمويين ، اذا استثنينا عمر بن عبدالعزيز (رض) .

وكان الخليفة يشرف على بيت المال العام ، كما كانت له أملاكه الخاصة التي تدر عليه الأرباح الوفيرة ، أضافة لما يأتيه من الهدايا وغيرها ، وكان يتصرف ببيت المال العام وبيت المال الخاص كما يشاء . وعلى ذلك فيصعب والحالة هذه التفريق بين أموال بيت المال العام وأموال الخليفة الخاصة .

وتحدثنا طائفة من المصادر ان الخليفة كان يهب أموالا لجماعة من الناس او الشعراء من بيت المال العام ، كما سبق وان أشرنا الى ذلك في الفصل الثاني في بحثنا عن هبات الخليفة . كما تحدثنا المصادر أيضا ان الخليفة كان يكلف جماعة من الولاة بشراء هدايا تقدم له ومن المرجح ان أثمان تلك الهدايا كانت تدفع من بيت المال العام في الولاية[٢٤٠] .

وذلك يوضح ان الخليفة ، لا يفرق أحيانا بين بيت المال العام والخاص فيما يتعلق بنفقاته الشخصية .

وتحدثنا المصادر أيضا ان مسلمة بن هشام سمح لوفد من أهل المدينة بالوفود على أبيه ، فوهب لهم الخليفة مقدارا من الأموال من بيت المال العام ، وكان أبوه يرشحه للخلافة[٢٤١] .

وكانت طائفة من الولاة تقدم الهبات للناس ، فيذكر اليعقوبي ان خالـــدا القسري فرّق على الناس ، اثنـــاء ولايته للعـــراق ، مبلغ ســـت وثلاثين مليون درهم[٢٤٢] . ومع ان المبلغ كان من ماله الخـــاص ، فان أنكسار الخـــراج في ايامه[٢٤٣] ، جعل الناس تعتقد ان هباته كانت من بيت المال .

---

(٢٤٠) قدامة المقدسي ، كتاب التوابين ، ص ص١٤٦ـ١٤٧ ، والجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ج٢ ، ص١٣٣ .

(٢٤١) الاصفهاني ، المصدر نفسه ، ج١٨ ، ص ص٣٢٥ـ٣٢٦ .

(٢٤٢) التاريخ ، ج٢ ، ص٣٢٢ .

(٢٤٣) الطبري ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٩ .

ويذكر الأستاذ حلمي بعض أوجه الصرف في الدولة الأموية ، الشرعيـــة وغير الشرعية منها[٢٤٤] ، كما يذكر واردات بيت المال الشرعية منها وغير الشرعية أيضا ، ويكتفي بايراد أمثلة على ذلك ، لكنه لا يقدم لنا احصاءات او خطـــوطا عامة عن الفترة المبحوث فيها[٢٤٥] .

وفي ختام حديثنا عن نفقات الدولة نرى من المناسب ان نذكر :

اولا : يحدثنا المؤرخون الرواد ، ان هشاما كان حريصا على بيت المال ، لم يفرط بما يحصل فيه من الأموال الا لحاجة ماسة كتجهيز الجيوش او غير ذلك ، وان ما وصف به هشام من البخل وجمع المال ، لم يكن على حساب مصلحة الدولة وحماية حدودها واستتباب الامن في ربوعها .

وتكاد تجمع المصادر ان هشاما كان يبخل بالمبلغ التافه في هباته الشخصية ، لكنه لم يبخل بالملايين للحفاظ على الأستقرار الداخلي ، او حماية حدود الدولة من الاعداء المحيطين بها ، وكانت جلّ نفقات الدولة وصرفياتها تذهب في هـــذا السـبيل .

ثانيا : ومن دراستنا يظهر ان نصيب المشاريع العامة من نفقات الدولة لم تكن بالمستوى المطلوب ، فلا تحدثنا المصادر كثيرا عن مشاريع عامة قامت بها الدولة ، اللهم الا اذا أستثنينا طائفة بسيطة منها ، كحفر قناة او بناء قنطرة او ما الى ذلك .

ثالثا : لم تقدم لنا المصادر احصاءات عن نفقات الدولة ، ولا نجد الا اشارات عن بعض الهبات او الاعطيات او القيام بطائفة من المشاريع العامة .

رابعا : ان الخليفة كان مسؤولا عن بيت المال العام ، ويتصرف بموجوداته كما يشاء كما لم تكن هباته مقصورة على بيت المال العام ، كما لا يوجد فرق في الانفاق بين البيت المال العام والخاص لأن موارد الأثنين موضوعة تحت تصـــرف الخليفـــة .

---

(٢٤٤) حلمي ، محمد ، الخلافة والدولة ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، صرص ٢١٩ـ٢٢٨ .

(٢٤٥) أيضا ، صرص٢٢٨ـ٢٤١ .

قائمة المصادر والمراجع

١ ـ المخطـوطات :

البلاذري ، احمد بن يحيى ، ت ، ٢٧٩هـ ٠

١ ـ أنساب الاشراف ، مخطوطة بمكتبة الدراسات العليا/بكلية الآداب ، جامعة بغداد ، ذات رقم ١٦٤٠ ٠

ب ـ المصـــادر :

* ابن الابار ، محمد بن عبدالله القضاعي ، ت ، ٦٥٨هـ ٠

٢ ـ أعتاب الكتاب ، دمشق ، ١٩٦١م ٠

* ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم ، ت ، ٦٣٠هـ ٠

٣ ـ الكامل في التأريخ ، ج٥ ، بيروت ، ١٩٦٥م ٠

٤ ـ أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده ، مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري ٠ بيروت ، ١٩٧١م ٠

٥ ـ أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر أمرائها ، مجريط ، ١٨٦٧م ٠

* الآزدي ، يزيد بن محمد ، ت ، ٣٣٤هـ ٠

٦ ـ تأريخ الموصل ، القاهرة ، ١٩٦٧م ٠

* الأزرقي ، محمد بن عبدالله ، ت ، ٢٥٠هـ ٠

٧ ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، مكة ، ١٣٥٧هـ ٠

* أبن اسحاق ، محمد ، ت ، ١٥٢هـ ٠

٨ ـ تراجم رجال ، باعتناء أوكست فشر ، ليدن ، ١٨٩٠م ٠

* الأصطخري ، ابراهيم بن محمد ٠ من علماء القرن الرابع الهجري ٠

٩ ـ المسالك والممالك ، القاهرة ، ١٩٦١م ٠

* الاصفهاني ، علي بن الحسين ت : ٣٥٦هـ ٠

١٠ـ الأغاني ، القاهرة ، الاجزاء ، ١ـ١٨ ، طبعة دار الكتب ١٩٢٧م ـ١٩٧٠م ، والاجزاء ١٩ـ٢١ ، القاهرة ، ١٣٢٣هـ ٠

* الأصفهاني ، حمزة بن الحسن ، ت ، ٣٦٠هـ ٠

١١ـ تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ٠ بغداد ، ١٩٦١م ٠

* الأنباري ، عبدالرحمن بن محمد ، ت ، ٥٧٧هـ ٠

١٢ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، القاهرة ، ١٩٦١م ٠

* الأمدي ، الحسن بن الحسن ، ت ٣٧٠ هـ ٠

١٣ـ المؤتلف والمختلف ، القاهرة ، ١٩٦١م ٠

* ابن البطريق ، سعيد بن البطريق ، ت ، ٣٢٨هـ ٠

١٤- التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ، ١٩٠٩م .
* الزبير بن بكار ، ت : ٢٥٦هـ .
١٥- جمهرة نسب قريش وأخبارها ، القاهرة ، ١٣٨١هـ .
* البكري ، عبدالله بن عبدالعزيز ، ت ، ٤٨٧هـ .
١٦- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، القاهرة ، ١٩٤٥م .
١٧- التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ، المنشور مع كتاب الأمالي ، لابي القاسم علي بن اسماعيل القالي ، القاهرة ، ١٩٢٦م .
* البلاذري ، أحمد بن يحيى ، ت ، ٢٧٩هـ .
١٨- أنساب الأشراف ، القدس ، ١٩٣٦م .
١٩- فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٥٢م .
* البيروني ، محمد بن أحمد ، ت ، ٤٤٠هـ .
٢٠- الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ليبزك ، ١٩٢٣م .
٢١- الجماهر في معرفة الجواهر ، حيدرآباد ، ١٣٥٥هـ .
٢٢- تاريخ الخلفاء ، مجهول المؤلف من علماء القرن الحادي عشر ، موسكو ، ١٩٦٧م .
* ابن تغرى بردى ، أبو المحاسن جمال الدين ، ت ٨٧٤هـ .
٢٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
* التوحيدي ، أبو حيان .
٢٤- البصائر والذخائر ، دمشق ، ١٩٦٤م .
* الثعالبي ، عبدالملك بن محمد ، ت ، ٤٢٩هـ .
٢٥- لطائف المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
٢٦- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، القاهرة ، ١٩٦٥م .
* الجاحظ ، عمرو بن بحر ، ت ، ٢٥٥هـ .
٢٧- البخلاء ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
٢٨- المنسوب ، التاج في أخلاق الملوك ، القاهرة ، ١٩١٤م .
٢٩- الحيوان ، القاهرة ، الأجزاء ، ١ ، ٢ ، ٦ ، لا ت .
الاجزء ٣ ، ١٩٣٨م/ ٤ ، ١٩٤٠م /٥ ، ١٩٤٣م ، /٧ ، ١٩٤٥م .
٣٠- رسائل الجاحظ ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
* الجهشياري ، محمد بن عبدوس ، ت ، ٣٣١هـ .
٣١- الوزراء والكتاب ، القاهرة ١٩٣٨م .
* أبن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن ، ت ، ٥٩٧هـ .
٣٢- ذ م الهوى ، القاهرة ، ١٩٦٢م .
* أبن حزم ، علي بن أحمد ، ت ، ٤٥٦ هـ .

٣٣ـ جمهرة أنساب العرب ، القاهرة ، ١٩٦٢م ٠
٣٤ـ جوامع السير وخمس رسائل أخرى لابن حزم ، القاهرة ، لا ٠ ت ٠
* الحموي ، محمد علي ٠
٣٥ـ التاريخ المنصوري ، موسكو ، ١٩٦٠م ٠
* الحميدي ، محمد بن فتوح ، ت ، ٤٨٨هـ ٠
٣٦ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، القاهرة ، ١٩٠٢م ٠
* ابن خاقان ، الفتح بن محمد ٠
٣٧ـ قلائد العقبان في محاسن الاعيان ، تونس ، ١٩٦٦م ٠
* ابن خرداذبة ، عبيدالله بن عبدالله ، ت ، ٣٠٠هـ ٠
٣٨ـ المسالك والممالك ، ليدن ، ١٨٨٩م ٠
* ابن خلدون ، عبدالرحمن ، ت ، ٨٠٨هـ ٠
٣٩ـ المقدمة ، القاهرة ، لا ٠ ت ٠
٤٠ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ٠٠٠ ، المنشور بعنوان تاريخ ابن خلـدون بيروت ، ج٣ ، ١٩٥٧م ، ج٦ ، ١٩٥٩م ٠
* الخوارزمي ، محمد بن احمد ، ت ، ٣٨٧هـ ٠
٤١ـ مفاتيح العلوم ، القاهرة ، ١٣٤٢هـ ٠
* ابن خياط ، خليفة بن خياط ، ت ، ٢٤٠هـ ٠
٤٢ـ تاريخ خليفة بن خياط ، النجف ، ١٩٦٧م ٠
* الدياربكري ، حسين بن محمد ، ت ، ٩٨٢هـ ٠
٤٣ـ تاريخ الخميس ، القاهرة ، ١٢٨٣هـ ٠
* الدينوري ، احمد بن داود ، ت ، ٢٨٢ ٠
٤٤ـ الاخبار الطوال ، القاهرة ، ١٩٦٠م ٠
* الذهبي ، محمد بن احمد ، ت ، ٧٤٨هـ ٠
٤٥ـ تاريخ الاسلام ، القاهرة ، ١٣٣٩هـ ٠
٤٦ـ دول الاسلام ، حيدرآباد ، ١٣٦٤هـ ٠
* ابن رسته ، احمد بن عمر ، كان حيا عام ٢٩٠هـ ٠
٤٧ـ الاعلاق النفيسة ، ليدن ، ١٨٩١م ٠
* ابن رسول ، عمر بن يوسف ٠
٤٨ـ طرف الاصحاب في معرفة الانساب ، دمشق ، ١٩٤٩م ٠
* الزبيري ، المصعب بن عبدالله ، ت ، ٢٣٦هـ ٠
٤٩ـ نسب قريش ، القاهرة ، ١٩٥٣م ٠
* السدوسي ، مؤرج بن عمرو ٠

٥٠- حذف من نسب قريش ، القاهرة ، ١٩٦٠م ٠
* ابو سعد ، محمد بن سعد ، ت ، ٢٣٠هـ ٠
٥١- الطبقات الكبير ، ليدن ، ١٣٤٧هـ ٠
* السمعاني ، ابي سعيد بن عبدالكريم ، ت ، ٥٦٢هـ ٠
٥٢- الانساب ، نشر مرغليوث ، لندن ، ١٩١٢م ٠
* السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن ، ٩١١هـ ٠
٥٣- تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين ، القاهرة ، ١٣٠٥هـ ٠
٥٤- حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ١٣٢١هـ ٠
* ابن شداد ، محمد بن علي ، ت ، ٦٨٤هـ ٠
٥٥- الاعلاق الخطيرة ، دمشق ، ١٩٦٢م ٠
* الصابي ، هلال بن المحسن ، ت ، ٤٤٨هـ ٠
٥٦- رسوم دار الخلافة ، بغداد ، ١٩٦٤م ٠
* الضبي ، احمد بن يحيى ، ت ، ٥٩٩هـ ٠
٥٧- بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس ، مجريط ، ١٨٨٤م ٠
* الطبري ، محمد بن جرير ، ت ، ٣١٠هـ ٠
٥٨- تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ، ١٩٦٤م ٠
* ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا ، ت ، ٧٠٩هـ ٠
٥٩- الفخري في الآداب السلطانية ، بيروت ، ١٩٦٠م ٠
* ابن ظهيرة : احمد بن محمد ، ت ، ٨٨٥هـ ٠
٦٠- الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، القاهرة ، ١٩٦٩م ٠
* ابن عبدالحكم : عبدالرحمن بن عبدالله ، ت ، ٢٤٢هـ ٠
٦١- فتوح مصر والمغرب ، القاهرة ، ١٩٦١م ٠
٦٢- فتوح مصر واخبارها ، ليدن ، ١٩٢٠م ٠
* ابن عبد ربه ، احمد بن محمد ، ت ، ٢٣٨هـ ٠
٦٣- العقد الفريد ، القاهرة ، ١٩٥٣م ٠
* ابن العبري ، غريغوريوس الملطي ، ت ، ١٢٨٦هـ ٠
٦٤- مختصر تاريخ الدول ، بيروت ، ١٩٥٨م ٠
* ابن العديم ، عمر بن احمد ، ت ، ٦٦٠هـ ٠
٦٥- زبدة الحلب في تاريخ حلب ، دمشق ، ١٩٥١م ٠
* ابن عذارى ، محمد المراكشي ٠
٦٦- البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ليدن ، ١٩٤٨م ٠
* ابن عساكر ، علي بن الحسن ، ت ، ٥٠٢هـ ٠

٦٧ـ تاريخ مدينة دمشق ، دمشق ، ١٩٥٤م .
* العصامي ، عبدالملك بن حسين ، ت ، ١١١١هـ .
٦٨ـ سمط النجوم العوالي بانباء الاوائل والتوالي ، القاهرة ، لا . ت .
٦٩ـ العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، مجهول المؤلف ، ليدن ، ١٨٧١م .
* الغزي ، كامل بن حسين ، ١٣٥١هـ .
٧٠ـ نهر الذهب في تاريخ حلب ، حلب ، ١٣٤٥هـ .
* ابو الفداء ، عماد الدين بن اسماعيل ، ت ، ٧٣٢هـ .
٧١ـ المختصر في اخبار ، البشر ، بيروت ، ١٩٥٦م .
٧٢ـ تقويم البلدان ، باريس ، ١٨٤٠م .
* الفراء ، ابو يعلي محمد بن الحسين ، ت ، ٤٥٨هـ .
٧٣ـ الاحكام السلطانية ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ .
٧٤ـ رسائل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة ، القاهرة ، ١٩٤٧م .
* ابن الفقيه ، احمد بن محمد الهمداني .
٧٥ـ مختصر كتاب البلدان ، ليدن ، ١٨٨٥م .
* القالي ، ابو علي اسماعيل ، ت ، ٣٥٦هـ .
٧٦ـ الامالي ، القاهرة ، ١٩٢٦م .
* ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم ، ت ، ٢٧٦هـ .
٧٧ـ المنسوب ، الامامة والسياسة ، المعروف بتاريخ الخلفاء ، القاهرة ١٩٥٧م .
٧٨ـ الشعر والشعراء ، بيروت ، ١٩٦٤م .
٧٩ـ عيون الاخبار ، طبعة مصورة عن طبعة دار لكتب ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
٨٠ـ المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
* قدامة بن جعفر ، ت ، ٣٢٠هـ .
٨١ـ نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، المنشور مع كتاب المسالك والممالك، لابن خرداذبة ، ليدن ، ١٩٨٩م .
* القرماني ، أحمد بن يوسف ، ت ، ١٠١٩هـ .
٨٢ـ أخبار الدول وآثار الاول المنشور بهـــامش الكامل ، لأبن الاثير ، ج٢ ، القاهرة ، ١٢٩٠هـ .
* القزويني ، زكريا بن محمد ، ت ، ٦٨٣هـ .
٨٣ـ آثار العباد وأخبار البلاد ، بيروت ، ١٩٦٠م .
* القلقشندي ، أحمد بن علي ، ت ، ٨٢١هـ .
٨٤ـ مآثر الأناقة في دار الخلافة ، الكويت ، ١٩٦٤م .
٨٥ـ صبح الأعشى في صناعة الأنشاء ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
٨٦ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

* ابن القوطية القرطبي .
٨٧- تاريخ افتتاح الأندلس ، بيروت ، ١٩٥٨م .
* القيرواني ، الرقيق ، من علماء القرن الخامس الهجري .
٨٨- تاريخ أفريقية والمغرب ، تونس ، ١٩٦٧م .
* ابن الكازروني ، ظهيرالدين علي بن محمد ، ت ، ٦٩٧هـ .
٨٩- مختصر التاريخ ، بغداد ، ١٩٧٠م .
* ابن كثير ، عمادالدين اسماعيل بن عمر ، ت ، ٧٧٤هـ .
٩٠- البداية والنهاية ، في التاريخ ، ج٩ ، القاهرة ، ١٩٣٢م .
* الكشي ، محمد بن عمر ، ت ، ح ، ٣٤٠هـ .
٩١- الرجـال .
اسفند ، ١٣٤٨هـ .
* الكندي ، محمد بن يوسف ، ت ، ٣٥٠هـ .
٩٢- كتاب الولاة وكتاب القضاة . بيروت ، ١٩٠٨م .
* الكوفي ، المفضل بن سلمة بن عاصم . ت ، ٢٩٠هـ .
٩٣- الفاخر ، ليدن ، ١٩١٥م .
* الماوردي ، علي بن محمد ، ت ، ٤٥٠هـ .
٩٤- الاحكام السلطانية ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
* المبرد ، محمد بن يزيد ، ت ، ٢٨٥هـ .
٩٥- الكامل ، المنشور مع كتاب رغبة الآمل من كتاب الكامل ، ج٦ ، القاهرة ، ١٩٢٩م .
* المجلسي ، محمد باقر ، ت ، ١١١٠هـ .
٩٦- بحار الأنوار ، ج١١ ، طهران ، ١٣٨٥هـ .
* المرتضى ، علي بن الحسين ، ت ، ٤٣٦هـ .
٩٧- غرر الفوائد ودرر القلائد ، المنشور مع آمالي المرتضى ، القاهرة ، ١٩٥٤م .
* المسعودي ، علي بن الحسين ، ت ، ٣٤٦هـ .
٩٨- مروج الذهب ، القاهرة ، ١٩٥٨م .
٩٩- التنبيه والأشراف ، ليدن ، ١٨٩٣م .
* قدامة المقدسي ، عبدالله بن أحمد .
١٠٠- التوابون ، دمشق ، ١٩٦١م .
* المقدسي ، مطهر بن طاهر .
١٠١- البدء والتاريخ ، ج٥ ، باريس ، ١٩١٦م .
* المقدسي البشاري ، نبـغ ، ٣٧٥هـ .

١٠٢ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ، ١٩٠٦م ٠
* المقري ، أحمد بن محمد ، ت ، ١٠٤١هـ ٠
١٠٣ـ نفح الطيب ٠ القاهرة ، ١٣٠٢هـ ٠
* المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ، ت ، ٨٤٥هـ ٠
١٠٤ـ الخطط والآثار ٠
المعروف بالخطط المقريزية ، القاهرة ، ١٢٩٤هـ ٠
١٠٥ـ شذور العقود ، النجف ، ١٩٦٧م ٠
١٠٦ـ السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة ، ١٩٣٤م ٠
* أبن منقذ ، أسامة بن منقذ ، ت ، ٥٨٤هـ ٠
١٠٧ـ لب الآداب ، القاهرة ، ١٩٣٥م ٠
* أبن نباته ، جمال الدين بن محمد ، ٧٦٨هـ ٠
١٠٨ـ سرح العيون في شرح رسالة أبن زيدون ، القاهرة ، ١٩٦٤م ٠
* أبن النديم ، محمد بن اسحاق ، ت ، ٤٨٣هـ ٠
١٠٩ـ الفهرست ، القاهرة ، ١٣٤٨هـ ٠
* أبن الوردي ، عمر بن مظفر ، ت ، ٧٤٩هـ ٠
١١٠ـ تاريخ أبن الوردي ، النجف ، ١٩٦٩م ٠
* وكيع ، محمد بن خلف ، ت ، ٣١٠هـ ٠
١١١ـ أخبار القضاة ، القاهرة ، ١٩٤٧م ٠
* ياقوت الحموي ، ياقوت بن عبدالله ، ت ، ٦٢٦هـ ٠
١١٢ـ معجم الأدباء أو طبقات الأدباء ، القاهـــرة ، الاجزاء ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ١٩٢٧ـ١٩٣٠م ٠
١١٣ـ معجم البلدان ، لايبزك ، ١٨٧٠م ٠
١١٤ـ معجم البلدان ، بيروت ، ١٩٥٧م ٠
اليعقوبي ، أحمد بن واضح ، ت ، ٢٨٤هـ ٠
١١٥ـ التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٠م ٠
١١٦ـ البلدان ، النجف ، ١٩٥٧م ٠
* ابو يوسف ، يعقوب بن أبراهيم ، ت ، ٢٨٢هـ ٠
١١٧ـ الخراج ، القاهرة ، ١٣٠٢هـ ٠

ج : المـــــراجع :

أرسلان ، شـكيب ٠
١ ـ تاريخ غزوات العرب في فرنسا ، بيروت ، ١٩٦٦م ٠
* أمير علي ، ســيد ٠

٢ ـ مختصر تاريخ العرب تر ، عفيف البعلبكي ، بيروت ، ١٩٦١م .
٣ ـ روح الأسلام ، تر . عمر الديراوي ، بيروت ، ١٩٦١م .
* أمين ، أحمـــد .
٤ ـ فجر الأسلام ، القاهرة ، ١٩٥٩م .
* بارتولد ، و .
٥ ـ تاريخ الحضارة الأسلامية تر ، حمزة طاهر عن التركية ، القاهرة ، ط٣ ، لا . ت .
٦ ـ تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، تر : احمد السيد سليمان وابراهيم صبري، القاهرة ، ١٩٥٨م .
* تبشر ، أ . ل .
٧ ـ تاريخ الأمة القبطية وكنيستها ، تر : هيئة التحرير لجريدة مصر ، القاهرة، ١٩٠٠م .
* البرى ، عبدالله خورشيد .
٨ ـ القبائل العربية في مصر ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
* ترتون ، أ . س .
٩ ـ أهل الذمة في الاسلام ، تر : حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
* جوستاف . أ . فون جرونيباوم .
١٠ـ حضارة الأسلام ، تر : عبدالعزيز توفيق جاويد ، القاهرة ، ١٩٥٦م .
* جب ، هاملتون .
١١ـ دراسات في حضارة الأسلام ، تر ، احسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٤م .
* جارالله ، زهدي .
١٢ـ المعتزلة ، القاهرة ، ١٩٤٧م .
* حتي ، فليب .
١٣ـ تاريخ سوريا ولبنان ، بيروت ، ١٩٥٩م .
* حتي ، وآخـــرون .
١٤ـ تاريخ العرب مطول ، الأجزاء ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ١٩٥٢م ـ ١٩٥٣م .
* حسن ، حسن ابراهيم .
١٥ـ تاريخ الأسلام ، القاهرة ، ١٩٥٩م .
* حسن ، حسن ابراهيم .
وحسن ، علي ابراهيم .
١٦ـ النظم الأسلامية ، القاهرة ، ١٩٣٩م .
* حسن ، زكي محمد .

١٧ـ معجم الأنساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٥١م •
* حسن ، علي ابراهيم •
١٨ـ التاريخ الأسلامي العام ، القاهرة ، ١٩٥٩م •
* حسن ، ناجـي •
١٩ـ ثورة زيد بن علي ، النجف ، ١٩٦٦م •
* حلمي ، محمد حلمي •
٢٠ـ الخلافة والدولة في العصر الأموي ، القاهرة ، ١٩٦٦م •
* حمودة ، علي محمد •
٢١ـ تاريخ الأندلس ، القاهرة ، ١٩٥٧م •
* الخضري ، محمد •
٢٢ـ محاضرات تاريخ الأمم الأسلامية ، القاهرة ، ١٣٧٦هـ •
* دبـوز ، محمد علي •
٢٣ـ تاريخ المغرب الكبير ، القاهرة ، ١٩٦٣م •
* دحلان ، أحمد بن السيد زيني •
٢٤ـ الفتوحات الأسلامية ، القاهرة ، ١٣٢٣هـ •
* الدوري ، عبدالعزيز •
١٥ـ مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، بغداد ، ١٩٤٩م •
٢٦ـ العصر العباسي الاول ، بغداد ، ١٩٤٥م •
* دوزي ، ر • د •
٢٧ـ تاريخ مسلمي اسبانيا تر : حسن حبشي وآخرون ، القاهرة ، ١٩٦٠م •
* دينيت ، دانيل •
٢٨ـ الجزية والأسلام ، تر : فوزي فهيم ، بيروت ، ١٩٦٠م •
* سالم : عبدالعزيز •
٢٩ـ تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، القاهرة ، ١٩٦٢م •
* الراوي ، ثابت اسماعيل •
٣٠ـ تاريخ الدولة العربية ، بغداد ، ١٩٧٠م •
* رستم ، أسـد •
٣١ـ الروم ، بيروت ، ١٩٥٥م •
* الريس ، محمد ضياء الدين •
٣٢ـ الخراج والنظم المالية للدولة الأسلامية ، القاهرة ، ١٩٦١م •
* الزركلي ، خيرالدين •
٣٣ـ الأعلام ، الأجزاء ١ـ١٠ ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٩م •
* أبو زهرة ، محمد •

٣٤- الأمام زيد بن علي ، القاهرة ، ١٩٥٩م .
* السلاوي ، أحمد بن خالد .
٣٥- كتاب الأستقصا لأخبار المغرب ، الاقصى . القاهرة ، ١٩٠٦م .
* الشيبي ، كامل مصطفى .
٣٦- الفكر الشيعي والنزعات الصوفية . بغداد ، ١٩٦٦م .
* الطويل ، محمد أمين غالب .
٣٧- تاريخ العلويين ، بيروت ، ١٩٦٦م .
* عبدالحميد ، سعد زغلول .
٣٨- تاريخ المغرب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٥م .
* عثمان ، فتحي .
٣٩- الحدود الأسلامية البيزنطية ج٢ ، القاهرة ، لا . ت .
* العزاوي ، عباس .
٤٠- الضرائب العراقية ، بغداد ، ١٩٥٨م .
* العلي ، صالح أحمد .
٤١- التنظيمات الأجتماعية والأقتصادية في البصرة ، بيروت ، ١٩٦٩م .
* عمر ، فاروق .
٤٢- العباسيون الأوائل ، بيروت ، ١٩٧٠م .
٤٣- طبيعة الدعوة العباسية ، بيروت ، ١٩٧٠م .
* عنان ، محمد عبدالله .
٤٤- دولة الأسلام في الأندلس ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
* فان فلوتن .
٤٥- السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية ، تر : حسن ابراهيم حسن ، ومحمد زكي ، القاهرة ، ١٩٦٥م .
* فروخ ، عمر .
٤٦- تاريخ صدر الأسلام والدولة الاموية ، بيروت ، ١٩٧٠م .
٤٧- العرب والاسلام ، بيروت ، ١٩٧٠م .
* فلهاوزن ، يوليوس .
٤٨- تاريخ الدولة العربية وسقوطها ، ترجمة عبدالهادي ابو ريدة ، القاهرة ، ١٩٥٨م .
٤٩- الخوارج والشيعة تر ، عبدالرحمن بدوي ، القاهرة ، ١٩٦٨م .
* الفياض ، عبدالله .
٥٠- تاريخ التربية عند الأمامية وأسلافهم من الشيعة ، بغداد ، ١٩٧٢م .
* كرد علي ، محمد .

٥١ـ خطط دمشق ، دمشق ، ١٩٢٥م ٠
* لوس ، برنارد ٠
٥٢ـ أصول الاسماعيلية ، تر : خليل احمد حلو وجاسم الرجب ، بغداد ، ١٩٤٧م ٠
* ماسيه ، هنري ٠
٥٣ـ الأسلام ، تر : بهيج عثمان ، بيروت ، ١٩٦٠م ٠
* ماهر ، سعاد ٠
٥٤ـ البحرية في الاسلام وآثارها الباقية ، القاهرة ، ١٩٦٧م ٠
* مرغوليوث ٠
٥٥ـ المؤرخون العرب ، تر : حسين نصار ، بيروت ، لا ٠ ت ٠
* المنجد ، صلاح الدين ٠
٥٦ـ معجم بني أمية ، بيروت ، ١٩٧٠م ٠
* مؤنس ، حسين ٠
٥٧ـ فجر الأندلس ، القاهرة ، ١٩٥٩م ٠
* النقشبندي ، ناصر السيد محمود ٠
٥٨ـ الدينار الاسلامي في المتحف العراقي ، بغداد ، ١٩٥٣م ٠
* اليوسف ، عبدالقادر أحمد ٠
٥٩ـ الامبراطورية البيزنطية ، بيروت ، ١٩٦٦م ٠

د ـ (المجـــلات) ٠

* الدوري ، عبدالعزيز ٠
١ ـ الضرائب في خراسان ، مجلة المجمـــــع العلمي العراقي ، المجلد ، ١١ ، ١٩٦٤م ٠
* العلي ، صالح أحمد ٠
٢ ـ العطاء في الحجاز ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد العشرون ، ١٩٧٠ ٠

هـ ـ المصادر الأجنبيـــة :

١ ـ « عهد هشام بن عبدالملك » تاليف ـ كبرائيلي ، بالايطالية وقد ترجمت فقرات منه بمساعدة بعض الاصدقاء ٠
٢ ـ
Gabrieli. F. Ency. Of Islam, Art. " Hisham ". Vol. III.

فهرس كتـاب

« عصر هشام بن عبدالملك »



« فهرس الاعــلام »

« ش »

« ص »

« ض »

« ط »

« ع »

« فهرست الاماكن »

(١) الطبري ، ح٧ ، ص٢١١ .

(١) ابن خرداذبة ، ص١٢٥ .

« ك »

« ل »

« م »

(١) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص٥٩

« فهرس الفرق »

« فهرست القبائل والامم والشعوب »

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٥٨ لسنة ١٩٧٥

محتويات الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
٢ ـ الضرائب وحصيلتها في خراسان	٣٠١ـ٣١٦
أ ـ اجراء أشرس بن عبدالله السلمي	٣٠٧ـ٣١٢
ب ـ اجراء نصر بن سيار	٣١٢ـ٣١٦
٣ ـ الضرائب وحصيلتها في الجزيرة الفراتية	٣١٦ـ٣٢١
٤ ـ واردات بلاد الشام	٣٢١ـ٣٢٧
٥ ـ واردات مصر	٣٢٧ـ٣٣٤
٦ ـ واردات متفرقة	٣٣٤ـ٣٣٦
ب ـ النفقات	٣٣٦
١ ـ الانفاق على المشاريع العامة	٣٣٦ـ٣٤٠
٢ ـ العطاء	٣٤٠ـ٣٤٧
٣ ـ نفقات منزل الخلافة (البلاط)	٣٤٧ـ٣٤٩
الفهارس	٣٥٠ـ٣٦٠
١ ـ قائمة المصادر والمراجع	٣٥٠ـ٣٦٠
٢ ـ فهرس الاعلام	٣٦٣ـ٣٧٧
٣ ـ فهرس الاماكن	٣٧٨ـ٣٨٤
٤ ـ فهرس الفرق	٣٨٥
٥ ـ فهرس القبائل والامم والشعوب	٣٨٦ـ٣٨٨
٦ ـ محتويات الكتاب	٣٨٩ـ٣٩١

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٥٨ لسنة ١٩٧٥